مركز الصفاء للدراسات

المجلد
1

محاضرة الأبرار
ومسامرة الأخيار

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي

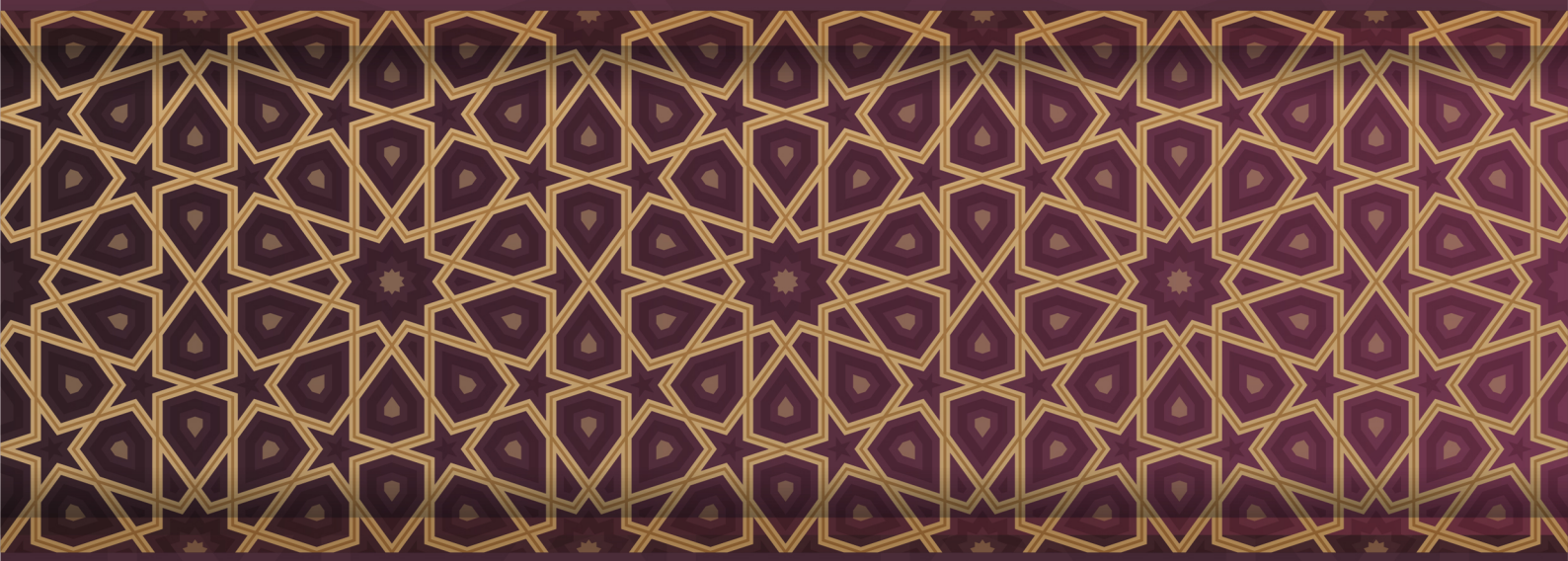

تحقيق

عبد العزيز سلطان طهر المنصوب

طبعة إلكترونية أولى
© 2026

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار- ١

هدية مركز الصفاء للدراسات

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

نسخة إلكترونية أصلية مجانية

منقحة من آخر طبعة ورقية

بتحقيق عبد العزيز سلطان المنصوب

متاحة للاستخدام الشخصي غير التجاري

دون أيّ تعديل مع الإشارة إلى المصدر عند الاستشهاد

ⵅⵙⵙⵚⵔⵜ11 ⵙⵙⵔⵄⵙ ⵣⵕⵔⵣ ⵅⵢⵜⵗ

ⵔⵙⵢⵏⵙ ⵅⵔⵣⵙⵙⵣⵀ ⵔⵙⵔⵎⵙ ⵅⵔⵜⵙⵗⵣ

ⵅⵢⵏⵙⵔⵣ ⵅⵢⵜⵄⵙ ⵅⵢⵏⵀⵔⵅⵕⵜⵙ ⵅⵏⵙⵏ

ⵅⵢⵖⵔⵀ ⵅⵔⵎⵍ ⵔⵏⵙ ⵏⵣ ⵅⵛⵖⵏⵣ

ⵎⵀⵄⵏⵣⵜⵙ ⵏⵙⵍⵜⵙ ⵣⵢⵣⵔⵜⵙ ⵜⵎⵔ ⵖⵢⵖⵛⵅⵎ

ⵢⵔⵙⵊⵅⵜ ⵔⵢⵎ ⵢⵄⵖⵣⵜⵙ ⵣⵙⵜⵏⵅⵚⵙⵙ11 ⵅⵛⵙⵅⵣ

ⵜⵙⵏⵣⵅⵚⵙⵜⵙ ⵜⵏⵔ ⵔⵜⵄⵣⵜⵙ ⵙⵜⵙ ⵅⵔⵙⵣⵙⵜⵙ ⵔⵣ ⵜⵢⵜⵔⵅ ⵢⵙ ⵏⵀⵜ

"المسند"

سلسلة الصفا

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

للشيخ الأكبر

محيي الدين بن العربي

المجلد (١)

تحقيق

عبد العزيز سلطان المنصوب

الطبعة الأولى ١٤٤٥هـ – ٢٠٢٣م

الطبعة الإلكترونية الأولى ١٤٤٩هـ – ٢٠٢٧م

الناشر: مركز الصفاء للدراسات

صنعاء، الجمهورية اليمنية

حقوق الطبع محفوظة

لوحة الشرف

فريق العمل المشارك

بمركز الصفا للدراسات

المراجعة والمقابلة

د/ أحمد سعيد ناصر م/ محمود سلطان طاهر المنصوب

الدعم الفني والتقني

م. د/ سامي عبد العزيز المنصوب م/ عمر عبد العزيز المنصوب

جامع الشيخ محيي الدين بن العربي في دمشق

ضريح الشيخ الأكبر

رموز مستخدمة في التحقيق

﴿ ﴾ يتضمن النص القرآني

« » يتضمن نص الحديث النبوي

" " تمييز الفقرة

( ) تعبير مضاف من المحقق لم يرد في هذا الكتاب

+ (في الهامش) تعني أنّ هذه الكلمة أو العبارة وجدت في النسخة المبين اسمها

- (في الهامش) تعني أنّ هذه الكلمة أو العبارة لم ترد في النسخة المبين اسمها

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما أطلّ القرن السابع الميلادي كان العالم تحت حكم امبراطوريتين مهيمنتين عليه، هما الفرس والروم، وكان العرب قابعون في جزيرتهم الواقعة بين هاتين الامبراطوريتين حتى أنّ عددا من قبائل العرب شمال الجزيرة، في العراق والشام، كانت خاضعة بالولاء لهذه الإمبراطورية أو تلك، بل وصل الأمر بالإمبراطوريتين إلى محاولة الاستحواذ على بقية مساحة الجزيرة العربية بداية من خلال البعثة التي قادها الأحباش إلى اليمن ومحاولة امتدادهم إلى مكة المكرمة فيما عرف بغزوة أبرهة الحبشي والتي ارتدّت خائبة في عام الفيل، ورد الفعل الفارسي بدعم سيف بن ذي يزن بقوات عسكرية لطرد الأحباش والسيطرة على اليمن بعد ذلك حتى ظهر الإسلام الذي حفظ عروبة الجزيرة التي كادت تنتهي بفعل هذه التدخلات.

كان العرب -إذن- مستضعفين في تلك الآونة ومحشورين في حدود الجزيرة العربية. وإذا أضفنا لذلك أنّ معظم مساحة جزيرة العرب كانت صحراوية تفتقد الماء والزراعة، وكانت قبائلها -التي لا تخضع لنظام مركزي- تتقاتل فيما بينها طلبا للمرعى والمشرب والثارات سندرك عندئذ أنّ الثقافة التي ستعبّر عن ذلك هي ثقافة الغارات والرمح والسيف والحماسة والفخر، وأدواتها هي الشعر فقط، وهو ما سجله التاريخ لنا عن تلك الحقبة.

وفي تلك المرحلة انبثقت أنوار الهداية وتشعشعت من قلب جزيرة العرب لتنتشر رويدا رويدا حتى تعمّ الكون كلّه.

التدوين وتطوّره عند العرب:

تشير كلّ الدلائل إلى أنّ التدوين لم يكن قائما خلال هذه الحقبة لأمرين؛ أوّلهما انتشار الأمّيّة بين أوساط القبائل العربية إلّا ما ندر، وثانيهما لتفرّد الشعر وحده كمنتج ثقافي لدى قبائل الجزيرة العربية، وكان هذا الشعر يتم انتقاله غالبا بالسماع بين المهتمين به، عدا ما ورد من تدوين المعلّقات في تلك الآونة.

وفي القرن الهجري الأوّل استجد أمر لم يكن معهودا من قبل، وهو نزول القرآن الكريم، وفي بداية الأمر حافظ العرب على نفس النهج المتّبع لديهم مع تغيير طفيف، وهو أنّ الكثيرين

منهم كانوا يكتبون آيات وسور القرآن فور نزولها، وهم من عُرفوا بكتبة الوحي، وعنهم أخذ عدد من الصحابة، فكانوا يكتبون ما أنزل الله على رسوله ويحفظونها دون أن يجمعونها في مصحف واحد، وعُرفوا باسم القرّاء. فلما قامت حروب الردة واستشهد عدد كبير من حفظة القرآن خيف على القرآن أن يندرس، فكان أن تمّ جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في زمن الخليفة أبي بكر الصديق وفق ما ورد على النبي ﷺ. وبعد أن اتسعت دولة الخلافة الإسلامية تمّ نسخ عدد من المصاحف من النسخة الأولى وتوزيعها على هذه الأمصار وذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان. وهكذا انشغل العرب والمسلمون في حفظ القرآن الكريم وتدوينه والحفاظ عليه من أن يمتزج به غيره في القرن الهجري الأوّل، فكان المصحف الشريف هو أوّل كتاب جمع بين دفّتين في ذلك العهد كما تداولته كتب التاريخ.

وشهد القرن الهجري الثاني بداية تدوين الحديث النبوي، ويعود الفضل في ذلك إلى الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الذي أمر واليه على المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم: "أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنّته أو نحو هذا فاكتبه لي، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء، وكتب بمثل ذلك إلى الآفاق، وتوفى سريعا قبل تمامه. وكان أوّل من صدر عن هذه الرغبة العظيمة ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة. وتدوينه للحديث أوّل تدوين عام له، وأخذ تدوينه بعده يتسع في الشام وغير الشام"[١].

ومع نهاية القرن الهجري الثاني والنصف الأول من القرن الثالث الهجري اتسعت مؤلفات علماء المسلمين في مجالي الحديث والفقه على وجه الخصوص وظهرت مؤلفات أئمة المذاهب الإسلامية تباعا ولحقتها شروحاتها وتفسيراتها.

وفي تلك الآونة كانت بدايات ظهور مؤلفات تناولت موضوعات عامة متفرقة ومن بين هذه الكتب: كليلة ودمنة والأدب الكبير والصغير لابن المقفّع (١٤٢هـ) والحيوان والبخلاء والبيان والتبيين للجاحظ (٢٥٥هـ) والمعارف لابن قتيبة (٢٧٦هـ) والكامل للمبرّد (٢٨٦هـ) والعقد الفريد لابن عبد ربه (٣٢٨هـ) والأغاني للأصبهاني (٣٥٦هـ) وعيون الأخبار والأمالي لأبي عليّ القالي (٣٥٦هـ) ودواوين كثيرة لشعراء جاهليين وإسلاميين. كما تتالى بعدئذ ظهور

(١) تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (٦/ ٦٢)

المؤلفات المتخصصة في موضوعات بعينها وهو ما درج عليه المؤلفون فيما بعد إلى زمننا هذا.

انتشرت المؤلفات ذات الموضوعات المتفرقة في القرون الهجرية الأولى كثيرا ويعود ذلك في تقديرنا إلى عدة عوامل منها حداثة عهد الكتّاب المؤلفين بالكتابة المتخصصة ذات اللون الواحد، كما أنّ هذا النوع من التأليف كان مطلب الخلفاء والحكام لصقل مواهب أبنائهم الذين يرون في إلمامهم بثقافة العصر المتشعبة الأوجه، من شعر وأدب وروايات وتاريخ ... إلخ، إحدى وسائل الإعداد المطلوبة للشخصية التي يراد منها إدارة شئون الدولة يوما مّا.

ومع ازدياد ظهور مثل هذه المؤلفات فقد لوحظ توسّعها رويدا رويدا لتشمل حالات وصورا تخدش الحياء من اللهو والمجون لم تكن مألوفة في بداية أمرها، إضافة إلى عدم استساغتها من قبل ذوي الوقار والسكينة والأدب ولم تعد مقبولة لأن تكون منهج تربية للأمراء أو طالبي العلم. وفي مثل هذا المناخ ظهر هذا الكتاب القيّم الذي بين أيدينا ليُعنَى بالتنقل في شتى مجالات المعرفة الجيدة والمناسِبة لذوي الأفهام والألباب البعيدة عن الشطط والفحش، وقد أوضح الشيخ الأكبر ذلك الأمر جليّا في مقدمته لهذا الكتاب، وبيّن الضوابط الشرعية والأخلاقية التي اتّبعها حتى تؤدي الفائدة المرجوة منها.[1]

(١) هناك إشارة عن مصادر هذا الكتاب وجدناها في بداية نسخة أسعد أفندي تقول إنه "أخذه من نحو ثمان وثلاثين كتابا فيه ضروب من الآداب والمواعظ والأمثال والحكايات النادرة والأخبار السائرة وسير الأولين من الأنبياء وأخبار ملوك العرب والعجم ومكارم الأخلاق وعجائب الأفلاك والآفاق".

منهج التحقيق

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب على ست مخطوطات، وجميعهنّ من محفوظات المكتبات العثمانية، وكانت أوّل مخطوطة تبيّن نسخها عام ٩٤٤هـ، وتبعد ثلاثة قرون من وفاة المؤلف، وقد لاحظنا أثناء المقابلة أنّ هذه المخطوطات اقتربت من الانقسام إلى مجموعتين متساويتين، كلّ مجموعة منها متقاربة مع بعضها أكثر من اقترابها مع المجموعة الأخرى مما يدل على اعتمادها على مصدر واحد على المدى المتوسط. المجموعة الأولى تتكون من النسخ (أ، ر، ن) والمجموعة الثانية تتكون من النسخ (ج، م، ي).

وصف النسخ

- النسخة (أ) نسخة أسعد أفندي، رقمها ١٨٩٧ من محفوظات المكتبة السليمانية.
- النسخة (ر) نسخة راغب باشا، ورقمها ١٢٠٤، وهي وقف محمد المدعو بين الصدور راغب باشا، نسخت ٩٤٤هـ بالقسطنطينية.
- النسخة (ن) نسخة نور عثمانية، ورقمها ٤٢٣٠، وهي من وقف السلطان عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان.
- النسخة (ج) نسخة نور عثمانية، ورقمها ٤٢٢٦، وهي من وقف السلطان عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان، الاثنين ٢٧ شعبان ١٠٠٣هـ (٨ مايو ١٥٩٥م)
- النسخة (م) نسخة مكتبة ملت، ورقمها ١٧٥٠، وقف شيخ الإسلام فيض الله أفندي بالمدرسة التي أنشأها بالقسطنطينية سنة ١١١٢. الناسخ السيد عبد القادر بن السيد محمد الحلبي السرجاوي الشافعي، أتم نسخها يوم الخميس ٢٥ ذي الحجة ١٠٨٣هـ (١٣ أبريل ١٦٧٣م)
- النسخة (ي) نسخة يوسف أغا، ورقمها ٧٢٤٧

ترجمة
الشيخ محيي الدين بن العربي

اسمه ومولده:

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي من ولد عبد الله بن حاتم أخى الصحابي الجليل عدي بن حاتم (ت ٦٨هـ).

ولد ﷺ يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥/٧/٢٦م) في مرسية في شرق الأندلس[١].

أسرته:

أسرة الشيخ الأكبر إحدى الأسر اليمنية العريقة التي انتقلت إلى الأندلس أثناء الحكم الإسلامي فيها.

يقول الشيخ الأكبر:

إنّي لمن أَصْلِ أَجْوَادٍ ذَوِي حَسَبٍ العَمُّ مِنْ طَيِّئٍ والخَالُ خَوْلَانِي[٢]

* * *

فأَخْوَالُنَا خَوْلَانُ والعَمُّ طَيِّئٌ بُنَاةُ العُلَى فِي كُلِّ عَالٍ وسَافِلِ[٣]

ومعلوم أنّ طيّ وخولان قبيلتان يمنيّتان.. ويصرّح الشيخ في موضع آخر:

هِيَ بِنْتُ العِرَاقِ بِنْتُ إِمَامِي وَأَنَا ضِدَّهَا سَلِيلٌ يَمَانِي[٤]

والده:

كان والد الشيخ تقيّا ورعا ومقرّبا من الحكام سواء في شرق الأندلس أو في دولة الموحّدين، وعمل بديوان السلطان في إشبيلية طيلة خلافة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ومدة من خلافة ابنه أبي يوسف يعقوب المنصور، وبقي على ذلك إلى أن توفّاه الله عام

(١) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ابن الدمياطي، ٢١/١
(٢) ديوان ابن عربي ص ٢٤٨
(٣) ديوان ابن عربي ص ٢٦٧
(٤) ترجمان الأشواق ص ٨٤

٥٩٠هـ في أشبيلية بعد عودته من زيارة الشيخ عبد العزيز المهدوي في تونس برفقة ابنه الشيخ محيي الدين.

والدته:

اسمها نور، وهي من أسرة عربيّة أنصاريّة، أصولها يمنيّة من خولان. يقول الشيخ[١]: **وكانت أُمّي تنتسب إلى الأنصار:**

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ جُمْلَةِ الأَنْصَارِ فإذا مَدَحْتُهُمُ مَدَحْتُ نِجارِي

بعد وفاة والده عام ٥٩٠هـ كفلها الشيخ مع شقيقتيه حتى انتقلت الأمّ إلى جوار ربها.

عمّ الشيخ:

كان لشيخنا عمٌّ، شقيق والده، هو عبد الله بن محمد بن العربي، ذكر الشيخ أنه دخل في هذا الطريق وعمره ثمانون عاما وبقي عليه إلى أن مات بعد ثلاثة أعوام، وكان من المتحقّقين بمقام نفس الرحمن حسّا ومعنى.[٢]

شقيقتا الشيخ:

المراجع لا تذكر أنّ للشيخ إخوة سوى شقيقتين: الكبرى أمّ السعد والصغرى أمّ العلاء. ومات والدهم ولم تتزوجا بعد، ذكرهما الشيخ في كتابه الدرّة الفاخرة.. بقوله: **"واقترح عليّ أمير المؤمنين أن ألتحق بديوانه وأن يُزوّج أُخْتَايَ. فرفضت وسافرت بهما مع أهلي وابن عمّ لي إلى فاس وزوّجتهما بفاس"**[٣].

أزواجه:

ذكر الشيخ في كتبه ثلاث نساء تزوّج بهنّ: أولاهنّ مريم بنت محمد بن عبدون البجائي[٤]. والثانية هي فاطمة بنت يونس بن يوسف أمير الحرمين. وهي أمّ ابنه عماد الدين

---

(١) الفتوحات المكية [٨٧/٢]، الطبعة الثانية، عام ٢٠١٤م، من تحقيقنا، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

(٢) الفتوحات المكية [٥٦٤/١]

(٣) ختم القرآن، ص ٢٠ نقلا عن الدرة الفاخرة

(٤) البجائي: نسبة إلى بجاية؛ إحدى المدن في الجزائر حاليّا. وزوجته هذه ذكرها في الفتوحات المكية بالاسم ثلاث مرات: في [١١٥/٢، ٢١٢/٦، ٣٩٨/٨]. وصيغة التعبير تدل على أنها كانت حيّة عند ذكره لها كونه لم يترحم عليها كعادته عند ذكر الأموات.

محمد الكبير الذي وقف عليه النسخة الأولى من الفتوحات المكية التي انتهى من كتابتها عام ٦٢٩. والثالثة أشار إليها بكتابه محاضرة الأبرار بقوله: **"وكان لنا أهلٌ تقرّ العين بها ففرّق الدهر بيني وبينها فتذكّرتها ومنزلها بالحلّة من بغداد"**[١].

أولاده:

كان له ولدان وبنت.. أما البنت فهي زينب التي ذكر في "الفتوحات المكيّة" كرامة حصلت لها في طفولتها ولم تكن قد بلغت العامين من عمرها.. والولدان هما عماد الدين محمد الكبير، قال الشيخ قطب الدين اليونيني عنه: **"كان فاضلًا سمع الكثير وسمع معنا صحيح مسلم على الشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد الدائم المقدسي، وتوفّي بدمشق في شهر ربيع الأوّل سنة ٦٦٧هـ، ودفن عند والده بسفح قاسيون وقد نيف على الخمسين"**[٢]. والثاني سعد الدين محمد ولد في ملطية في شهر رمضان ٦١٨هـ، سمع الحديث ودرس، وكان شاعرا مجيدا، توفي عام ٦٥٦هـ، ودفن عند والده.

دراسته:

بعد انتقال أسرة الشيخ إلى أشبيلية وعمره حينذاك ثمانية أعوام بدأ شيخنا في أشبيلية يتلقى العلوم لدى أئمتها وفقهائها.

في بداية أمره تعلم القرآن الكريم وحفظه لدى جاره، ثم تعلم القراءات السبع على الشيخ محمد بن خلف بن صاف اللخمي[٣] بمسجده المعروف به، بقوس الحَنِية بأشبيلية وكان إذ ذاك قد بلغ الثامنة عشرة من عمره، ودرس الحديث على أبي محمد عبد الحقّ بن عبد الله الأزدي الأشبيلي، وعلى أبي الحسين بن الصائغ بسبتة، من ذرّيّة أبي أيّوب الأنصاري، وعلى أبي الصبر أيّوب الفهري، وعلى أبي محمد بن عبيد الله الحجري بسبتة، ومحمد بن قاسم بن عبدالرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، ومكين الدين أبو شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني

---

(١) محاضرة الأبرار ٥٨/٢.

(٢) الوافي بالوفيات، الصفدي، ٨٦/١

(٣) محمد بن خلف بن محمد بن عبد الله بن صاف أبو بكر الأشبيلي مقرئ كامل إمام حاذق، تلا على أبي الحسن بن شريح بن محمد وأخذ العربية عن أبي القاسم بن الرماك وأجاز له أبو الحسن بن مغيث وغيره، أخذ عنه القراءات أبو جعفر القرطبي إمام كلاسة دمشق وعلى بن محمد البلوي البلنسي وأقرأ الناس نحو خمسين سنة، وشرح الأشعار الستة وفصيح ثعلب، وتوفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة عن قريب الثمانين سنة. [غاية النهاية في طبقات القراء ٣٣٨/١]

البزار بمكة، وآخرين.

كما أنّه درس واستوعب الفقه لجميع المذاهب الإسلاميّة، وكذا السيرة النبويّة، وكتب الأدب وغير ذلك. وكان الشيخ قد ذكر في إجازته للملك المظفر بن الملك العادل أسماء ستّين من شيوخه في القراءات والحديث والفقه والسِّيَر في الأندلس والمغرب العربي ومصر ومكة وبغداد والموصل وغيرها.. ومن جميع المذاهب الإسلامية.. مبيّنا وجود شيوخ آخرين استفاد منهم غير هؤلاء.

وكذا ذكر أسماء عشرات من شيوخه الآخرين في كتبه الأخرى وأهمها "رسالة روح القدس في محاسبة النفس" و"الدرة الفاخرة فيمن انتفعت به في طريق الآخرة"

تصوفه:

انتسب شيخنا للطريقة أوّل أمرِه من خلال شيخه أبي العبّاس أحمد العريبي الذي قدم إلى أشبيلية من بلده "العُليا" بغرب الأندلس وكان ابن العربي أوّل من سارع إليه، ووصفه أنّه كان **"بدويّا أمّيّا لا يكتب ولا يحسب، وكان إذا تكلّم في علم التوحيد فحسبك أن تسمع؛ كان يقيّد الخواطر بهمّته ويصدع الوجود بكلمته، لا تجده أبدا إلّا ذاكرا على طهارة مستقبل القبلة، أكثر دهره صائما... وكان قويّا في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم. كنت إذا دخلت عليه يقول: مرحبا بالابن البار، كلّ ولدي نافق عليّ وجحد نعمتي إلّا أنت؛ فإنك مقرّ بها معترف، لا أنساها الله لك... وكان** ﷺ **كثير التفكر مبسوطا مع الحقّ في عموم أحواله... وكان** ﷺ **لا يتجرّد لنوم في ثوب، ولا يهتزّ في سماع، فإذا سمع القرآن تقصّف وتصدّعت أركانه"**[1]

وخلال هذه الفترة التي صحب فيها شيخه العريبي كان في حياته أيضا الشيخ الميرتلي[2]، وله معه أخبار وحكايات أوردها في هذا الكتاب.

ويبدو أنّه فقد شيخه العريبي بعد عودته إلى منطقته "العليا بغرب الأندلس" بعد أن

---

(١) روح القدس في معرفة النفس ص ٦٦-٧٠

(٢) أبو عِمران موسى بن حسين بن عمران الزاهد، يعرف بالمِيرتُلي، وأصله من ثغر مِيرتلة، وسكن إشبيلية، وكان لا يُعدلُ به أحدٌ من أهل عصره صلاحًا وعبادة مع تصرفه في فنون الأدب، وشعره في الزهديات مجموع. روى عنه ابن حوط الله. ولما احتضر ما زال يكرر: "إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، إلى أن قبض. توفي ليلة السبت مستهل جمادى الأولى سنة أربع وستمائة. [تحفة القادم ٣٠/١]

قضى في أشبيلية ستّة أشهر، وكان قد أسنّ وكفّ بصره قبل وفاته -رحمه الله-، وبقي شيخنا بعد ذلك مكتفيا بجلسات السماع الصوفي مع أقرانه مع ما يتخللها من ذكر ورقص وتواجد يستمر إلى الصباح يؤدّون في نهايتها صلاة الفجر بأسرع وقت، وهي التي سماها فيما بعد بالفترة، أو زمن جاهليّته..

ثمّ تعرّف على أحد أهم الشخصيّات التي كان لها تأثير كبير في مسار حياته وهو الشيخ يوسف بن يخلف الكومي أحد أصحاب شيخ الشيوخ أبي مدين الغوث ومن خلاله عرف لأوّل مرة دلالة لفظ التصوّف[1] -وكان قد سلك الطريق وفتح له فيه دون معرفة مسمى هذا النهج- وقرأ معه الرسالة القشيرية، إضافة إلى فنائه بشيخ الشيوخ الغوث بعد أن ذاق سيرته من شيخه وتلميذه الكومي -كما ذكر ذلك في الفتوحات- ومن أحد الأبدال وهو موسى السّدّراتي.

والواقع إنّ عقد الثمانينات -وعلى الخصوص عامي ٥٨٥ و٥٨٦هـ- كان حافلا بأخبار فتوحاته ومواجيده وعزلته في المقابر وتنقّله في نواحي الأندلس ولقاءاته بعدد من أساطين الفكر والمواجيد.. ولعلّ لقاءه بالفيلسوف الطبيب أبي الوليد بن رشد قاضي قرطبة من أشهر هذه اللقاءات[2]. وكان شيخنا يتوق إلى لقاء الغوث، شيخ الشيوخ أبي مدين -الذي كان يقطن بجاية- بعد أن استغرقتْ محبّته له أقصاها.. ولمّا انتقل الشيخ أبو مدين إلى رحاب ربه عام ٥٨٩هـ في تلمسان، تحرّك شيخنا من الأندلس تجاه الضفة الأخرى، إلى حيث مرقد شيخ الشيوخ بتلمسان، ومنها يتّجه صوب تونس ففيها أحد أشهر أصحاب أبي مدين؛ عبدالعزيز المهدوي. وكان ابن عمه، أبو الحسين علي بن عبد الله بن محمد بن العربي، مهاجرا هناك يتلقى علومه لدى الشيخ المهدوي.

الفتح الأكبر:

يتبيّن من حديث الشيخ في الباب ٣٥١ أنّ كلّ الفتوحات التي تحدّث عنها قبل عام

---

(١) روح القدس في معرفة النفس ص ٤٩

(٢) أنظر الفتوحات المكية [٤٧٧/١]، [٢٤٥/٢]، ويبدو أنّ هذا اللقاء تم عام ٥٨٦هـ حين اصطحب الشيخ ابن العربي والده لزيارة الشيخ أبي محمد مخلوف القبائلي في قرطبة، وفي تلك الزيارة أطلعه الحق وأشهده "أعيان رسله عليهم السلام وأنبيائه كلهم البشريين من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين" قبل وفاة الشيخ القبائلي بأيام. [انظر فصوص الحكم ص ١١٠، وشرح رسالة القدس ص١١٥]

٥٩٠هـ إنما كانت بمثابة مقدّمات الفتح الأكبر الذي حصل له في العام ٥٩٠هـ، بعد أو أثناء هذه الزيارة المباركة، وهو دخوله أرض العبودية التي ثبت عليها بقية عمره، وهي التي يصفها بعد ٤٥ عاما بقوله:

"العبوديّة ذلّةٌ محضةٌ خالصةٌ ذاتيّةٌ للعبد؛ لا يكلّف العبد القيام فيها؛ فإنّها عينُ ذاته. فإذا قام بحقّها، كان قيامُه عبادةً. ولا يقوم بها إلّا مَن يسكن الأرض الإلهيّة الواسعة التي تسع الحدوث والقِدم؛ فتلك أرضُ الله؛ مَن سكن فيها تحقّق بعبادة الله، وأضافه الحقّ إليه. قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ يعني فيها. ولي مذ عبدتُ الله فيها، من سنة تسعين وخمسمائة، وأنا اليوم في سنة خمس وثلاثين وستمائة"[١].

ولعلنا نستنتج هنا أنّ كون حدوث هذا الأمر بعد انتقال شيخ الشيوخ الغوث أبي مدين، إنما كان إشارة إلى وراثة الشيخ الأكبر له في مقامه، وسيكون من ثمّ قاعدة جديدة للترقّي في إطار هذا الوضع الجديد، ومنها نيله مقام ختم الولاية المحمّدي عندما كان في فاس عامي ٥٩٤ و٥٩٥هـ.

وفي ذلك يقول:

أَنَا خَتْمُ الولايَةِ دُونَ شَكٍّ لِوِرْثِي الهَاشِمِيَّ مَعَ المَسِيحِ

وليس المقصود بختم الولاية أنّه آخر الأولياء، كما قد يتبادر إلى الذهن لأوّل وهلة، وإنما المقصود به -كما يبيّنه الشيخ- أنها رتبة لا تكون إلّا **"لرجل من العرب، من أكرمها أصلا ويدًا"**[٢] بحيث **"لا يكون في الأولياء المحمّديّين أكبر منه"**[٣]، كما أنّه **"أعلم الخلق بالله، لا يكون في زمانه ولا بعد زمانه، أعلمُ بالله وبمواقع الحكم منه. فهو والقرآن إخوان"**[٤] **"ومنزلته من رسول الله ﷺ منزلة شعرة واحدة من جسده ﷺ ولهذا يُشعر به إجمالا. ولا يُعلم تفصيلا إلّا مَن أعلمه الله به، أو مَن صدّقه إن عرّفه بنفسه في دعواه ذلك"**[٥].

---

(١) أنظر الفتوحات المكية [٣٦٨/٨]
(٢) أنظر الفتوحات المكية [٤٠٦/٤]
(٣) أنظر الفتوحات المكية [٢٨٥/٤]
(٤) انظر الفتوحات المكية [٦٦/٩]
(٥) انظر الفتوحات المكية [٥٦١/٩]

تنقلاته:

بعد عودته إلى الأندلس عام ٥٩٠هـ قضى الشيخ الأكبر فترة ٨ سنوات بعد هذا الوضع الجديد له متنقّلا بين المغرب العربي والأندلس، وعَبَر مضيق جبل طارق ذهابا وجيئة ٣ مرات، وزار فيها جميع مدن دولة الموحّدين المعروفة والتقى خلالها بالأئمة والعلماء والسلاطين ولم يتوقف عن تلقّي العلوم الشرعيّة في مختلف فروعها، كما أنّه قد صار شيخا يشار إليه بالبنان وله أصحاب ومريدون، وأشهرهم على الإطلاق صاحبه الوفي عبد الله بن بدر الحبشي اليمني هاجر إليه من مكة المكرمة إثر رؤيا رآها دعته إلى الهجرة إليه، وبقي ملازما له كظلّه في حلّه وترحاله إلى أن لقي ربّه في ملطية أواخر عام ٦١٨هـ.

رحلته إلى الشرق:

بدأ في أواخر عام ٥٩٦هـ بالتجهز للسفر إلى المشرق العربي.. فنجده ينتقل من الأندلس إلى المغرب، ويودّع شيخه الكومي في سلا ثم يتجه إلى مراكش، ومنها إلى فاس، ثم بجاية حيث كان شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، وأخيرا إلى تونس للبقاء مع الشيخ عبد العزيز المهدوي تسعة أشهر.. وفي ختامها يشدّ الرحيل صوب الشرق لأداء فريضة الحج، وتشاء الأقدار أن تكون هذه رحلته الأولى والأخيرة إلى بلاد الشرق؛ إذ لم يعد بعدها إلى المغرب العربي والأندلس[١].

كانت القاهرة هي المحطة الأبرز للشيخ في أوّل قدوم له.. وفيها قضى شهر رمضان المبارك من عام ٥٩٨هـ بضيافة أخوين من أعزّ أصحابه ورفيقي طفولته وجيرانه في أشبيلية، وكانا قد سبقاه في الرحلة إلى الشرق عام ٥٩٠هـ، وهما: أبو عبد الله محمد الخياط وعرف بالقسطلاني في مصر، وأخوه أبو العباس أحمد الأشبيلي الحريري[٢]. وبعد انتهاء شهر رمضان

---

(١) تمت هذه الرحلة في عهد السلطان محمد بن يعقوب، أبي عبد الله (ت ٦١٠هـ) وهو الذي آلت إليه دولة الموحدين بعد وفاة والده عام ٥٩٥هـ.

(٢) جاء في "ختم القرآن" للأستاذ عبد الباقي مفتاح ص ٣١١ ما يلي: "ذكر الغبريني (ت: ٧٠٤) في كتابه (عنوان الدراية) أنّ بعض فقهاء مصر حكموا بالإعدام على الشيخ بسبب شطحاته، لكن الشيخ أبا الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي شفع له وأنقذه من تنفيذ الحكم. لكن الغبريني الذي هو أوّل من ذكر هذه الرواية بعد نحو قرن من وجود الشيخ بن العربي في مصر، لم يذكر سندها ولا ممّن سمعها أو أقرأها، كما لا توجد أدنى إشارة إليها في كتب الشيخ أو تلاميذه أو المؤرخين المعاصرين له. والرّاجح كما أثبتته السيّدة عدّاس (A:230 - 232) أنّ ما رواه الغبريني وَهْمٌ، خصوصا أنّه زعم أنّ الشيخ كان يسمّى بابن سراقة، وأنه توفي حوالي عام ٦٤٠. والثابت المشهور هو أنّه توفي عام ٦٣٨هـ ولم يُلقب أصلا بابن سراقة، وإنّما

ودّعها لزيارة الخليل إبراهيم عليه السلام في مدينة الخليل وزيارة بيت المقدس، ومنها اتجه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج في نفس العام. وبقي مجاورا في مكة عامي ٥٩٩ و٦٠٠هـ.

تنقلاته في المشرق:

كان الشيخ الأكبر قد زار الإسكندرية والقاهرة والخليل وبيت المقدس قبل وصوله إلى مكة المكرمة أواخر عام ٥٩٨هـ، وخلال فترة مجاورته بمكة زار الطائف. وفي أوائل ٦٠١هـ يبدأ الشيخ الأكبر في الطواف بين حواضر بلاد المشرق والأناضول.. فنراه يزور المدينة المنورة للسلام على الحبيب المصطفى وبغداد والموصل ودنيسير وميافارقين من ديار بكر وقونية وسيواس وملطية وقيصرية وحرّان وحلب ودمشق وغيرها من البلاد، ويكرّر زياراته لعدد منها، مع تكرار عودته إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج والمجاورة فيها في الأعوام ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١١هـ[١].

وبعد ولوجه عقده السابع يحطّ شيخنا رحاله في دمشق، وربما اقتصرت زياراته بعد ذلك على حلب لمقابلة أصحابه هناك، ومن أشهرهم فيها تلميذه النجيب إسماعيل بن سودكين النوري[٢].

هو لقبٌ لأحد أصحابه، وهو الفقيه الصوفي محي الدين أبو بكر، مدير دار البهائية بحلب، ثم رئيس دار الحديث بمصر بين عامي ٦٥٦ و٦٦٠هـ وتوفى عام ٦٦٢هـ". والواقع أن هذه الرواية المدحوضة كما تبين قد استقبلها البعض ممن عجزوا عن فهم التصوف بفرح شديد ونشروها في كتبهم كدليل واضح على إدانة التصوف والشيخ الأكبر .. ولدحض هذه الفرية نهائيا نورد الآتي: هناك ثلاثة سماعات في الفتوحات المكية، جرت بعد وفاة الشيخ الأكبر بعام واحد في حلب سنة ٦٣٩هـ، وكانت بقراءة "الإمام محيي الدين بن سراقة" وسيجد القارئ نصوصها مثبتة في نهاية الأسفار ٢٠، ٢١، ٢٢. كما جرى إثبات حضور الشيخ محيي الدين بن سراقة في واقعة هامة أواخر عام ٦٤٧هـ إذ كان أحد الشيوخ الكرام الذين رافقوا الجيش المصري في مواجهته مع الصليبيين في معركة المنصورة، وأثبت هذه الواقعة ابن عطاء الله السكندري في "لطائف المنن ص ٤٧" رواها مباشرة عن "الشيخ العارف مكين الدين الأسمر، قال: حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام، والشيخ مجد الدين علي بن وهب القشيري المدرس، والشيخ محيي الدين بن سراقة، والشيخ مجد الدين الأخميمي، والشيخ أبو الحسن الشاذلي.." ونقل هذه الواقعة عنه عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ) في "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان (٢/ ١٩٣).. وكرر ابن عطاء الله ذكر الشيخ ابن سراقة ص ٤٩ كأحد المقربين من الإمام العز بن عبد السلام. أما أبو الحسن البجائي فقد حدد هويته ابن عطاء الله في "لطائف المنن ص ٥٩" مبيّنا أنه واحد من مريدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي، قدم معه من تونس إلى مصر عام ٦٤٢هـ، بعد وفاة الشيخ الأكبر بأربعة أعوام.

(١) هذا التحديد يبين ما علمناه فقط، ويصعب تتبع تطواف الشيخ غير المنقطع لما يزيد عن ٢٠ عاما في حواضر المشرق.

(٢) توفي أبو الطاهر إسماعيل بن سودكين بحلب بعد عوده من زيارة البيت المقدس بأيام، يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس الثالث والعشرين من صفر سنة ست وأربعين وستمائة، ودفن قبل الظهر بتربة أنشأها بالقرب من مشهد الدعاء خارج باب النصر، وكان عمره يومئذ سبعة وستين سنة. [بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ١٠٠/٢]

شيوخه:

يصعب حصر شيوخه وأساتذته، نظرا لأنه يعتبر كلّ من أفاده شيئا شيخا له، وتزخر مؤلفاته بأسماء العشرات منهم. كما تزخر كتب التراجم المؤلفة عن الشيخ الأكبر بالعشرات من الأسماء الذين ذكر فضلهم عليه.. ولعلّ أشهرهم من قد ذكرناهم سابقا عند حديثنا عن دراسته وتصوّفه..

وكان الشيخ قد أوضح أنّ ذكره لهم بهذا الأسلوب إنما هو من باب ذكر فضلهم.. فيقول في الفتوحات المكية [١٤/٧]: إنّ الإمام الأيسر الواقف على يسار القطب واسمه عبد الملك **"أنعم عليّ ببشارة بشّرني بها، وكنت لا أعرفها في حالي، وكانت حالي، فأوقفني عليها، ونهاني عن الانتماء إلى مَن لقيت من الشيوخ، وقال لي: لا تَنْتَمِ إلّا لله؛ فليس لأحد ممن لقيتَه عليك يدٌ مما أنت فيه، بل الله تولّاك بعنايته. فاذكر فضل من لقيت إن شئت، ولا تنتسِبْ إليهم وانتسِبْ إلى ربّك. وكان حال هذا الإمام مثل حالي سَواء. لم يكن لأحدٍ ممن لقيه عليه يد في طريق الله إلّا لله"**.

لبس الخرقة:

اقتنع الشيخ بلبس الخرقة بعدما رأى الخضرَ قد اعتبرها، وألبسها شيوخا.. ومنهم تسلسلت ووصلت إلى الشيخ الأكبر بطريقين:

الأولى من يد تقيّ الدين عبد الرحمن بن علي بن ميمون بن آب التوزري، ولبسها هو من يد صدر الدين شيخ الشيوخ بالديار المصريّة وهو محمد بن حمويه[1]، وكان جدّه قد لبسها من يد الخضر.

والثانية من يد علي بن عبد الله بن جامع من أصحاب عليّ المتوكّل، وأبي عبد الله قضيب البان، كان يسكن بالمِقلى -خارج الموصل- في بستان له، وكان الخضر قد ألبسه الخرقة بحضور قضيب البان، وألبسها الشيخَ بالموضع الذي ألبسه فيه الخضر من بستانه،

(١) صدر الدين شيخ الشيوخ، ابن حمويه، محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، صدر الدين أبو الحسن شيخ الشيوخ ابن شيخ الشيوخ عماد الدين أبي الفتح الجويني البحيراباذي الصوفي. ولي تدريس الشافعي ومشهد الحسين، وسَيّرَهُ الكامل رسولًا إلى الخليفة، وكانت داره مجمع الفضلاء. توفي سنة سبع عشرة وست مائة.. [الوافي بالوفيات ٤٢/٢]

وبصورة الحال التي جرت له معه في إلباسه إيّاها.[1]

وفي رسالة نسب الخرقة يذكر الشيخ أنه لبس الخرقة القادرية من يد الشيخ جمال الدين يونس بن أبي الحسن العطار بمكة بالحرم الشريف تجاه الكعبة المعظمة بعد أن صحبه وتأدب به. كما أنه كان قد لبس الخرقة من يد أبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن التميمي الفاسي.[2]

ويذكر الشيخ أنه لذلك قد ألبس الخرقة عددا من مريديه وأصحابه ذكورا وإناثا، وهناك عدد ممن ألبسهنّ الخرقة ذكرهنّ في ديوانه.

أصحابه:

وكما صعب علينا حصر شيوخه، يصعب علينا أكثر حصر أصحابه وأتباعه لكثرتهم.. ومع ذلك فهناك ثلاثة أسماء لامعة كانت مقرّبة لديه أكثر من غيرها..

أوّلهم هو عبد الله بدر الحبشي اليمني[3]، والثاني هو إسماعيل بن سودكين النوري[4]، أمّا ثالثهم فهو صدر الدين محمد بن إسحق القونوي[5]. كما أنّ هناك العشرات من الذين شاركوا

---

(١) انظر الفتوحات المكية [٥٦٧/١]

(٢) انظر رسالة نسب الخرقة (ضمن كتاب الطريق إلى الله تعالى، من كلام الشيخ الأكبر) جمع وتأليف محمود محمود الغراب ص ١٧٤-١٧٥.

(٣) عبد الله بدر الحبشي اليمني: (ت ٦١٨هـ) ذكره الشيخ في الفتوحات المكية مشيرا إلى أنه واحد ممن قيد لهم "الفتوحات المكية" واصفا إيّاه بأنه حبيبه الوليّ، وأخيه الزكي، وولده الرضيّ، وأنه جمع بينه وإسماعيل بن سودكين وبين الختم، وذكر له كرامة حصلت عند موته (انظر الفتوحات المكية [١٠٣/١، ٤٠٧/٤، ٦٥٧/١، ٣٤٦/٨]).

(٤) إسماعيل بن سودكين بن عبد الله، أبو الطاهر، النوري قال في "الجواهر": مولده بالقاهرة سنة ثمان، أو تسع وأربعين وخمسمائة. وقال الذهبي: سنة تسع وسبعين وخمسمائة. صحب الشيخ أبا عبد الله محمد بن علي بن العربي مدة، وكتب عنه كثيرًا من تصانيفه. وسمع بمصر من أبي الفضل محمد بن يوسف الغرنوي، وأبي عبد الله محمد بن حامد الأرتاحي، وبحلب من الشريف أبي هاشم عبد المطلب بن [الفضل] الهاشمي. وحدث، وروى عنه ابن القواس. وكان فقيهًا، فاضلًا، محدثًا، شاعرًا، له نظم حسن، وكلام في التصوف. مات بحلب، سنة ست وأربعين وستمائة. [الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١٧٧/١]

(٥) (القونوي) (..- ٦٧٣ هـ =..- ١٢٧٥ م) محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن علي القونوي الرومي، صدر الدين: صوفي، من كبار تلاميذ الشيخ محيي الدين ابن العربي. تزوج ابن العربي أمه، ورباه. وكان شافعي المذهب. وبينه وبين نصير الدين الطوسي مكاتبات في بعض المسائل الحكمية. من كتبه (النصوص في تحقيق الطور المخصوص - خ) تصوف، و (اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية

لابن عربي - خ) و (إعجاز البيان - ط) في تفسير الفاتحة، على لسان القوم، و (مفتاح الغيب - خ) و (شرح الأحاديث الأربعينية - ط) و (شرح الأسماء الحسنى - خ) و (الرسالة الهادية - خ) و (النفحات الإلهية القدسية - خ) و (الرسالة المفصحة

في سماعات "الفتوحات المكيّة" وحدها، وهم من كبار القضاة والفقهاء والمؤرّخين.. وعددهم يربو على المائة والثلاثين ممن ينتمون إلى جميع المذاهب الإسلامية وفق التعريفات الواردة أمام أسمائهم..

وذكر الشيخ في كتاب "المبشّرات" أنه في عام ٦٢٩هـ رأى رؤيا تبشّره بأنه سيكون له ألف ولد روحي[١].

علاقته بعلماء عصره:

اتّسمت علاقته بعلماء عصره بالثقة الكبيرة بين الطرفين والاحترام المتبادل والإفادة والاستفادة دونما حرج.. فنراه يصف علاقته بأحد أهمّ رجال عصره في أشبيلية وهو الشيخ يوسف بن يخلف الكومي، بقوله: **"وما راضني أحد من مشايخي سِوَاه؛ فانتفعت به في الرياضة، وانتفع بنا في مواجيده؛ فكان لي تلميذا وأستاذا، وكنت له مثل ذلك. وكان الناس يتعجّبون من ذلك!"**[٢].

وهناك أيضا يظهر مدى الاحترام الذي كان يحظى به من قبل أساتذة القراءات فيها من خلال القصة الظريفة التالية التي يرويها في الفتوحات المكية [٦٨٥/١٢]:

"بتنا ليلةً عند أبي الحسين بن أبي عمرو بن الطفيل[٣] بأشبيلية، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وكان كثيرا ما يحتشمني، ويلتزم الأدب بحضوري، وبات معنا أبو القاسم الخطيب، وأبو بكر بن سام، وأبو الحكم بن السراج، وكلّهم قد منعهم احترام جانبي الانبساط، ولزموا الأدب والسكون. فأردت أعمل الحيلة في مباسطتهم، فسألني صاحب المنزل أن يقف على شيء من كلامنا؛ فوجدت طريقا إلى ما كان في نفسي من مباسطتهم، فقلت له: عليك من تصانيفنا بكتابٍ سمّيناه: "الإرشاد في خرق الأدب المعتاد" فإن شئت عرضتُ عليك فصلا من فصوله؟ فقال لي: أشتهي ذلك. فمددتُ رجلي في حجره، وقلت له كبّسني. ففهِم عنّي ما

- خ) و (الرسالة المرشدية في أحكام الصفات الإلهية - خ) و (لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام - خ) و (نفثة المصدور - خ) و (تفسير البسملة - خ) و (برزخ البرازخ - خ). مولده ووفاته بقونية (١). [الأعلام للزركلي ٣٠/٦]

(١) شمس المغرب ص ٣٧٦ نقلا عن "البحث عن الكبريت الأحمر ص ٣٠٩" لكلوديا عداس

(٢) الفتوحات المكية [٤٥١/٣]

(٣) أبو الحسن محمد أخذ القراءات عن أبيه "عياش بن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل بن عظيمة أبو عمرو العبدري الأشبيلي، أستاذ مجود ثقة أخذ القراءات عن أبيه وعن أبي الحسن شريح" [إكمال الكمال ٦٩/٦]

قصدت، وفهمت الجماعة؛ فانبسطوا وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة، وبتنا بأنعم ليلة في مباسطة دينيّة".

ومرة أخرى يشرح علاقته بشيوخ عصره في فاس، ويقول: **"وكذلك اجتمعتُ بقطب الزمان، سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس. أطلعني الله عليه في واقعة، وعرّفني به. فاجتمعنا يوما ببستان ابن حيّون بمدينة فاس، وهو في الجماعة لا يؤبَهُ له. فحضر في الجماعة -وكان غريبا من أهل بجاية؛ أَشَلَّ اليد- وكان في المجلس معنا شيوخ من أهل الله، معتبَرون في طريق الله، منهم أبو العباس الحصّار[1]، وأمثاله. وكانت تلك الجماعة بأسرها، إذا حضروا يتأدّبون معنا؛ فلا يكون المجلس إلّا لنا، ولا يتكلّم أحد في علم الطريق فيهم غيري، وإن تكلّموا فيما بينهم رجعوا فيها إليّ"[2].**

وحين قدم إلى مكة المكرمة كانت صلته وثيقة ومتينة مع إمام الحرم المكي الشريف، مكين الدين أبي شجاع زاهر بن رستم الأصبهاني وأخذ عنه الحديث، وذكره في مواضع عدة في مؤلفاته مشيرا إليه بأنه شيخه[3]. وتوطدت علاقته كذلك مع مفتي الحجاز الشيخ محمد

---

(١) ذكر الشيخ في الفتوحات المكية [٤٣٥/٧] أنّ الشيخ الحصّار كان من الذين تحققوا بمقام الملاميّة الذي لا يكون إلّا لأكابر الأولياء، وذكره في السفر ١٧ أنّه رآه في واحد من معارجه الروحية، ومما قاله: ".. ورأيت الكنز الذي تحت العرش الذي خرجت منه لفظة "لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم"، فإذا الكنز آدم -صلوات الله عليه- ورأيت تحته كنوزا كثيرة أعرفها، ورأيت طيورا حسنة تطير في زواياه. فرأيت فيها طائرا من أحسن الطيور، فسلّم عليَّ. فأُلقي لي فيه أن آخذه صحبتي إلى بلاد الشرق، وكنت بمدينة مراكش حين كُشف لي عن هذا كلّه. فقلت: ومن هو؟ قيل لي: محمد الحصار، بمدينة فاس، سأل الله الرحلة إلى بلاد الشرق، فخذه معك. فقلت: السمع والطاعة. فقلت له، وهو عين ذلك الطائر: تكون صحبتي، إن شاء الله. فلمّا جئت إلى مدينة فاس، سألت عنه، فجاءني. فقلت له: هل سألتَ الله في حاجة؟ فقال: نعم؛ سألته أن يحملني إلى بلاد الشرق؛ فقيل لي: إنّ فلانا يحملك، وأنا أنتظرك من ذلك الزمان. فأخذته صحبتي، سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وأوصلته إلى الديار المصريّة، ومات بها -رحمه الله-".

(٢) الفتوحات المكية [٣٦٧/١٠]

(٣) زاهر بن رستم ابن أبي الرجاء الأصبهاني. ثم البغدادي الشافعي ثقة صالح، ولد ببغداد سنة ست وعشرين وخمسمائة ويكنى أبا شجاع. كان صوفيًا وقرأ بالروايات على عبد الله بن علي سبط أبي منصور الخياط وعلى المبارك بن الحسن بن الشهرزوري وسمع من أحمد بن علي بن عبيد الواحد الدلال ومحمد بن عمر بن يوسف الأرموي وعلي بن عبد السيد بن الصباغ وغيرهم. قال محب الدين ابن النجار: كتبت عنه وكان ثقة حسن الطريقة متديناً فاضلًا أديبًا جيد التلاوة فقيه النفس دمثًا مليح المجالسة حفظة للحكايات والأشعار. وكان يورق بالأجرة. وكتب الكتب الكبار المطولات وغيرها ويكتب خطا حسنًا وحج وتولى الإمامة بالمسجد الحرام في مقام إبراهيم. وتوفي سنة تسع وست مائة. [الوافي بالوفيات ٤٦٩/٤، الصفدي، وغاية النهاية في طبقات القراء ١٢٦/١، لابن الجزري]

بن إسماعيل بن أبي الصيف اليمني[1]، وأشار إلى ذلك في الفتوحات المكية، كما روى الحديث فيها عن يونس بن يحيى بن أبي الحسن الهاشمي القصار[2].

وفي العراق كانت له علاقة متينة مع علمائها ومنهم العلامة الحنفي أحمد بن مسعود بن شدّاد المقري الموصلي[3] ومع العلامة والمؤرخ الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي، وهو الذي كتب "مناقب ابن العربي"[4]

---

(١) محمد بن إسماعيل بن علي، الفقيه أبو عبد الله اليمني، المعروف بابن أبي الصيف. سمع في مكة من أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق اليوسفي وأبي محمد المبارك بن الطباخ وعبد الله بن عبد المنعم الفراوي وطبقتهم. قال الذهبي: كان عارفًا بالمذهب، حصل كثيرًا من الكتب وجمع أربعين حديثًا عن أربعين شيخًا من أربعين مدينة، سمع من الكل في مكة، وكان على طريقة حسنة وسيرة جميلة وخير، قال: وتوفي في مكة في ذي الحجة سنة تسع وستمائة، ثم أعاده في سنة تسع عشرة وقال: كان مشهورًا بالدين والعلم والحديث، حدث ونفع وأفاد، والصواب هو الثاني فقد نقله الإسنوي في طبقاته عن التفليسي في طبقاته. قال الإسنوي: وأقام بمكة مدة طويلة يدرس ويفتي. وله نكت على التنبيه مشتملة على فوائد. [طبقات الشافعية ٧٢/١]

(٢) يونس بن يحيى بن أبي البركات بن أحمد: أبو الحسن، وأبو محمد الهاشمي، الأزجي، القصار، المجاور بمكة. ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. وسمع من: أبي الفضل الأرموي، وابن ناصر، وابن الطلاية، وأبي الكرم الشهرزوري، وأبي الوقت، وسعيد بن البناء، وجماعة كثيرة. وسافر إلى الشام، ومصر، وجاور مدة. وحدث بأماكن؛ روى عنه: ابن خليل، والزكي البرزالي، والزكي المنذري، والضياء المقدسي، ويعقوب بن أبي بكر الطبري، والتاج علي ابن القسطلاني. وروى صحيح البخاري بمكة وتوفي بها في صفر وقيل: في شعبان وروى ابن مسدي: في ثامن صفر. وقال: كان ذا عناية بالرواية. [تاريخ الإسلام للذهبي ٣٨١/٩]

(٣) أحمد بن مسعود بن شداد بن خليفة: أبو العباس الصفار الموصلي، الملقب بالذكي، شيخ حسن دمث الأخلاق، سمع بالموصل أبا جعفر أحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القاص، وأبا بكر يحيى بن سعدون بن تمام القرطبي المقرئ، وقدم حلب مرارًا عدة، وسكنها بالآخرة إلى أن توفي بها، وسمعت منه في هذه النوبة جزءًا من أمالي أبي سهل القطان وغيره وسألته عن مولده، فقال لي: في سلخ جمادى الأولى ليلة الأربعاء من سنة خمس وأربعين وخمسمائة.. ومات شيخنا أبو العباس أحمد بن مسعود بن شداد الصفار بحلب في سنة ثلاث عشرة وستمائة رحمه الله. [بغية الطلب في تاريخ حلب ٣٨٣/١-٣٨٤]

(٤) ابن النجار الحافظ الكبير محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي صاحب تاريخ بغداد ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع من ذاكر بن كامل وابن بوش وابن كليب ورحل إلى أصبهان وخراسان والشام ومصر وكتب ما لا يوصف وكان ثقة متقنا واسع الحفظ تام المعرفة بالفن قاله في العبر وقال ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية كان شافعي المذهب وأول سماعه وهو ابن عشر سنين وطلب بنفسه وهو ابن خمس عشرة وسمع الكثير وقرأ بالسبع على أبي أحمد بن سكينة ورحل رحلة عظيمة إلى الشام ومصر والحجاز وأصبهان وحران ومرو وهراة ونيسابور واستمر في الرحلة سبعا وعشرين سنة وكتب عمن دب ودرج وعمن نزل وعرج وعنى بهذا الشأن عناية بالغة وكتب الكثير وحصل وجمع قال الذهبي كان إماما ثقة حجة مقرئا مجودا كيسا متواضعا ظريفا صالحا خيرا متنسكا أثنى عليه ابن نقطة والدبيثي والضياء المقدسي وهم من صغار شيوخه من حيث السند وقال ابن الساعي كان ثقة من محاسن الدنيا ووقف كتبه بالنظامية مات ببغداد في خامس شعبان ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب ومن تصانيفه كتاب القمر المنير في المسند الكبير وذكر كل صحابي وماله من الحديث وكتاب كنز الأنام في السنن والأحكام وكتاب جنة الناظرين في معرفة التابعين وكتاب الكمال في معرفة الرجال وذيل على تاريخ بغداد للخطيب في ستة عشر مجلدا وكتاب المستدرك على تاريخ الخطيب في عشر مجلدات وكتاب في المتفق والمفترق على منهاج كتاب الخطيب وكتاب في المؤتلف والمختلف ذيل به على ابن ماكولا وكتاب المعجم له اشتمل على نحو من

وفي الشام يذكر قصة ظريفة تشير إلى علاقته الطيّبة بأشهر علمائها، وهو العزّ بن عبد السلام[1]، وبالقاضي شمس الدين الشيرازي الشافعي. يقول الشيخ في ديوانه ص ٢٥٦:

"رأيت في الواقعة عزّ الدين بن عبد السلام الفقيه الشافعي، وهو على مصطبة كالمدرسة يعلّم الناس المذهب، فقعدت إلى جانبه. فرأيت إنسانا قد أتى إليه يسأله عن كرم الله تعالى، فكان ينشده بيتا في عموم كرم الله تعالى بعباده، فكنت أقول له: إنّ لي في هذا المعنى بيتا من قصيدة. فكلما جهدت أن أتذكرهُ لم أتذكره في ذلك الوقت، فكنت أقول له: إنّ الله تعالى قد أجرى على لساني في هذا الوقت في هذا المعنى ما أقوله. فقال لي: قل، وهو يبتسم، فينطّقني الله تعالى بأبيات لم تطرق سمعي قبل ذلك، وهي:

الله أكرمُ أن يحـظى بنـعمته ... الطائعون ويشقى المجرم العاصي
وإن شقي فكالام يصيبُ بها ... ألمؤمنين فمن دانٍ ومـــن قاصي
وكلّهم عـــالم بالله مستنِـــد ... إليه: مفـلـسهم ورَبُّ أوقاص

فكان يبتسم. فبينما نحن كذلك إذ مرّ القاضي شمس الدين الشيرازي رضي الله تعالى عنه[2]. فلما أبصرني، نزل عن بغلته وجاء فقعد إلى جانب العِزّ بن عبد السلام، ثم أقبل عليّ وقال لي: أريد أن تقبّلني في فمي. فضمّني وقبّلته في فمه. فقال العِزُّ بن عبد السلام: ما

ثلاثة آلاف شيخ وكتاب العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق وكتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة وكتاب نزهة الورى في أخبار أم القرى وكتاب روضة الأولياء في مسجد إيلياء وكتاب مناقب الشافعي وكتاب غرر الفرائد في ست مجلدات وغير ذلك [شذرات الذهب، ابن العماد، ٢٢٦/٥]

(١) سلطان العلماء عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي ثم المصري ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة، وتوفي بمصر في جمادى الأولى سنة ستين وستمائة. صاحب الشهرة الحسنة والمؤلفات المتقنة كالقواعد ومجاز القرآن والفتاوى المصرية والموصلية. ولي تدريس الغزالية في دمشق، ثم تولى في ربيع الآخر سنة ٦٣٧هـ خطابة جامع دمشق، وفي العام التالي تم عزله من الخطابة وحبسه بالقلعة بعد أن أنكر على الملك الصالح إسماعيل تسليم قلعة الشقيف إلى الفرنج. وبعد الإفراج عنه انتقل إلى مصر عام ٦٣٩هـ، وأقبل عليه السلطان إقبالًا عظيمًا، وولاه الخطابة والقضاء، فعزل نفسه من القضاء مرتين وانقطع. [انظر ديوان الإسلام ٦٣/١، تاريخ الإسلام للذهبي ١٧١/١٠، الدارس في تاريخ المدارس ١٧٦/١]

(٢) أبو نصر بن الشيرازي: القاضي شمس الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بندار بن مميل ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة وأجاز له أبو الوقت وطائفة وسمع من أبي يعلى بن الحبوبي وطائفة كثيرة وله مشيخة في جزء درس وأفتى وناظر وصار من كبار أهل دمشق في العلم والرواية والرئاسة والجلالة ودرس مدة بالشامية الكبرى وتوفي في ثامن جمادى الآخرة سنة ٦٣٥هـ [الدارس في تاريخ المدارس ١١٤/١]

هذا؟! فقلت له: إنّا في رؤيا، والتقبيل قبول يطلبه منّي؛ فإنّه شخص قد حسّن الظنّ بي، وقد خطر له قِصر أمله وقبيح عمله واقتراب أجله.

ثمّ قمت فعضدته حتى ركب وانصرف. ثم قال لي العزّ بالإيماء والتلويح لا بالتصريح: كيف حالك مع أهلك؟ فكنت أنشده بيتين ما طرقا سمعي قبل ذلك، بل كان الله ينطّقني في ذلك الوقت بهما وهما:

إذا رأى أهل بيتي الكيس ممتلئا تبسّـمتْ ودَنَتْ مِنّي تمازحني
وإن رأته خليّا من دراهـــــمه تكرّهتْ وانثنت عنّي تقابحني

فكان يقول لي في إشارته: كلنا مع الأهل ذلك الرجل، والله لقد صدقتَ. وههنا انتهت المبشّرة والله الواقي".

وعندما قرّر الشيخ الأكبر الاستقرار في دمشق عام ٦٢٠هـ، استضافه طيلة حياته فيها قضاتها الشافعيّون بنو زكي، ووفّروا له دارا بقي فيه حتى انتقاله إلى رحاب ربّه بعد ١٨ عاما، فغسلوه وكفّنوه، وهيّئوا مرقده في تربتهم[١].

كراماته:

خصّص الشيخ الأكبر الباب الرابع والثمانين ومائة والباب الذي يليه في "الفتوحات

---

(١) من اللافت للنظر تلك اليقظة المتأخرة لمناوئي التصوف والشيخ الأكبر بعد قرابة القرن من وفاته بهدف تشويه صورته بعد أن لاحظ هؤلاء كبر حجم تأثيره في المشرق العربي الذي يغلب فيه المذهب الشافعي، وأئمته هم الأغلب الذين استضافوا الشيخ الأكبر سواء في مكة المكرمة أو العراق أو الشام، ورأى هؤلاء المناوئون أنّ مواقفهم العدائية لم تلق آذانا صاغية، فما كان منهم إلا الإيعاز لأحد المؤرخين من أتباع المذهب الشافعي (ولن نذكر اسم المؤرخ هنا ولا اسم شيخ الإسلام الذي أوعز إليه، تأسّيا بالشيخ الأكبر حين يتحدث عن مخالفيه) بأنّه علم أنّ سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام -والذي كان قد انتقل هو أيضا إلى رحاب ربّه- كان له موقف معاد للشيخ الأكبر.. الخ، وعندما نقله هذا المؤرخ منسوبا إلى من ذكره له لم يلق ذلك الأثر المتوخى بين أوساط أتباع المذهب، وإن كان قد لقي ترحيبا ونشرا واسعا من قبل المناوئين الآخرين. ونسي أولئك أن العز بن عبد السلام –وهو الذي عاش في دمشق أثناء مكث الشيخ الأكبر فيها حتى انتقاله إلى جوار ربه- لم يكن يخشى مواجهة أحد إن رأى خروجه عن قواعد الدين، وهو الذي هاجم سلطان دمشق من على منبر الجامع الأموي أوائل عام ٦٣٨هـ، وتعرض للسجن بسبب ذلك، وعندما توجه إلى مصر لم يتوانى عن مهاجمة حكامها المماليك.. كما أنه قد ألف كتبا لم يتطرق فيها إلى مثل هذا الذي قوّلوه افتراء وكذبا. ومما يلفت النظر كذلك أن المؤرخ الشافعي نفسه يبدو أنه لم يكن مقتنعا تماما بما نقله إليه شيخه، إذ وجدناه يختم ترجمته عن الشيخ الأكبر في تاريخه بقوله: "ولابن العربي توسع في الكلام، وذكاءٌ، وقوةٌ حافظةٌ، وتدقيقٌ في التصوف، وتواليف جمةٌ في العرفان. ولولا شطحاتٌ في كلامه وشعره لكان كلمة إجماع، ولعل ذلك وقع منه في حال سكره وغيبته، فنرجو له الخير".

المكية" للحديث عن الكرامات، وفيه يفرّق بين الكرامات الحسّيّة التي تفهمها العامة وهي التي يمكن أن يدخلها المكر الخفيّ والاستدراج، وبين الكرامات المعنويّة التي لا يعرفها إلا الخواص ولا يدخلها مكر ولا استدراج، وهي "**أن تُحْفَظَ عليه آدابُ الشريعة، وأن يوفَّق لإتيان مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها، والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها، والمسارعة إلى الخيرات، وإزالة الغلّ والحقد، من صدره للناس، والحسد، وسوء الظنّ، وطهارة القلب من كلّ صفة مذمومة، وتحليته بالمراقبة مع الأنفاس، ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الأشياء، وتفقُّد آثار ربّه في قلبه، ومراعاة أنفاسه في خروجها ودخولها؛ فيتلقّاها بالأدب إذا وردتْ عليه، ويُخرِجها وعليها خلعة الحضور**"[1].

ولذلك فهو لا يرفض فكرة وجود الكرامات وظهورها على أحد فالأمر بيد الله يعطيه من يشاء، إلا أنّ له موقفا معارضا لمن تتعلق همّته بالكرامات..

وأشار في ثنايا الكتاب إلى عدد من هذه الكرامات التي ظهرت له وحدثت معه.. ولم يذكر أيّ من هذه الكرامات من باب الفخر أو العجب بنفسه، بل كان يأتي بها في حال دلالتها لصدق الحديث الذي يناقشه.. ويعتبر ذلك مصداقا للنبيّ محمد ﷺ. ومما ذكره:

١- "**ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار؛ الكشف: فقد سمعنا الأحجارَ تذكر الله رؤية عين، بلسان نُطق تسمعه آذاننا منها، وتخاطبنا مخاطبة العارفين بجلال الله، مما ليس يدركه كلّ إنسان..**"[2]

٢- "**وقد سمعنا بحمد الله في بدء أمرنا تسبيحَ حجر، ونُطْقَه بذِكْر الله**"[3].

٣- "**فاحذر -يا أخي- يوما تشهد فيه عليك الجلود والجوارح، وأنصف من نفسك، وعامل جوارحك بما تشكرك به عند الله. ولقد رأينا ذلك عيانًا في الدنيا في زمان الأحوال التي كنّا فيها، أعني نُطق الجوارح**"[4].

٤- "**ولقد رأيت ذلك ذوقا من نفسي. جَرَيْنا بالريح الشديد من ضحى يومنا إلى غروب**

---

(١) الفتوحات المكية [٨٧/٦]

(٢) الفتوحات المكية [٤٦٠/١]

(٣) الفتوحات المكية [٣٨٩/٢]

(٤) الفتوحات المكية [٤٩٣/١٢]

الشمس مسيرة عشرين يوما في موجٍ كالجبال؛ فكيف لو كان البحر فارغا، والريح من وراء؟! كنّا نقطع أكثر من ذلك"[١].

٥- " فكما لا تشبه الجنّة الدنيا في أحوالها كلّها، وإن اجتمعت في الأسماء، كذلك نشأة الإنسان في الآخرة لا تشبه نشأة الدنيا، وإن اجتمعتا في الأسماء والصورة الشخصيّة؛ فإنّ الروحانيّة على نشأة الآخرة أغلب من الحسّيّة. وقد ذقناه في هذه الدار الدنيا، مع كثافة هذه النشأة. فيكون الإنسان بعينه، في أماكن كثيرة، وأمّا عامّة الناس فيدركون ذلك في المنام"[٢].

٦- "وأمّا أنوار الرياح؛ فهي أنوار عنصريّة أخفاها شدّةُ ظهورها؛ فغشيت الأبصارُ عن إدراكها. وما شاهدتُها إلّا في الحضرة البرزخيّة، وإن كان الله قد أتحفنا برؤيتها حِسًّا بمدينة قرطبة، يوما واحدا، اختصاصا إلهيّا، وورثا نبويّا محمديّا"[٣].

٧- "...فينتج هذا الذِّكْرُ لصاحبه مشاهدةَ الحقِّ عند قوله، وقبوله لَهُ. ومَن شاهد الحفظةَ فمِن هذا المقام شَهِدَهم. ولمّا أشهدَنيهم الحقُّ -تعالى- تعذَّبْتُ بشهودهم، ولم أتعذّب بشهود الحقِّ. فلم أَزَل أسألُ اللهَ في أن يحجبهم عنّي؛ فلا أُبصرهم ولا أكلّمهم. ففعل الله معي ذلك، وسترهم عن عيني"[٤].

٨- "ولقد أَذَّنْتُ يوما، فكلّما ذكرتُ كلمة من الأذان كشفَ الله عن بصري، فرأيت ما لها مدّ البصر من الخير. فعاينتُ خيرا عظيما لو رآه الناس العقلاء لذهلوا لكلّ كلمة، وقيل لي: هذا الذي رأيتَ ثوابُ الأذان"[٥].

٩- "...وأودعتها (يعني الكعبة) شهادةَ التوحيد عند تقبيل الحجَر. فخرجت الشهادة عند تلفّظي بها -وأنا انظر إليها بعينيّ- في صورة سلك؛ وانفتح في الحجَر الأسود مِثل

---

(١) الفتوحات المكية [١٠٦/٩]

(٢) الفتوحات المكية [٢٢٨/٢]

(٣) الفتوحات المكية [٤١٣/٦]

(٤) الفتوحات المكية [١٦١/١١]

(٥) الفتوحات المكية [٤٩٤/١٢]

الطاق، حتى نظرت إلى قعر طول الحجر فرأيته نحو ذراع"[١].

١٠- **"وأمّا النظرة فما رَوَيتها عن أحد، ولا سمعتها عن أحد، لكنّي رأيتها من نفسي. نُظِرْتُ نظرةً فعلمتُ ما تضمّنته من العلوم، وأُعطيتُ نظرةً فنظرتُ بها، فَعَلِمَ بها مَن نظرت إليه، جميع ما تضمَّنَتْهُ تلك النظرة من العلوم. وهذا هو علم الأذواق"[٢].**

١١- **"كانت لي بنت ترضع، وكان عمرها دون السنتين وفوق السنة، لا تتكلّم. فأخذت ألاعبها يوما. فقلت لها: يا زينب؛ فأصغت إليّ. فقلت لها: إنّي أريد أن أسألك عن مسألة مستفتيًا: ما قولك في رجل جامع امرأته ولم ينزل، ماذا يجب عليه؟ قالت لي: "يجب عليه الغسل" بكلام فصيح. وأُمّها وجدّتها تسمعان. فصرخت جدّتها، وغشي عليها"[٣].**

مؤلفاته:

أسهب الشيخ الأكبر في التأليف كما لم يفعل غيره.. ولم تمنعه تنقلاته الدائمة من الكتابة في مختلف أبواب المعرفة. وتعدّدت اهتماماته وتشعّبت اتجاهاتها بين التفسير (٣ مؤلفات أحدها في ٦٤ مجلدا) والحديث (١٢ مؤلفا) والسيرة والفقه والتصوف والتراجم والوعظ والوصايا والأدب... الخ. وقد اختلف الباحثون اختلافا بيّنا في تحديد مؤلفاته. كان الشيخ الأكبر قد ذكر في إجازته للملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل في شهر محرم ٦٣٢هـ ما تيسّر وذكر منها ٢٨٤ مؤلفا بين رسالة وكتاب. وذكر الدكتور عثمان يحيى أنّ مؤلفات الشيخ الأكبر بلغت ٨٤٦ مؤلفا، فُقِد عدد منها والباقي ٥٥٠ مصنفا[٤]. أمّا الدكتور محمد حاج يوسف فقد ذكر أنّ مؤلفات الشيخ الأكبر ٣٦٤ مؤلفا[٥].

كما أنه كان شاعرا مكثرا.. وعدد قصائده في الديوان المطبوع والفتوحات المكية ومواقع النجوم وفصوص الحكم -وهو ٢٥٠٨ قصيدة- يدفعه إلى المركز الأوّل بين شعراء العربية.

---

(١) الفتوحات المكية [١٠٢/٤]

(٢) الفتوحات المكية [١١١/٧]

(٣) الفتوحات المكية [٣٨٥/٧]

(٤) انظر مؤلفات ابن عربي ص ٧٩

(٥) انظر شمس المغرب ص ٤٣٩-٤٥٠

وإن كان عدد أبيات هذه القصائد (١٧٩٨٠ بيتا) يتراجع به إلى الموقع الرابع بعد ابن الرومي (٢٢١-٢٨٣هـ) وخليل مطران (١٢٨٨-١٣٦٨هـ) ومهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ)[١]، إلا أنه سيتغير هذا الموقف لصالحه لو أنّا أضفنا شعره المبثوث في كتبه الأخرى أو في ديوانه غير المنشور، وربما فاقت الأربعين ألف بيت وفق تقدير الأستاذ/ عبد الباقي مفتاح[٢].

وفي هذا المجال يتفوّق الشيخ الأكبر على أقرانه الآخرين كونه نظم في كلّ بحور الشعر إضافة إلى الموشحات، كما أنّه نظم في كل قوافي الشعر العربي بدون استثناء.

علاقته بالحكام:

لم يكن الشيخ الأكبر غريبا عن دواوين الحكم منذ طفولته. فلقد كان والده مقرّبا لدى حاكم شرق الأندلس قبل وبعد ولادة الشيخ، واستمرّت هذه العلاقة بعد انضمام شرق الأندلس إلى دولة الموحِّدين وانتقال الأسرة إلى أشبيلية وعمر الشيخ حينئذ كان ٨ سنوات؛ إذ بقيت العلاقة متينة بين أسرة الشيخ وسلاطين الموحِّدين المتعاقبين لدرجة أنّ السلطان أبا يوسف كان قد تحدّث عن خطبة شقيقة الشيخ الكبرى للأمير أبي العلاء بن عزون، وبعد وفاة الأمير ووفاة والد الشيخ الأكبر عام ٥٩٠هـ عرض عليه العمل في ديوانه، وبيَّن له اهتمامه بتزويج أختيه، لولا أنّ الشيخ رفض ذلك وفضّل الابتعاد عن هذا الموقع، بل إنه رفض معونة السلطان ذات مرة معتبرا إيّاها مالا حراما لا يحلّ له، ولم تكن ردّة فعل السلطان سوى أنّ له أن يعمل وفق قناعته. ولذلك تميّزت علاقة الشيخ الأكبر بالحكام بالاحترام البالغ من قبل الحكام إليه، وبالنصح والتوجيه من قبل الشيخ لهم.

وفي المغرب العربي يتحدّث الشيخ عن علاقة طيّبة ربطته بوالي وَجْدَة أبي عبد الله الطنجي ويترضّى عنه ويصفه بأنّه من الأولياء[٣]. ويذكر أنّ الأمير أبو يحيى بن واجتّن كان صديقه[٤].

وفي المشرق كانت بين الشيخ والملك العادل أبي بكر بن أيّوب، صلة وطيدة، أشار

(١) انظر الموسوعة الشعرية، الإصدار الثالث
(٢) انظر ختم القرآن ص ٩٣
(٣) انظر الفتوحات المكية [٣٠٩/٤]
(٤) انظر الفتوحات المكية [٤٤٠/٥]

إليها في الفتوحات المكية [٢٨٠/١١]. ومع الملِك الظاهر غازي بن الملِك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب، صاحب حلب (ت٦١٣هـ)[١]. وتطورت هذه العلاقة أكثر وبرزت مع اثنين من الحكام اللذين كانا يعتبران نفسيهما مريدين وتلميذين له؛ أوّلهم كيكاوس الذي تولّى الحكم عام ٦٠٧هـ في بلاد الروم المعروفة الآن ببلاد الأناضول وتوفّى عام ٦١٥هـ، والثاني صاحب ميافارقين الملك المظفر بهاء الدين غازي بن الملك العادل (ت ٦٤٥هـ) الذي أجازه الشيخ عام ٦٣٢هـ في رواية كتبه عنه.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعطاء، امتدّت ٧٨ عاما، توزّعت مناصفة بين المغرب العربي ومشرقه، انتقل ﵁ إلى رحاب ربه ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة[٢]. "**وكان لجنازته يوم مشهود ووقت مسعود، وشيّعه صاحبُ دمشق راجلا مع جمهور الأمراء والوزراء والعلماء والفقراء، ولم يبق بدمشق أحد إلا شيّعه. وغلّقت أهلُ الأسواق دكاكينهم ثلاثة أيام تعزية له. ودفن بجبّانة محيي الدين بن الزكي بصالحيّة دمشق، وبني عليه بناء عظيم ومزار كريم**"[٣].

وحين دخل السلطان التركي سليم الأوّل دمشق بعد استيلاء جيوشه على الشام ومصر، كان من أوّل أوامره بناء مقام واسع على ضَريح الشيخ في ساحة مسجد أسّسه بجواره، وصلّيت فيه أوّل جمعة بحضور السلطان عام ٩٢٤هـ (٥ فبراير ١٥١٨)[٤].

المعترضون:

ذكر الشيخ في الفتوحات المكية [١٥٧/٤] أنّه كان يكتب عن مقام إبراهيم الخليل ﵇؛ يقول: "**فأخذتني** سِنَةٌ. **فإذا قائل من الأرواح؛ أرواح الملأ الأعلى، يقول لي عن الله**

---

(١) انظر الفتوحات المكية [٥٢٨/٧]

(٢) هناك شبه إجماع في كتب التراجم على هذا التاريخ، ومصدرها الرئيسي هو ابن النجار الذي ذكر أنه كان في بيت المقدس وجاءته رسالة من أحد خواص أصحاب الشيخ وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي وفيها ذكر الجمعة ٢٢ ربيع الآخر، وهو يقابل تماما وفق الحساب الفلكي لدمشق ١٢٤٠/١١/٩م.

(٣) الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين ص ٢٨، (وهي رسالة كتبها الشيخ الإمام الحجة أبو الحسن علي بن إبراهيم القارئ البغدادي وأرسلها إلى صنوه قاضي القضاة أيام الدولة الرسولية في اليمن أحمد بن أبي بكر الرداد ٨١٧-٨٢١هـ)

(٤) أنظر "ختم القرآن" ص ٣٧٧

تعالى: ادخل مقام إبراهيم، وهو أنّه كان أوّاها حليما. ثمّ تلا عليّ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ فعلمتُ أنّ الله -تعالى- لا بدّ أن يعطيني من الاقتدار ما يكون معه الحِلم، إذ لا حليم عن غير قدرة على مَن يحلم عنه. وعلمتُ أنّ الله -تعالى- لا بدّ أن يبتليَني بكلام في عِرْضِي من أشخاص، فأعاملهم، مع القدرة عليهم، بالحِلم عنهم، ويكون أذى كثير".

وخلال حياته بلغت شهرته الآفاق وصار قبلة العلماء ومرجعهم.. وبعد انتقاله زاد وهجه ولم يتوقف، وحرص العلماء في أرض العرب وخراسان والهند والسند والأناضول على اقتناء كتبه ودراستها وشرحها.. كل هذا أثار عليه حنق بعض الفقهاء هنا أو هناك فارتفعت أصواتهم قليلا في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، مما دفع العشرات من أساطين العلم المشهورين للردّ على هؤلاء المناوئين وفنّدوا اعتراضاتهم[1].. ومع بداية القرن العاشر حسم الأمرَ الإمام جلال الدين السيوطي[2] بمؤلفه "تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي"؛ فألجم المنكرين، وخفتت أصواتهم منذئذ لأكثر من خمسة قرون ونصف لم يتوقف خلالها أنصار الشيخ ومحبّوه من التأليف عنه والتحليل والشرح لكتبه.

عبد العزيز سلطان المنصوب

مركز الصفا للدراسات

صنعاء

١٤٤٤هـ- ٢٠٢٢م

(١) اللافت للنظر هنا أنّ أبرز الفقهاء المناوئين الذين أطلقوا أقلامهم وألسنتهم ضد الشيخ الأكبر في القرن الثامن الهجري هم ممن كانت قد طالتهم تهمة التكفير والمروق بسبب عقائدهم وقضوا أخصب أعوامهم في السجون جراء ذلك!! كما أنّ بعض البارزين من هؤلاء في القرن التاسع بعد أن طالتهم هم تهمة التكفير، لم يتوانوا عن تكفير الشيخ الأكبر إضافة إلى تكفير زملائهم الذين كفّروا الشيخ الأكبر في القرن الثامن!!.

(٢) (الجلال السيوطي) (٨٤٩ -٩١١ هـ = ١٤٤٥ -١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. له نحو ٦٠٠ مصنف، منها الكتاب الكبير، والرسالة الصغيرة. نشأ في القاهرة يتيما (مات والده وعمره خمس سنوات) ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، منزويا عن أصحابه جميعا، كأنه لا يعرف أحدا منهم، فألف أكثر كتبه. وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها. وطلبه السلطان مرارا فلم يحضر إليه، وأرسل إليه هدايا فردها. وبقي على ذلك إلى أن توفي. [الأعلام للزركلي ٣٠١/٣]

الصفحة الأولى من مخطوط أسعد أفندي

الصفحة الأخيرة من مخطوط أسعد أفندي

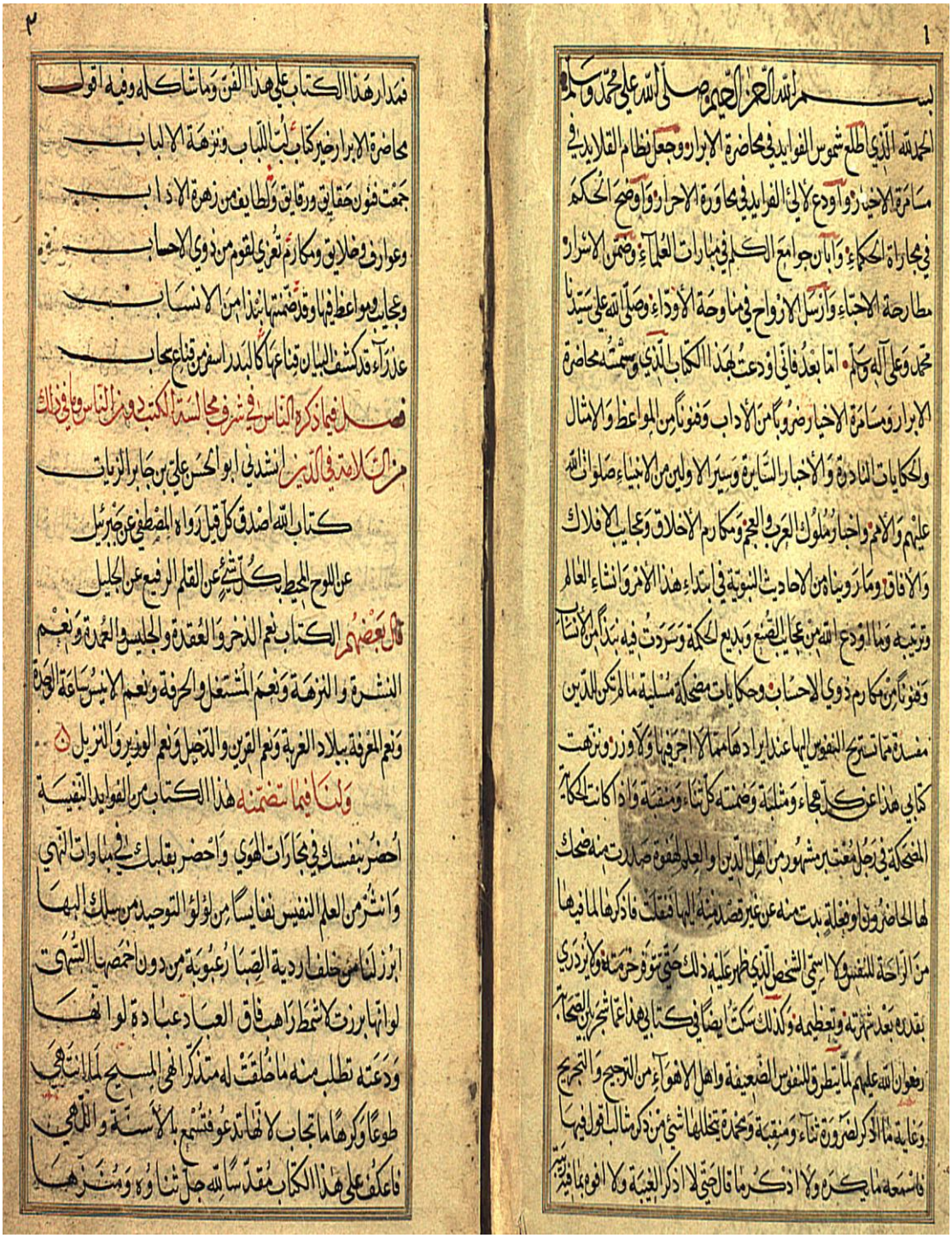

الصفحة الأولى من مخطوط راغب باشا

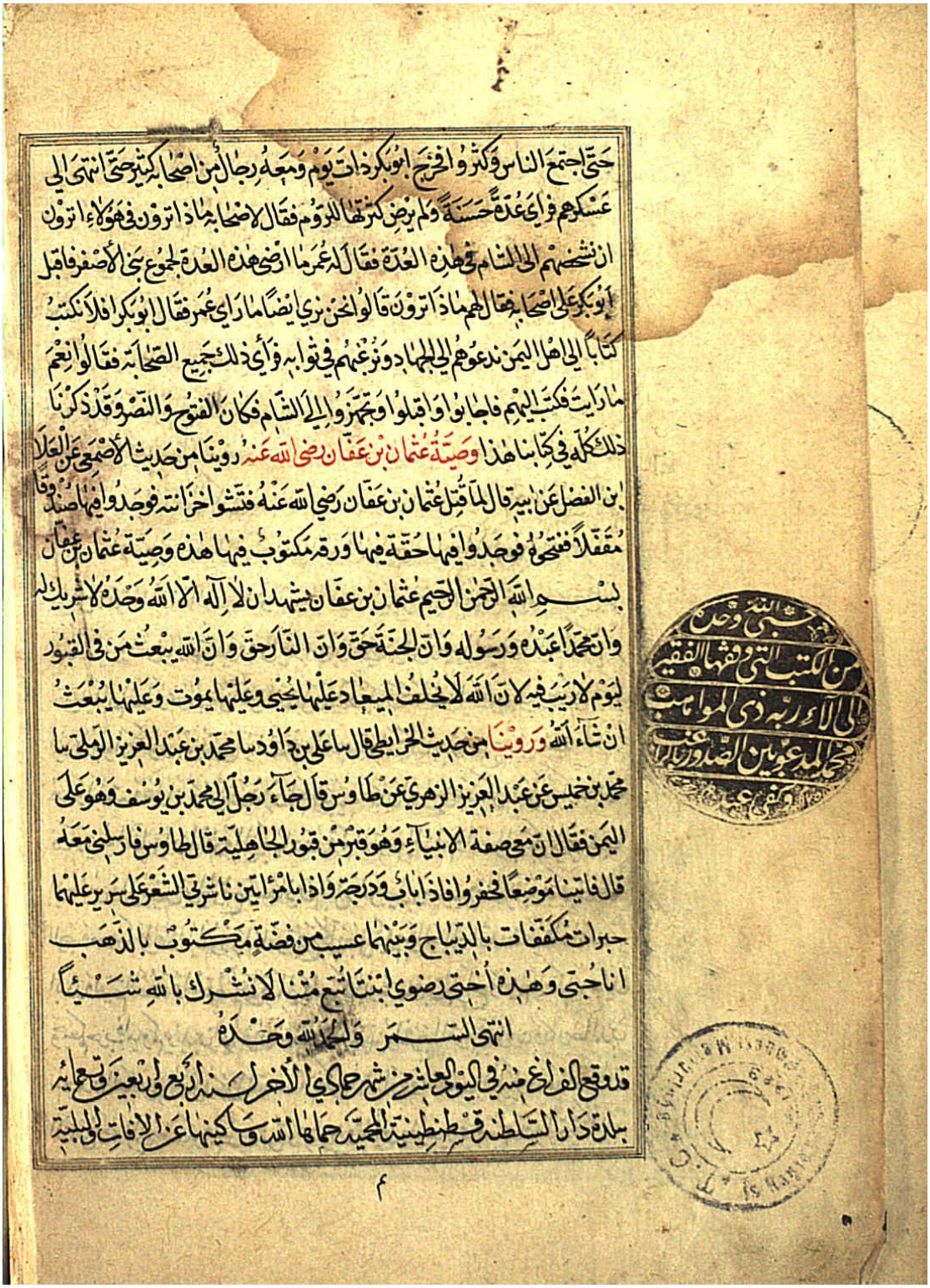

الصفحة الأخيرة من مخطوط راغب باشا

الصفحتان الأولى والأخيرة من مخطوط مكتبة ملت

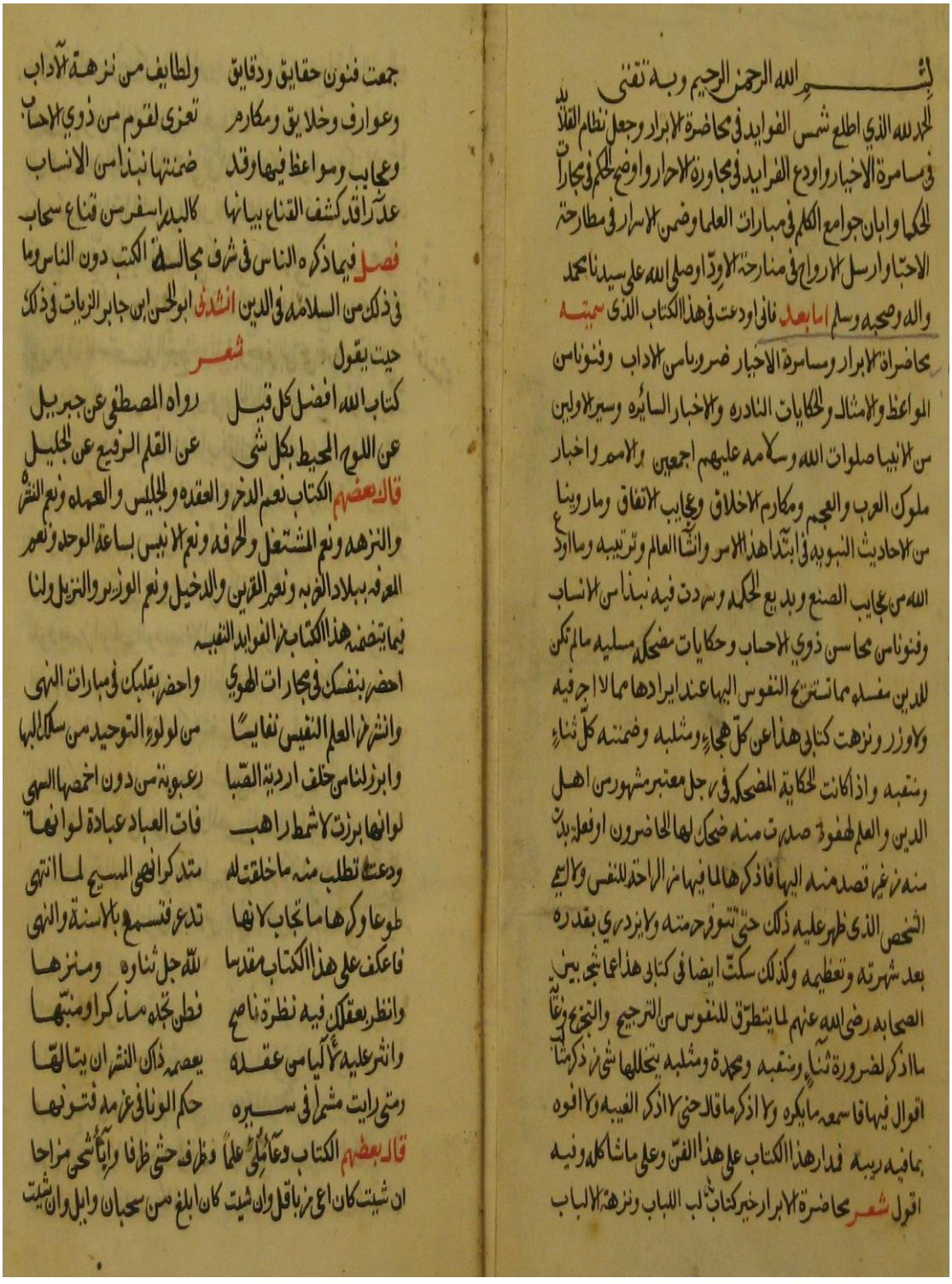

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي اطلع شمس الفوايد في محاضرة الابرار وجعل نظام القلايد في مسامرة الاخيار واودع الفرايد في مجاورة الاحرار واوضح الحكم في مجارات الحكما وابان جوامع الكلم في مباريات العلما وضمن الاسرار في مطارحة الاحبا وارسل الارواح في مناوحة الاوداوصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم اما بعد فاني اودعت في هذا الكتاب الذي سميته محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار ضروبا من الاداب وفنونا من المواعظ والامثال والحكايات النادره والاخبار السايره وسير الاولين من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والامم واخبار ملوك العرب والعجم ومكارم الاخلاق وعجايب الاتفاق ومارويناه من الاحاديث النبويه في ابتداهذا الامر وانشا العالم وترتيبه وما اودع الله من عجايب الصنع وبديع الحكمه وسردت فيه نبذا من الانساب وفنونا من محاسن ذوي الاحساب وحكايات مضحكه مسليه مالم تكن للدين مفسده مما تسترتح النفوس اليها عند ايرادها مما لا اجر فيه ولا وزر ونزهت كتابي هذا عن كل هجاء ومثلبه وضمنته كل ثناء ومنقبه واذا كانت الحكاية المضحكه في رجل معتبر مشهور من اهل الدين والعلم لهفوة صدرت منه ضحك لها الحاضرون او فعله بدت منه زغير قصد منه اليها فاذكرها لما فيها من الراحة للنفس والاسي الشخص الذي ظهر عليه ذلك حتى تتوفر حرمته ولا يزدري بقدره بعد شهرته وتعظيمه وكذلك سكت ايضا في كتابي هذا عما جرى بين الصحابه رضي الله عنهم لما يتطرق للنفوس من الترجيح والتبجح وغاية ما اذكر لضرورة ثنا ومنقبه ومحمدة ومثلبه يتخللها شي من ذكر مساوي اقوال فيها فاسمعه مايكره ولا اذكر ما قال حتى لا اذكر الفيه ولا افوه بما فيه ريبه فدار هذا الكتاب على هذا الفن وعلى ما شاكله وفيه اقول شعر محاضرة الابرار خير كتاب ثاب اللباب ونزهة الالباب

جمعت فنون حقايق ودقايق ولطايف من نزهة الآداب
وعوارف وخلايق ومكارم تعزى لقوم من ذوي الاحساب
وعجايب ومواعظ فيها وقد ضمنتها نبذا من الانساب
عذرا قد كشف القناع ببانها كالبدر اسفر من قناع سحاب

فصل فيما ذكره الناس في شرف مجالسة الكتب دون الناس وما في ذلك من السلامة في الدين انشدني ابو الحسن ابن جابر الزيات في ذلك حيث يقول شعر

كتاب الله افضل كل قيل رواه المصطفى عن جبريل
عن اللوح المحيط بكل شي عن القلم الرفيع عن الجليل

قال بعضهم الكتاب نعم الذخر والعقده والجليس والعمده ونعم النشر والنزهه ونعم المشتغل والحرفه ونعم الانيس بساعة الوحده ونعم المعونه ببلاد الغربه ونعم القرين والدخيل ونعم الوزير والنزيل ولنا فيما يتضمنه هذا الكتاب من الفوايد النفيسه

احضر بنفسك في مجارات الهوى واحضر بقلبك في مباريات النهى
وانشر من العلم النفيس نفايسا من لولوء التوحيد من سلك البها
وابرز لناس خلف اردية الصبا رعبوبة من دون اخمصها السها
لو انها برزت لاشمط راهب فات العباد عبادة لو انها
ودعت تطلب منه ما خلقت له متذكرا انهى المسيح لما انتهى
طوعا وكرها ما تجاب لانها تدعى فتسمع بالاسنة والنهى
فاعكف على هذا الكتاب مقدسا لله جل ثناوه ومنزها
وانظر بعقلك فيه نظرة ناصح فطن تجله مذاكرا ومنبها
وانشر عليه الآليا من عقله يعصمه ذاك النشر ان يتالها
ومتى رايت مشمرا في سيره حكم الونا في عزمه فتونها

قال بعضهم الكتاب دعاملي علما وظرف حتى ظرفا واياك شحى مزاحا ان شيت كان اعز باقل وان شيت كان ابلغ من سحبان وايل وان شيت

الصفحة الأولى من مخطوط نور عثمانية ٤٢٢٦

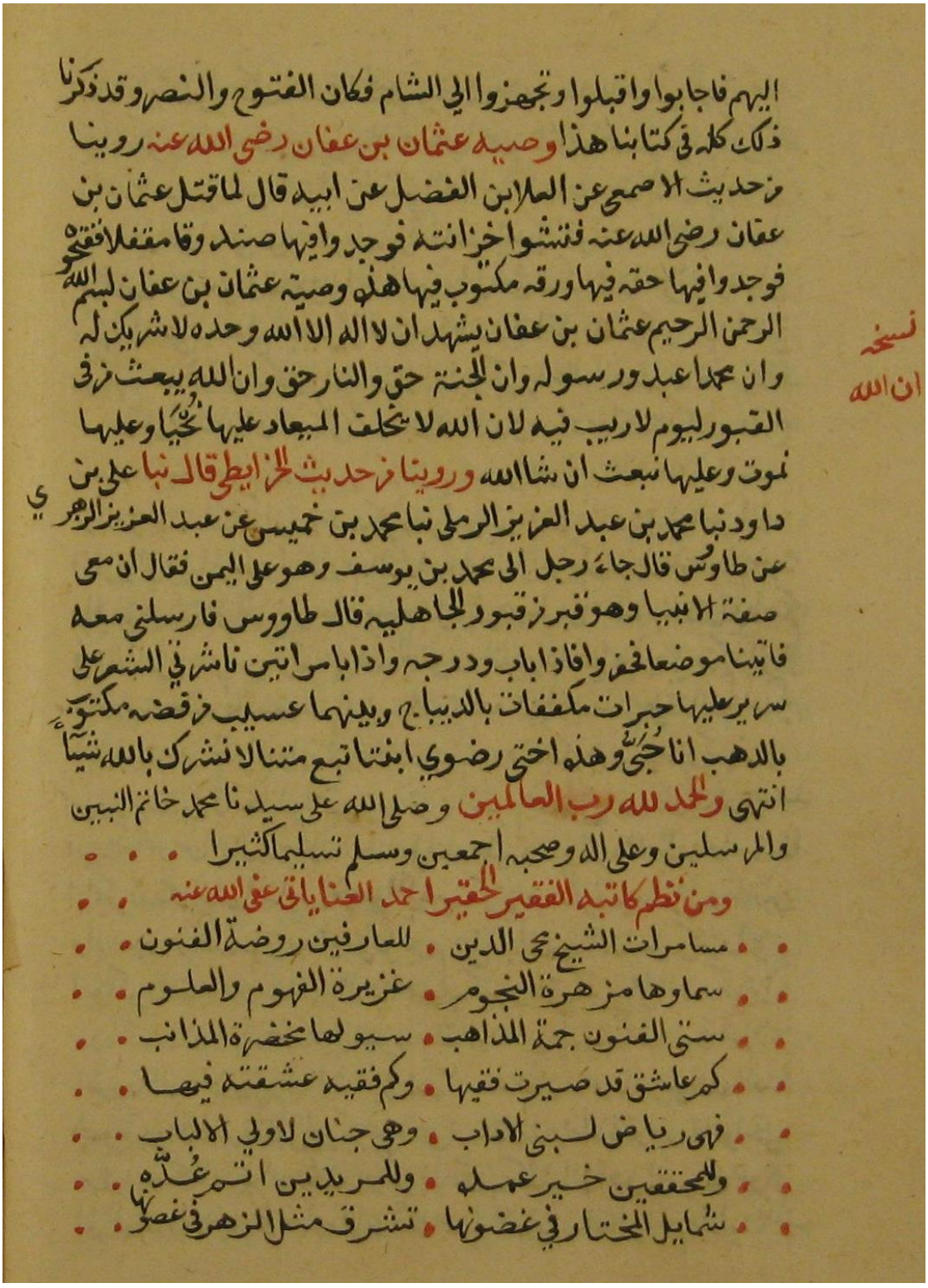

اليهم فاجابوا واقبلوا وتجهزوا الي الشام فكان الفتوح والنصر وقد ذكرنا
ذلك كله في كتابنا هذا وصية عثمان بن عفان رضي الله عنه روينا
في حديث الاصمعي عن العلا ابن الفضل عن ابيه قال لما قتل عثمان بن
عفان رضي الله عنه فتشوا خزانته فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه
فوجدوا فيها حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان بسم الله
الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق والنار حق وان الله يبعث من في
القبور ليوم لا ريب فيه لان الله لا يخلف الميعاد عليها نحيا وعليها
نموت وعليها نبعث ان شاء الله وروينا في حديث الحرايطي قال نبا علي بن
داود نبا محمد بن عبد العزيز الرملي نبا محمد بن خميس عن عبد العزيز الزهري
عن طاوس قال جاء رجل الى محمد بن يوسف وهو على اليمن فقال ان معي
صفة الانبيا وهو قبر في قبور الجاهلية قال طاووس فارسلني معه
فاتينا موضعا فحفرنا فاذا باب ودرجه واذا بامراتين ناشرتي الشعر على
سرير عليها حبرات مكفنات بالديباج وبينهما عسيب فرقضه مكتوب
بالذهب انا حجى وهذه اختي رضوي ابنتا تبع متنا لا نشرك بالله شيأ
انتهى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
والمرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا . . .

نسخه
ان الله

ومن نظم كاتبه الفقير الحقير احمد العنايا تي عفى الله عنه . .

. . مسامرات الشيخ محي الدين . للعارفين روضة الفنون . .
. . سماوها مزهرة النجوم . غزيرة الفهوم والعلوم . .
. . ستي الفنون جمة المذاهب . سيولها مخضرة المذانب . .
. . كم عاشق قد صيرت فقيها . وكم فقيه عشقته فيها . .
. . فهي رياض لسبتي الاداب . وهي جنان لاولي الالباب . .
. . وللمحققين خير عمله . وللمريدين اتم عُدّه . .
. . شمايل المختار في غصونها . تشرق مثل الزهر في غصونها . .

الصفحة الأخيرة من مخطوط نور عثمانية ٤٢٢٦

الصفحة الأولى من مخطوط نور عثمانية ٤٢٣٠

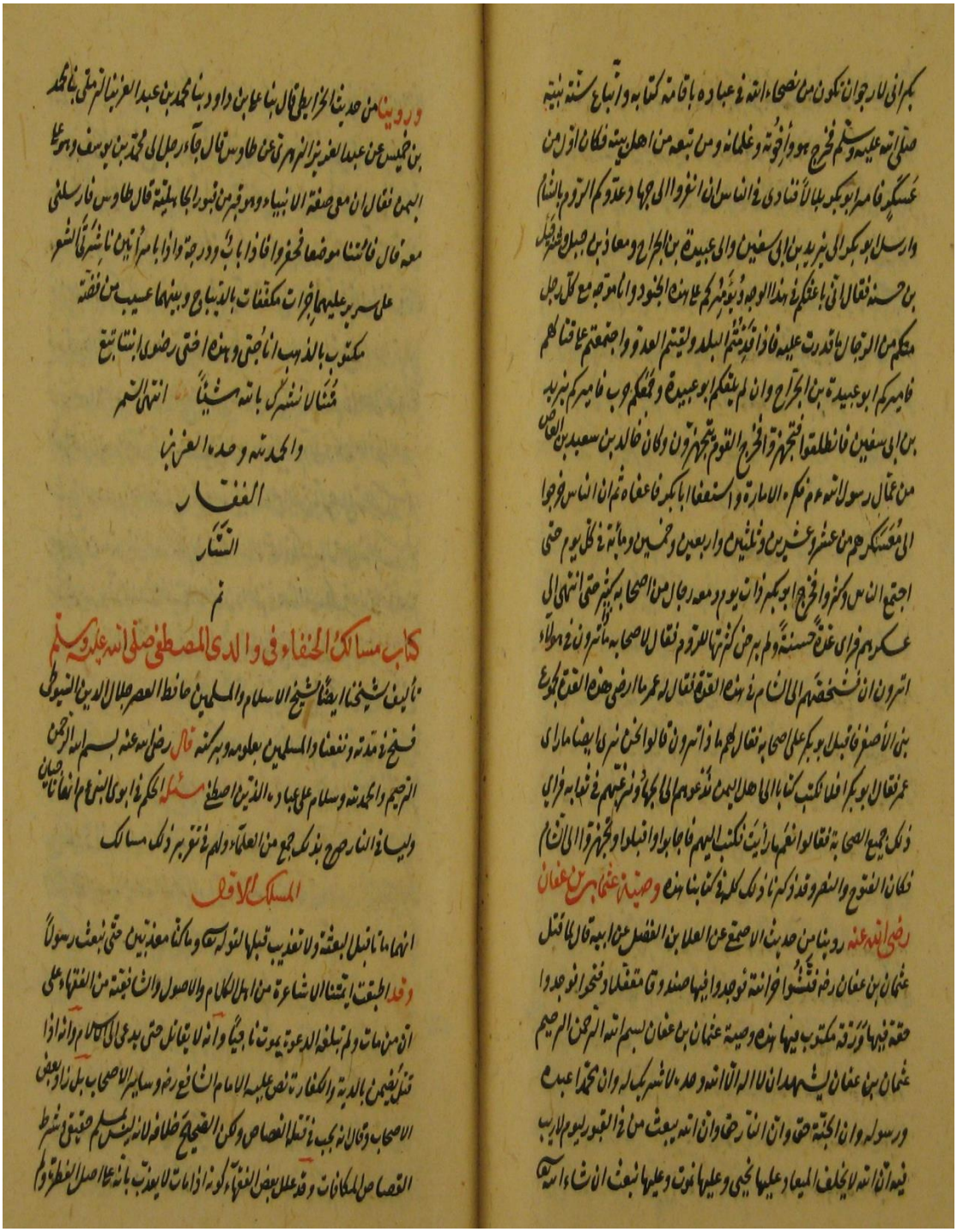

الصفحة الأخيرة من مخطوط نور عثمانية ٤٢٣٠

عن اللوح المحيط بكل شيء عن القلم المرفع عن الجليل
قال بعضهم الكتاب نعم الذخر والعدة والجليس والعمدة ونعم النزهة
والنزهة ونعم المشتغل والحرفة ونعم الانيس ساعة الوحدة ونعم المعونة بلاد الغربة ونعم
المعين والدخيل ونعم الوزير والنزيل لنا فيما يتضمنه هذا الكتاب من الفوايد النفيسة خطر
احضر نفسك في مجارات الهوى واحضر قلبك في عبارات النهى
وانثر من العلم النفيس نفايسا من لولو التوحيد سلك انهاء
ابرد لنا من خلف اردية الصبا رطوبة من دون اجفانها انهاء
لو انها برزت لاشمط راهب فاق العباد عبادة لو انها
ودعته تطلب منه ما خلقت له متذكرا انهى المسيح لما انتهى
طوعا وكرها ما يجاب لانها تدعوا فتسمع بالاسنة والظبى
فاعكف على هذا الكتاب مقدما لله جل ثناوه ومنزها
فانظر بعقلك فيه نظرة ناصح تظفر بجده مذكرا وشبيها
ومتى رايت مشمرا في سيره حكم الونا في عزمه فتوانها
فانثر عليه لآليا من عقده يعصم ذاك النثر ان يتالها
وقال بعضهم الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشى ظرفا وانا نحن نزاحان شبت كان
اعيى من باقل وان شيت كان ابلغ من سحبان وايل وان شيت سرتك نوادره وضحتك
مواعظه ومما حدثني فيما يرجع الى قول الشعر شيخنا ابو عبد الله محمد بن سعيد عن
شيخه ابي محمد بن عبد الله بن عبد ون الكاتب قال حملني ابي الى الاستاذ لانظر
عليه شيا من كتب الادب وكنت قد بدات اقول الشعر قليلا قال فاراد الاستاذ
امتحاني في ذلك وتعرض لتقويم الشعر فقال لي يا ولدي بلغني انك تبيت
على صعرك فقلت هونا ما ذلك فقال اجز الشعر خطة خسف فقلت لكل طالب عرف
للشيخ عيبة عيب والفتى ظرف ظرف فاستحسنه الشيخ حدثني ابو جعفر بن يحيى
بن فرطبة قال عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وتوسالة
بعض اصحابه وكان لا يجالس الناس ولا يراه الا وفي يده كتاب في ذلك لم ار
انس من كتاب ولا اسلم من الوحدة وقال بعضهم ما رات عيناي مجلسا في
رون وروضة تنقل في حجر تنطق عن الموتى وتترجم عن الاحيا من الكتاب لك
يونس لا ينام الا بونك ولا ينطق الا بهواك امن من الارض واكتم للسر من
صاحب السر واحفظ للوديعة من ارباب الودايع ولا اعلم جارا ابر ولا خليطا
انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية وعناية ولا اقل

TOPKAPI KÜTÜPHANESİ
YUSUF AĞA KİTAPLIĞI
Kitap No. 7247
Tasnif No. 297.403

الصفحة الثانية من مخطوط يوسف أغا

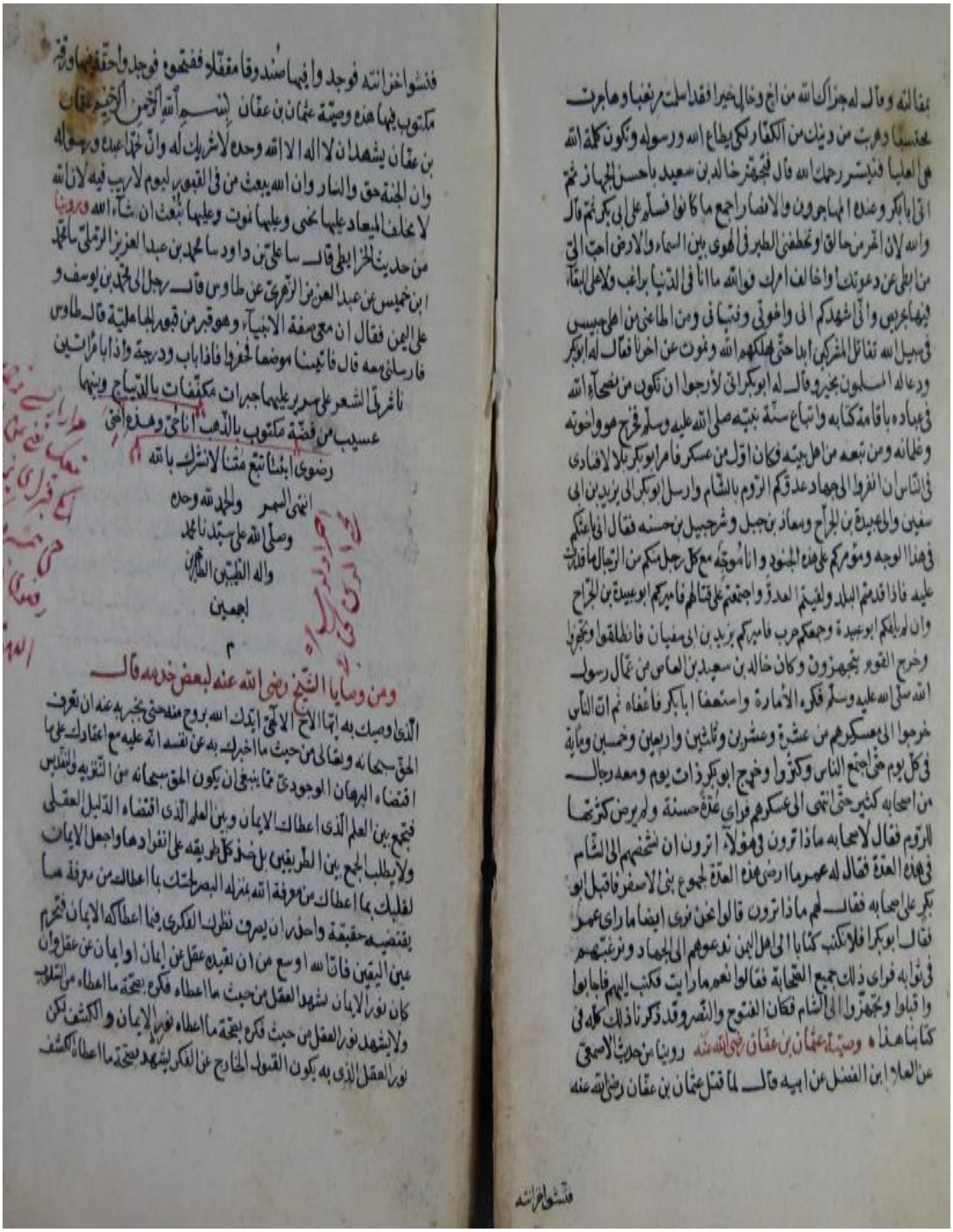

الصفحة الأخيرة من مخطوط يوسف أغا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أطلع شموس الفوائد في محاضرة الأبرار، وجعل نظام القلائد في مسامرة الأخيار، وأودع لآلئ الفرائد في محاورة الأحرار، وأوضح الحِكم في مجاراة الحكماء، وأبان جوامع الكلِم في مباراة العلماء، وضمّن الأسرار مطارحة الأحبّاء، وأرسل الأرواح في مناوحة الأوِدّاء، وصلّى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وسلّم.

أمّا بعد: فإنّي أودعتُ هذا الكتاب، الذي سمّيته[1]: "محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار" ضروبا من الآداب، وفنونا من المواعظ، والأمثال، والحكايات النادرة، والأخبار السائرة، وسِيَر الأوّلين من الأنبياء -صلوات الله عليهم- والأمم، وأخبار ملوك العرب والعجم، ومكارم الأخلاق، وعجائب الأفلاك والآفاق، وما رويناه من الأحاديث النبويّة في ابتداء هذا الأمر، وإنشاء العالم، وترتيبه، وما أودع الله من عجائب الصنع، وبديع الحكمة، وسردتُ فيه نُبَذًا من الأنساب، وفنونا من مكارم ذوي الأحساب، وحكايات مضحكة مسلّية، ما لم تكن للدِّين مفسِدة، مما تستريح النفوس إليها عند إيرادها مما لا أجر فيها ولا وِزر.

ونزّهتُ كتابي هذا عن كلّ هجاء ومثلبة، وضمّنته كلّ ثناء ومنقبة. وإذا كانت الحكاية المضحكة في رجل معتبَر مشهور من أهل الدين أو العلم لهفوةٍ صدرتْ منه ضحك لها الحاضرون، أو فعلةٍ بدت منه عن غير قصد منه إليها فنُقِلتْ، فأذكرها لما فيها من الراحة للنفس، ولا أسمّي الشخص الذي ظهر عليه ذلك حتى تتوفّر[2] حرمته، ولا يُزدرَى بقدره بعد شهرته وتعظيمه.

وكذلك سكتُّ أيضا في كتابي هذا عمّا شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم[3]، لما يتطرّق للنفوس الضعيفة وأهل الأهواء من الترجيح والتجريح[4]، وغاية ما أذكر لضرورة ثناءٍ ومنقبة ومحمدة، يتخلّلها شيء من ذكر مثالب أقوال[5] فيها فأسمعه ما يكره، ولا أذكر ما قال حتى لا أذكر الغيبة، ولا أفوه بما فيه ريبة.

---

(١) أ، ر، ن: وسمته.

(٢) ر: تتوقر. م: تستوفر.

(٣) ج: رضي الله عنهم. م: - رضوان الله عليهم.

(٤) م: - والتجريح.

(٥) أ، ر، ن: أقول.

فمدار هذا الكتاب على هذا الفن وعلى[1] ما شاكله، وفيه أقول:

محـاضرةُ الأبرارِ خيرُ كتـابِ ... لـبُّ اللبـابِ ونزهـةُ الألبـابِ
جمعتْ فنون حقائقٍ ورقائقٍ ... ولطـائفٍ مـن زهـرة الآدابِ
وعـوارف وخـلائـق ومـكارم ... تُعزى لقوم من ذوي الأحسابِ
وعجـائـب ومواعظ فيهـا وقـد ... ضمّنتهـا نُبَـذًا من الأنســـابِ
عذراء قد كشف البيان قناعها ... كالبدر أســفر من قناع سحابِ

فصل:

فيما ذكره الناس في شرف مجالسة الكتب دون الناس، وما في ذلك من السلامة في الدين. أنشدني أبو الحسن علي بن جابر الزيّات:

كتابُ الله أصـدق كلّ قيل ... رواه المصـطفى عن جبرئيلِ
عن اللوح المحيط بكلّ شيء ... عن القلم الرفيع عن الجليلِ

قال بعضهم: الكتاب نعم الذخر والعقدة، والجليس والعمدة، ونعم النشرة والنزهة، ونعم المشتغل والحرفة، ونعم الأنيس بساعة[2] الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل. ولنا فيما يتضمّنه هذا الكتاب من الفوائد النفيسة:

احضرـ بنفسـك في مجاراة الهوى ... واحضرـ بقلبك في مباراة النهى
وانثر من العلم النفيس نفائســـا ... من لؤلؤ التوحيد من سلك البها
أبرِز لنا من خلف أردية الصـــبا ... رُعبوبة من دون أخمصـها السُّـها
لو أنّهـا برزتْ لأشمط راهـب ... فـاق العبـاد عبـادة لو أنّهـا
ودعته تطلب منه ما خُلِقت له ... متذكّرا نهي المســيح لَمَا انتهى
طوعا وكرها ما تجـاب[3] لأنّهـا ... تدعو فتسـمع بالأسـنّة واللهى
فاعكف على هذا الكتاب مقدّسا ... لله جـلّ ثـنـاؤه ومـنزّهـا
وانظر[4] بعقلك فيـه نظرة ناصح ... فطِنٍ تجـده مـذكّرا ومنبّهـا
ومتى رأيت مشـــمّرا في ســـيره ... حكم الونى في عزمـه فتولّهـا

---

(١) أ، ر، ن: - على.
(٢) أ، ر، ن: ساعة.
(٣) ي: ما يجاب.
(٤) م، ي: فانظر.

فـانثر عليـه لآلئـا من عقـده يعصـــمه ذاك النثر أن يتألّها

وقال بعضهم: الكتاب وعاءٌ مُلئ علما، وظرفٌ حُشي ظرفا، وإناء شُحن مزاحا؛ إن شئت كان أعيا من باقِل[1]، وإن شئت كان أبلغ من سحبان وائل[2]، وإن شئت سرّتك نوادره، وشجتك مواعظه.

ومما حدّثني فيما يرجع إلى قول الشعر شيخنا أبو عبد الله محمد بن سعيد عن شيخه أبي محمد عبد الله بن عبدون الكاتب، قال: حملني أبي إلى الأستاذ لأنظر عليه شيئا من كتب الأدب، وكنت قد بدأت أقول الشعر قليلا، قال: فأراد الأستاذ امتحاني في ذلك، وتعرّض لتقبيح الشعر، فقال لي: يا ولدي؛ بلغني أنّك تبيّت على صغرك. فقلت: هو ما قيل لك، فقال؛ أجز: الشعر خطّة خسف. فقلت: لكلّ طالب عرف، للشيخ عيبة عيب، وللفتى ظرف ظرف، فاستحسنه الشيخ.

حدّثني أبو جعفر بن يحيى بقرطبة[3]، قال: قال عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب -وقد سأله بعض أصحابه، وكان لا يجالس الناس ولا يُرى إلّا وفي يده كتاب- في ذلك: لم أر آنس من كتاب، ولا أَسلَم من الوحدة.

وقال بعضهم: ما رأيت بستانا يحمل في رُدن[4]، وروضةً تُنقل في حجر تنطق عن الموتى، وتترجم عن الأحياء، من الكتاب. مَن لك بمؤنس لا ينام إلّا بنومك، ولا ينطق إلّا بما تهوى، آمن من الأرض، وأكتَم للسرِّ من صاحب السرِّ، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة. ولا أعلم جارا أبر، ولا خليطا أنصف، ولا رفيقا أطوع، ولا معلّما أخضع، ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية، ولا أقلّ إملالا وإبراما، ولا أبعد من مراء، ولا أترَك لشغَبٍ، ولا أزهد في

(١) باقل: رجل من ربيعة ابتاع ظبيًا وحشيًا بأحد عشر درهمًا، وجعل بقية الدراهم في فيه. فسئل عن ثمنه، ففعل بيديه تجاه السائل أي فتح أصابعه وفغر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى ثمنه. فحصل من ذلك انفلات الظبي؛ وسقوط الدراهم؛ والإساءة على السائل فضُرب به المثل، فيقال: أعيا من باقل، وأعيا من العي: خلاف البيان.

(٢) سحبان وائل: سحبان بن زفر بن إياس الوائلي الباهلي، خطيب مفوّه اشتهر قبل الإسلام، أسلم زمن النبي ﷺ، ولم يجتمع به. يضرب به المثل فيقال: أخطب وأفصح من سحبان. له شعر. توفي ٥٤هـ. الزركلي، الأعلام (٧٩/٣)..

(٣) قرطبة: مدينة وعاصمة مقاطعة قرطبة في جنوب إسبانيا، وتقع على ضفة نهر الوادي الكبير. اشتهرت أيام الحكم الإسلامي للأندلس، ولقد ذكرها الكثير من المؤرخين العرب في كتاباتهم ومنهم ياقوت الحموي، حيث كانت قرطبة في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي عاصمة لدولة الأندلس، ويستضيء الماشي بسراجها من على بعد عشرة أميال، وكان عدد حماماتها العمومية ومرافقها وبيوتها حوالي ٢٨٣٠٠٠، وبلغ عدد قصورها ثمانون ألفا، وكان فيها مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، وتحتوي المدينة على خمسين مستشفى، وفيها ستمئة مسجد ومن أهم مساجدها مسجد قرطبة، والذي لم يوجد له مثيل أو نظير في الفخامة والزخرفة وروعة البنيان. [ويكيبيديا؛ الموسوعة الحرة].

(٤) الرُدن: أصل الكُم. وقيل: مُقدم كُم القميص.

جدال ولا أكفّ عن قتال من كتاب.

ودخلت على بعض مشيختي، وقد جلس في حضيرة من كتبه، فقال: إذا أردتُ محادثةَ الحقِّ أخذتُ المصحف، فلا أزال أناجيه ويناجيني، وإذا أردتُ محادثةَ الرسول أخذتُ كتابَ حديثٍ، وكذلك كلّ من أردت مناجاته من الأوّلين والآخرين، ثمّ إنّي أجالس من لا ينمّ بمجلسي ولا ينقل حديثي، ثمّ أنشدني لبعضهم:

لنا جلساء لا نملّ[1] حديثهم ... ألبّاء مأمونون غيبا ومشهدا
إذا ما خلونا كان خيرُ حديثهم ... معينا على نفي الهموم مؤيّدا
يفيدوننا من عندهم علم ما مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسدَّدا
فلا ريبة نخشى[2] ولا سوء عِشرة ... ولا نتّقي[3] منهم لسانا ولا يدا
فإن قلتَ أمواتٌ فلست بكاذب ... وإن قلتَ أحياءٌ فلست مفنّدا

وقال لي بعض الأدباء: قال مصعب بن الزبير: إنّ الناس يتحدّثون بأحسن ما يحفظون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويكتبون أحسن ما يسمعون؛ فإذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال فإنّك لا تسمع إلّا مختارا، ولؤلؤا منظوما، ولنا فيه:

سمير لا ينام ولا ينيم ... حفيظ للذي يُلقى[4] كتوم

وأهدى بعض الكتّاب إلى صديق له دفترا وكتب إليه: هديّتي هذه -أعزّك الله- تزكو على الإنفاق، وتربو على الكدّ، لا تفسدها[5] العواري، ولا يخلقها كثرة التقليب، وهي أُنس في الليل والنهار، والسفر والحضر، تصلح للدنيا والآخرة، وتؤنس[6] في الخلوة، وتمنع من الوحدة، مسامر مساعد، ومحدّث مطاوع[7]، ونديم صِدق.

وقال الجاحظ: لا أعلم ما جاء في حداثة سنّه، ولا قرب ميلاده، ورخص ثمنه، وإمكان وجوده، يجمع بين السير العجيبة، والعلوم الغريبة، ومن آثار العقول الصحيحة، ومحمود

---

(١) أ، ر، ن: ما نمل.
(٢) ن: يخشى. ي: تخشى.
(٣) أ، ر، ي، ن: يُتّقى.
(٤) ر، م: تلقى.
(٥) م، ي: لا يفسدها.
(٦) ي: تؤنس.
(٧) أ، ر، ن، ي: مطواع.

الأذهان اللطيفة، ومن الحِكم الرفيعة، والمذاهب القديمة، والتجارب الحكيمة[١]، والأخبار عن القرون الماضية، والبلاد النازحة، والأمثال السائرة، والأمم البائدة[٢]، ما يجمعه كتاب، ومَن لك بزائر إن شئت كانت زيارته غِبّا[٣]، ووِرده[٤] خِمْسا، وإن شئت لزمك لزوم الظلّ، وكان منك كمكان بعضك.

أنشدني بعض الأدباء لبعضهم في شرف المطالعة للكتب:

أمـا لو أعي كلّ مـا أسمع وأحفظ من ذاك ما أجمع
ولم اســـتفد غير ما قد جمعت لقيل هو العالِمُ المصـــقع
ولكن نفسي- إلى كلّ علم[٥] من العلم تســـمعه تنزِع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعـــــت ولا أنا من جمعه أشـــبع
ومن يـك في علمـه هكـذا يكن دهره القهقرى يرجع
يضيع من المال ما قد جمعت وعلمك في الكتب مستودع
إذا لم تكن حـافظـا واعيـا فجمعـك للكتـب لا ينفع

قال الزهري: إذا سمعتَ أدبا فاكتبه ولو في حائط. وقال لقمان لابنه: يا بنيّ؛ نافِس في طلب العلم؛ فإنّه ميراثٌ غير مسلوب، وقرين غير مغلوب.

ورأيت شيخنا أبا عبد الله بن القسوم المالكي الصالح العالِم، وهو على كبر[٦] سنّه يشتري ورقا للنسخ، فسألته عن ذلك مع شغله بالعبادة؟ فقال لي: أوصاني شيخي أبو عبد الله بن المجاهد قال لي: إن استطعت أن لا تموت إلّا وأنت طالب تكتب العلم فافعل.

وروينا مثل ذلك عن المأمون، قال له منصور بن المهدي: أيحسن بنا طلب العلم والأدب؟ قال: والله؛ لأن أموت طالبا للأدب، خير[٧] من أن[٨] أعيش قانعا بالجهل. قال: وإلى متى يحسن بي[٩] ذلك؟ قال: ما حسنت الحياة بك. وأنشدني أبو عبد الله بن عبد

(١) م، ي: الحكمية.
(٢) م: البادية.
(٣) الغب: الشرب كلّ ثاني يوم. والخِمس: كلّ خامس يوم.
(٤) م: وورده.
(٥) أ: ما.
(٦) أ، ر، م، ن: - كبر.
(٧) أ، ر، ن، وهامش ي: + لهم.
(٨) أ، ر، ن، وهامش ي: بأن.
(٩) م، ي: لي.

الرحمن لبعضهم في ذلك:

كتابي فيه بســـتاني وراحي ومنــه سمــيرُ نفسي- والنــديمُ
يســالمني وكلّ الناس حربٌ ويسلبني[1] إذا عَرَت[2] الهمومُ
ويحيي لي تصـفّح صـفحتيه كرامَ النــاس إذ فُقِـد الكريم
إذا اعوجّت عليّ طريق أمر فلي فيــه الطريق المســـتقيم

وكلّ ما سطّرته في كتابي هذا فمنه مما[3] شاهدته، أو حدّثني مَن شاهده، ومنه ما نقلته من كتب مشهورة رويتها سماعا، أو قراءة، أو مناولة، أو كتابة، مثل كتاب: الإمتاع والمؤانسة، للفاضل الأديب النحرير أبي حيّان التوحيدي ،. وكتاب المجالسة، لأحمد بن مروان المالكي الدينوري ،، وكتاب بهجة الأسرار، للإمام ابن جهضم رحمه الله، وكتاب مناقب الأبرار للإمام تاج الإسلام أبي عبد الله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس رحمه الله، وكتاب المبتدأ، لإسحق بن بشر القرشي رحمه الله، وكتاب حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ رحمه الله، وكتاب دلائل النبوّة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله، وكتاب دلائل النبوّة للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله رحمه الله، وكتاب السيرة، للشيخ الإمام الحافظ محمد بن إسحق المطلبي رحمه الله، وكتاب السير، للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله، وكتاب صفوة الصفوة، للإمام الحافظ الواعظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي رحمه الله، وكتاب مسند الشهاب، للإمام الفاضل محمد بن سلامة القضاعي رحمه الله، وكتاب مقامات الأولياء للإمام أبي عبد الرحمن السلمي الصوفي رحمه الله، وكتاب الرسالة الصوفية للإمام الصوفي المذكّر عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله، وكتاب مثير الغرام الساكن، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي رحمه الله، وكتاب الأزرقي[4] في مكة، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو الغساني الأزرقي رحمه الله، والمسند الكبير، للإمام الحافظ أحمد بن حنبل رضوان الله عليه، وكتاب السنن للإمام الحافظ محمد بن يزيد بن ماجة ﷺ، وكتاب السنن، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني رحمه الله، وكتاب الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ رحمه الله، وكتاب الصحيح، للإمام أبي الحسين

(١) م، ي: ويسليني.
(٢) م: عدت.
(٣) م: ما.
(٤) ي: وكتاب المسند للأزرقي.

مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله، وكتاب الصحيح[1] للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، وكتاب العزلة، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطّابي، وكتاب طبقات الصوفيّة، للشيخ الإمام العارف أبي عبد الرحمن السلمي، وكتاب شرح السنّة، للإمام السيد أبي محمد الحسين بن محمد البغوي رحمه الله، وكتاب مسند الإمام عبده[2] بن حُميد شيخ[3] محمد بن إسماعيل البخاري، وكتاب ريحانة العاشق، للأديب الجليل أبي القاسم المنبوز بالبعض شيء، وكتاب الأمالي، لأبي المعالي البغدادي، نزيل قرطبة، وكتاب الروض الأنف[4]، لشيخنا الضرير أبي زيد السهيلي المالقي الإمام رحمه الله، وكتاب الكامل، للأديب الكامل اللغوي أبي العباس المبرّد رحمه الله، وكتاب زهر الآداب، للحصري رحمه الله، وكتاب المحاسن والأضداد لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله، وكتاب العقد للأديب الفاضل الفائق ابن عبد ربّه، وكتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وكتاب معاياة العقل، للمهذب ثابت بن عنتر الحلوي، قرأه علينا بالموصل، وكتاب الحماسة، لأبي تمام. والحماسة الحِلوية، وهي من قبل مؤلّفها قرأها علينا، وكتاب النَّور والنُّور، للأديب الفاضل رحمه الله، وكتاب الدَّرج والدُّرج للأديب الفاضل رحمه الله، وكتاب درجات التائبين ومقامات القاصدين، للهروي، وكتاب الفردوس، لأبي شجاع، شيرويه بن شهردار شيرويه الهمداني الديلمي الحافظ الزاهد رحمه الله، وكتاب اللمعة، لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، سمعناه منه، إلى غير ذلك من الكتب المشهورة، والكنانيش[5]، والمفاريد، والأجزاء الغريبة التي لا تحصى كثرة، وجعلته مجالس.

وقد قدّمت في صدر هذا الكتاب أسانيدي إلى الذين أقول عنهم، رويناً[6] من حديث فلان متّصلا، وقد أسوق إسناد ذلك المذكور إلى الخبر، وقد لا أسوقه على حسب ما يتفق، وأودعته أيضا مما لنا من منظوم في فنون مختلفة من أدب ونسيب، ومعرفة وحكمة، ومفاخرة بحسَب وحماسة، وغير ذلك مما تقف عليه إن شاء الله تعالى[7].

---

(١) ر، م، ن، ي: والكتاب.

(٢) ي: عبد الله.

(٣) ي: - شيخ.

(٤) في المخطوطات: روضة الأنف.

(٥) الكنانيش مفردها الكناشة: الأَصْل تتشعب مِنْهُ الْفُرُوع والأوراق تجْعَل كالدفتر تقيد فِيهَا الْفَوَائِد والشوارد. م، ومتن ي: والكراريس.

(٦) م، ي: وروينا.

(٧) ر، م، ن، ي: + وتقدس. م، ي: + والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله على محمد وآله

ذِكر الأسانيد المتصلة منّا إلى الذين أقول فيهم: روينا من حديث فلان. فمن ذلك إذا قلت: روينا من حديث ابن إسحق، فهو ما حدّثناه محمد بن موسى القرطبي عن المبارك بن علي بن الحسين، عن أبي القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر، عن محمد بن علي العُشاري، عن أحمد بن محمد بن أبي موسى، عن إبراهيم بن عبد الصمد، عن محمد بن عبد الله بن أحمد، عن أحمد بن محمد بن الوليد، عن سعيد[1] بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن إسحق المطلبي.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن الأشعث، فهو ما حدّثناه نصر بن أبي الفرج بن علي الحُصري، عن أبي جعفر محمد بن علي بن محمد بن أحمد السمناني، عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي البصري، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، عن أبي داءود بن الأشعث.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن هشام، فهو ما حدّثنا به عبد الواحد بن إسماعيل، عن أبي حفص عمر بن عبد المجيد بن عمر بن الحسين بن عمر بن أحمد القرشي الداري، ثمّ الميانِشي وحدّثناه الميانشي إجازة، قال: ثنا أبو محمد عبد المعطي بن مسافر بالإسكندرية قال: ثنا أبو إسحق إبراهيم بن سعيد الحبّال، أنبأ[2] أبو محمد عبد الرحمن بن عمر النحاس، أنبأ عبد الله بن جعفر بن الورد، عن أبي محمد بن عبد الرحيم بن عبد الله البرقي، عن أبي محمد عبد الملك بن هشام.

وإذا قلت: روينا من حديث مروان فهو ما حدّثنا به عبد الرحمن بن علي قال: ثنا[3] عبد الوهاب عن جعفر بن أحمد عن عبد العزيز بن الحسن الضراب، عن أبيه، عن أحمد بن مروان.

وإذا قلت: روينا من حديث المالكي، فهو ما حدّثنا به أبو بكر بن أبي الفتح السجستاني، عن محمد بن أحمد بن حامد، عن أبي الحسن علي بن الحسن بن عمر الموصلي الفرّاء، عن عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل بن محمد الضرّاب، عن أبيه، عن أحمد بن

---

(١) م: سعد.

(٢) م، ي: ثنا.

(٣) م، ي: حدثنا.

مروان المالكي.

وإذا قلت: روينا من حديث عبد الملك، فهو ما حدّثنا به القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون، عن أبي بحر سفيان بن العاص، عن أبي الوليد هشام بن سعيد الكناني الوقشي، عن أبي عمر بن أحمد بن محمد الطَّلَمنكي، عن ابن عون الله عن ابن الورد، عن البرقي، عن عبد الملك بن هشام.

وإذا قلت: روينا من حديث الدينوري، فهو ما حدّثنا به يونس بن يحيى، عن أبي بكر محمد بن أبي منصور، عن أبي طاهر بن الصقر، عن هبة الله بن إبراهيم الصواف[1]، عن الحسن بن إسماعيل الضراب، عن أحمد بن مروان المالكي الدينوري.

وإذا قلت: روينا من حديث إسحق بن بشر، فهو ما حدّثنا به عبد الواحد بن إسماعيل عن عمر بن عبد المجيد، عن أبي الماضي عطيّة بن علي الفهري، عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي، عن أبي عبد الله الحسن بن يحيى بن عبد الرحيم التميمي الحكاك، عن أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطي، عن أبي بكر أحمد بن السندي بن الحسن الحداد، عن أبي محمد الحسن بن علويّه القطان، عن إسماعيل بن عيسى العطار، عن إسحق بن بشر القرشي.

وإذا قلت: روينا عن أبي نعيم، فهو ما حدّثنا به أحمد بن محمد بن أحمد، عن القاشاني، عن أبي نعيم.

وإذا قلت: روينا من حديث أحمد بن عبد الله، فهو ما حدّثنا به محمد بن أبي الفتح السجزي، عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري، عن سعد الخير بن محمد بن سهل، عن أبي سعد بن محمد بن محمد بن محمد المطرّز، عن أحمد بن عبد الله.

وإذا قلت: روينا من حديث القشيري، فهو ما حدّثنا به محمد بن محمد بن محمد، عن أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم، عن جدّه عبد الكريم بن هوازن القشيري.

وإذا قلت: روينا من حديث السلمي، فهو ما حدّثنا به أحمد بن محمد، عن محمد بن الفضل الثقفي، عن أبي عبد الرحمن السلمي، ومما حدّثنا به أيضا أحمد بن أبي منصور، عن

(١) في النسخ: الصراف.

أبي سعد محمد بن أبي بكر يعرف بخيّاط الصوف، عن أبي بكر[1] علي بن خلف، عن أبي عبد الرحمن السلمي.

وإذا قلت: روينا من حديث مسلم، فهو ما حدّثنا به جمال الدين الخراساني بمقصورة الخضر، بغربي جامع دمشق، عن محمد بن الفضل الفراوي، عن عبد الغافر الفارسي، عن محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي، عن إبراهيم بن محمد بن سفيان المروزي، عن مسلم بن الحجاج القشيري.

وإذا قلت: روينا من حديث أحمد بن الحسين، فهو ما حدّثنا به أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني، عن محمد بن الفضل الفراوي، عن أحمد بن الحسين البيهقي.

وإذا قلت: روينا من حديث أبي بكر أحمد بن الحسين، فهو ما حدّثنا به ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن العطار بمكة، عن المبارك بن علي بن الحسين الطبّاخ، عن أبي عبد الله الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين، عن جدّه أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن باكويه، فهو ما حدّثنا به عبد الرحمن عن أبي بكر الصوفي، عن أبي سعيد الحِيَري، عن ابن باكويه الشيرازي.

وإذا قلت: روينا من حديث الترمذي، فهو ما حدّثنا به المكين بن شجاع الزاهد بن رستم الأصبهاني البزاز بمكة، عن الكروخي، عن الغورجي، عن الجرّاحي، عن المحبوبي، عن أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.

وإذا قلت: روينا من حديث البخاري، فهو ما حدّثنا به عبد الجليل السُّريجاني ويونس بن يحيى في آخرين، عن أبي الوقت، عن الداوي، عن الحموي، عن الفَربري، عن محمد بن إسماعيل البخاري.

وإذا قلت: روينا من حديث القضاعي، فهو ما حدّثناه كتابة، أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الأنصاري سنة إحدى وسبعين وخمسمائة[2]، عن أبي عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيدي، عن القضاعي محمد بن سلامة.

وإذا قلت: روينا من حديث محمد بن سلامة، فهو ما حدّثنا به أبو محمد بن يحيى، عن

---

(١) أ، ر، م، ن، ي: + بن.

(٢) أوضح أنه حُدِّث بها كتابة أي ليس شفاهة، فيكون ذلك بعد هذا التاريخ الذي كتب فيه.

محمد بن أبي منصور، عن أبي عبد الله الحميدي، عن محمد بن سلامة، وهو[1] القضاعي.

وإذا قلت: روينا من حديث الحميدي، فهو ما حدّثنا به أبو الثناء محمود بن أبي المظفر، عن محمد بن نصر بن خميس، عن أبي عبد الله الحميدي.

وإذا قلت: روينا من حديث أبي داءود، فهو ما حدّثنا به أحمد بن أبي منصور عن أبي طالب محمد بن عبد الرحمن، عن الحاكم أبي الحسن أحمد بن عبد الرحيم، عن الحسن بن علي السمرقندي، عن ابن داسة، عن أبي داءود بن الأشعث السجستاني.

وإذا قلت: روينا من حديث أحمد بن حنبل، فهو ما حدّثنا به عبد الرحمن بن علي في آخرين، عن هبة الله بن محمد، عن الحسن بن علي بن أبي بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أبيه أحمد بن حنبل.

وإذا قلت: روينا من حديث الخطّابي، فهو ما حدّثناه البرهان إسماعيل بن محمد بن يوسف الأنصاري، ثمّ الأبذي من بلاد الأندلس، عن محمد بن أبي المعالي عبد الله بن موهوب بن جامع بن عبدون البغدادي الصوفي يعرف بابن البنّاء، عن أبي ياسر عبد الوهاب بن هبة الله بن أبي حبّه، عن أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، عن أبي القاسم إسماعيل بن مسعد الإسماعيلي الجرجاني، عن أبي عمر محمد بن عبد الله الرُّزجاهي، عن حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطّابي ،.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن جهضم فهو ما كتب به إلينا عبد الرحمن بن علي بن محمد عن عمر بن ظفر، عن جعفر بن أحمد عن عبد العزيز بن علي، عن أبي الحسن بن جهضم الصوفي.

وإذا قلت: روينا من حديث أبي الوليد، فهو ما حدّثناه ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن العطار، عن محمد بن أبي بكر الطوسي، عن عبد الرحمن بن ديلم الشيبي، وعبد الرحمن بن علي الطبري، عن الحسن بن خلف الشامي، عن أبيه، عن الحسن بن أحمد بن فراس، عن محمد بن نافع الخزاعي، وأبي بكر بن عبد المؤمن، عن إسحق بن محمد الخزاعي، عن أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو الغساني.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن أبي الدنيا، فهو ما حدّثنا يونس بن يحيى، عن يحيى

---

(١) أ، ر، ن: هو.

بن إبراهيم السَّلَماسي، عن أبيه، عن أبي نصر أحمد بن محمد القاري، عن أبي بكر بن عبدالله البزاز أبي جعفر بن عبد الله بن إسماعيل الهاشمي، عن ابن أبي الدنيا.

وإذا قلت: روينا من حديث أبي عبد الرحمن، فهو ما حدّثناه محمد بن محمد بن محمد، عن أبي الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن، عن جدّه عبد الكريم بن هوازن، عن أبي عبد الرحمن السلمي.

وإذا قلت: روينا من حديث محمد بن إسماعيل، فهو ما حدّثناه عَرَبْشاه بن محمد بن أبي المعالي كتابة، عن محمد بن عمر الصيدلاني، عن الفراوي، عن الخبّازي والحفصي والكشميهني عن الفربري، عن محمد بن إسماعيل البخاري.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن الحجاج فهو ما حدّثناه عربشاه بن محمد بن أبي المعالي كتابة، عن محمد بن الحسن العبّاسي، عن عمر بن سعدويه عن عبد الغافر الفارسي، عن الجلودي، عن المروزي، عن مسلم بن الحجاج.

وإذا قلت: روينا من حديث الجُعفي، فهو ما حدّثناه عربشاه بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن أبي المحاسن الفارمذي، عن العيّار، عن أبي علي بن الشبّويه، عن الفربري، عن محمد بن إسماعيل الجُعفي البخاري.

وإذا قلت: روينا من حديث الأزرقي، فهو ما حدّثناه محمد بن إسماعيل، عن أبي الحسن علي بن الحسن بن علي التميمي الريحاني المكي، عن عبد الرحمن بن علي الشيباني الطبري، عن الحسن بن خلف الشامي، عن أبيه، عن أبي فراس، عن محمد بن نافع، عن إسحق بن محمد الخزاعي، عن أبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن سورة، فهو ما حدّثناه عبد الحميد بن محمد بن علي بن أبي الرشيد القزويني كتابة، عن أبي الحسن علي بن حمزة، وأبي محمد عبد الواسع بن الموفق[1]، وأبي صابر عبد الصبور بن عبد السلام التاجر، ثلاثتهم عن أبي عامر محمود بن القاسم الأَزدي، عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن أبي الجرّاح المروزي الجرّاح، عن أبي العباس محمد بن أحمد بن محمود المحبوبي التاجر، عن أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي الحافظ.

وإذا قلت: روينا من حديث الهاشمي، فهو ما حدّثناه عبد الحميد بن محمد بن علي بن

(١) أ، ر، ن: الموقف.

أبي الرشيد القزويني كتابة، عن أبي طاهر صاعد بن سعيد الطوسي، عن أبي الفتيان عمر بن عبد الكريم عن أبي علي الحسن بن علي الرازي عن الهاشمي، وهو أبو الحسن زيد بن عبد الله بن مسعود المعروف برفاعة.

وإذا قلت؛ روينا من حديث ابن الخطاب، فهو ما حدّثناه أبو النجيب حيدر القزويني كتابة، عن محمد بن عمر بن أحمد بن عبد الله الساوي، عن أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد، عن أبي نصر[1] محمد بن أحمد البلخي، عن ابن الخطاب الخطّابي.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن ودعان، فهو ما حدّثناه محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي، عن أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي الأصبهاني، عن أبي نصر محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان حاكم الموصل.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن ماجة، فهو ما حدّثناه أبو الحسن علي بن عبيدالله بن الحسن بن الحسين الرازي، عن أبي سعد[2] عبد الرحمن بن أبي القاسم، عن أبي منصور محمد بن الحسين، عن أبي طلحة القاسم بن أبي المنذر، عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة، عن محمد بن يزيد بن ماجة.

وإذا قلت روينا من حديث البغوي، فهو ما حدّثناه أحمد بن أبي منصور الحوبي[3] كتابة، عن أبي الحسن علي بن الحسن بن علي الفاسي، وعلي بن أبي عبد الله البامنجي، قالا: حدّثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن عرفة، فهو ما حدّثناه أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحُصَري، عن أبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار بن إبراهيم بن بندار، عن أبي المعالي ثابت بن بندار، عن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي ويعرف بابن السوادي، عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان ابن حرب بن مهران البزاز، عن أبي عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي.

وإذا قلت: روينا من حديث مالك بن أنس، فهو ما حدّثناه محمد بن إسماعيل وغيره، عن أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الطوسي، وعن أبي الحسن علي بن الحسن بن علي التميمي، كلاهما، عن عبد الرحمن بن علي الطبري، عن الحسن بن خلف، عن أبيه، عن الحسن بن

---

(١) ج، م، ي: أبي منصور.

(٢) ج، م: أبي سعيد.

(٣) ج، م: الخولي.

أحمد بن إبراهيم عن محمد بن نافع بن محمد الخزاعي، عن أبيه عن إبراهيم بن إسحق المكي، عن أحمد بن مالك الحضرمي، عن سعيد بن سالم القدّاح[1]، عن مالك بن أنس.

وإذا قلت: روينا من حديث الرملي، فهو ما حدّثناه محمد بن القاسم قراءة عن الحافظ السِّلَفي، وحدّثناه السّلفي إجازة، عن أبي الحسين أحمد بن محمد المقري، عن أبي إسحق بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبّال، عن أبي العبّاس منير بن أحمد بن الحسن بن علي بن منير الخشّاب، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن إسحق البغدادي، عن أبي العباس الوليد بن حماد الرملي.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن حيّان، فهو ما حدّثناه أبو محمد إسحق محمد بن يوسف بن علي، عن المطهر[2] بن علي بن عبيد الله الفارسي[3]، عن أبي ذر محمد بن إبراهيم بن علي الصالحاني الأصبهاني، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان المعروف كان بأبي الشيخ.

وإذا قلت: روينا من حديث الخرائطي، فهو ما حدّثناه محمد بن يوسف بن علي الغزنوي كتابة، عن أبي الفتح أحمد بن محمد بن سلمان، عن أبي عبد الله محمد بن أبي نصر بن عبدالله الحميدي الحافظ، عن أبي القاسم الحسين بن محمد بن إبراهيم الحِنَّائي، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي الحديد، عن أبي بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي.

وإذا قلت: روينا من حديث ابن عبد الحكم، فهو ما حدّثناه الحافظ السِّلفي إجازة عن مرشد بن يحيى بن القاسم المديني، عن علي بن منير بن أحمد الخَلّال، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن الفرج القمّاح، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعْيَن القرشي.

وإذا قلت: روينا من حديث الواحدي، فهو ما حدّثنا به أبو سعد عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور الصفّار، عن عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري، عن علي الواحدي.

وإذا قلت: روينا من حديث الأصمعي، فهو ما حدّثنا به محمد بن قاسم، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحضرمي، عن أبي عبد الله الرازي، عن أبي هاشم، والحسين بن محمد بن الضرّاب، عن أحمد بن مروان المالكي، عن إبراهيم الحربي، عن أبي نصر، عن الأصمعي. والله أعلم بالصواب.

---

(١) أ، ر، ن: القراح.

(٢) م: المظفر.

(٣) ج، ي: الفاسي.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما

نسب رسول الله ﷺ:

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شيبة، بن هاشم، واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف: المغيرة، بن قصي، واسم قصي: زيد، بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسم مدركة: عامر، بن إلياس، بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور(١) بن تيرح(٢) بن يعرب بن يشجب بن نابت(٣) بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، بن تارح(٤) وهو آزر بن ناحور(٥) بن ساروح(٦) بن راغو بن فالخ بن عيبر(٧) بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ(٨) وهو إدريس عليه السلام، بن يرد(٩) بن مهليل بن قاين(١٠) بن يانش بن شيث عليه السلام، ابن آدم أبي البشر صلّى الله على الأوّل والآخر ومَن بينهما من النبيّين صلاة دائمة وسلاما إلى يوم الدين.

حدّثنا بهذا النسب الزكي الشريف، سردا من لفظه كما كتبته، محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم من بني تميم، قال ثنا(١١) أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي، ثنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير(١٢) السعدي، ثنا أبو الحسن علي بن

---

(١) ج: ياخور. ن: ناخور. ي: باحور.
(٢) ج: مرخ.
(٣) ج، م، ي: ثابت.
(٤) م: يارخ. ي: تارخ.
(٥) أ، ن: ناخور. ج: ياخور. م: باحور. ي: باخور.
(٦) ج: شارخ. م: شارح. ي: شاروح.
(٧) ج، م: عبير.
(٨) ج، م: أخنوخ.
(٩) م، ي: يزد.
(١٠) ج: ماين.
(١١) ج، م، ي: حدثنا.
(١٢) في النسخ: عزيز.

الحسن بن الحسين الخِلعي، ثنا[1] أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن النحاس، ثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد بن زنجويه البغدادي، ثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم، ثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام النحوي،[2] ثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحق المطلبي.

روينا من حديث مالك بن أنس عن الزهري، عن عثمان بن سليمان بن أبي حثمة العدوي عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن جبير بن مطعم، عن أبي بكر الصديق ﷺ، في سرد النسب إلى عدنان. فقال في حديثه: عدنان بن أُدّ[3] بن أُدد، وهو الهميسع بن يولع[4] بن سالف بن عامر بن منبر[5] بن الصبّاح بن القوام[6] بن أيمن[7] بن منجب[8] بن كعب بن نابت[9]، بن إسماعيل[10] بن إبراهيم بن آزر بن ناحور[11] بن شاروغا بن أرغو[12]، وهو: هود بن ثبث بن فالخ بن عيبر[13] بن الفرخشد بن سام بن نوح بن لامك بن المتوشلخ بن خوتك، وهو إدريس بن يرد[14] بن مهاليل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم.

أنساب العشرة المشهود لهم بالجنّة متّصلة بنسبه ﷺ:

نسب عليّ ﷺ: هو أقربهم نسبا إليه[15]، وهو عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب.

وأبعد منه عثمان ﷺ: وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن

---

(١) م، ي: حدثنا.
(٢) ج، ي: + عن جبير بن مطعم عن أبي بكر النحوي.
(٣) ج، م: - بن أد.
(٤) متن كل من ج، ي: يوخ.
(٥) م، ن، ي: منير.
(٦) ج: عوام. م، ي: العوام.
(٧) ج، ي: المرم.
(٨) ج، ي: يشخب.
(٩) ج، م، ي: ثابت.
(١٠) م، ي: وإسماعيل.
(١١) ج، م: ياخور. ن: نافور.
(١٢) ر، ن، ي: أرغوا.
(١٣) ج، م، ي: عبير.
(١٤) ج، م، ي: يزد.
(١٥) ج، ي: - إليه.

عبد مناف.

وأبعد منه الزبير وعبد الرحمن رحمه الله. أمّا الزبير فهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي، وأمّا عبد الرحمن، فهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن قصي.

وأبعد منهما سعد بن أبي وقاص ﵁: هو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن كعب بن زهرة بن كلاب.

وأبعد منه الصدّيق وطلحة رضي الله عنهما. أمّا أبو بكر، فهو عتيق بن عثمان، يكنّى أبا قحافة بن عامر بن عمرو. وأمّا طلحة، فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو، اجتمعا في عمرو، وعمرو هو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة.

وأبعد منهما عمر وسعيد رضي الله عنهما، أمّا عمر، فهو عمر بن الخطاب بن نفيل. وأمّا سعيد فهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، اجتمعا في نفيل، وهو ابن عبد العزّى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح[1] بن عدي بن كعب.

وأبعد منهما أبو عبيدة ﵁، هو أبو عبيدة بن عبد الله بن الجراح بن كعب بن ضبّة بن الحارث بن فهر.

نسب أمّه ﷺ:

وهي آمنة بنت وهب بن[2] عبد مناف بن زهرة بن كلاب، اجتمعت مع رسول الله ﷺ في كلاب بن مرّة.

نسب أمّه التي أرضعته ﷺ وهي: ظئرة. هي: حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شجنة[3] بن جابر بن رزام بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، اجتمعت برسول الله ﷺ في مضر.

نسب والده من الرضاعة ﵇:

هو الحارث بن عبد العزّى بن رفاعة بن فلان بن ناصرة بن سعد بن بكر بن هوازن

---

(١) م، ي: زراع.

(٢) ج، م، ي: - وهب بن.

(٣) ج، ي: شحنة.

بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، اجتمع برسول الله ﷺ في مضر.

أخوته من الرضاعة:

للحارث: عبد الله بن الحارث، وأُنَيْسة بنت الحارث، وحذافة بنت الحارث، وهي: الشيماء، غلب عليها ذلك فلا تعرف في قومها إلّا به، وهي لحليمة، وكانت تحضنه ﷺ مع أمّه حليمة إذ كانت[1] عندهم، وكان عمّه[2] حمزة بن عبد المطلب أخاه أيضا من الرضاعة، يقال: أرضعته التي أرضعت حمزة.

أولاده ﷺ:

الذكور: منهم القاسم وبه كان يكنّى، ثمّ الطيّب، ثمّ الطاهر، وعبد الله، وإبراهيم.

الإناث منهنّ[3]: أكبرهنّ رقيّة، ثمّ زينب، ثمّ أم كلثوم، ثمّ فاطمة، وجميع أولاده من خديجة، غير إبراهيم فإنّه من مارية[4] القبطيّة سَرِيّته ﷺ.

أعمام رسول الله ﷺ وعمّاته:

فمنهم العبّاس، وضرار، ابنا عبد المطلب، وهما شقيقان لأمّ واحدة، وهي: نُتَيلة بنت جناب بن كليب من[5] ربيعة بن نزار. فأمّا العبّاس فإنّه أعقب، ولم يعقب ضرار.

وحمزة، والمقوّم، وحَجْل، وصفيّة أبناء عبد المطلب لأمّ واحدة وهي هالة بنت أُهَيْب بن عبد مناف بن زهرة. ولم يعقب حمزة، والمقوّم ولد بنتا، وأعقب حجل، وصفيّة ولدت.

وأبو طالب والزبير ووالد رسول الله ﷺ عبد الله، وأمّ حكيم يقال لها: البيضاء، وعاتكة، وأميمة وأروى، وبرّة أبناء لعبد المطلب لأمّ واحدة وهي: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب. فأمّا أبو طالب وعبد الله فأعقبا، والزبير أدرج عقبه. وأمّا البنات فولدن كلهنّ.

---

(١) ج، م، ي: إذا كان.

(٢) أ، ر، ن: وكانت عمة.

(٣) أ، ر: منهم.

(٤) ج، م، ي: فأمه مارية.

(٥) ج، م، ي: بن.

والحارث بن عبد المطلب، وأمّه سمراء بنت جندب بن جحير من[1] هوازن، وأعقب الحارث.

وأبو لهب واسمه عبد العزّى بن عبد المطلب، أمّه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطِر الخزاعيّة، وأبو لهب أعقب.

أزواج رسول الله ﷺ:

فمنهنّ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى بن قصي بن كلاب، ماتت قبل الهجرة.

وعائشة بنت أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه.

ومنهنّ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومنهن أمّ سلمة، واسمها هند بنت أبي أميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهي آخر من مات من أزواجه بعده.

ومنهنّ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نضر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

ومنهنّ أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

ومنهنّ زينب بنت جحش بن رئاب[2] بن أسد بن خزيمة، وأمها أميمة عمّة رسول الله ﷺ بنت عبد المطلب، وهي أوّل من مات من أزواجه بعده، وهي أوّل من حُمِلت جنازتها على النعش.

ومنهنّ: زينب بنت خزيمة، وهي: أمّ المساكين، وهي من عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة توفيت في حياته ﷺ.

ومنهنّ ميمونة بنت الحارث بن حرب بن بجير بن الهرم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصة. وهي التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام، وقيل: الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمي. وقيل: أمّ شريك. وقيل: زينب بنت جحش.

---

(١) ج، م، ي: بن.

(٢) أ، ر، م، ي: رباب.

ومنهنّ جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق بن خزاعة، سباها النبيّ ﷺ في غزوة المريسيع وتزوّج بها.

ومنهنّ صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير سباها يوم خيبر.

فهؤلاء إحدى عشرة امرأة دخل بهنّ النبيُّ ﷺ بغير[1] خلاف.

ومنهنّ العالية بنت ضبيان بن عمرو من بني أبي بكر بن كلاب، واختلف في الدخول بها، ثمّ طلقها.

ومنهنّ امرأة من بني عمرو بن كلاب أخو أبي بكر بن كلاب، فطلّقها قبل الدخول لبياض كان بها.

ومنهن أسماء بنت كعب الجَونيّة، وقيل: اسمها أميمة بنت النعمان بن شراحيل، فاستعاذت منه فطلقها ولم يدخل بها. وقيل: التي استعاذت هي مليكة الليثية. وقيل هي فاطمة بنت الضحاك.

ومنهنّ عمرة بنت يزيد إحدى نساء بني كلاب فطلّقها ولم يدخل بها، قال بعض العلماء: وهي التي اختارت نفسها فابتلاها الله عند ذلك بالجنون.

ومنهنّ أم شريك الأزدية الأنصارية من بني النجار، طلقها[2] ولم يدخل بها، وهي التي قلنا: إنّه قد روي أنّها التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام.

ومنهنّ أسماء بنت الصلت من بني حرام من بني سليم، لم يدخل بها.

ومنهنّ قُتَيلة بنت قيس أخت الأشعث، لم يدخل بها[3] ولا رآها.

ومنهن فاطمة بنت شريح.

فهؤلاء أقصى ما بلغنا من عدد أزواجه.

مات عن تسع منهنّ:

ميمونة، وسودة، وصفيّة، وجويرية، وأمّ حبيبة، وعائشة، وحفصة، وأمّ سلمة، وزينب بنت جحش.

من مات منهنّ في حياته عليه السلام:

---

(١) ج، م، ي: بلا.

(٢) "طلقها" من ج فقط.

(٣) أ، ر، ن: - بها.

خديجة بنت خويلد وزينب بنت خزيمة أمّ المساكين.

القرشيّات منهنّ: خديجة وعائشة وحفصة وأمّ حبيبة وسودة وأمّ سلمة. ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾[1].

المرجيّات منهن خمس[2]: ميمونة، وسودة، وصفية، وجويرية، وأم حبيبة.

اللائي[3] كان يساوي بينهنّ في القسم أربع: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب.

سراريه ﷺ:

مارية بنت شمعون القبطية، وهي التي ولدت له إبراهيم، وريحانة بنت زيد من بني قريظة، وقيل: من بني النضير.

حجاته ﷺ وعُمَرُه:

وحج ﷺ ثلاث حجّات: حجتان من مكة، وواحدة من المدينة، وهي التي تسمى حجة الوداع.

وأمّا عُمَرُهُ فأربع: عُمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة، وعمرة[4] القضاء من العام المقبل كانت أيضا في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسّم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته أحرم بها عليه السلام في ذي القعدة.

غزوات رسول الله ﷺ التي خرج إليها بنفسه:

فأوّل ذلك غزوة الأبواء، خرج إليها في صفر سنة اثنتين على رأس اثني عشر شهرا من هجرته حتى بلغ موضع ودّان.

ثمّ غزا في شهر ربيع الآخر، ثالث شهر من غزوة الأبواء، يريد قريشا حتى بلغ بُواط من ناحية رضوى.

ثمّ غزا العُشيراء في جمادى الأولى سنة اثنتين، وهي من بطن ينبع.

ثمّ غزا يطلب كرز بن جابر وهي غزوة بدر الأولى سنة اثنتين.

---

(١) [الأحزاب: ٥١]

(٢) في النسخ: خمسة.

(٣) م، ي: اللاتي.

(٤) ج، م، ي: وأما عمرة.

ثمّ غزا غزوة بدر سنة اثنتين في شهر رمضان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان التي قتل فيها صناديد قريش.

ثمّ غزا غزوة بني سليم حتى بلغ الكُدر في شوال سنة اثنتين.

ثمّ غزا غزوة السويق في ذي الحجة سنة اثنتين بعد بدر بشهرين يطلب أبا سفيان بن حرب.

ثمّ غزا غزوة نجد يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر في صفر سنة ثلاث.

ثمّ غزا غزوة بحران في ربيع الأوّل سنة ثلاث، يريد قريشا وبني سليم.

وفيما بين ذلك أمر بني قينقاع من سنة ثلاث.

ثمّ غزا غزوة أحد في شوال سنة ثلاث.

ثمّ غزوة حمراء الأسد في شوال سنة ثلاث.

ثمّ غزا غزوة بني النضير وإجلائهم في ربيع الأوّل سنة أربع.

ثمّ غزا غزوة ذات الرقاع من نخل في جمادى الأولى سنة أربع.

ثمّ غزا في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان، وهي بدر الآخرة سنة أربع.

ثمّ غزا دومة الجندل فرجع قبل أن يصل إليها في ربيع الأوّل سنة خمس.

ثمّ غزا غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

ثمّ غزا غزوة بني قريظة في ذي القعدة أو في ذي الحجة سنة خمس.

ثمّ غزا غزوة الرجيع، خرج في جمادى الأولى إلى بني لحيان يطلب أصحاب الرجيع في جمادى الأولى سنة ست.

ثمّ غزا غزوة ذي قَرَدٍ، وهي التي أغار فيها عيينة بن حصن على لقاحه فخرج إليهم سنة ست بعد الرجيع بليال.

ثمّ غزا غزوة بني المصطلق في شعبان سنة ست.

ثمّ غزا غزوة الحديبية، خرج في ذي القعدة معتمرا فصدّه المشركون سنة ست.

ثمّ غزا غزوة خيبر؛ خرج إليها في بقية المحرم سنة سبع.

ثمّ خرج في ذي القعدة يعني العمرة؛ عمرة القضاء سنة سبع.

ثمّ أقام بالمدينة بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجب.

ثمّ غزا غزوة فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان.

ثمّ غزا غزوة حنين، سار إليها من مكة في شوال سنة ثمان.

ثمّ غزا غزوة الطائف سنة ثمان، سار إليها من حنين ورجع إلى المدينة، وأقام بها ما بين ذي الحجة إلى رجب.

ثمّ غزا غزوة تبوك، أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فخرج إلى تبوك ولم يجاوزها سنة تسع.(١)

سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه فيما بين أن قدم المدينة إلى أن قبضه الله ﷻ:

غزوة عبيدة بن الحارث إلى أحياء من أسفل ثنيّة المرّة، وهي ماء بالحجاز.

وغزوة حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص، وبعض الناس يقدّمون غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة.

وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرارَ.

وبعثُ محمد بن مسلمة فيما بين أحد وبدر إلى كعب بن الأشرف فقتله(٢).

وغزوة عبد الله بن جحش إلى نخلة.

وغزوة زيد بن حارثة القِرَدةَ.

وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيعَ لَقَوا فيها.

وغزوة منذر بن عمرو بئرَ معونة لَقَوا فيها.

وغزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصّة من طريق العراق.

وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر.

وغزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن.

وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلبَ ليثٍ الكديد لقوا فيه بني الملوّح.

وغزوة علي بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدَك.

---

(١) ج (في الهامش): بلغ مقابلة.

(٢) ج، م، ي: وقتله.

وغزوة أبي العوجاء السلمي أرضَ بني سليم لَقَوا فيها، بعثه بعد رجوعه من عمرة القضيّة[١] في ذي الحجة سنة سبع، وأصيبوا وجاء جريحا حتى قدم المدينة أوّل صفر سنة ثمان.

وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة.

وغزوة أبي سلمة بن عبد الأسد[٢] قَطَنا ماءً من مياه بني أسد من ناحية نجد لقوا فيها، فقتل فيها مسعود بن عروة.

وغزوة محمد بن مسلمة أخي بني حارثة، إلى موضع من هوازن يسمى القرطاء.

وغزوة بشير بن سعد إلى بني مرّة بفدَك.

وغزوة بشير بن سعد أيضا إلى جناب ناحية خيبر.

وغزوة زيد بن حارثة الجموح من أرض بني سليم.

وغزوة زيد بن حارثة جذام من أرض حسماء لقوا فيها.

وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطرف من ناحية نخل من طريق العراق.

وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادي القرى لقي[٣] فيها بني فزارة.

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر.

وغزوة عبد الله بن رواحة أيضا خيبر أصاب فيها يسير بن رزام اليهودي.

وغزوة عبد الله بن عتيك إلى خيبر فأصاب[٤] فيها أبا رافع بن أبي الحُقيق.

وقد كان رسول الله ﷺ[٥] بعث عبد الله بن أنيس الى خالد بن سفيان الهذلي فقتله.

وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة فأصيبوا فيها.

وغزوة كعب بن عمير الغفاري ذات أطلاح من أرض الشام فأصيب بها.

---

(١) ج، وهامش ي: القضاء.

(٢) ج، م، ي: + بطن.

(٣) ج، م، ي: لقوا.

(٤) ج، م، ي: وأصاب.

(٥) العبارة لم تكتمل وقد وردت في دلائل النبوة للبيهقي بقية العبارة وهي: بعث محمد بن مسلمة فيما بين أحد وبدر إلى كعب بن الأشرف فقتله. وبعث...

وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بني العنبر من بني تميم لقوا فيها.

وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي كلبَ ليث أرض بني مرّة لقوا فيها.

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بَلِيٍّ وَعُذْرَة.

وغزوة أبي حدرد وأصحابه إلى بطن إضم قبل الفتح لقوا فيها.

وغزوة ابن أبي حدرد أيضا إلى الغابة لقوا فيها. كذا قال هنا: ابن أبي حدرد. وقال فيما مضى: أبي حدرد.

وغزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى سِيف البحر، ويسمى جيش الخبط.

انتهى ما ذكره ابن إسحق.

وزاد ابن هشام: بعثُ عمرو بن أميّة الضمري، بعثه عليه السلام لقتل أبي سفيان بمكة.

وسرية زيد بن حارثة إلى مدين.

وغزوة سالم بن عمير أبا عفك جدّ بني عمرو بن عوف.

وغزوة عمير بن عدي الخطمي عصماءَ بنت مروان.

والسرية التي أسرت ثمامة بن أثال الحنفي.

وبعثُ علقمة بن مجزز في طلب القوم الذين قتلوا وقاص بن مجزز يوم ذي قرد.

وبعثُ كرز بن جابر في طلب الرعاء الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ رعلٍ وذكوان.

وغزوة علي بن أبي طالب[1] اليمنَ مرّة أخرى.

وغزوة أسامة بن زيد إلى الداروم، فمات رسول الله ﷺ قبل خروجه وولي أبوبكر فأمضاه لوجهه، فمضى حتى وطئ بخيله أرض الداروم.

بعثُ خالد بن الوليد إلى نخلة لهدم العزّى[2].

بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة.

بعث أبي عامر على جيش إلى أوطاس.

بعثُ خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة.

---

(١) ج، م، ي: + إلى.

(٢) أ، ر، ن: - بعثُ خالد بن الوليد إلى نخلة لهدم العزّى.

بعث جرير بن عبد الله إلى ذي الخصلة[1] ليهدمها، بعثه على مائتين وخمسين فارسا.

بعث خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب.

وغزوة أبي بكر إلى نجد، قبل بني فزارة فأصاب منهم.

سريّة عمر بن الخطاب إلى عجز هوازن وراء مكة بأربعة أميال.

سريّة عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي، هو بعث علقمة بن مجزز فولّاه علقمة على طائفة من الجيش.

عدد نقبائه ﷺ وهم اثنا عشر نقيبا[2]:

ولم يكن لنبيّ قبله هذا القدر، بل كان لكلّ نبيّ سبعة نقباء، وهم رضي الله عنهم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وجعفر بن أبي طالب، ومصعب بن عمير، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود.

وأمّا نجباؤه ﷺ، فكلّهم من الأنصار، وهم عشرة نجباء[3]: سعد بن خيثمة من بني عمرو بن عوف، وسعد بن الربيع من بني النجار، وسعد بن عبادة من بني عبد الأشهل، وعبدالله بن رواحة، وأبو الهيثم بن التيهان، والبراء بن معرور، ورافع بن مالك الزرقي، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وهو أبو جابر، وعبادة بن الصامت، من بني سلمة، والمنذر بن عمرو، من بني ساعدة.

وأمّا حواريّوه ﷺ فكلّهم من قريش، وهم اثنا عشر رجلا: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وحمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن مظعون، فالذي جمع بن النقابة[4] والحوارية: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وجعفر وابن مظعون. فهؤلاء السبعة جمعوا بين هذين الشرفين رضي الله عن جميعهم.

مواليه ﷺ: زيد بن حارثة، وأسامة بن زيد، وأبو رافع السلمي، ويقال: إبراهيم، ويقال،

---

(١) ج، ر، م، ي: ذي الخلصة. وكلا الاسمين صحيحان.

(٢) ذكرهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب بالنجباء.

(٣) في النسخ: اثنا عشر نجيبا. وقد جاء كذلك أنهم عشرة في كتاب بهجة المحافل وبغية الأماثل ١٣٧/٢.

(٤) في النسخ: النجابة.

هرم، ويقال: سنان، وكان قبطيّا، وسفينة، واسمه مهران، ويقال: رباح، وثوبان، ويسار أبو بكرة، وهو الذي قتله العُرنيون، وشقران، اسمه صالح، وأبو كبشة واسمه سليم، وأبو ضميرة، مِدعم، وهو الذي أصابه السهم فمات يوم حنين، ورويفع، وسلمان، ورباح، وعبيد، وأحمر، وكيسان، وأبو أثيلة، وسعيد.

الإناث: سلمى، ودرّة، وميمونة.

خَلْقُه ﷺ وخُلُقُه وشمائله وحالاته وحركاته وسكناته ومجالسه[1]:

كان رسول الله ﷺ فخما مفخّما، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذّب، عظيم الهامة، رَجِل الشعر؛ إن انفرقت عقيصته فرَق، وإلّا فلا يجاوز شعرُه شحمةَ أذنيه إذا هو وفَّرَه، أزهر اللون؛ ليس بالأبيض الأمهق ولا الأدم، سهلُ الخدّين صَلْتُهما، ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم، واسع الجبين، أزجّ الحواجب، سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدرّه الغضب، أقنى العِرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمّله أشم، كثّ اللحية، أدعج[2]، سهل الخدّين، ضليع الفم، أشنب، مفلّج الأسنان، عنفقته بارزة، فَنِيكاهُ[3] حول العنفقة كأنّها بياض اللؤلؤ، دقيق المسرُبة، كأنّ عُنقه جِيدُ دُميةٍ في صفاء الفضة، معتدل الخَلق، بادنًا متماسكا، سواءُ البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، جليل الكَتَد[4]، بين منكبيه خاتم النبوّة، وهو شامة سوداء تضرب إلى الصفرة، حولها شعرات متواليات كأنّها من عُرف فرس، ضخم الكراديس، أنورَ المتجرَّد[5]، موصول ما بين اللبّة والسرّة بشعر يجري كالخط، عاريَ الثديين والبطن، مما سوى ذلك، أشعرُ الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، سَبْطُ القَصَب[6]، شَثْن الكفين والقدمين[7]،

---

(١) ج، ن، ي: ومجالسته.

(٢) "أدعج" من ج فقط.

(٣) الفَنيكان: مواضع الطعام حول العنفقة من جانبيها جميعا.

(٤) الكتد: مجتمع الكتفين.

(٥) أنور المتجرد: نيّر الجسم.

(٦) القصب: عظام اليدين والرجلين ونحوهما.

(٧) شثن الكفين والقدمين: أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر.

سائل الأطراف[١]، خَمصان الأخمصين[٢]، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء.

إذا زال زال قَلعًا، يخطو تكفيًّا، ويمشي هونا، ذريع المِشية، كأنما ينحطُّ من صبب، وإذا التفتَ التفتَ جميعا، خافض الطرف؛ نظرُه إلى الأرضِ أطولُ من نظرهِ إلى السماء، جُلُّ نظرهِ الملاحظةُ، يشوّق أصحابه، يَبْدُرُ مَن لقي بالسلام، متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست[٣] له راحة، لا ينطق في غير حاجة[٤]، طويل السكت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصلٌ لا فضول[٥] ولا تقصير، دمِثًا ليس بالجافي ولا المهين، يعظِّم النعمة وإن دقّت، لا يذمّ منها شيئا، لا يذمُّ ذواقا ولا يمدحه، ولا تُغضبه الدنيا ولا ما كان لها، وإذا تُعُوطِيَ الحقَّ لم يعرفه أحدٌ، ولا يقوم لغضبه شيءٌ حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفّه كلّها، وإذا تعجّبَ قَلَبَها، وإذا تحدّث اتّصل بها، فيضرب ببطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرِح غضَّ طَرْفَه، جُلُّ ضَحِكِهِ التبسُّم، ويَفْتَرُّ عن مثل حَبِّ الغمام[٦].

كان دخولُهُ لنفسه مأذون[٧] له في ذلك؛ كان إذا أوى إلى منزله جزّأ نفسه ثلاثة أجزاء: جزءًا لله تعالى، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه. ثمّ جزّأ جزأه بينه وبين الناس، فيردُ ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدّخر عنهم شيئا، فكان من سيرته في جزء الأمّة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقَسْمُه على قدر فضلهم في الدين: فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويُشْغِلهم[٨] فيما أصلحهم والأمّة عن مسألة عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: ليبلّغ الشاهدُ الغائبَ، وأبلِغوني حاجةَ من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنّ من أبلغ سلطانا حاجةَ من لا يستطيع إبلاغها إيّاه يثبّت اللهُ قدمَه يوم القيامة. لا يذكر عنده إلّا ذاك، ولا يقبل من أحد غيرَه، يدخلون روّادا، ولا يفترقون إلّا عن ذَواق، ويخرجون أدلّة.

---

(١) سائل الأطراف: أي ممتدّها.

(٢) الْأَخْمَصُ فِي الْقَدَمِ مِنْ تَحْتِهَا وَهُوَ مَا ارْتَفَعَ عَنِ الْأَرْضِ فِي وَسَطِهَا. أَرَادَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ مُرْتَفِعٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِأَزَجَّ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَوِي بَاطِنُ قَدَمِهِ حَتَّى يَمَسَّ جَمِيعُهُ الْأَرْضَ.

(٣) ج، م، ي: ليس.

(٤) ج، م، ي: الحاجة.

(٥) ج، م، ي: + فيه.

(٦) حبّ الغمام: البرد، شبّه ثغره به.

(٧) أ، ر، م، ن، ي: مادون.

(٨) "ويشغلهم" من ج فقط.

وكان ﷺ يَخْزُنُ لسانَه[1] إلّا ممّا يعنيهم[2]، ويؤلّفهم ولا يفرّقهم ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كلّ قوم، ويولّيه عليهم، ويحذَرُ الناسَ ويحترسُ منهم، من غير أن يطوي عن أحد بِشْرَهُ ولا خُلُقَه، يتفقّد أصحابه، ويسأل الناس عمّا في الناس، ويحسِّنُ الحَسَنَ ويصوِّبُه[3]، ويقبِّح القبيح ويوهّنه، معتدل الأمرِ غيرُ مختلفٍ، لا يغفل مخافةَ أن يغفُلوا أو يميلوا، لكلِّ حال عنده عتادٌ، لا يقصر عن الحقّ ولا يجوزه، الذين يلونه من الناس خيارُهم. أفضلهم[4] عنده أعمّهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

وكان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلّا على ذكر، لا يوطِّن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا جلس إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك، يعطي كلّ جلسائه بنصيبه، لا يحسب جليسه أنّ أحدا أكرم عليه منه. مَن جالسه أو قاومه في حاجة صابَرَه، ما يفارق يده حتى يكون هو المنصرف، ومن سأله في حاجة لم يردّه إلّا بها أو ميسور من القول.

قد وسع الناسُ منهم بَسْطَهُ وخُلُقَه، فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحقّ سواء، مجلسه مجلس حلمٍ وحياءٍ وصبرٍ وأمانة. لا تُرفع عنده الأصوات، ولا تُؤبَن فيه الحُرَم، ولا تُنَثى فلتاتُه[5]، معادلين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقّرون الكبير ويرحمون الصغير، ويؤثرون ذوي الحاجة ويحفظون الغريب.

وكان ﷺ دائم البِشر، سهل الخُلق، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مَدّاح، يتغافل عمّا لا يشتهي، ولا يؤيس منه[6] ولا يخيّب فيه.

قد ترك نفسه من ثلاث: المراء، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك الناس[7] من ثلاث: كان لا يذمّ أحدا، ولا يعيّره، ولا يطلب عورته.

ولا يتكلم إلّا فيما رجا ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنّما[8] على رءوسهم الطير، فإذا سكت تكلّموا، ولا يتنازعون عنده، إن تكلّم أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث

---

(١) في النسخ عدا هامش ي: لسان.

(٢) م: يعينهم.

(٣) أ، ر، ن: - ويصوبه.

(٤) ج، م، ي: وأفضلهم.

(٥) أي ليست له فلتات يمكن إذاعتها.

(٦) ج، م، ي: - منه.

(٧) النسخ عدا ج: نفسه.

(٨) ي: كأنهم.

أوّليتهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجّب مما يتعجّبون منه، ويصبر للغريب[1] على الجفوة في مسألته ومنطِقه، حتى إن كان أصحابه ليستجلبونهم، ويقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرشدوه، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه.

وكان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر. فأمّا تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأمّا تفكره ففيما يبقى ويفنى. وجُمِع له الحلم في الصبر، فكان لا يغضبه شيء، ولا يستفزّه. وجُمع له الحذر في أربع: أخذه بالحسنى ليُقتدى به، وتركه القبيح ليُنتهى[2] عنه، واجتهاده الرأي فيما أصلح أمّته، والقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة.

خدمه أنس بن مالك عشر سنين إلى أن توفاه الله، فما قال له لشيء فَعَلَه: لِمَ فَعلته؟ ولا لشيء لَم يفعله: لِمَ لَمْ تَفعله؟ ما عاب طعاما قط؛ كان إذا اشتهاه أكله، وإذا لم يشتهِه تركه. كان يقول في السرّاء: «الحمد لله المنعِم المفضِل»، وكان يقول في الضرّاء: «الحمد لله على كلّ حال». كان يذكر الله على كلّ أحيانه. كان يسلّم على العبيد والإماء والصبيان. كان يمازح الصغير، ويلاعب الوليد، ويمازح العُجز، ولا يقول إلّا حقّا. كان رءوفا، رحيما، ليّنا، هيّنا، شفيقا، رفيقا، لطيفا، سئوسا.

وهو ﷺ أجلُّ وأعظم من أن يحيط ناعتٌ بوصفه، ولكن ما وصفه مَن وصفه إلّا بقدر ما ظهر له منه ﷺ.

تفسير ما وقع في هذا الفصل من الغريب:

المشذّب: المفرِط في الطول، شَعرٌ رجل: الرَّجِل الذي ليس بالسَّبط، فإنّ السَّبط الذي لا تكسُّر فيه، والقطط: الشديد الجعودة، والعقيصة: الشعر المعقوص، وهو نحو من المظفور، وهي ظفيرتان تُضمّ إحداهما إلى[3] الأخرى شبه التكتيف، الزجج في الحواجب: أن يكون فيها تقوّس مع طول في أطرافها، وهو السبوغ فيها، والقَرَن: التقاء الحاجبين حتى تتّصلا، والبلج: ضد القرَن وهو أن لا يلتقي الحاجبان ويبقى بينهما بياض، وهو محبوب. والعرق الذي يدرّه الغضب: دروره غِلظه ونتوّه وامتلاؤه إذا غضب، والعرنين: الأنف، والقنا: أن يكون فيه دقّة مع ارتفاع في قصبته، يقال منه رجل أقنى، وامرأة قنواء، والأشم: أن يكون الأنف دقيقا لا قناء فيه، وكثاثة اللحية كثافتها من غير عظم ولا طول.

---

(١) ي: على الغريب.

(٢) أ، ر، م، ن، ي: ليتناهى.

(٣) ج، م، ي: - إلى.

والضليع الفم: الواسع الفم. قال أبو عبيد[1]: وأحسبه يعني حوّة في الشفتين، والأشنب: الذي في أسنانه رقّة وتحدّد، والمفلج: الذي في أسنانه تفرّق. والمسربة: الشعر الذي بين اللبّة إلى السرّة كالخط. والجِيد: العنق. والدُّمْيَة: صورة من رخام، وتجمع دمى. والكراديس: العظام، وقيل رءوس العظام. والزندان: العظمان اللذان في الساعدين المتصلان بالكفّين. والقصب: كلّ عظم ذي مخٍّ مثل الساقين والذراعين والعضدين. وسبوطهما: امتدادهما. والشثن في الكفين والقدمين: بعض غلظ، والأخمص من القدم في باطنها ما بين صدرها وعقبها، وهو الذي يلصق بالأرض من القدمين في الوطء، ومعنى قوله خمصان: يعني أنّ ذلك الموضع من قدميه، فيه تجافٍ عن الأرض وارتفاع مأخوذ من خموصة البطن وهو ضُمْرُهُ. والمسيح القدمين: يعني أنهما ملساوان ليس في ظهورهما تكسّر، ولهذا قال: ينبو عنه الماء، يقول: لا ثبات للماء عليها، وقوله: إذا خطا تكفّأ: يعني التمايل؛ مأخوذ من تكفؤ السفن. وقوله ذريع المشية: واسع الخطا، كأنما ينحطّ من صبب. يريد أنّه مقبل على ما بين يديه. وقوله: غضّ الطرف: خافض الطرف. وقوله: التفت جميعا[2]: يريد أنّه لا يلوي عنقه دون جسده، فإنّ فيه بعض الخفّة والطيش. والدمث: الليّن السهل. الإشاحة: الجدّ والحذر. والافتزار: أن يكشر الإنسان[3] ضاحكا من غير قهقهة. وحَبّ الغمام: البرَد شبَّه بياض أسنانه به. الروّاد: الطالبون، واحدهم رائد. والعتاد: العدّة، وقوله: لا يوطّن: لا يجعل لنفسه موضعا يُعرف، إنما يجلس حيث انتهى به المجلس. وقوله: لا تؤبّن فيه الحُرَم: لا توصف[4] فيه النساء. وقوله: لا تُنثى فلتاته: الفلتات السقطات، وتُنثى يُتحدّث بها، فيقال: نثوت أنثو، والاسم منه النثاء، ومنه قول امرئ القيس:

ولو عن نثاء غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد

والأمهق: الشديد البياض الذي يضرب بياضه إلى الشهبة. والأزهر: هو الأبيض الناصع البياض. والصَّلْت: المستوي. والفنيكان: مواضع الطعام حول العنفقة. والكتَد: مجتمع الكتفين.

أسماؤه ﷺ:

محمد، وأحمد، وقاسم، والعاقب، والحاشر، والمقفّى، ونبيّ الرحمة، ونبيّ الملحمة، والبشير، والنذير، والسراج المنير، والعزيز، والرءوف، والرحيم، والخاتم، والماحي، ونبيّ التوبة، ونبيّ

(١) م، ن، ي: أبو عبيدة.
(٢) أ، ر: جمعا.
(٣) ج، م: الأسنان.
(٤) ج، م، ي: أي لا توصف.

الملاحم، والفاتح، والمتوكل، والشاهد، والحِرز، والداعي، وطه، ويس، والمختار[1].

خصائصه على الأنبياء عليهم السلام:

بُعِث إلى الناس كافة، وأحلّت له الغنائم، ونُصر بالرعب مسيرة شهر، وأوتي جوامع الكلم، وجُعلت له الأرض مسجدا، وجعل التراب له طُهورا، ما لم يجد الماء، وأعطي مفاتيح خزائن الأرض، وأعطي فاتحة الكتاب وخواتم[2] البقرة، وأعطي افتتاح الشفاعة.

بعوثه ﷺ إلى كسر الأصنام وإلى ذي الخلصة باليمن:

بعث جابر بن عبد الله إلى ذي الخلصة ليهدمها، وبعث خالد بن الوليد، إلى العزّى، وبعث إلى ذي الكفّين الطفيل بن عمرو الدوسي، فجعل يحرقه بالنار، ويقول:

يا ذا الكفّين لستُ من عبّادك

ميلادنا أقدم من ميلادك

أنا حششت النار في فؤادك

وكان ذو الكفّين صنما لعمرو بن حممة. وبعث سعد بن زيد[3] الأشهلي إلى مناة بالمشلّل، وبعث عمرو بن العاص إلى سواع صنم هذيل.

ركابه ﷺ ثلاثة:

كان له ثلاث نياق: الجدعاء، والعضباء، والقصواء.

أفراسه ﷺ ستة:

سَكَب، والمرتجز، وظَرِب، واللحيف، والوِرد، واليعسوب.

سيوفه ﷺ ستة:

ذو الفقار، والمخذم، والرسوب، والعضب، والبتّار، والحتف.

---

(١) ج، وهامش ي: + المزمل والمدثر.

(٢) ج، م، ي: وخواتيم.

(٣) النسخ عدا د: سعيد بن عمير.

أدراعه ﷺ ثلاثة:

الصعدية، وفضّة، وذات الفضول.

قسيّه ﷺ ثلاثة:

الروحاء، والصفراء، والبيضاء.

أرماحه ﷺ ثلاثة:

لم يسمِّهم لنا أحد ممن روينا عنه، وكان له ترس واحد لم يُسَمَّ لنا أيضا، وكان اسم بغلته: دلدل. واسم حماره: اليعفور. واسم جبّته: الدكناء. واسم عمامته: السحاب. واسم رايته: العُقاب. واسم لوائه: الحمد. واسم قصعته: الغرّاء. وكان يحملها أربعة رجال، فيها أربع حلق حديد، وقد نظمتُ أسماء ما ذكرته في أبيات لتنضبط لحافظها:

ذات الفضول وذو الفقار ودلدل والحمد واليعفور والدكناء
سكب ومرتجز وثمّ لحيفة والوِرد واليعسوب والجدعاء
ظَرِب وفضّة مثلها صغدية والعضب والبتّار والبيضاء
ثمّ الرسوب ومخذم والحتف لا تنساه والروحاء والصفراء
ثمّ السحاب مع العُقاب إليهما الناقة العضباء والقصواء
وإذا أراد بأن يمدّ سماطه قامت به وبصحبه الغرّاء
فمتاعه وسلاحه وركابه هذا الذي جاءت به الأنباء

ومنه قول القائل:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى

والذي رويناه من مآكله ومشاربه سيأتي بعد إن شاء الله بطرقه كما رويناه.

أسماء الغزوات التي قاتل فيها عليه السلام:

بدر، وأحد، والخندق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف. كذا قال ابن إسحق.

قدر ما بلغ صِداق رسولِ الله ﷺ من الدراهم، والدنانير، وغير ذلك:

مَن أصدقَها أربعمائة درهم: عائشة، وسودة، وزينب بنت جحش، وحفصة، وجويرية،

وقيل: قضى عنها كتابتها وجعل ذلك صداقها، وميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة. ومن أصدقها أربعمائة دينار: أم حبيبة، أصدقها النجاشي عن رسول الله ﷺ بالحبشة أربعمائة دينار. ومن أصدقها الإبل والأثاث: خديجة بنت خويلد أصدقها عشرين بكرة، وأمّ سلمة أصدقها فراشا حشوه ليف، وقدحا، وصحفة، ومحَشّة.

وأمّا صفيّة فجعل عتقها صداقها. وما بلغني مقدار صداق بقية نسائه.

من تولّى غسل رسول الله ﷺ لمّا مات:

عليّ بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وأحضروا أوس بن خولي أحد بني عوف بن الخزرج، فكان عليّ يسنده ويغسله، وكان العباس والفضل وقثم، يقلّبونه معه، وكان أسامة بن زيد وشقران يصبّان الماء عليه، وأنزله في قبره عليه السلام خمسة: عليّ بن أبي طالب، والعباس، والفضل، وقثم، أبناء العباس، وأوس بن خولي.

أكفانه عليه السلام:

كفّن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحوليّة، ليس فيها قميص ولا عمامة، قال ابن إسحق: ثوبان صُحاريّان[1]، وبُرْدٌ حَبِرَةٌ أُدْرِج فيها إدراجا.

نوّابه ﷺ الذين[2] استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزو، أو عمرة، أو حج:

أبو لبابة بشير بن عبد المنذر، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن أمّ مكتوم الأعمى، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن عبد الله بن أبي سلول الأنصاري، وسباع بن عرفطة، ونميلة بن عبد الله الليثي، وعويف بن أضبط الدؤلي، وأبو رهم كلثوم، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن حارثة، والسائب بن عثمان بن مظعون، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وسعد بن عبادة، وأبو دجانة الساعدي.

فأمّا أبو لبابة بشير بن عبد المنذر، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة السويق، وبني قينقاع، وهي غزوة بدر الكبرى، بعد ما كان قد استعمل ابن أمّ مكتوم، فردّ أبا لبابة من الروحاء.

---

(١) صحار: قرية باليمن نسب الثوب إليها، وقيل: هي من الصُّحرة، وهي حمرة خفية كالغُبرة. النهاية ٣/ ١٢. في النسخ: صحاريين.
(٢) ج، م، ي: الذي.

وأمّا عثمان بن عفان فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة ذي أمر، وغزوة ذات الرقاع، وقيل: إنما استعمل أبا ذر في ذات الرقاع.

وأمّا عبد الله بن أمّ مكتوم الأعمى، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة بحران، يريد قريشا، وغزوة أحد وغزوة بني النضير، وغزوة بني قريظة، وغزوة الرجيع، وغزوة ذي قرد، وغزوة بدر[1]، إلّا أنّه ﷺ بعث من الروحاء أبا لبابة إلى المدينة في غزوة بدر، استعمله عليها.

وأمّا أبو ذر الغفاري، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة ذات الرقاع، وغزوة بني المصطلق، وقيل: إنما استعمل عليها نميلة بن عبد الله الليثي.

وأمّا عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لميعاد أبي سفيان بن حرب.

وأمّا سباع بن عرفطة الغفاري، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة دومة الجندل، وفي استعماله عليها في غزوة تبوك وفي خروجه لحجة الوداع خلاف.

وأمّا نميلة بن عبد الله الليثي، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه للحديبية وخيبر، وفي استعماله في غزوة بني المصطلق خلاف.

وأمّا عويف بن الأضبط الدؤلي، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لعمرة القضاء.

وأمّا أبو رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة فتح مكة.

وأمّا محمد بن مسلمة الأنصاري، فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة تبوك، وفيه خلاف، فإنّ عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال: سباع بن عرفطة.

وأمّا زيد بن حارثة فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة كرز بن جابر، وهي بدر الأولى.

وأمّا السائب بن عثمان بن مظعون فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة بواط، يريد قريشا، وهي ناحية رضوى.

وأمّا أبو سلمة بن عبد الأسد، فاستعمله ﷺ على المدينة[2] في خروجه لغزوة العشيراء

---

(١) أ، ر، ن: البدر.

(٢) أ، ج، م: - على المدينة.

من بطن ينبع.

وأمّا سعد بن عبادة فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لغزوة الأبواء.

وأمّا أبو دجانة الساعدي فاستعمله ﷺ على المدينة في خروجه لحجة الوداع.

وأمّا نائبه بمكة فعتاب بن أسيد.

كتّابه عليه السلام:

عليّ، وعثمان، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ثمّ معاوية بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وحنظلة بن الربيع، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، أخو عثمان من الرضاعة. فهؤلاء كتّاب الوحي.

وكان الزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات. وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص النخل. وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات. وقد كان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك. وقد كتب له أبو بكر حين هاجر في الطريق رضي الله عن جميعهم.

أولاد هاشم بن عبد مناف بن قصي:

عبد المطلب، وأسد، وأبو صيفي، ونضلة. وبناته: الشفاء، وخالدة، وضعيفة، ورقيّة، وحيّة. فعبد المطلب، ورقيّة، لأمّ واحدة وهي سُلمى بنت عمرو النجارية، وأمّ أسد، قَيْلة[1] بنت عامر الخزاعية، وأبو صيفي وحيّة لأمّ واحدة، وهي هند بنت عمرو الخزرجيّة. ونضلة والشفاء لأمّ واحدة قضاعية. وخالدة وضعيفة لأمّ واحدة، وهي واقدة بنت أبي عدي المازنيّة.

أولاد عبد مناف بن قصي:

هاشم، وعبد شمس، والمطلب، وهم لأمّ واحدة، وهي عاتكة بنت مرّة. ونوفل بن عبد مناف أمّه واقدة بنت عمرو، مازنية، وأبو عمرو وريطة أمهما ثقفيّة، وتماضر وقلابة، وحيّة، وأمّ الأخثم، وأمّ سفيان، كلهنّ لأمّ واحدة، عاتكة بنت مرّة التي هي أمّ عبد شمس. وهاشم والمطلب أولاد عبد مناف.

أولاد قصي، واسمه زيد بن كلاب: عبد مناف، وعبد الدار، وعبد العزّى، وعبد،

(١) في النسخ: قبيلة.

وتخمر، وبرّة وأمهم حبّى بنت حليل الخزاعية.

ذكر حجة رسول الله ﷺ التي تسمّى حجة الوداع:

وفيها قال: «خذوا عنّي مناسككم». روينا من حديث الحميدي، قال: أنشدني أبو محمد عبد الله بن عثمان النحوي، بالمغرب لبعض أهل بلاد المغرب في التشوّق إلى مكة، ولم يسمّ قائلها، وقد كان أنشدنيها ابن هلال، وذكر قائلها وأُنسيته:

يحِنُّ إلى أرض الحجاز فؤادي ... ويحدو اشتياقا نحو مكة حادي
ولي أمل ما زال يسمو بهمّتي ... إلى البلدة الغرّاء خير بلاد
بها كعبة الله التي طاف حولها ... عبادٌ هُمُ لله خير عباد
لأقضي حقّ الله في حج بيته ... بأصدق إيمان وأطيب زاد
أطوف كما طاف النبيّون حوله ... طواف قياد لا طواف عناد
وأستلم الركن اليماني تابعا ... لسنّة مهديّ وطاعة هادي
وأركع تلقاء المقام مصلّيا ... صلاة أُرَجّيها ليوم معاد
وأسعى سبوعا بين مروة والصفا ... أُهلّل ربّي تارة وأنادي
وآتي مِنى أقضي بها التفث الذي ... يتمّ به حجي وهدي رشادي
فيا ليتني شارفت أَجْبُلَ مكة ... فَبِتُّ بوادٍ عند أكرم وادي
ويا ليتني رويت من ماء زمزم ... صدى خلدٍ بين الجوانح صادي
ويا ليتني قد زرت قبر محمد ... فأشفي بتسليم عليه فؤادي

قال ابن هلال: أجبالُ مكة، وقال: صدى كبد، والسياق للحميدي.

ولمّا فتح الله مكة، حج بالناس سنة ثمان، عتّاب بن أسيد، وحج في سنة تسعٍ أبو بكر الصديق. ثمّ إنّ رسول الله ﷺ حج بالناس سنة عشرٍ على ما حدّثنا عبد الحقّ الأزدي الإشبيلي كتابة من بجاية.

وحدّثنا أبو الوليد جابر بن أبي أيّوب الحضرمي، مشافهة بمسجد المرادي[1] بإشبيلية، قال: ثنا أبو الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني قال: قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: لمّا أراد رسول الله ﷺ أن يحج، أعلم عليه السلام الناس أنّه حاج، ثمّ أمر بالخروج معه.

(١) ج، م، ي: الوادي.

فأصاب الناس بالمدينة جدري أو حصبة منعتْ من شاء الله أن تمنع من الحج معه[1]، فأعلم رسول الله ﷺ أنّ عمرةً في رمضان تعدل حجة. وخرج رسول الله ﷺ عامدا[2] إلى مكة، عام حجة[3] الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر عليه السلام إليها غيرها. فأخذ على طريق الشجرة، وذلك يوم الخميس لستّ بقين من ذي القعدة سنة عشر نهارا، بعد أن ترجّل وادّهن بعد أن صلّى الظهر بالمدينة، وصلّى[4] العصر من ذلك اليوم بذي الحليفة، وبات بذي الحليفة ليلة الجمعة، وطاف تلك الليلة على نسائه، ثمّ اغتسل، ثمّ صلّى بها الصبح، ثمّ طيّبته عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها بيديها بذريرة وبطيبٍ فيه مسك، ثمّ أحرم ولم يغسل الطيب، ثمّ لبّد رأسه، وقلّد بَدَنَتَهُ نعلين، وأشعرها في جانبها الأيمن، وسَلَتَ الدم عنها، وكانت هديَ تطوّع، وكان عليه السلام ساق الهدي مع نفسه، ثمّ ركب راحلته، وأهلّ حين انبعثت به من عند المسجد؛ مسجد ذي الحليفة، بالقِران بالعمرة والحج معا، وذلك قبل الظهر بيسير، وقال للناس بذي الحليفة: «من أراد منكم أن يهلّ بحجّ وعمرة فليفعل، ومن أراد أن يُهِلَّ بحجّ فليهِلّ، ومن أراد أن يُهِلَّ بعمرة فليهلّ».

وكان معه[5] عليه السلام من الناس جموع لا يحصيها إلّا خالقهم ورازقهم عزّ وجلّ، ثمّ لبّى رسول الله ﷺ فقال: «لبيك اللهمّ لبيك، لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

وقد روي أنّه عليه السلام زاد على ذلك فقال: «لبّيك إله الحقّ، وأتاه جبريل[6] عليه السلام، وأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية».

ووَلَدَتْ أسماء بنت عميس الخثعميّة، زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنه، محمد بن أبي بكر، فأمرها[7] رسول الله ﷺ أن تغتسل، وتستثفر[8] بثوب، وتحرم، وتهلّ، ثمّ نهض عليه السلام، وصلّى الظهر بالبيداء، واستهلّ هلال ذي الحجة ليلة الخميس؛ ليلة اليوم الثامن من يوم

---

(١) ج، م، ي: منه.
(٢) أ، ر، ن: عامرا.
(٣) أ، ر: الحجة.
(٤) ج، م، ي: فصلى.
(٥) أ، ر، ن: - معه.
(٦) أ، ر، ن: جبرئيل.
(٧) ج، م، ي: وأمرها.
(٨) ن، ي: وتستنفر.

خروجه من المدينة. فلمّا كان بسَرِف حاضت عائشة رضي الله عنها، وكانت قد أهلّت بعمرة، فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل، وتنقض رأسها، وتمتشط، وتترك العمرة، وتدعها وترفضها، ولم تحِلّ[1] منها، وتدخل على العمرة حجا، وتعمل جميع أعمال الحج، حاشى الطواف بالبيت ما لم تطهر، وقال عليه السلام وهو بِسَرِف للناس: «من لم يكن معه هدي فلا» فمنهم من جعلها عمرة كما أبيح له، ومنهم من تمادى على نيّة الحج ولم يجعلها عمرة، وهذا فيمن لا هدي معه، وأمّا من معه الهدي فلم يجعلها عمرة أصلا.

وأمر عليه السلام في بعض طريقه ذلك كلّ من[2] معه هدي أن يهلّ بالقِران، بالحج والعمرة معا. ثمّ نهض عليه السلام إلى أن نزل بذي طوى، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون لذي الحجة، وصلّى الصبح، ودخل مكة نهارا، من أعلاها، من كَدَاءٍ، من الثنيّة العليا، صبيحة يوم الأحد المذكور المؤرّخ، واستلم الحجر الأسود، وطاف ﷺ بالكعبة سبعا؛ رمل ثلاثا منها ومشى أربعا، يستلم الحجر الأسود والركن اليماني في كلّ طوفة، ولا يمسّ الركنين الآخرين اللذين في الحِجر، وقال بينهما: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3].

ثمّ صلّى عند مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين، يقرأ فيهما مع أمّ القرآن: قل يا أيّها الكافرون، وقل هو الله أحد، جعل المقام بينه وبين الكعبة، وقرأ عليه السلام إذ أتى المقام قبل أن يركع: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[4] ثمّ رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثمّ خرج إلى الصفا فقرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[5] أبدأ بما بدأ الله به، فطاف بين الصفا والمروة أيضا، راكبا سبعا على بعيره، يخبُّ ثلاثا ويمشي أربعا، إذا رقى على الصفا، استقبل القبلة، ونظر إلى البيت، ووحّد الله وكبّره، وقال: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، لا إله إلّا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثمّ يدعو، ثمّ يفعل على المروة مثل ذلك. فلمّا أكمل[6] عليه السلام الطواف والسعي، أمر كلّ من لا هدي معه، بالإحلال حتما ولا بدّ، قارنا كان أو مفرِدًا، وأن يحلّوا

(١) ج، م، ومتن ي: تدخل.
(٢) ج، م، ي: + كان.
(٣) [البقرة: ٢٠١]
(٤) [البقرة: ١٢٥]
(٥) [البقرة: ١٥٨]
(٦) ج، م، ي: كمل.

الحلّ كلّه، من وطء النساء والطيب والمخيط، وأن يبقوا على ذلك[1] إلى يوم التروية، وهو[2] يوم منى، فيهلّوا حينئذ بالحج، ويحرموا حين ذلك عند نهوضهم إلى منى، وأمر مَن معه الهدي بالبقاء على إحرامهم، وقال لهم عليه السلام حينئذ إذ تردّد بعضهم: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقتُ الهدي حتى أشتريه، ولجعلتها عمرة، ولأحللتُ كما أحللتم، ولكنّني سقت الهدي فلا أحِلّ حتى أنحر الهدي».

وكان أبو بكر، وعمر، وطلحة، والزبير، وعليّ، ورجال من أهل الوَفْرِ، ساقوا الهدي، فلم يحلّوا، وبقوا محرمين، كما بقي عليه السلام محرِما، لأنّه كان ساق الهدي مع نفسه، وكلّ أمهات المؤمنين لم يسقن هديا، فأحللن، وكنّ قارنات حجّا وعمرة، وكذلك فاطمة بنت النبيّ ﷺ، وأسماء بنت أبي بكر الصدّيق، أحلّتا، حاشى عائشة رضي الله عنها، فإنّها من أجل حيضها لم تُحِلّ، كما ذكرنا، وشكى عليّ فاطمة إلى النبيّ ﷺ إذ أحلّت، فصدّقها رسول الله ﷺ في أنّه هو أمرها بذلك، وحينئذ سأله سراقة بن مالك بن جَعشم الكناني، فقال: يا رسول الله؛ مُتعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ ولنا أم للأبد؟ فشبك عليه السلام بين أصابعه، وقال: بل للأبد الأبد، دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة. وأمر عليه السلام مَن جاء إلى الحج على غير الطريق التي أتى عليه السلام عليها، ممن أهل بإهلال كإهلاله عليه السلام، بأن يبنوا على أحوالهم؛ فمن ساق منهم الهدي لم يُحِلَّ، فكان عليٌّ في أهل هذه الصفة، ومن كان منهم لم يسق الهدي أن يُحِلَّ، فكان أبو موسى الأشعري من أهل هذه الصفة.

وأقام عليه السلام بمكة محرما، من أجل هديِهِ يوم الأحد المذكور، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء وليلة الخميس، ثمّ نهض ﷺ ضحوة يوم الخميس، وهو يوم منى، وهو يوم التروية مع الناس إلى منى، وفي ذلك الوقت أحرم بالحج من الأبطح كلُّ من كان أحلّ من أصحابه رضي الله عنهم فأحرموا في نهوضهم إلى منى في اليوم المذكور، فصلّى رسول الله ﷺ بمنى الظهر من يوم الخميس المذكور والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، وبات بها ليلة الجمعة، وصلّى بها الصبح من يوم الجمعة، ثمّ نهض عليه السلام بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور، إلى عرفة، بعد أن أمر عليه السلام بأن تُضرب له قبّة من شعر بنمِرة، فأتى عليه السلام عرفة ونزل في قبّته التي ذكرنا، حتى إذا زالت الشمس، أمر بناقته القَصواء، فرُحِلت له، ثمّ أتى بطن الوادي، فخطب الناس على

(١) أ، ر: كذلك.

(٢) ج، م، ي: هو.

راحلته خطبة، ذكر فيها عليه السلام تحريم الدماء، والأموال، والأعراض، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها، وأوّلُ ما وَضَعَ دمَ[1] ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضَعا في بني سعد بن بكر بن هوازن، فقتله هذيل، وذكر النسّابون أنّه كان صغيرا يحبو أمام البيوت، وكان اسمه آدم، فأصابه حجر عائر، أو سَهْمُ غَرْبٍ من يد رجل من بني هذيل فمات.

قال أبو محمد: ثمّ نرجع إلى وصف عمله عليه السلام: ووضع أيضا عليه السلام في خطبته بعرفة ربا الجاهلية، وأوّل ربا وضعه، ربا عمّه العباس، وأوصى بالنساء خيرا، وأباحهم ضربهنّ غير مبرّحٍ إن عصين بما[2] لا يحِلُّ، وقضى لهنّ بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهنّ. وأمر بالاعتصام بعده بكتاب الله عزّ وجلّ وأخبر[3] أنّه لا يضلّ من اعتصم به. وأشهَد الله عزّ وجلّ على الناس، أنّه قد بلّغهم ما يلزمهم، فاعترف الناس بذلك، وأمر عليه السلام أن يبلّغ ذلك الشاهدُ[4] الغائبَ.

وبعثتْ إليه أمُّ الفضل بنت الحارث الهلالية، وهي أمّ عبد الله بن العباس، لبنا في قدح فشربه عليه السلام أمام الناس، وهو على بعيره، فعلموا أنّه ﷺ لم يكن صائما في يومه ذلك. فلمّا أتمّ الخطبة المذكورة، أمر بلالا فأذّن، ثمّ أقام، فصلّى الظهر، ثمّ أقام فصلّى العصر، ولم يصلّ بينهما شيئا، لكن صلّاهما عليه السلام بالناس مجموعتين في وقت الظهر بأذان واحد لهما معا، بإقامتين؛ لكلّ صلاة منهما إقامة.

ثمّ ركب عليه السلام راحلته حتى أتى الموقف، فاستقبل القبلة، وجعل جبل المشاة بين يديه، فلم يزل واقفا للدعاء. وهنالك سقط رجل من المسلمين عن راحلته، وهو محرِم في جملة الحجيج، فمات، فأمر رسول الله ﷺ بأن يكفّن في ثوبيه، ولا يمسّ بطيبٍ، ولا يخمّر[5]، ولا يغطّى رأسه ولا وجهه، وأخبر عليه السلام أنّه يُبعث يوم القيامة ملبّيا.

وسأله قوم من أهل نجد هنالك عن الحج، فأعلمهم عليه السلام بوجوب الوقوف بعرفة، ووقت الوقوف بها، وأرسل إلى الناس أن يقفوا على مشاعرهم، فلم يزل واقفا للدعاء حتى غربت الشمس من يوم الجمعة المذكورة، وذهبت الصفرة.

---

(١) ر، م، ي: فدم.

(٢) أ: مما.

(٣) أ، ر، ن: فأخبر.

(٤) ج: + منهم. م، ي: + منكم.

(٥) ج، م، ي: مخيط.

أردف أسامة بن زيد خلفه، ودفع عليه السلام، وقد ضمّ زمام القَصواء ناقته حتى أنّ رأسها ليصيب طرف رَحْلِه، ثمّ مضى يسيرُ العَنَقَ، فإذا وجد فجوة نَصَّ، وكلاهما ضَرْبٌ من السير، والنصّ آكِدُهما، والفجوة: الفسحة من الناس، كلّما أتى ربوة من تلك الروابي، أرخى للناقة زمامها قليلا حتى تَصْعَدها، وهو عليه السلام يأمر الناس بالسكينة في السير[1]، فلمّا كان في الطريق عند الشِّعب الأيسر، نزل عليه السلام فيه فبال، وتوضأ وضوءا خفيفا، وقال لأسامة: «المصلّى أمامك» أو كلاما هذا معناه.

ثمّ ركب حتى أتى المزدلفة ليلة السبت العاشرة من ذي الحجة، فتوضّأ ثمّ صلّى بها المغرب والعشاء الآخرة، مجموعتين في وقت العشاء الآخرة دون خطبة، لكن بآذان واحد لهما معا، وبإقامتين، لكلّ صلاة منهما إقامة، ولم يصلّ بينهما شيئا. ثمّ اضطجع عليه السلام بها حتى طلع الفجر، فقام[2] عليه السلام وصلّى الفجر بالناس بمزدلفة يوم السبت المذكور، وهو يوم النحر، وهو يوم الأضحى، وهو يوم العيد، وهو يوم الحج الأكبر، مغلِّسا أوّل انصداع الفجر.

وهنالك سأله عروة بن مضرِّس الطائيّ، وقد ذكر له عليه السلام: أَلَهُ حج؟ فقال له عليه السلام: «إنّ من أدرك الصلاة -يعني صلاة الصبح- بمزدلفة في ذلك اليوم مع الناس، فقد أدرك الحج، وإلّا فلم يدرِك». واستأذنته سودة، وأمّ حبيبة في أن تدفعا من مزدلفة ليلا، فأذن لهما، ولأمّ سلمة في ذلك، وللنساء والضعفاء في ذلك، بعد وقوفِ جميعهم بمزدلفة، وذِكرهم اللهَ تعالى بها. إلّا أنّه عليه السلام أذِن للنساء في الرمي بليل، ولم يأذن للرجال في ذلك، لا[3] لضعفائهم، ولا لغير ضعفائهم، وكان ذلك اليوم يوم كونِه عند أمّ سلمة، فلمّا صلّى عليه السلام الصبح كما ذكرنا بمزدلفة، أتى المشعر الحرام بها، فاستقبل القبلة، فدعا اللهَ عز وجل، وكبَّرَ وهلّل ووحّد، ولم يزل واقفا حتى أسفر جِدًّا، وقبل أن تطلع الشمس.

فدفع عليه السلام حينئذ من مزدلفة، وقد أردف الفضل بن عباس، وانطلق أسامة على رجليه في سبّاق قريش، وهنالك سألت الخثعمية النبيّ صلى الله عليه وسلم أتحجُّ[4] عن أبيها الذي لا يطيق الحج، فأمرها بأن تحجّ عنه. وجعل عليه السلام يصرف بيده وجه الفضل بن عباس عن النظر إليها، وإلى النساء، وكان الفضلُ أبيضَ وسيما. وسأله أيضا عليه السلام رجل عن مثل ما سألت عنه الخثعمية،

---

(١) ج، م، ي: بالسكينة بالسير.

(٢) ج، م، ي: وقام.

(٣) في النسخ: ولا.

(٤) ج، م: الحج.

فأمره عليه السلام بذلك، ونهض عليه السلام يريد مِنى، فلمّا أتى بطن محسّر، حرّك ناقته قليلا، وسلك عليه السلام الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى منى، فأتى الجمرة التي عند الشجرة، وهي جمرة العقبة، فرماها عليه السلام من أسفلها بعد طلوع الشمس من اليوم المؤرّخ، بحصًى التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذي رمى فيه، مثل حصى الخَذْفِ، وأمره بمثلها، ونهى عن أكبر، وعن الغلوّ في الدين. فرماها عليه السلام وهو على راحلته بسبع حصيات كما ذكرنا، يكبّر مع كلّ حصاة منها.

وحينئذ قطع عليه السلام التلبية، ولم يزل يلبّي حتى رمى الجمرة التي ذكرنا، ورماها عليه السلام راكبا. وبلال، وأسامة، أحدهما يمسك خطام ناقته عليه السلام، والآخر يظلّه بثوبه من الحرّ. وخطب الناس عليه السلام في اليوم المذكور، وهو يوم النحر بمنى خطبة، كرّر أيضا فيها تحريم الدماء والأموال والأعراض والأبشار، وأعلمهم عليه السلام فيها بحرمة يوم النحر، وحرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قاد بكتاب الله عزّ وجلّ، وأمر الناس بأخذ مناسكهم فلعلّه لا يحجّ بعد عامه ذلك. وعلّمهم مناسكهم، وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم، وأمر أن لا يرجعوا بعده كفّارا، وأن لا يرجعوا بعده ضُلّالا، يضرب بعضهم رقاب بعض. وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أنّ رُبّ مبلّغ أوعى من سامع.

ثمّ انصرف عليه السلام إلى المنحر بمنى، فنحر ثلاثا وستين بدنة، ثمّ أمر عليّا، فنحر ما بقي منها مما كان عليٌّ أتى به من اليمن مع ما كان عليه السلام أتى به من المدينة، وكانت تمام المائة. ثمّ حلق عليه السلام رأسه المقدّس، وقسّم شعره، فأعطى من نصفه الناسَ الشعرة والشعرتين، وأعطى نصفه الثاني كلّه أبا طلحة الأنصاري، وضحّى عن نسائه بالبقر، وأهدى عمّن كان اعتمر منهنّ بقرة. وضحّى هو عليه السلام في ذلك اليوم بكبشين أملحين. وحلق بعض أصحابه وقصّر بعضهم. فدعا عليه السلام للمحلّقين ثلاثا، وللمقصّرين مرّة. وأمر عليه السلام أن يؤخذ من البدن التي ذكرنا، من كلّ بدنة بعضه، فجعلت في قِدر، وطبخت، فأكل عليه السلام هو وعليّ من لحمها، وشربا من مرقها، وكان عليه السلام قد أشرك عليّا فيها، ثمّ أمر عليّا بقسمة لحومها كلّها، وجلودها، وجلالها، وأن لا يعطى الجازر منها على جزارتها شيئا، وأعطاه عليه السلام الأجرة على ذلك من عند نفسه.

وأخبر الناس أنّ عرفة كلّها موقف، حاشى بطن عُرنة، وأنّ مزدلفة كلّها موقف، حاشى بطن محسّر، وأنّ منى كلّها منحر، وأنّ فجاج مكة كلّها منحر، ثمّ تطيّب عليه السلام قبل أن يطوف طواف الإفاضة، ولإحلاله قبل أن يحِلّ في يوم النحر، وهو يوم السبت المذكور،

طيّبته عائشة ﵂ بطيب فيه مسك بيديها[1]. ثمّ نهض ﵇ راكبا إلى مكة في يوم السبت المذكور نفسه، فطاف في يومه ذلك طواف الإفاضة، وهو طواف الصدر، قبل الظهر، وشرب من ماء زمزم بالدلو، ومن نبيذ السقاية، ثمّ رجع من يومه ذلك إلى منى، فصلّى بها الظهر.

هذا قول ابن عمر. وقالت عائشة وجابر: صلّى الظهر في ذلك اليوم بمكة، وهذا[2] هو الفصل الذي أشكل علينا الفصل فيه لصحّة الطُّرُق في كلّ ذلك، ولا شكّ أنّ في أحد الخبرين وهمًا، والثاني صحيح، قال أبو محمد: ولا ندري أيهما هو[3].

وطافت أمّ سلمة في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس وهي شاكية، استأذنت النبيّ ﷺ في ذلك فأذِن لها، وطافت أيضا عائشة ذلك اليوم، وفيه طهرت، وكانت ﵂ حائضا يوم عرفة، وطافت أيضا صفيّة في ذلك اليوم، وحاضت بعد ذلك ليلة النفر، ثمّ رجع ﵇ إلى منى.

وسئل ﵇ حينئذ عمّا تقدّم بعضه على بعض في الرمي، والحلق، والنحر، والإفاضة، فقال في كلّ ذلك: لا حرج. وكذلك قال أيضا في تقدّم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالكعبة، وأخبر ﵇ بأنّ الله تعالى أنزل لكلّ داء دواء إلّا الهرم، وعظّم إثم من افترص[4] عِرض مسلم ظلما. فأقام هنالك باقي يوم السبت، وليلة الأحد، ويوم الأحد، وليلة الإثنين ويوم الإثنين[5]، وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء[6]، وهذه هي أيّام منى، وهي أيّام التشريق؛ يرمي الجمار الثلاث كلّ يوم من هذه الأيام الثلاثة بعد الزوال، بسبع حصيات كلّ يوم، لكلّ جمرة، يبدأ بالدنيا، وهي التي تلي مسجد منى، ويقف أيضا عندها للدعاء طويلا، ثمّ التي تليها، وهي الوسطى، ويقف أيضا عندها للدعاء كذلك، ثمّ جمرة العقبة، ولا يقف عندها،

---

(١) ج، م، ي: بيدها.

(٢) ج، م، ي: هذا.

(٣) ن، وهامش أ: + " وأمّا أنا فأجوّز الجمع بين الخبرين؛ فصلّى الظهر بمكة ثمّ أتى منى فوجد الناس لم يصل فصلّى الظهر بهم أيضا فكانت نافلة له ﵇، فإنّ رسول الله ﷺ قد أجاز صلاة المتنفّل بالمفترض، فلم يبعد أن يكون الأمر على ذلك. ثم نرجع ونقول: قال أبو محمد".

(٤) افترص فلان ظلما: اقتطعه؛ أي تمكن بالوقيعة في عرضه.

(٥) ج، م، ي: ويومه.

(٦) ج، م، ي: ويومه.

ويكبّر[1] عليه السلام مع كلّ حصاة.

وخطب الناس أيضا يوم الأحد ثاني يوم النحر، وهو يوم الرءوس.

وقد روي أيضا أنّه عليه السلام خطبهم أيضا يوم الاثنين، وأوصى بذوي الأرحام خيرا. وأخبر عليه السلام أنّه لا تجني نفس على أخرى.

واستأذنه عمّه العباس في المبيت بمكة ليالي منى المذكورة، من أجل سقايته، فأذِن له عليه السلام، وأذِن للرّعاء أيضا في مثل ذلك.

ثمّ نهض عليه السلام بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء المؤرخ، وهو آخر أيّام التشريق، وهو الثالث عشر من ذي الحجة، وهو يوم النفر إلى المحصّب، وهو الأبطح، فضُرِب بها قبّته، ضربها أبو رافع مولاه، وكان على ثِقْلِه عليه السلام، وقد كان عليه السلام قال لأسامة أنّه ينزل غدا بالمحصّب خيف بني كنانة، وهو المكان الذي ضرب فيه أبو رافع قبّته، وفاقا من الله عزّ وجلّ، دون أن يأمره عليه السلام بذلك. وحاضت صفيّة ليلة النفر بعد أن أفاضت. فأُخبر بذلك النبيّ عليه السلام، فسأل: أفاضت يوم النحر؟ فقيل له: نعم. فأمرها أن تنفر. وحكم فيمن كانت حالها كحالها أيضا أن تنفر بذلك. وصلّى عليه السلام بالمحصّب الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء الآخرة، من ليلة الأربعاء المذكورة، ورقد رقدة.

ولمّا كان يوم النحر، ويوم النفر، رغبت إليه عائشة بعد أن طهرت أن يُعْمِرْها عمرةً مفردة، فأخبرها عليه السلام أنّها قد حلّت من عمرتها وحجتها، وأنّ طوافها يكفيها، ويجزيها لحجّها وعمرتها، فأبت إلّا أن تعتمر عمرة مفردة، فقال لها: ألم تكوني طفتِ ليالي قدمتِ؟ قالت لا. فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أخاها بأن يردفها، ويُعْمِرَها من التنعيم، ففعلا ذلك. وانتظرها النبيّ عليه السلام بأعلى مكة حتى انصرفتْ من عمرتها تلك، وقال لها: هذا مكان عمرتك. وأمر[2] الناس أن لا ينصرفوا حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت، ورخّص في ترك ذلك للحائض التي قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضتها.

ثمّ إنّه عليه السلام دخل مكة في الليل من ليلة الأربعاء المذكورة، فطاف بالبيت طواف الوداع، لم يرمل في شيء منه سحرا قبل صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور، ثمّ خرج من كُدَاء أسفل مكة من الثنيّة السفلى، والتقى بعائشة وهو ناهض إلى الطواف المذكور، وهي

---

(١) ج، م، ي: وكبّر.

(٢) أ، ن: فأمر.

راجعة من تلك العمرة التي ذكرنا، ثمّ رجع عليه السلام وأمر بالرحيل، ومضى عليه السلام من فوره ذلك راجعا إلى المدينة، وخرج من مكة من الثنيّة السفلى، فكانت مدّة إقامته عليه السلام بمكة منذ دخلها إلى أن خرج إلى منى، إلى عرفة، إلى مزدلفة، إلى منى، إلى المحصّب، إلى أن وجّه راجعا عشرة أيّام، فلمّا أتى ذا الحليفة، بات بها، ثمّ لمّا رأى المدينة، كبّر ثلاث مرّات، وقال: «لا إله إلّا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير. آيبون تائبون عابدون ساجدون، لربّنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ثمّ دخل عليه السلام المدينة نهارا من طريق المعرّس» والحمد لله ربّ العالمين.

انتهى حديث أبي محمد.

وروينا من حديث عطاء عن ابن عباس[1]، في هذه الحجة أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أخذ بحلقة باب الكعبة، ثمّ أقبل بوجهه على الناس، فقال: «يا معشر المسلمين؛ إنّ من أشراط القيامة إماتة الصلاة، واتّباع الشهوات، وتكون أمراء خونة، ووزراء فسقة! فوثب سلمان الفارسي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وإنّ هذا لكائن؟! قال: نعم يا سلمان، عندها يكون المنكر معروفا، والمعروف منكرا. قال: ويكون ذلك؟! قال: نعم يا سلمان، وعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء، مما[2] يرى ولا يستطيع أن يغيّره. قال: ويكون ذلك؟ قال: نعم يا سلمان، ويؤتمن الخائن ويخوَّن الأمين، ويُصدّق الكاذب ويكذّب الصادق. قال: ويكون ذلك؟ قال: نعم يا سلمان، إذا ولي الناس قوم، المؤمن بينهم يمشي بالمخافة، إن تكلم أكلوه، وإن سكت مات بغيظه. يا سلمان؛ ما قُدّست أمّة لا يُنتقَم من قويّها لضعيفها. قال: ويكون[3] ذلك؟ قال: نعم يا سلمان، عندها يكون المطر قيظا، والولد غيظا، وتفيض اللئام فيضا، وتغيظ الكرام غيظا. قال: ويكون ذلك؟ قال: نعم يا سلمان، عندها يعظّم ربّ المال، ويباع الدين بالدنيا، وتلتمس الدنيا بعمل الآخرة، واكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وتركب[4] ذوات الفروج السروج، فعليهم من أمّتي لعنة الله، يا سلمان، عندها يلي أمّتي قوم جثثهم جثث الناس، وقلوبهم قلوب الشياطين؛ إن تكلّموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم، لا يرحمون صغيرا، ولا يوقّرون كبيرا، يستأثرون تقيّهم، وتوطأ حُرمهم، ويجار في

(١) لم نعثر على هذا الحديث إلا مقدمته وجدناها في كتاب "روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار" ص ٥٥

(٢) ر، ن: بما.

(٣) م، ي: فيكون.

(٤) أ، م، ن، ي: ويركب.

حكمهم، عند ذلك، إمارة النساء، ومشاورة الإماء، ويعود الصبيان على الناس، وتكثر الشُّرَط، وتتحلّى ذكور أمّتي بالذهب، ويُتهاون[1] بالزنا، وتظهر القينات، ويُتغنّى بكتاب الله، وتتكلم الرويبضة. قلت: بأبي وأمّي أنت يا رسول الله، وما الرويبضة؟! قال: يتكلم في أمر العامة مَن لم يتكلم قبل. قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم يا سلمان، عندها تُزخرف المساجد، كما تزخرف الكنائس، والبِيَع، وتحلّى المصاحف بالذهب، وتطوّل المنابر، وتكثر الصفوف، والقلوب متباغضة، والألسن مختلفة، ويوالهم نفقة[2] على لسان من أعطى شُكِر، وإن مَنع كُفِر، قال: ويكون ذلك؟ قال: نعم يا سلمان، عند ذلك، يأتي سبايا من المشرق والمغرب، يَلَون[3] أمتي، فويل للضعفاء منهم، وويل لهم من الله، إن تكلموا قتلوا، وإن سكتوا قتلوا، موتٌ[4] على طاعة الله خير من حياة على معصيته. قال: ويكون ذلك؟ قال: نعم يا سلمان، عندها تشارك المرأة زوجها في أمره، يعقُّ الرجلُ والدَه، ويبرُّ صديقَه، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، علماؤهم شرّ من الجيفة. قال: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم يا سلمان، عندها تكون عبادتهم فيما بينهم، التلاوة لهؤلئك، يسمّون في ملكوت السماوات والأرض الأنجاس الأرجاس. قال: ويكون ذلك؟ قال: نعم يا سلمان، عند ذلك، يتّخذ كتاب الله مزامير، وتظهر القينات، ويُنبذ كتاب الله وراء ظهورهم، ويعطّلون الحدود، ويميتون سنّتي، ويحيون[5] البدعة، ولا يقام يومئذ بنصر الله، لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، عندها يُغار على الغلام كما يغار على الجارية، ويُخطب كما تخطب النساء، ويهيّأ كما تهيّأ المرأة[6]، عندها تقارب الأسواق. قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما تقارب الأسواق؟ قال: كلّ يقول لا أبيع ولا أشتري، ولا رازق غير الله، يا سلمان. عندها تَلِيهم الجبابرة، ويمنعون حقوقهم، ويملئون قلوبهم رعبا، فلا ترى إلّا خائفا مرعوبا، عند ذلك، يرفع الحج، فلا حج، يحجّ كبار الناس للّهو، وأوساط الناس للتجارة، وفقراء الناس للرياء والسمعة، قال: ويكون ذلك؟ قال: نعم يا سلمان». (الحديث) وسيأتي معناه في هذا الكتاب مستوفى

---

(١) أ، ر: وتهاون.

(٢) ر: بفقه. وحروفها المعجمة مهملة في أ.

(٣) ج، م، ي: يكون من.

(٤) ر، م، ي: موتا.

(٥) أ، ن: ويحبون.

(٦) أ: - عندها يُغار على الغلام كما يغار على الجارية، ويُخطب كما تخطب النساء، ويهيّأ كما تهيّأ المرأة.

من حديث الكناري.[1]

* * *

(١) انتهى السمر.

ذكر الخلفاء وتاريخ مدّتهم خاصة

(خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه):

فأوّلهم[1] أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وكان اسمه قبل الإسلام عبد ربّ الكعبة، فسمّاه عليه السلام عبد الله، وقال له عليه السلام: «أنت عتيق من النار» فكان يُدعى عتيقا، وقيل: سمّي عتيقا لجماله، كان أبو بكر الصديق يملك يوم أسلم، أربعين ألف درهم، وأسلم على يده من العشرة[2]: عثمان وطلحة والزبير وسعد وابن عوف.

ولمّا ولي الخلافة أصبح غاديا إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتّجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة، فقالا له: أين تريد؟ قال: السوق، قالا: ما تصنع؛ وقد وليت أمر المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قال: ففرضوا له كلّ يوم شطر شاة وماكسوه في الرأس والبطن. وكان أبوبكر يحلب للحيّ أغنامهم، فلمّا بويع قالت جارية من الحيّ: الآن لا تحلب لنا، فقال: بلى، لأحلبنّها لكم، وإنّي لأرجو أن لا يغيّرني ما دخلت فيه عن خُلُقٍ كنتُ فيه.

ولمّا ولي خطبَ الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: "أمّا بعد، أيّها الناس؛ قد وليت أمركم ولست بخيركم، وإنّ أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذ له بحقّه، وإنّ أضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ منه. أيّها الناس؛ إنما أنا متّبع ولست بمبتدع؛ فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن زغتُ فقوّموني".

وقد ذكرنا نسبه، وأمُّه أمّ الخير سلمى بنت صخر بن عامر، تجتمع مع زوجها في عامر، وهو أبو أبي قحافة، بويع في اليوم الذي قُبض فيه رسول الله ﷺ، وهو الثاني عشر من ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما، ومات ليلة الثلاثاء، وقيل يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة[3]، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

بويع في سقيفة بني ساعدة بن الخزرج، وكان أوّل من بايعه بشير بن سعد الأنصاري، ثمّ عمر بن الخطاب، ثمّ أبو[4] عبيدة بن الجراح، ثمّ سعد بن عبادة، ثمّ المهاجرون والأنصار،

---

(١) ج: + سيدنا.

(٢) العشرة المبشّرين بالجنة.

(٣) ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ تقابل يوم الثلاثاء.

(٤) أ، ر، ن: - أبو.

ولم نودع في كتابي هذا ممّا شجر بين الصحابة ﷺ خوفي[1] على النفوس الضعيفة، ولا مثلبة من مثالب أحد من الناس، والحمد لله على ذلك. وخاتَمُهُ، خاتَم رسول الله ﷺ، وكاتِبه عثمان بن عفان، وحاجبه مولاه شديد، وقاضيه عمر بن الخطاب.

خلافة عمر بن الخطاب ﷺ:

ذكرنا نسبه، وأمّه هي خيثمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولي سنة ثلاث عشرة، يوم مات أبو بكر، وقُبض سنة أربع وعشرين من الهجرة، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر إلّا يوم، ومات وهو ابن ستّ، وقيل خمس، وقيل ثلاث وستين سنة، مقتولا، طعنه أبو لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة، يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وبقي ثلاثة أيّام، وتوفّي لأربع بقين[2] من ذي الحجة[3]، وقيل: توفّي يوم الاثنين، وصلّى عليه صهيب بن سنان الرومي، ودفن في حجرة عائشة.

خاتَمُهُ: خاتَم رسول الله ﷺ. كاتِبه: عبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات، وزيد بن ثابت الأنصاري، وحاجِبه: مولاه برقى. وقيل: اسمه بشر. قاضيه: يزيد بن أخت الهمزة، وبالكوفة أبو أميّة شريح بن الحارث الكندي.

خلافة عثمان بن عفان ﷺ:

ذكرنا نسبه، وأمّه هي: أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. بويع بعد قتل عمر بثلاثة أيّام سنة أربع وعشرين، وقتل في تمام سنة خمس وثلاثين، في ذي الحجة يوم الجمعة لثمان بقين[4]، وقيل: يوم الأربعاء، وقيل: يوم الأضحى. وصلّى عليه ابن مطعم. كانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلّا يوم.

وكان عنده خاتَم رسول الله ﷺ، فلمّا سقط منه في البئر اتخذ خاتما من فضّة نقش عليه: "لتصبرنّ أو لتندمنّ". وقيل: نقش عليه: "آمنت بالذي خلق فسوّى". كاتِبه: مروان

---

(١) ج: خوفا.

(٢) أ، ر، ن: بقي.

(٣) ٢٦ ذو الحجة سنة ٢٣ تقابل يوم الأربعاء، وهو يتفق مع ما جاء في "الإنباء في تاريخ الخلفاء (ص: ٤٨)" بقوله: قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، سنة ثلاث وعشرين من الهجرة.

(٤) يبدو أن الصواب هو ما جاء في "الإنباء في تاريخ الخلفاء (ص: ٤٨)" أنه قتل في يوم الجمعة، ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. لاتفاق اليوم مع التاريخ إضافة إلى اتفاقه مع ما جاء عن الإمام علي بعد عدة أسطر من هنا أنه بويع يوم قتل عثمان في الثامن عشر من ذي الحجة عام ٣٥هـ.

بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة. وحاجبه: مولاه حمران بن أبان. مات وهو ابن سبع وثمانين سنة. قاضيه: كعب بن سور. صاحب شرطته: عبد الله بن قنفذ التميمي.

خلافة علي بن أبي طالب ﷺ:

ذكرنا نسبه الكريم، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم. بويع يوم قتل عثمان في الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقتل في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه سنة أربعين[1]، وقد بلغ سبعة وخمسين سنة. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

نقش خاتمه: "ربّي الله مخلصا". كاتِبه: سعيد بن نجران الهمداني، وعبد الله بن أبي رافع. وقاضيه: شريح بن الحارث. وحاجِبه: قنبر بن يزيد، مولاه. صلّى عليه الحسن[2].

خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب، صلوات الله عليهما:

وأمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. كانت مدّة خلافته خمسة أشهر وخمسة عشر يوما، نزل عن الخلافة اختيارا، رغبةً في أن يصلح الله بذلك بين الفئتين من المسلمين، كما أخبر ﷺ.

كان نقشُ خاتمه: العزّة لله ﷻ وحده. وكاتِبه: عبد الله بن أبي رافع. وُلِد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام يوم أُحُد سنة ثلاث من الهجرة، والنبيّ ﷺ في القتال. ومات الحسن يوم الأحد لعشر خلون من المحرم سنة خمس وأربعين من الهجرة[3].

خلافة معاوية بن أبي سفيان:

صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، هنا يلتقي برسول الله ﷺ. وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، بويع له في الخامس والعشرين من ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين بعد صلح الحسن بن علي صلوات الله عليهما.

---

(١) ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ يقابل يوم الأحد.

(٢) هو الحسن بن علي بن أبي طالب.

(٣) ١٠ محرم ٤٥ يقابل يوم الأربعاء وليس يوم الأحد ولذلك سنتطرق إلى روايات أخرى. قال الواقدي وجماعة: توفي سنة تسع وأربعين. زاد بعضهم: في ربيع الأول. وقيل: مات سنة خمسين، قاله المدائني وجماعة، وهما قولان مشهوران، وغلط من قال: سنة إحدى وخمسين. وأفحش في الغلط من قال: سنة ست وخمسين، أو سنة ثمان وخمسين، أو سنة تسع وخمسين. [تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٠١/٢]. وفي تهذيب الأسماء واللغات (١/ ١٥٨): ولد في نصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة. روى عن النبي ﷺ أحاديث، وروت عنه عائشة، رضى الله عنها. وروى عنه جماعات من التابعين، منهم ابنه الحسن بن الحسن، وأبو الحواري، بالحاء المهملة، ربيعة بن سنان، والشعبي، وأبو وائل، وابن سيرين، وآخرون. توفى بالمدينة مسمومًا سنة تسع وأربعين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين.

نقشُ خاتمه: "ربّ اغفر لي". كاتِبه: عبد الله بن أوس الغسّاني. حاجِبه: مولاه زياد بن نوف. قاضِيه: فضالة بن عبيد الأنصاري. مات وصلّى عليه ابنه يزيد. وقيل: الضحاك بن قيس. ودُفن بدمشق بين باب الجابية وباب الصغير، في رجب سنة ستين من الهجرة. وقد بلغ ثمانية وسبعين سنة وتسعة أشهر إلّا يوما واحدا. وكان قبل خلافته[1] أمير الشام أكثر من عشرين سنة.

خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

وأمّه ميسون بنت بحدل بن أنيف، من بني جناب من كلب بن وبرة، من حمير، بويع يوم مات أبوه باستخلافه له.

خاتمه من فضّة، نقشُه: "ربّنا الله". كاتِبه: عمرو بن سعيد[2] الأشدق. حاجِبه: مولاه صفوان. وقيل: خالد مولاه. مات بذات الجنب بحوران، وحُمِل إلى دمشق، وصلّى عليه أخوه خالد، ودُفن في مقبرة باب الصغير، وقد بلغ سبعا وثلاثين سنة. وكانت خلافته ثلاث سنين واثني عشر يوما، فولي سنة ستين، ومات سنة أربع وستين، وصلّى عليه ابنه معاوية. قاضيه: أبو إدريس الخولاني.

خلافة أبي ليلى، معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان:

وأمّه أمّ خالد بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف. بويع يوم مات أبوه يزيد باستخلافه له.

نقشُ خاتمه: "الدنيا غرور". كاتِبه: الريّان بن مسلم. حاجِبه: مولاه مسلم بن عتاب.

كان زاهدا في الدنيا، راغبا في الآخرة. نظر إلى الأمر، فإذا ليس يصلحه إلّا السيف؛ فجمع الناس، وخطبهم على منبر دمشق، فقال: معاشر الناس؛ إنّي قد نظرت في أمركم، وقد ضعفتُ عن القيام لكم، وخلعتُ نفسي من الخلافة، فاختاروا لأنفسكم. ونزل ودخل بيته. فاجتمعت إليه بنو أميّة، فقالوا له: اعهد إلى من تريد. فقال: لا أزدرد مرارتها، وتكون لبني أميّة حلاوتها. فأغلق بابه، ومات بعد أيّام، وقد بلغ إحدى وعشرين سنة، وصلّى عليه أخوه عبد الرحمن، ودفن خارج باب الجابية. وقيل: صلّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان. فلمّا كبّر تكبيرتين، مات قبل أن يقضي صلاته، فصلّى عليه مروان بن الحكم. ودُفن الوليد بجنب

(١) أ، ر: الخلافة.

(٢) أ، ر، ن: سعد.

معاوية بن يزيد. فكانت خلافته ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوما. وتمثّل مروان بن الحكم على قبره ببيت:

إنّي أرى فتنة تغلي مَراجلها والمُلك بعد أبي ليلى لمن غلبا

فظهر أبو أنيس الضحاك بن قيس الفهري، ودعا الناس إلى بيعته، فخرج إليه مروان بن الحكم في بني أميّة، فقتله بمرج راهط.

خلافة مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف:

وأمّه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أميّة بن محرّف[1] الكناني، بويع له بالخلافة في رجب سنة أربع وستين. واجتمعت عليه الأمّة إلّا عبد الله بن الزبير، فإنّه كان بمكة يدعى له بالخلافة.

نقش مروان خاتمه: "ثقتي ورجائي الله". حاجِبه: أبو سهل الأسود. كاتِبه: سفيان الأحول. صاحب شرطته: يحيى بن بشر الغسّاني. قاضيه: أبو إدريس الخولاني. مات مطعونا[2]، فصلّى عليه ابنه عبد الملك، ودُفن بدمشق خارج باب الجابية، وقد بلغ ثلاثا وستين سنة. كانت خلافته عشرة أشهر إلّا يوما.

خلافة أبي الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم:

وأمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة، وتُعرف بالبيضاء. بويع يوم مات أبوه مروان باستخلافه له.

نقشُ خاتمه: "آمنت بالله مخلصا". قاضيه: أبو إدريس الخولاني. كاتِبه: رَوح بن زِنباع، ثمّ قبيصة بن ذؤيب الخزاعي. حاجِبه: مولاه أبو يوسف يعقوب. وصاحب شرطته: كعب بن خويلد القيسي[3]. ومات بدمشق، وقد بلغ إحدى وستين سنة، وقيل: سبعا[4] وخمسين. وصلّى عليه ابنه الوليد، ودُفن بين باب الجابية وباب الصغير. وكانت خلافته إلى أن قتل عبد الله بن الزبير، سبع سنين وثمانية أشهر وتسعة عشر يوما. وبعد قتل عبد الله بن الزبير، ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وثمانية وعشرين يوما، يكون جميعها إحدى وعشرين سنة وسبعة عشر يوما. وولي سنة أربع وستين، ومات سنة خمس وثمانين.

---

(١) أ، ر، ن: مخرف.

(٢) أي أنه مات بمرض الطاعون.

(٣) أ، ن: والقيسي.

(٤) في النسخ: سبع.

(خلافة عبد الله بن الزبير رحمه الله):

وأمّا عبد الله بن الزبير فبويع بمكة في رجب سنة أربع وستين، وقتل للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين، فكانت مدته، من وقت بويع إلى أن قتله الحجاج، ثمان سنين وأحد عشر شهرا، وسبعة أيّام.

خلافة أبي العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان:

وأمّه ولّادة بنت العباس بن جزي[1] العبسي، بويع يوم مات أبوه. نقشُ خاتمه: "ربّي الله لا أشرك به شيئا". وقيل: "يا وليد؛ إنّك ميت ومحاسَب". حاجِبه: مولاه سعيد، والقعقاع بن خويلد العبسي. مات بدير حرّان، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز، ودفن بباب الصغير. وكان موته سنة ست وتسعين، وبويع سنة خمس وثمانين، فكانت مدّة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر ونصف. وبلغ سِنّه تسعة وأربعين عاما. كتّابه: ابن شريك، ثمّ قبيصة بن ذؤيب، ثمّ الضحاك بن رمل، ثمّ يزيد بن أبي كبشة، ثمّ عبدالله بن بلال.

خلافة أبي أيوب، سليمان بن عبد الملك بن مروان:

وأمّه ولّادة بنت العباس بن جزي العبسي، أمّ الوليد، بويع بالرملة بعد موت أخيه الوليد بثلاثة أيّام. نقشُ خاتمه: "آمنت بالله وحده". حاجِبه: أبو عبيدة. كاتِبه: سليمان بن نعيم بن سلامة، ويزيد بن المهلّب، والفضل بن المهلّب، وعبد العزيز بن الحارث بن الحكم. صاحب شرطته: كعب بن خويلد القيسي. مات بدابق من ذات الجَنْب، وصلّى عليه عمر بن عبدالعزيز، وقد بلغ خمسا وأربعين سنة. كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيّام، وولي سنة ست وتسعين. ومات سنة تسع وتسعين. قاضيه: محمد بن حزم.

خلافة أبي حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم:

وأمّه أمّ عاصم قريبة بنت عاصم بن عمر الخطاب. بويع يوم مات سليمان بن عبد الملك بغير عهد كان له من عمّه عبد الملك ولا من سليمان، وإنما كان العهد ليزيد بن عبد الملك بعد سليمان. وكان يزيد غائبا في الوقت الذي توفّي فيه سليمان، فتقدّم سليمان قبل وفاته إلى محمد بن شهاب الزهري ومكحول ورجاء بن حيوة وجميع من حضره من أهل الشام، وقال: اختاروا رجلا يقوم بالأمر إلى أن يقدم أخي يزيد. فاختاروا عمر بن عبد العزيز. وقدِم يزيد

(١) أ: الحزن. ر، ن: حزن.

فأقرّه على الأمر، ورضي به، وبايعه، على أن يكون الخليفة من بعده. نقشُ خاتمه: "عمر يؤمن بالله مخلِصا". حاجِبه: مولاه حبشي قيس، ومزاحم. كاتِبه: الليث بن أبي روقية، ورجاء بن حيوة الكندي. صاحب شرطته: يزيد بن قيس السكسكي. مات بدير سمعان من أرض حمص. وقبره معروف من بين قبور خلفاء بني أميّة، هكذا قال الذهبي في تاريخه. وأمّا أنا فزرت قبره بدير النقيرة على فرسخ من المعرّة، وهو مشهور بذلك الموضع. كانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وبلغ من العمر تسعة وثلاثين سنة وشهرا. وكانت ولايته سنة ثمان وتسعين، ومات سنة مائة من الهجرة، وقيل سنة إحدى ومائة في رجب. قاضيه: عبد الله بن سعد الأيلي.

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان:

وأمّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية. نقشُ خاتمه: "قِني السيّئات يا عزيز". حاجِبه: مولاه خالد، ومولاه سعيد. كاتِبه: سلمة بن زياد. مات رحمه الله بأذرِعات[1] وهو خارج إلى بيت المقدس، ودفن فيها، وقد بلغ أربعين سنة، وكانت خلافته أربع سنين وشهرا وخمسة أيّام. وولي سنة إحدى ومائة. ومات عام خمس ومائة لخمس بقين من شعبان.

خلافة أبي الوليد، هشام بن عبد الملك بن مروان:

وأمّه أمّ إسماعيل بنت هشام بن إسماعيل المخزومي. بويع بمدينة الرصافة على الفرات بعد موت أخيه بأربعة أيّام. نقشُ خاتمه: الحكم لله. كاتِبه: مولاه سالم. وحاجبه: مولاه مجالد. وصاحب شُرَطِه: يزيد بن يعلى بن الجهم العبسي. بويع سنة خمس ومائة. ومات سنة خمس وعشرين ومائة بالرصافة، ودفن بها. وقد بلغ إحدى وستين سنة، فكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة أيّام. قاضيه: عمر بن صفوان الحجبي.

خلافة أبي العباس، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان:

وأمّه أمّ الحجاج، بنت محمد بن يوسف الثقفي. بويع يوم مات عمّه هشام بن عبد الملك. نقش خاتمه: "يا وليد احذر الموت". حاجِبه: قطري. وكاتِبه: يوسف بن مهرويه. وصاحب شُرَطِه: عبد الرحمن بن جميل الكلبي. قتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ديانة[2]، ودفن خارج باب الفراديس. وقد بلغ تسعا وثلاثين سنة. وكانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوما. ولي في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل في جمادى الآخرة سنة

(١) أذرِعات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمّان. معجم البلدان ١/١٣٠.
(٢) ديانة: تديّنا.

ست وعشرين ومائة.

خلافة أبي خالد، يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان:

ولد يزيد بن الوليد في الكعبة، ولم يولد في الكعبة خليفة غيره. وأمّه أمّ ولد، يقال لها طريفة، من بنات يزدجرد من كسرى. بويع قبل قتل الوليد بن يزيد. نقشُ خاتمه: "يا يزيد قم بالحقّ تُنصر". حاجبه: مولاه سلامة. وكاتِبه: بكر بن الشماخ، وهو صاحب شُرَطِه، وكاتِبه أيضا: ثابت بن سليمان. قاضيه: عثمان بن عمر بن موسى بن معمّر التيمي[1]. كانت خلافته ستة أشهر. ولي سنة ست وعشرين ومائة، ومات سنة سبع وعشرين ومائة[2]، وقد بلغ ستّا وأربعين سنة.

خلافة أبي إسحق، إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان:

وأمّه أم ولد يقال لها: نعمة. بويع يوم مات أخوه يزيد بن الوليد في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة. نقش خاتمه: "توكلت على الحيّ القيّوم". كاتِبه: إبراهيم بن أبي جمعة وغيره. وحاجِبه: مولاه وردان. قاضيه: عثمان بن عمر التيمي. خلع نفسه من الخلافة بعد أن قام شهرين وأربعة وعشرين يوما، وسلّم الأمر إلى مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. وهو آخر خلفاء بني أميّة.

خلافة أبي عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان بن الحكم:

وأمّه لبابة الكرديّة. نقشُ خاتمه: "اذكر الموت يا غافل". حاجِبه: مولاه سقلاب. وكاتِبه: عبد الحميد بن يحيى. وصاحب شُرَطِه: كوثر بن الأسود الغَنوي. بويع يوم الإثنين لأربع عشرة خلت من صفر سنة ستّ وعشرين ومائة، وهو الذي يقال له: مروان الجعدي. ويقال له: مروان الحمار، لأنّه كان يثبت في الحرب، ولا ينثني لشجاعته. قتل في الحرب يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ربيع الأوّل سنة ثنتين وثلاثين ومائة، وقد بلغ تسعا وستين سنة. وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وسبعة أيّام. قتله عامر بن إسماعيل المزني الذي كان على مقدمة صالح بن علي. وهو آخر خلفاء بني أميّة بهذه البلاد، أعني بلاد الشرق. قاضيه: عثمان بن عمر التيمي.

ولمّا انتقلت الخلافة إلى بني العباس[3] هرب عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس، وسمّي

---

(١) في النسخ: التميمي.

(٢) جاء في تاريخ الخلفاء (ص: ٢٢٢) أنه مات من عامه في سابع ذي الحجة. وهذا يتفق مع ما سيأتي في ذكر خلافة أخيه.

(٣) أ، ر، ن: + صلوات الله عليه.

الداخل لدخوله الأندلس. وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، فبايعه أهل الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة. وأقام واليا ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر. وتوفي غرّة جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين ومائة. وولي ابنه هشام سبع سنين وتسعة أشهر. ثمّ ولي الحكم بن هشام سبعا وعشرين سنة وشهرا وخمسة عشر يوما. ثمّ ولي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم أربعا وثلاثين سنة وأحد عشر شهرا. ثمّ ولي المنذر بن محمد سنةً وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما. ثمّ ولي أخوه عبد الله خمسا وعشرين سنة ونصف شهر. ثمّ ولي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، ويسمّى أمير المؤمنين، وكان من قبله يسمّون: بني الخلائف، ولم يزل واليا خمسين سنة. ثمّ ولي بعده ابنه الحكم بن عبد الرحمن خمس عشرة سنة وأشهرا. ثمّ ولي ابنه هشام تسعا وثلاثين سنة، إلى أن قتله ابن عمّه سليمان في سنة ثلاث وأربعمائة. ثمّ ولي سليمان ثلاث سنين، ومات في سنة ست وأربعمائة، وانحلّ نظام بني أميّة، وغلب على كلّ ناحية من الأندلس أميرها، وصار بعضها لرجل من ولد الحسن عليه السلام يلقب بالمأمون.

خلافة أبي العباس السفّاح:

واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وأمّه رَيطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الريّان الحارثي. بويع بالكوفة يوم الخميس بيعة الخاصة، ومن غد يوم الجمعة بيعة العامة، لثلاث عشرة خلت من ربيع الأوّل سنة ثنتين وثلاثين ومائة. نقشُ خاتمه: "الله ثقة عبد الله وبه يؤمن". حاجِبه: مولاه أبو غسّان. وزيره وكاتِبه: أبو الجهم. صاحب شُرَطِه: عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي. أصحاب مشورته: أخوه أبو جعفر المنصور، وأبو مسلم، وقحطبة بن شبيب، والحسن وحميد أبناء قحطبة على الحرب. مات بالجدري بالأنبار بمدينته التي بناها وسمّاها الهاشمية. وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة، وقد بلغ ثلاثا وثلاثين سنة. وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، عهد إلى أخيه أبي جعفر المنصور. وكان قاضيه: ابن أبي ليلى.

خلافة أبي جعفر المنصور:

واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. وأمّه سلامة بنت بشير البربرية. قدم من مكة إلى بغداد، وقد أُخذت له البيعة. نقشُ خاتمه: "اتّق الله فإنّك ترد فتعلم". حاجبه: عيسى بن نجيح. وزيره: سليمان بن مخلد الأهوازي. مات ببئر ميمون

خارج مكة محرِما، من وجع البطن. ودفن على باب شعب بالحجون، وقد بلغ أربعا وستين سنة، وكانت خلافته اثنين وعشرين سنة إلّا سبعة أيّام. وكانت بيعته سنة ست وثلاثين ومائة، ومات سنة ثمان وخمسين ومائة. وعهد إلى ابنه المهدي في السادس من ذي الحجة. وكان ولي في ذي الحجة.

خلافة المهدي، محمد بن أبي جعفر المنصور:

وأمّه أمّ موسى بنت منصور بن يزيد الحميري. بويع بعهد من أبيه له سنة ثمان وخمسين ومائة. ومات سنة تسع وستين ومائة في المحرّم، وصلّى عليه ولده الرشيد. وقد بلغ ثلاثا وأربعين سنة، وكانت ولايته عشر سنين وشهرا ونصف. نقشُ خاتمه: "حسبي الله". حاجبه: الربيع بن يونس. قاضيه: عبد الله بن علاقة، وعافية بن يزيد. كاتِبه: أبو الجهم، والفضل بن الربيع، وسلّام الأبرش.

خلافة أبي محمد، موسى الهادي بن محمد المهدي:

وأمّه الخيزران، مولدة جرش، وهي بنت عطاء مولى أبيه، وهي أمّ الخلفاء. بويع بعهد من أبيه سنة تسع وستين ومائة. ومات سنة سبعين ومائة. وقد بلغ خمسا وعشرين سنة، ونصف، وصلّى عليه أخوه هارون. فكانت خلافته سنة وشهرا وثلاثة وعشرين يوما. نقشُ خاتمه: "موسى يؤمن بالله". قاضيه بالجانب الغربي: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، وبالجانب الشرقي: سعيد بن عبد الرحمن الجمحي. حاجِبه: الفضل بن الربيع. كاتِبه ووزيره: إبراهيم بن المهدي، والربيع بن يونس، ثمّ عمر بن بزيع.

خلافة أبي جعفر، هارون الرشيد بن محمد المهدي:

وأمّه الخيزران. نقشُ خاتمه: "العظمة والقدرة لله ﷻ". وزيره: جعفر بن يحيى بن برمك. حاجبه: قيس بن ميمون، ثمّ حجبه محمد بن خالد بن برمك. بلغ عمره أربعا وأربعين سنة وخمسة أشهر، ولي سنة سبعين ومائة، وذلك ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة[1] خلت من ربيع الأوّل. وفي هذه الليلة ولد المأمون، وكان خليفة. وتوفّي موسى الهادي. ومات سنة ثلاث وتسعين ومائة، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة، وصلّى عليه ابنه صالح. وكانت خلافته بعد أخيه ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وثمانية أيّام. قضاته: نوح بن دراج، وحفص بن غياث، والحسين بن الحسن العوفي، وعون بن عبد الله المسعودي، ومحمد بن سماعة، وشريك بن

(١) ج، ن: - ليلة

عبد الله، وعلي بن حرملة.

خلافة أبي عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد:

وأمّه زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور. نقشُ خاتمه: "لكلّ عمل ثواب". حاجِبه: الفضل بن الربيع. وزيره: إبراهيم بن المهدي. قتله طاهر بن الحسين في قصة طويلة ببغداد، ودفن بها في سنة ثمان وتسعين ومائة، وقد بلغ سبعا وعشرين سنة. وكانت بيعته سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكانت خلافته أربع سنين وسبعة أشهر وثلاثة وعشرين يوما. قاضيه: إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، وأبو البختري وهب بن وهب، ومحمد بن سماعة. ولم يكن في الخلفاء مَن أمّه هاشمية سوى علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام والأمين.

خلافة أبي العباس، عبد الله المأمون بن هارون الرشيد:

وأمّه مراجل الباذغيسيّة. نقشُ خاتمه: "الموت حقّ". كاتِبه: أحمد بن أبي خالد الأحول، وأحمد بن يوسف. وزيره: الحسن بن سهل، والفضل بن سهل ذو الرئاستين[1]. حاجبه: مولاه رُشد. مات بطرسوس سنة ثمان عشرة ومائتين، وبويع سنة ثمان وتسعين ومائة[2]. بلغ عمره ثمانية وأربعين سنة. كانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وإحدى وعشرين يوما. قاضيه: محمد بن عمر الواقدي، ثمّ محمد بن عبد الرحمن المخزومي، ثمّ بشر بن الوليد، ثمّ يحيى بن أكثم.

خلافة أبي إسحق، محمد المعتصم بن هارون الرشيد:

أمّه ماردة بنت شبيب. نقشُ خاتمه: "سل الله يعطِك". وقيل: "الله ثقة أبي إسحق بن الرشيد وبه يؤمن". وحاجبه: مولاه وصيف التركي. ووزيره: الفضل بن مروان، وأحمد بن عمارة، ومحمد بن عبد الملك الزيّات. بويع سنة ثمان عشرة ومائتين، وبسرّ من رأى[3] مات بقصره الخاقاني ودفن بها سنة سبع وعشرين ومائتين، وقد بلغ ثمانية وأربعين سنة. وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر ويومين. قاضيه: شعيب بن سهل بن محمد بن سماعة، وعبد الله بن غالب، وأحمد بن أبي داءود الأيادي، قاضي القضاة، وجعفر بن عيسى من ولد الحسن البصري.

---

(١) أ، ر، ن: ذو رئاستين.

(٢) في النسخ: - ومائة.

(٣) هي سامراء.

خلافة أبي جعفر، هارون الواثق بن محمد المعتصم:

أمّه مولّدة، يقال لها قراطيس. نقشُ خاتمه: "لا إله إلّا الله محمد رسول الله". حاجبه: إيتاخ التركي، ثمّ وصيف مولاه، ثمّ أحمد بن عمار. قاضيه: أحمد بن أبي داءود. وزيره: محمد بن عبد الملك الزيات. بويع يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين ومائتين، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيّام، مات بِسُرّ مَن رأى وقد بلغ عمره ستّا وثلاثين سنة، وكان موته سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، بل لستٍّ بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين، وصلّى عليه أخوه المتوكل.

خلافة أبي الفضل، جعفر المتوكل بن محمد المعتصم:

وأمّه خوارزميّة، يقال لها: شجاع. نقشُ خاتمه: "المتوكل على الله". وزيره: عبيد الله بن يحيى بن خاقان، ومحمد بن عبد الملك الزيات، ومحمد بن الفضل الجرجاني. وقاضيه: يحيى بن أكثم، وجعفر بن محمد البرجمي، وجعفر بن عبد الله بن جعفر[1] بن سليمان العباسي. وحاجبه: زراقة، ووصيف، وغيره. قتل بِسُرّ مَن رأى ودُفن بها، وقد بلغ ثلاثا وأربعين سنة. وكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيّام[2]. بويع لستّ بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين. وقتل[3] ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين[4].

خلافة أبي جعفر، محمد المنتصر بن جعفر المتوكل:

وأمّه روميّة يقال لها: حبشية. نقشُ خاتمه: "محمد بن جعفر". مات بِسُرَّ مَن رأى بوجع ذات[5] الجنْب. وقد بلغ سنّه أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيّام. وكانت خلافته ستة أشهر ويومين. بويع يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، وتوفّي ليلة السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، وصلّى عليه المستعين. وقيل نقش خاتمه: "يؤتى الحذر من مأمنه". وقيل: "أنا من آل محمد، الله لي ومحمد". حاجبه: وصيف ومرزبان وغيره. وقاضيه: جعفر الهاشمي.

---

(١) ن: - بن جعفر.

(٢) في النسخ: + وقيل سنة ثمان.

(٣) في النسخ: - وقتل.

(٤) في النسخ: - سنة سبع وأربعين ومائتين.

(٥) أ، ر، ن: - ذات.

خلافة أبي العباس المستعين، أحمد بن محمد المعتصم:

وأمّه سقلابية يقال لها: مخارق. نقشُ خاتمه: "أحمد بن محمد". حاجبه: قامس. وكاتِبه: أحمد بن الخصيب. بلغ عمره سبعا وأربعين سنة. كانت خلافته ثلاث سنين وتسعة. بويع له يوم الإثنين لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين. خلع نفسه لأربع خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين. وفي هذه السنة قتل قاضيه أحمد بن أبي الشوارب، وقيل: محمد بن وزير الواسطي.

خلافة أبي عبد الله المعتز، الزبير بن جعفر المتوكل:

أمّه قبيحة. نقشُ خاتمه: "الزبير بن جعفر". حاجبه: صالح بن وصيف. وزيره: أحمد بن إسرائيل. قتله حاجِبه صالح بِسُرّ مَن رأى، وطرحه في دجلة، وقد بلغ سبعا وأربعين سنة. كانت خلافته: أربع سنين وستة أشهر ونصف. بويع له ببغداد سنة اثنين وخمسين ومائتين. قال بعضهم: ثمّ خلع نفسه مكرها لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين. واختلف في كيفيّة موته. قاضيه: الحسن بن محمد بن أبي الشوارب.

خلافة أبي جعفر المهتدي بن هارون الواثق:

أمّه أمّ ولد، يقال لها: قرب. نقشُ خاتمه: "المهتدي بالله يثق". جاجبه: صالح بن داءود. قتله خرتك التركي، وشرب دمه. ودفن بِسُرَّ مَن رأى، وقد بلغ اثنين وأربعين سنة[1]. وكانت خلافته سنة واحدة إلّا ثلاثة عشر يوما. بويع لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين. وحبس في رجب سنة ست وخمسين.

خلافة المعتمد أبي العباس، أحمد بن جعفر المتوكل:

وأمّه روميّة، يقال لها: فِتيان. وكان القيّم بأمر المملكة أخوه أبو أحمد طلحة الموفق. ووزيره: إسماعيل بن بلبل. حاجبه: خفيف السمرقندي. سقي شربة فمات، ودفن ببغداد، وقد بلغ اثنين وخمسين سنة. وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة ويومين. بويع لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وتوفي ببغداد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين. قاضيه: الحسن بن أبي الشوارب، ثمّ أخوه علي بن محمد.

---

(١) أ، ر، ن: - سنة.

خلافة أبي العباس أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل:

أمّه روميّة يقال لها: ضرار، ثمّ سمّاها الموفق: خفيرة[1]. وزيره: عبيد الله بن سليمان. وحاجبه: صالح الأمين. ونقشُ خاتمه: "توكّل تُكْفَ". صاحب شُرَطِه: مؤنس الفحل. بلغ عمره إحدى وأربعين سنة. وكانت خلافته تسع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيّام. وولي سنة ثمانين ومائتين، ومات سنة تسع وثمانين ومائتين.

خلافة أبي محمد، علي المكتفي بن أحمد المعتضد:

وأمّه روميّة، يقال لها: نسيج[2]. كان أمير الرقة، فأخذ له البيعة ببغداد القاسم بن عبد الله، وكتب إليه بذلك، فانحدر من الرقة. نقشُ خاتمه: "علي بن المعتضد". حاجِبه: مولاه سوسن، ووزيره: القاسم بن عبد الله. قاضيه: أبو حازم ثمّ يوسف بن يعقوب ثمّ أبو عمر ثمّ علي بن أبي الشوارب. مات وقد بلغ عمره ثلاثا وثلاثين سنة وعشرين يوما. كانت بيعته لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين، ومات سنة خمس وتسعين ومائتين، لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة. كانت خلافته ست سنين وستة أشهر وعشرين يوما.

خلافة أبي الفضل، جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد:

وأمّه روميّة يقال لها: شعب. نقشُ خاتمه: "جعفر يثق بالله". وزيره: العباس بن الحسن، واستوزر جماعة، منهم الفضل بن جعفر بن الفرات، المعروف بابن حنزابه. وحاجبه: نصر القشوري. قتله يونس الخادم مولاه خارج بغداد، ودفن ببغداد، وقد بلغ عمره سبعا وثلاثين سنة إلّا سبعة عشر يوما[3]، كانت بيعته في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وقتل في شوال سنة عشرين وثلاثمائة. سنّه يوم بويع: ثلاث عشرة سنة وشهران. قضاته جماعة منهم: يوسف بن يعقوب، وابنه أبو عمر محمد بن يوسف، وعبد الله بن أبي الشوارب، وغيرهم.

---

(١) "خفير" في بغية الطلب في أخبار حلب لابن العديم ٨٠٨/٢.

(٢) ذكرت المراجع أن اسمها جيجك (انظر على سبيل المثال: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حيان ٥٧٩/٢، والوافي بالوفيات للصفدي ١٨/٢٠). ن: تسبيح.

(٣) ج: +كانت خلافته خمسا وعشرين سنة إلّا سبعة عشر يوما..

خلافة أبي منصور، محمد القاهر بن أحمد المعتضد:

أمّه مولّدة، يقال لها: فتون[1]. وزيره: أحمد بن عبيد الله الخصيبي. وحاجبه: سلامة. نقشُ خاتمه: "يا أملي اختم بخيرٍ عملي". قُبض عليه، وكحل حتى عمي وخُلع من الخلافة، وقد بلغ عمره خمسا وثلاثين سنة. وكانت خلافته[2] سنة ونصف وثمانية أيّام. بويع له يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثمائة، وخلع لستّ خلون من جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة. قاضيه: عمر بن محمد بن يوسف. وكان من وزرائه أبو علي بن مقلة.

خلافة أبي العباس، محمد الراضي بن جعفر المقتدر:

أمّه روميّة، يقال لها: ظلوم. نقشُ خاتمه: "مُنّ عليّ بالرضا". وزيره: أبو علي محمد بن علي بن مقلة وجماعة غيره. وحاجبه: مولاه ذكي الرومي. وصاحب شُرَطِه: لؤلؤ. مات ودُفن ببغداد، وقد بلغ عمره ثلاثا وثلاثين سنة وعشرة أشهر، وكانت خلافته سبع سنين وعشرة أشهر وتسعة أيّام. بويع له يوم الأربعاء لستّ خلون من جمادى الأولى سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، وتوفّي ليلة السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. قاضيه: عمر بن محمد بن يوسف، وابنه يوسف بن عمر. وفي أيّام الراضي مات ابن مجاهد في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة خمس وأربعين ومائتين ‘.

خلافة أبي إسحق، إبراهيم المتقي بن جعفر المقتدر:

وأمّه روميّة، يقال لها: خلوب. بويع بعد أخيه الراضي بسبعة أيّام. نقشُ خاتمه: "كفى بالله معينا". وزيره: محمد بن أحمد بن ميمون، والقيّم بأمره سعيد بن شكلى. وحاجبه: سلامة أخو نُجح. قبض عليه توزون التركي، وكحل عينيه حتى عميا، وخلعه من الخلافة، وقد بلغ أربعا وثلاثين سنة، وكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهرا ويومين. وكان بويع له يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلاثمائة، وخلع يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وتوفّي في خلافة المطيع في شعبان سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وسنُّه إذ ذاك ستّون سنة. قاضيه: أبو نصر يوسف بن عمر وغيره.

---

(١) جاء في كتاب عش مع الخلفاء والملوك أن اسمها قبول.

(٢) ر، ن: - خلافته.

خلافة أبي القاسم، عبد الله المستكفي بن علي المكتفي:

وأمّه روميّة يقال لها: غصن. وزيره: أبو الفرج محمد بن علي السامري. وحاجبه: أحمد بن خاقان. نقشُ خاتمه: "عبد الله بن المكتفي". قبض عليه وكُحل حتى عمي، وخُلع من الخلافة وقد بلغ ستا وأربعين سنة، وكانت خلافته سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما. بويع له لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، وخُلع وسُمِلت عيناه في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ومات في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

خلافة أبي القاسم الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر:

بويع يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وأمّه سُقلابية يقال لها: مشغلة. نقشُ خاتمه: "بالله المطيع لله". وزيره: محمد بن يحيى بن شيرزاذ، والقيّم بأمر مملكته أبو الحسن أحمد بن بويه الديلمي معزّ الدولة الأقطع. ثمّ وزر له المهلّبي. وحاجبه: عبد الواحد بن عمرو الشرابي. ولي تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأحد عشر يوما، ثمّ فلج، فخلع نفسه غير مستكرَه، وولي ابنه الطائع لله، ومات لثمان ليال بقين من المحرم سنة أربع وستين وثلاثمائة، وله ثلاث وستون سنة. قاضيه: محمد بن الحسن بن أبي الشوارب، وغيره.

خلافة الطائع لله واسمه عبد الكريم ويكنّى أبا بكر:

بايعه أبوه المطيع بعد أن خلع نفسه غير مستكره يوم الأربعاء الثالث عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وقبض عليه بهاء الدولة، أبو نصر بن عضد الدولة يوم السبت لاثني عشرة ليلة خلت من شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وخلع نفسه بعد أن بويع للقادر. وكانت خلافته تسع عشرة سنة، وتسعة أشهر، وخمسة أيّام. ومات يوم الثلاثاء سلخ شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ودفن بالرصافة.

خلافة القادر بالله، واسمه أحمد بن إسحق بن جعفر المقتدر، ويكنّى أبا العباس:

وهو ابن عم الطائع، بويع يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ومات في الحادي عشر من ذي الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة، وله ستّ وثمانون سنة وأشهر. وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر.

خلافة القائم بأمر الله:

وهو ابن القادر، واسمه عبد الله بن أحمد بن إسحق بن جعفر المقتدر. وأمّه بدر الدجى.

ولد هذا عبد الله القائم يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة. بويع له بالخلافة في ذي الحجة سنة اثنين وعشرين وأربعمائة، وكان سنّه يومئذ إحدى وثلاثين سنة، وكان والده قد عهد له في حياته ولقّبه بالقائم وخطب له في ذلك في حياته. وتوفّي القائم يوم الخميس الثاني عشر، وقيل الثالث عشر من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة. وكانت خلافته أربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر.

خلافة المقتدي بن القائم:

واسمه المقتدي بأمر الله عبد الله بن محمد القائم بأمر الله، ويكنّى أبا القاسم. بويع له بالخلافة يوم الخميس ثالث عشر شعبان من سنة سبع وستين وأربعمائة، وله يومئذ تسع عشرة سنة، وكان والده أبو العباس بن القائم توفّي والمقتدي حمل[1]. توفّي المقتدي ببغداد في المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ليلة السبت، وكانت خلافته عشرين سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما.

خلافة المستظهر بن المقتدي، واسم المستظهر أحمد بن عبد الله:

ويكنّى أبا العباس. بويع له بالخلافة يوم الثلاثاء ثامن عشر محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة، بين الظهر والعصر، وصلّى بالناس الظهر، ثمّ صلّى على أبيه المقتدي. وكان سنّ المستظهر يوم بويع له ودفن أباه، ست عشرة سنة وشهرين وتسعة عشر يوما، لأنّ مولده كان يوم السبت العشرين من شوال سنة سبعين وأربعمائة.

خلافة المسترشد بالله واسمه الفضل بن أحمد، ويكنّى أبا منصور:

بويع له بالخلافة يوم الخميس رابع عشر من ربيع الأوّل سنة اثني عشر وخمسمائة، وكان له سبع وعشرون سنة، لأنّ مولده كان في ليلة الأربعاء رابع ربيع الأوّل سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ثمّ ولي بعده ابنه الراشد.

خلافة الراشد بالله ابن المسترشد:

واسمه منصور بن الفضل بن أحمد، ويكنّى أبا العباس. بويع له في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة. ثمّ ولي بعده عمّه المقتفي لأمر الله.

---

(١) بُويِعَ لَهُ بالخلافة يَوْم وَفَاة جدّه الْقَائِم بِأَمْر الله وَذَلِكَ أَنه لما افتصد استدعى ابْن ابْنه هَذَا عبد الله ولقبه الْمُقْتَدِي بِأَمْر الله كَمَا تقدم ذكر ذَلِك فَلَمَّا مَاتَ جدّه الْقَائِم بِأَمْر الله الْمَذْكُور بُويِعَ بالخلافة يَوْم وَفَاته بِحَضْرَة الإِمَام الْوَلِيّ الشهير أبي إِسْحَاق. (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٥٠٠/٣)

خلافة المقتفي لأمر الله:

واسمه محمد، ويكنّى أبا عبد الله، وهو عم الراشد. بويع له بالخلافة في يوم الأربعاء الثامن عشر من ذي القعدة من سنة ثلاثين وخمسمائة.

خلافة المستنجد بالله ابن المقتفي:

واسمه يوسف، ويكنّى أبا المظفر. بويع له[1] يوم الاثنين، ثالث ربيع الأوّل من سنة خمس وخمسين وخمسمائة. حدّثنا عبد الرحمن بن علي كتابة، قال: حدّثني أبو المظفر الوزير، قال: حدّثني أمير المؤمنين المستنجد بالله، قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، منذ خمس عشرة سنة، فقال لي: "يبقى أبوك في الخلافة خمس عشرة سنة"[2]، وكان كما قال. قلت: وفي زمان هذا الخليفة ولدت أنا بمرسية[3]، في دولة السلطان أبي عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش بالأندلس، فكنت أسمع الخطيب يوم الجمعة يخطب باسم المستنجد بالله. ثمّ ولي بعده المستضي ولده.

خلافة المستضي بالله ابن المستنجد:

واسمه الحسن بن يوسف بن محمد. بويع له البيعة العامة في يوم الأحد، تاسع ربيع الأوّل سنة ست وستين وخمسمائة، وخطب له السلطان بمرسية بالأندلس.

خلافة سيّدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله:

أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الإمام الحسن ابن الإمام يوسف ابن الإمام محمد. بويع في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة. ونحن اليوم في شوال سنة إحدى عشر وستمائة، أبقى الله عمر سيّدنا أمير المؤمنين، وكان قد عقد لولده أبي نصر محمد، ثمّ إنّه استقال منها، فأقاله أمير المؤمنين سيّدنا، وشهد على نفسه بالخلع من ولاية العهد لعجزه عنها، ونزع اسمه من الخطبة، وذلك سنة إحدى وستمائة. أخبرني بذلك الثقات وأنا بالموصل، ولم يبق له اسم في الخطبة بعد الخلع في جميع البلاد إلّا ببلاد يونان، فإنّه بقي ذكره بعد الخلع قريبا من سنة، لأنّه أبى السلطان كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود أن يزيل ذكره بالاستفاضة من غير أمر من الديوان النبوي! فلمّا أتى الأمر إليه أزال ذكره. والله يبقي عمر سيّدنا أمير المؤمنين ويؤيّده ويرشده لمصالح نفسه ومصالح خلقه ورعيّته، آمين

---

(١) أ، ر، ن: - له.

(٢) معنى هذا أن الرؤيا حدثت بعد عشر سنوات من خلافة المقتفي لأمر الله.

(٣) معلوم أن ميلاد الشيخ الأكبر في مرسية كان في عام ٥٦٠هـ.

بعزّته. وتوفّي في آخر شهر رمضان سنة اثنين وعشرين وستمائة.

(خلافة محمد الظاهر بأمر الله):

وولّى الله محمد الظاهر بأمر الله، الذي كان قد خلع نفسه، وتوفّي في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وكانت خلافته تسعة أشهر.

(خلافة المستنصر):

وولي بعده ابنه المستنصر أبو جعفر المنصور، ويُعرف بالقاضي، أدام الله بقاه، وهو الخليفة الآن.

* * *

وروينا من حديث الحميدي، عن محمد بن سلامة القضاعي، عن منصور بن النعمان، عن أبي مسلم الكاتب، عن محمد بن الحسن بن دريد، عن الحسن بن الخضر، عن رجل من أهل بغداد، عن المذكر أبي هشام، قال: أردتُ البصرة فجئت إلى سفينة أكتريها وفيها رجل ومعه جارية. فقال الرجل: ليس هاهنا موضع. فسألته الجارية أن يحملني، فحملني. فلمّا سرنا دعا الرجل بالغداء، ثمّ قال: أنزلوا ذلك الفقير ليتغدّى. فأُنزلت على أنّي مسكين، فلمّا تغدّينا، قال: يا جارية؛ هاتي شرابك، فشرب، وأمرَها أن تسقيني، فقلت: رحمك الله، إنّ للضيف حقًّا، فتركني. فلمّا دبّ فيه النبيذ، قال: يا جارية؛ هاتي العود، وهاتي ما عندك. فأخذتِ العود، ثمّ غنّت:

وكنّا كغصني بانةٍ ليس واحد ... يزول عن الخلّان عن رأي واحدِ
تبدّل لي خِلًّا فخاللتُ[1] غيره ... وخلّيتُه لمّا أراد تباعدي
فلو أنّ كفّي لم تُرِدني أبَنْتُها ... ولم يصطحبها بعد ذلك ساعدي
ألا قبّح الرحمنُ كلَّ مماذقٍ[2] ... يكون أخا في الخفض[3] لا في الشدائدِ

ثمّ التفتَ إليّ فقال: أتحسنُ مثل هذا؟ فقلت: أحسن خيرا منه، فقرأت: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[4] فجعل يبكي، فلمّا انتهيت إلى قوله:

---

(١) أ، ر، ن: فخاللت.

(٢) مماذق: غير مخلص، كاذب.

(٣) الخفض: الدعة، السعة.

(٤) [التكوير: ١ - ٣]

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[1] قال: يا جارية؛ اذهبي فأنتِ حرّة لوجه الله، وألقى ما معه من الشراب في الماء، وكسر العود، ثمّ دنا إليّ واعتنقني، وقال[2]: يا أخي؛ أترى الله يقبل توبتي؟ فقلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3] قال: فآخيته بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي، فرأيته في المنام، فقلت له: إلامَ صِرتَ بعدي؟ فقال: إلى الجنّة، فقلت: يا أخي؛ بمَ صرت إلى الجنّة؟ قال: بقراءتك عليّ: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

وذكر صاحب كتاب "أخبار الزمان"[4] أنّ أبا بكر لمّا توفّي غسلته زوجته أسماء بنت عميس، وصلّى عليه عمر رضي الله عنه، وحُمِل على سرير رسول الله ﷺ، وهو سرير عائشة، وكان من خشبتين ساجًا منسوجا باللِّيف، وبيع في ميراث عائشة بأربعة آلاف درهم، فاشتراه مولى لمعاوية، وجعله للمسلمين، ويقال إنّه بالمدينة. ودُفن (أبو بكر رضي الله عنه) في حجرة عائشة، ورأسه قبالة كتفي رسول الله ﷺ. وفي خلافته فُتِحت بصرى صلحًا، وهي أوّل مدينة فُتحت بالشام. ومات أبو قحافة بعد موت ابنه أبي بكر بسنة، وقيل: بسبعة أشهر، وذلك في سنة أربع عشرة، وسِنّه تسع وتسعون سنة[5]. ولم يَلِ الخلافة مَن أبوه حيٌّ غير أبي بكر ومَن ذكرناه في خلفاء بني العباس، ممن خلع نفسه لعذر، وولّى ابنه، كالمطيع لله.

ومن أولاد أبي بكر: عبد الله وأسماء، لأمّ واحدة وهي قبيلة[6] من بني عامر ابن لؤي، ومن أولاده أيضا: عبد الرحمن وعائشة لأمّ واحدة، وهي أمّ رومان. ومن أولاده: محمد وأمّه أسماء بنت عميس.

ذكر أهل التاريخ أنّ شريحا القاضي، أقام خمسا وسبعين سنة في القضاء إلى أيّام الحجاج، تعطّل منها ثلاث سنين، امتنع من الحكم زمان فِتَنِه. ولمّا ولي الحجاج الكوفة استعفاه فأعفاه. ومات سنة سبع وثمانين، وله مائة سنة، وقيل: مائة وعشرون سنة، وقيل: مات سنة تسع وسبعين.

ومات في خلافة عثمان، العباسُ بن عبد المطلب في سنة اثنين وثلاثين، وله ثمانون

---

(١) [التكوير: ١٠]

(٢) أ، ر، ن: فقال.

(٣) [البقرة: ٢٢٢]

(٤) هو المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦هـ).

(٥) المقصود هنا هو أبو قحافة. ج، م، ي: وسنّه تسعون سنة.

(٦) وقيل أن اسمها: قيلة بنت عبد العزى.

سنة. ويقال أنّه لم يُرَ بنو أبٍ أبعد قبورًا من بنيه: عبد الله بن عباس بالطائف، والفضل بالشام، وعبيد الله بالمدينة، وقثم بسمرقند، ومعبد بأفريقية.

ومات عبد الرحمن بن عوف في سنة واحدة مع العباس، وكان سنّ عبد الرحمن خمسا وسبعين سنة، وأوصى من ماله لكلّ رجل بقي من أهل بدر، بأربعمائة دينار، فكانوا يومئذ مائة رجل، وقسمت[1] تركته على ستة عشر سهما، فكان كلّ سهم ثمانين ألف دينار.

وكان لعلي بن أبي طالب ﵁ أربعة عشر ولدا ذكورا، وثمان عشرة إناثا، أعقب من أولاده: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس.

وكان لعمر بن الخطاب ﵁ من الأولاد: عبد الله وحفصة وعبيد الله وعاصم وفاطمة وزيد وأبو سحمة واسمه عبد الرحمن، وهو الذي حُدّ في الشرب فمات.

والذي حفظتُ من أولاد عثمان بن عفان[2] ﵁: عبد الله الأكبر وعبد الله الأصغر من رقيّة، وعمرو وأبان وخالد وعمر وسعيد والمغيرة وأم سعيد وأم أبان وعائشة وأم عمرو وغيرهم[3].

والمحفوظ لي من أولاد الحسن ﵁: زيد والحسن وعمر والحسين الأثرم والقاسم وأبو بكر وطلحة وعبد الله وعبد الرحمن وغيرهم.

وأولاد معاوية بن أبي سفيان: عبد الرحمن ويزيد وعبد الله وهند ورملة وصفية وعائشة.

وأولاد يزيد بن معاوية: معاوية وخالد وأبو سفيان وعبد الله الأكبر وعبد الرحمن الأصغر وعمير وعبد الرحمن وعتبة الأعور ويزيد ومحمد وأبو بكر وحرب وعبد الله أصغر الأصاغر وغيرهم. ولم يكن لمعاوية بن يزيد عقب.

وأولاد عبد الله بن الزبير: حمزة وعبد الله وحبيب وثابت وعباد وقيس وموسى وغيرهم.

وأولاد مروان بن الحكم: عبد الملك ومعاوية وأم عمر وعبيد الله وعبد الله وأبان وداءود وعبد العزيز وعبد الرحمن وأمّ عثمان وعمرة وأمّ عمرو وبشر ومحمد.

---

(١) ج، م، ي: قسمت.

(٢) أ، ر، ن: - بن عفان.

(٣) جاء في تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير لابن الجوزي ص ٧٨ أنه: "كَانَ لَهُ من الْوَلَد عبد الله من رقية وَعبد الله الْأَصْغَر أمه فَاخِتَة بنت غَزوَان وَعَمْرو وخَالِد وَأَبَان وَعمر وَمَرْيَم أمّهم أم عَمْرو بنت جُنْدُب من الأزد والوليد وَسَعِيد وَأم سعيد أمّهم فَاطِمَة بنت الْوَلِيد وَعبد الْملك أمه أم الْبَنِينَ بنت عُيَيْنَة بن حصن وَعَائِشَة وَأم أبان وَأم عَمْرو أمهن رَملَة بنت شيبَة بن ربيعَة وَمَرْيَم أمهَا نائلة بنت الفرافصة وَأم الْبَنِينَ بنت عُثْمَان أمهَا أم ولد".

وأولاد عبد الملك بن مروان: الوليد وسليمان ومروان الأكبر ويزيد ومروان ومعاوية وهشام وبكار والحكم وعبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد والحجاج وقبيصة.

وأولاد الوليد بن عبد الملك: يزيد وإبراهيم والعباس وعمر فحل بني مروان، وعمر وعبد العزيز وبشر وغيرهم.

موعظة الصدّيق:

حدّثنا يونس بن يحيى، عن محمد بن أبي منصور، عن حفص بن أحمد، عن الحسن بن علي عن أبي بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد. حدّثني أبي عن الوليد ين مسلم عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنّ أبا بكر الصديق كان يقول في خطبته: أين الوضاة[1] الحسنة وجوههم، المعجبون بشأنهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصّنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر، فأصبحوا في ظلمات القبور. الوحا الوحا[2]، النجا النجا.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا: حدّثنا إسحق بن إسماعيل، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب: حاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن توزَنوا، فإنّه أهون عليكم من الحساب غدا، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزيّنوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾[3].

وحدّثنا يوسف بن علي، عن أبي الحسن بن بشران قال: ثنا الحسين بن صفوان، حدّثنا أبو بكر القرشي، عن أبي نصر التمّار، عن بقيّة بن الوليد، عن إبراهيم بن أدهم، عن أبي[4] عبد الله الخراساني، قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من اتّقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

حدّثنا يونس، ثنا عبد الوهاب، أنبأ المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأ أحمد بن علي التوزي، قال: أخبرنا عمر بن ثابت، قال: أنبأ علي بن محمد بن أبي قيس، ثنا أبو بكر القرشي، عن عبد الرحمن بن صالح العتكي، عن يونس بن بكير، عن عنبسة بن أبي الأزهر، عن يحيى

---

(١) ج، م، ن: القضاة.

(٢) الوحا الوحا: البدار البدار، أي الإسراع.

(٣) [الحاقة: ١٨]

(٤) ج، م، ن: - أبي.

بن عقيل، قال: قال علي بن أبي طالب لعمر: إن أردت أن تلحق صاحبيك[1]، فأقصر الأمل، وكُلْ دون الشبع، وارقع[2] القميص، وانكس[3] الإزار، واخصف النعل، تلحق بهما.

وروينا من حديث أبي نعيم، قال: ثنا سليمان بن أحمد، قال: ثنا أبو يزيد القراطيسي، ثنا حجاج بن إبراهيم، عن مروان بن معاوية، عن محمد بن سوقة، قال: أتيت نعيم بن أبي هند، فأخرج إليّ صحيفة، فإذا فيها: من أبي عبيدة بن الجرّاح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب: سلام الله عليك، أمّا بعد؛ فإنّا عهدناك، وشأن نفسك لك مهمّ، فأصبحت وقد وليت أمرَ هذه الأمّة، أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والصديق والعدو، ولكلٍّ حصّته[4] من العدل؛ فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر! وإنّا نحذّرك يوما تعنو فيه الوجوه، وتجبّ[5] فيه القلوب، وتنقطع[6] فيه الحجج بحجّة ملكٍ قهرَهم بجبروته، والخلق داخرون[7]، يرجون رحمته ويخافون عقابه. وإنّا كنّا نحدّث أنّ أمر هذه الأمّة يسترجع في آخر زمانها، أن يكون إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنّا نعوذ بالله أن تنزل كتابنا منك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، فإنما كتبنا به نصيحة لك، والسلام عليك.

فكتب إليهما عمر: من عمر بن الخطاب إلى أبي[8] عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، سلام الله عليكما. أمّا بعد؛ فإنكما كتبتما إليّ تذكران أنّكما عهِدتماني وأمر نفسي لي مهمّ، وأنّي أصبحت قد[9] وليت أمر هذه الأمّة، وذكَر كلاما، ثمّ قال: فإنّه لا حول ولا قوّة عند ذلك لعمر إلّا بالله، وذكرتما أنّكما كتبتما نصيحة لي وقد صدقتما، فلا تدعا الكتاب إليّ فإنّه لا غِنى لي[10] عنكما، والسلام عليكما.

وروينا من حديث مالك، عن زيد[11] بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر إلى

---

(١) أ، ر، ن: صاحبك.
(٢) أ، ر، ي: وارفع.
(٣) انكسه: اقلبه. ج، م، ي: والبس.
(٤) ج، ي: حصة.
(٥) تجبّ: من الوجيب وهو رجفة القلب.
(٦) أ، ر، ن: وتتقطع.
(٧) داخرون: صاغرون.
(٨) أ، ر، م، ن، ي: - أبي.
(٩) ج، م: وقد.
(١٠) أ، ر، ن: بي.
(١١) ج، م، ي: يزيد.

السوق فلحِقَتْهُ أمرأةٌ شابة، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ هلك زوجي، وترك صِبيةً صغارا، واللهِ ما ينضجون كُراعا[1]، ولا لهم زرع ولا ضرع، وخشيت عليهم الطمع، وأنا ابنة خُفاف بن إيماء الغفاري[2]، وقد شهد أبي الحديبية مع النبي ﷺ. فوقف معها عمر ولم يمض، وقال: مرحبا بنسبٍ قريب. ثمّ انصرف إلى بعير كان مربوطا إلى الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما، وجعل بينهما نفقة وثيابا، ثمّ ناولها خطامه، وقال: اقتاديه، فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير.

وروينا من حديث أبي نعيم؛ ثنا محمد بن معمر، ثنا أبو شعيب الحرّاني، ثنا يحيى بن عبد الله، ثنا الأوزاعي، أنّ عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر، فدخل بيتا، ثمّ دخل بيتا آخر، فلمّا أصبح طلحة، ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنّه ليتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عنّي الأذى. فقال طلحة: ثكلتك أمّك طلحة، لِعثرات عمر تتبّع!

ومن مواعظ عثمان بن عفان ﷺ:

ما روينا من حديث أبي بكر بن أبي الدنيا، قال: كتب إليّ أبو عبد الله محمد بن خلف التيمي، قال: حدّثنا شعيب بن إبراهيم، عن سيف بن عمر، عن بدر بن عثمان، قال: آخر خطبة خطبها عثمان:

"إنّ الله إنما أعطاكم الدنيا، لتطلبوا بها الآخرة، لم يعطيكموها لتركنوا إليها. إنّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى، لا تبطركم الفانية، ولا تشغلنكم عن[3] الباقية. آثِرُوا ما يبقى على ما يفنى، فإنّ الدنيا منقطعة، وإنّ المصير إلى الله. اتّقوا الله؛ فإنّ تقواه جُنّة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصيروا أحداثا، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ...﴾[4] إلى آخر الآيتين. [5]

---

(١) الكراع: يد الشاه.

(٢) خُفاف بن إيماء الغفاري: سيّد قبيلة غفار حين أسلمت.

(٣) أ، ر، ن: - عن.

(٤) الآيتان هما: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٤]

(٥) : .

موعظة سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وزياد بن حنظلة لعمر بن الخطاب ﷺ:

حدّثنا يوسف بن علي، ثنا محمد بن الحسين، ثنا أبو الحسين بن النقور، أنبأ أبو طاهر المخلِّص، أنبأ أحمد بن عبد الله بن يوسف، أنبأ السري بن يحيى، أنبأ شعيب بن إبراهيم التيمي، أنبأ سيف بن عمر، عن زهرة، عن أبي سلمة، وعن عبد الله بن سعيد، قالا: وعظ سهيل بن عمرو، عمر بن الخطاب، فقال: يا عمر؛ إنّه من ابتلي بالسلطان فقد ابتلي ببلاء عظيم، وأيّ بلاء يا عمر أشدّ من بلاء يسلّط فيه لسان الوالي وفعله؛ فإن هو ذكّر لم يذكر، وإن غفل أُخذ بغفلته، وإن أذنب أسلمته ذنوبه إلى الموت الذي ليس منه فوت، وليس منه مرد، ولا بعده مستعتَب.

ووعظه الحارث بن هشام، فقال:

إنّ حقّا على كلّ مسلم النصيحة لك، والاجتهاد في أداء حقّك، ولهم عليك بمثل الذي لك لما أفضى الله ﷻ إليك من هذا الأمر العظيم الذي تولّيت من أمّة محمد ﷺ، أسودها وأحمرها. عليك بتقوى الله ﷻ في سرائرك وعلانيتك، والاعتصام بما شرع الله. واعلم أنّ كلّ راع مسئول عن رعيّته، وكلّ مؤتمن مسئول عن أمانته، والمحسن أحظى بالإحسان ممّن أحسن إليه. فاعتصِم بما تعرف من أمر الله ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

فأجابهما عمر ﷺ وقال: هداكما الله ﷻ وأعانكما وصحبكما، عليكما بتقوى الله في أمركما كلّه، فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[2].

قال: ووعظ زياد بن حنظلة عمر رضي الله عنهما فقال: يا أمير المؤمنين؛ احذر من إن أكرمته أهانك، وإن أهنته أكرمك. قال عمر: مَن هذا؟ قال: جسدك؛ إن أنت تابعت بطنك وبشرك فيما يريدان منك، فضَحَاك وأهاناك في الدنيا والآخرة، وإن أنت أهنتهما وعصيتهما وقويت عليهما، زاناك في الدنيا، وأنجياك في الآخرة.

موعظة عتبة بن غزوان، وكان من أهل بدر:

قال[3] خالد بن عمير: خطب عتبة بن غزوان، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

---

(١) [ص: ٢٦]

(٢) [النحل: ١٢٨]

(٣) أ، ر، م، ن، ي: - قال.

أمّا بعد؛ فإنّ الدنيا قد آذنت بصُرم[١]، وولّت حذاء[٢]، ولم يبق منها إلّا صُبابة[٣] كصُبابة الإناء يتصابّها[٤] صاحبها، وإنّكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما يحضركم، فإنّه قد ذكر لنا، أنّ الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاما ما يدرك لها قعرا. واللهِ لتملآنه، أفتعجّبتم![٥] والله لقد ذُكر لنا أنّ ما بين مصراعي الجنّة مسيرة أربعين عاما، وليأتينّ عليها[٦] كظيظ الزحام. ولقد رأيتُني، وأنا سابع سبعة مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعام إلّا ورق الشجر حتى قرحتْ أشداقنا. وأنّي التقطتُ بُردةً، فشققتها بيني وبين سعد، فأتزرَ بنصفها وأتزرتُ بنصفها، فما أصبح منّا اليوم أحدٌ حيًّا إلّا أصبح أميرا على مِصر من الأمصار. وإنّي أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما وعند الله صغيرا، فإنّها لم تكن نبوّة قط، إلّا تناسخت حتى تكون عاقبتها مُلكا، وستبلون أو ستجرّبون الأمراء بعدنا.

روينا(هـ) من حديث أحمد بن حنبل، عن بَهْز بن أسد، عن سليمان بن المغيرة، ثنا حميد يعني ابن هلال، عن خالد بن عمير. وهذا الحديث انفرد بإخراجه مسلم.

وروينا من حديث الحميدي، أنبأ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، أنبأ أبو محمد عبد الله بن ربيع، ثنا أبو علي إسماعيل بن القاسم، عن أبي بكر بن دريد، عن الحسن بن خضر، عن حماد بن إسحق الموصلي، قال: سمعت أبي يقول: قال رجل من العجم لملك كان في دهره: أوصيك بأربع خلال يرضى بهنّ ربّك، ويصلح[٧] بهنّ رعيّتك: لا يغرّنك ارتقاء[٨] السهل إذا كان المنحدر وعرا، ولا تعدن عدّة ليس في نيّتك[٩] وفاؤها، واعلم أنّ لله نقمات فكن على حذر، واعلم أنّ للأعمال جزاء فاتّق العواقب.

روينا أنّ بعض الملوك اتخذ كاتبا مجوسيًّا، ووزيرا نصرانيًّا، وحاجبا يهوديًّا، فأذلّوا

---

(١) بصرم: بانقطاع.

(٢) ولت حذاء: أي مسرعة. وفي النسخ: جدا.

(٣) الصبابة: البقية اليسيرة تبقى في الإناء من الشراب.

(٤) ج، م، ي: يقضي.

(٥) ج، م، ي: فتعجبتم.

(٦) أ، ر، ن: عليه.

(٧) ج، م، ي: ترضي بهن ربك، وتصلح.

(٨) ج، م، ي: المرتقى.

(٩) أ، ر، م، ن، ي: بيتك.

المسلمين، فوقفت لهم امرأة حسيبة[١] في نازلة فما رفعوها عنها وأهانوها، فتعرّضت للملك يوم ركوبه، فقالت له: أيّها الملك؛ سألتك بالذي أعزّ المجوسيّة بكاتبك، والنصرانيّة بوزيرك، واليهودية بحاجبك، وأذلّ الإسلام بك، إلّا ما نظرت في أمري! فتنبّه الملك، وسأل عن شأنها، وقضى حاجتها، وتاب إلى الله من فعله ذلك، واستعمل في تلك المناصب قوما من المسلمين، وأخرج[٢] هاؤلئك عنها. فجزاها الله من امرأة عن الإسلام خيرا.

وأخبرنا[٣] ناصر بن عبد الله بن عبد الرحمن العطّار المصري خبر قدوم هامة الجنّي على النبيّ ﷺ، قال: حدّثنا أبو محمد المبارك بن علي بن الحسين بن الطباخ، قال: ثنا السّديد أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقي، قال: ثنا جدّي أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، قال: ثنا أبو الحسين محمد بن الحسين[٤] بن داءود العلوي، أنبأ أبو نصر محمد بن حمدويه بن سهل الغازي المروزي، قال: ثنا عبد الله بن حمّاد الأملي، قال: ثنا محمد بن أبي معشر، تكلّم في ابن أبي معشر، وهو المدني، وقد روى عنه الكبار، قال: أخبرني أبي عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: قال عمر رضي الله عنه: بينا نحن قعود مع النبيّ ﷺ على جبل من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصى، فسلّم على النبيّ ﷺ، فردّ عليه السلام، ثمّ قال: نَغَمَةُ جِنٍّ وغَمغَمَتُهم، من أنت؟ قال: أنا هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس. قال النبيّ ﷺ: فما بينك وبين إبليس إلّا أبوان! فكم أتى لك من الدهور؟ قال: قد أفنيت الدنيا عمرها إلّا قليلا، ليالي قَتَل قابيل هابيل، كنت ابن أعوام، لا يقال أعوام إلّا من ثلاثة إلى عشرة لا غير، أفهمُ الكلام، وآمرُ بإفساد الطعام، وقطيعة الأرحام. فقال النبيّ ﷺ: بئس عمل الشيخ المتوسِّم[٥]، والشاب المتلوِّم[٦]، قال: ذرني من الترداد، إنّي تائب إلى الله عزّ وجلّ، إنّي كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وأبكاني، وقال: لا جرم، إنّي على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قال[٧]، قلت:

---

(١) حسيبة: زاكية الحسب والشرف.

(٢) أ، ر، ن: وأخّر.

(٣) أ، ر، ن: أخبرنا.

(٤) أ، ج، ر، ن: الحسن.

(٥) المتوسّم: المتحلّي بسمة الشيوخ، وهو موسوم بالخير والشر.

(٦) المتلوّم: المتربّص بالأمر.

(٧) أ، ر، ن: قال قال.

يا نوح؛ إنّي ممن اشترك في دم السعيد الشهيد هابيل بن آدم، فهل تجد لي[1] عند ربّك توبة. قال: يا هام؛ هُمَّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة، إنّي قرأت فيما أنزل الله ﷻ عليّ أنّه ليس من عبد تاب إلى الله ﷻ، بالِغ أمره ما بلغ، إلّا تاب الله عليه، قم وتوضّأ واسجد لله سجدتين. قال: ففعلت من ساعتي ما أمرني به، فناداني: ارفع رأسك، فقد نزلت توبتك من السماء. قال: فخررتُ لله ساجدا جذلا.

وكنت مع هود في مسجده مع من آمن به[2] من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه، حتى بكى عليهم وأبكاني. فقال: لا جرم إنّي على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. وكنت زَوّار يعقوب، وكنت مع يوسف بالمكان الأمين، وكنت إلف إلياس في الأودية، وأنا ألقاه[3] الآن، وإنّي لقيت موسى بن عمران فعلّمني من التوراة، وقال: إن لقيت عيسى، يعني، ابن مريم فاقرئه منّي السلام، وإنّي لقيت عيسى بن مريم وأقرأته عن موسى السلام، وأنّ عيسى قال لي[4]: إن لقيت محمدا فاقرئه منّي السلام، قال: فأرسل رسول الله ﷺ عينيه فبكى، ثمّ قال: وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا، وعليك السلام يا هام بأدائك الأمانة. قال: يا رسول الله؛ افعل بي ما فعل موسى؛ إنّه علمني من التوراة. فعلّمه رسول الله ﷺ "إذا وقعت الواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت، والمعوذتين وقل هو الله أحد"[5] وقال: ارفع إلينا حاجتك، ولا تدَع زيارتنا. قال فقال عمر: فقُبض رسول الله ﷺ ولم ينعه إلينا، فلسنا ندري أحيّ هو أم ميّت؟ قلنا: إذا ثبت إسلام هذا الشيطان فليس يريد قتادة بقوله: "إنّ الشيطان لا يُسلم" إلّا الشيطان الذي هو القرين.

حدّثنا أبو بكر بن أبي الفتح الحنفي بمكة، ثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجا الأنصاري الدمشقي سبط الإمام أبي الفرج الحنبلي، قال: ثنا سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري، ثنا أبو سعد محمد بن محمد بن محمد المطرّز، ثنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحق، ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا عبد الرحمن بن الحسن، ثنا مسعود بن يزيد القطان، ثنا أبو داءود، ثنا عباد بن يزيد عن موسى بن عقبة القرشي، أنّ هشام بن العاص، ونعيم بن

---

(١) أ، ر، ن: - لي.

(٢) ج، م، ي: - به.

(٣) أ، ر، ن: ألفاه.

(٤) م، ي: وقال: إن لقيت عيسى بن مريم فاقرئه السلام، وإنّي لقيته وأقرأته عنه السلام، وقال عيسى.

(٥) ج، م، ي: "سورة الواقعة، والمرسلات، وعمّ، والتكوير، والمعوذتين والإخلاص".

عبد الله، ورجلا آخر قد سمّاه، بُعِثوا إلى ملك الروم زمن أبي بكر، وفي حديث شرحبيل بن مسلم الخولاني، عن أبي أمامة الباهلي، عن هشام بن العاص، قال: بعثني أبو بكر الصدّيق، ورجلا آخر إلى هرقل صاحب الروم، يدعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة، فنزلنا على جَبَلَة بن الأيهم الغسّاني.

قال في حديث موسى بن عقبة: فدخلنا على جبَلة بن الأيهم وهو بالغوطة، فإذا عليه ثياب سود، وإذا كلّ شيء حوله أسود، فقال: يا هشام؛ كلّمه. فكلّمه ودعاه إلى الله ﷻ، وقال: ما هذه الثياب السود؟ فقال: لبستها نذرا ولا أنزعها حتى أخرجكم من الشام كلّها، قال، قلنا: فاتّئد، أو كلمة تشبهها، حتى نمنعك[1] مجلسك، فوالله لنأخذه[2] منك، ومُلك المِلك الأعظم[3] إن شاء الله، أخبرنا بذلك نبيّنا ﷺ. قال[4]: فأنتم إذَنْ السَّمْراء[5]، قلنا: السمراء[6]، قال: لستم بهم، قلنا: ومن هم؟ قال: هم الذين يصومون النهار ويقومون بالليل[7]، قلنا: نحن هم واللهِ. قال: فكيف صومكم؟ قال: فوصفنا له صومنا. قال: فكيف صلاتكم؟ فوصفنا له صلاتنا، قال: فالله يعلم لقد غشيه سواد حتى صار وجهه كأنّه قطعة طابق[8].

ثمّ قال: قوموا، فأمر بنا إلى الملك، قال[9]: فانطلقنا، فلقينا الرسول بباب المدينة، فقال: إن شئتم أتيتكم ببغال، وإن شئتم أتيتكم ببراذين، فقلنا: لا والله، لا ندخل عليه إلّا كما نحن. قال: فأرسل إليه أنّهم يأبَون. قال: فأرسل أن خلّي سبيلهم، قال: فدخلنا معتمّين[10] متقلّدي السيوف على الرواحل. فلمّا كنّا بباب المِلك إذا هو في غرفة له عالية، فنظر إلينا، قال: فرفعنا رءوسنا، فقلنا: لا إله إلّا الله، قال: فالله يعلم لانتفضت الغرفة كلّها حتى كأنّها عذق[11] نفضَتْه الريح. فأرسل إلينا: إنّ هذا ليس لكم أن تجهروا بدينكم عليّ، قال: فأرسل إلينا: أن

---

(١) أ، ر، ن: تمنع.
(٢) أ، ر، ن: لنأخذ.
(٣) الملك الأعظم: هو ملك الروم.
(٤) أ، ر، م، ن، ي: - قال.
(٥) أ، ر، ن: السمداء.
(٦) أ، ر، ن: السمداء. ج: السعداء.
(٧) ج، م: الليل.
(٨) طابق: وعاء للطبخ وهو الطاجن.
(٩) ج، م، ي: - قال.
(١٠) معتمّين: عليهم عمائم.
(١١) العَذْق: النخلة بحَمِلها عند أهل الحجاز.

ادخلوا فدخلنا، فإذا هو على فراش إلى السقف، وإذا عليه ثياب حُمْرٌ، وإذا كلّ شيء عنده أحمر، وإذا عنده بطارقة الروم.

قال: وإذا هو يريد أن يكلّمنا برسول، فقلنا: لا واللهِ لا نكلّمه برسول، وإنما بُعثنا إلى الملِك؛ فإن كنت تحبّ أن نكلّمك، فأْذَنْ لنا نكلّمك. فلمّا دخلنا عليه ضحك، فإذا هو رجل فصيح يكسِّر العربية، فقلنا: لا إله إلّا الله، فالله يعلم لقد نفض السقف حتى رفع رأسه هو وأصحابه، فقال: ما أعظم كلامكم عندكم؟ فقلنا: هذه الكلمة. قال: التي قلتموها قبل؟ قلنا: نعم. قال: فإذا قلتموها في بلاد عدوّكم نفضت سقوفهم؟ قلنا: لا، قال: فإذا قلتموها في بلادكم نفضت سقوفكم؟ قلنا: لا، وما رأيناها فعلت هذا، وما هو إلّا شيء عُبِّرْت به. فقال: ما أحسن الصدق! فما تقولون إذا افتتحتم[1] المدائن؟ قلنا نقول: لا إله إلّا الله والله أكبر، قال: تقولون لا إله إلّا الله ليس معه شيء، والله أكبر من كلّ شيء؟ قلنا نعم. قال: فما منعكم أن تحيّوني تحيّتكم نبيّكم؟ قلنا: إنّ تحيّة نبيّنا لا تحلّ لك، وتحيّتك لا تحلّ لنا فنحيّيك بها. قال: وما تحيّتكم؟ قلنا: تحيّة أهل الجنّة. وقال: وبها كنتم تحيّون نبيّكم؟ قلنا: نعم. قال: وبها كان يحيّيكم؟ قلنا: نعم. قال: فمن كان يورث منكم؟ قلنا: من كان أقرب قرابة. قال: وكذلك ملوككم؟ قلنا: نعم.

قال: فأمر لنا بِنُزُل كثير، ومنزل حسن، قال: فمكثنا ثلاثا، ثمّ أرسل إلينا ليلا، فدخلنا عليه وليس عنده أحد، فاستعادنا كلامنا، فأعدنا عليه، فإذا عنده شبه الربعة العظيمة مذهّبة، وإذا فيها أبواب صغار، ففتح منها بابا، فاستخرج منه خرقة حرير سوداء فيها صورة بيضاء، فإذا رجل طوال[2]، أكثر الناس شَعرا، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا آدم.

ثمّ عاد وفتح بابا آخر، فاستخرج حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، فإذا رجل ضخم الرأس عظيم، له شَعر كشعر القط، أعظم الناس إليتين، أحمر العينين، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا نوح.

ثمّ أعاده وفتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء[3] فيها صورة بيضاء، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية كأنّه حيّ[4] يتبسّم، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إبراهيم.

---

(١) ج، م، ي: فتحتم.

(٢) ج، م: طويل.

(٣) ج، م، ي: بيضاء.

(٤) أ، ج، ر، ن، ي: حين.

ثمّ أعاده وفتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة بيضاء، قال: أتعرفون هذا؟[1] قلنا: هذا النبيّ محمد ﷺ، قال: هذا والله محمد رسول الله، قال: فالله يعلم أنّه قام، ثمّ قعد، وقال: والله إنّه لهو. ثمّ قال: آللهِ بدينكم إنّه نبيّكم؟ قلنا: آلله بديننا إنّه نبيّنا كأنّا ننظر إليه حيّا. فقال: أما إنّه كان آخر البيوت، ولكنّني عجّلته لكم لأنظر ما عندكم.

ثمّ أعاده وفتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة أدماء سحماء، وإذا رجل جعد، قطط، غائر العينين، حديد النظر، عابس، متراكب الأسنان، مقلّص الشفة، كثّ اللحية، كأنّه غضبان، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا موسى. وإذا إلى جنبه صورة تشبهه، إلّا أنّه مُدهان الرأس، عريض الجبين، في عينيه قُبل، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا هارون بن عمران.

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل آدم، سبط، رَبعة، كأنّه غضبان، حسن الوجه، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا[2]، قال: هذا لوط.

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أبيض، مشرب بحمرة، أقنى (الأنف)، خفيف العارضين، حسن الوجه، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسحق.

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا فيها صورة تشبه صورة إسحق، إلّا أنّه على شفته السفلى خال، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يعقوب.

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء فيها صورة رجل أبيض، حسن الوجه، أقنى الأنف، حسن القامة، يعلو وجهه النور، يُعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا إسماعيل جدّ نبيّكم الوحشيّ[3].

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة كأنّها صورة آدم، كأنّ وجهه الشمس، قال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا يوسف.

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة رجل أحمر، حمش الساقين[4]،

---

(١) أ، ر، ن: - قال: أتعرفون هذا.

(٢) أ، ر: - قلنا: لا.

(٣) أي الساكن في البدو.

(٤) حمش الساقين: دقيق القوائم.

أخفش العينين، ضخم البطن، رَبعة، أشبه من خلق بامرأة عجيزة خلقا، متقلّدا سيفا، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا، قال: هذا داءود.

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة بيضاء، فيها صورة بيضاء، وإذا رجل ضخم الإليتين، طويل الرجلين، راكب على فرس قصير الظهر، كلّ شيء منه جناح تحته الريح، فقال: هل تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا سليمان بن داءود.

ثمّ فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة أو خرقة سوداء فيها صورة بيضاء، وإذا رجل شاب شديد سواد اللحية، يعلوه صفرة، صَلْتُ الجبين، حسن اللحية، كثير الشعر، حسن الوجه، حسن العينين، يشبهه[1] كلّ شيء منه، قال: أتعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا عيسى بن مريم.

ثمّ أعاده، وأمر بالربعة فرُفعت، قلنا: من أين لك هذه الصور؛ لأنّا نعلم أنّها على ما صوّرت عليه الأنبياء عليهم السلام، لأنّا رأينا صورة نبيّنا ﷺ مثله؟ فقال: إنّ آدم سأل ربّه أن يريه الأنبياء من ولده فأخرج إليه صورهم في خرق الحرير من الجنّة، وكان في خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس، فلمّا كان دانيال صوّرها هذه الصور[2] فهي بأعيانها، فواللهِ لو تطيب نفسي في الخروج عن مُلكي ما باليت أن أكون عبدا لأشدّكم ملكة، ولكن عسى أن تطيب نفسي.

ثمّ أجازنا فأحسن جائزتنا وسرّحنا. فلمّا أتينا أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدّثناه بما رأيناه، وما قال لنا، وما أدنانا، فبكى أبو بكر رضي الله عنه، وقال: مسكين؛ لو أراد الله به خيرا لفعل.

ثمّ قال: أخبرنا رسول الله ﷺ أنّهم واليهود يجدون نعت محمد ﷺ عندهم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾[3].

قد جمعتُ في سياق هذا الحديث بين الروايتين، وإنّ رواية شرحبيل حدّثنا بها عبد الوهاب بن علي بن علي ببغداد، عن محمد بن صاعد، عن أحمد بن الحسين، عن أبي عبد الله الحافظ، كتب إليه أنّ أبا محمد عبد الله بن إسحق البغوي أخبرهم، قال: حدّثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، قال: حدّثنا عبد العزيز بن مسلم بن إدريس، قال: ثنا عبد الله بن إدريس

---

(١) ج، م: يشبه.

(٢) أ، ر، م، ي: الصورة.

(٣) [الأعراف: ١٥٧].

عن شرحبيل بن مسلم، عن أبي أمامة الباهلي، عن هشام بن العاص الأموي، حدّثنا أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن العباس القزويني الطالقاني كتابة، عن أبي عبد الله محمد بن الفضل الفزاري، عن أبي بكر أحمد بن الحسين، عن أبي عبد الله الحافظ، قال: حدّثني أبو العباس أحمد بن سعيد البغدادي ببخارى، قال: حدّثنا عبد الله بن محمود، قال: ثنا عبدان بن سنان، قال: حدّثني أحمد بن عبد الله البرقي، قال: ثنا يزيد بن يزيد البلوي، قال: ثنا أبو إسحق الفزاري، عن الأوزاعي، عن مكحول، عن أنس بن مالك، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلا فإذا رجل في الوادي يقول: اللهمّ اجعلني من أمّة محمد المرحومة المغفورة المثاب لها، قال: فأشرفتُ على الوادي، فإذا رجل طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فقال لي: من أنت؟ قال[1]، قلت: أنا أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، قال: فأين هو؟ قلت: هو ذا يسمع كلامك. قال: فأته فاقرئه السلام، وقل له أخوك إلياس يقرئك السلام. فأتيت النبيّ عليه السلام فأخبرته، فجاء حتى لقيه فعانقه وسلّم عليه، ثمّ قعدا يتحدّثان، فقال له: يا رسول الله؛ إنّي ما آكل في سنة إلّا يوما، وهذا يوم فطري، فآكل أنا وأنت، قال: فنزلت عليهما مائدة من السماء، عليها خبز وحوت وكرفس[2]، فأكلا وأطعماني، وصلّينا العصر، ثمّ ودّعه، ثمّ رأيته مرّ في السحاب نحو السماء.

اتّصاف[3] ومعرفة ووصيّة وتنبيه وتصرّف وتنزيه وموعظة وعبرة:

حدّثنا أبو بكر بن أبي الفتح، قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حامد الأرتاحي، قال: أجازني[4] أبو الحسن علي بن الحسن بن عمر الموصلي الفرّاء، الحديث عنه بجميع ما يرويه، قال: ثنا أبو القاسم عبد العزيز بن أبي محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضرّاب، عن أبيه، قال: حدّثنا أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، قال: أنشدنا المبرّد وابن قتيبة لأبي العتاهية :

ما أنا إلّا لمن بغاني ... أرى خليلي كما يراني
لست أرى ما ملكتُ طرفي ... مكان من لا يرى مكاني
فلي إلى أن أموت رزق ... لو جهد الخلق ما عداني

(١) ج، م، ي: - قال.
(٢) الكرفس: بقلة تؤكل أخضر أو مطبوخا وتسمّى قرّة العين.
(٣) أ، ر، ن: إنصاف.
(٤) أ، ر: أجاز لي.

فاستغنِ بالله عن فلان وعن فلان وعن فلانِ
والمال من حِلِّهِ قوام للعرض والوجه واللسان
والفقر ذلٌّ عليه باب مفتاحه العجز والتواني
ورزق ربّي له وجوه هنّ من الله في ضمان
سبحان من لم يزل عليّا ليس له في العلوّ ثاني
قضى على خلقه المنايا فكلّ حيّ سواه فاني
يا ربّ لم نبك من زمانٍ إلّا بكينا على الزمانِ

حكمة:

حضرتُ عتابا بين شخصين في أمر مّا، فلم يظهر عن ذلك العتاب ثمرة، فتذكّرت قول بعضهم:

وليس عتابُ الناس للمرء نافعا إذا لم يكن للمرء لُبٌّ يعاتبه

موعظة:

قال مقاتل بن صالح: قال ثنا إسحق بن منصور بن دينار، قال: نظر بعض ملوك الأعاجم إلى شيب في رأسه، فجمع نساءه، وقال: تعالين فاندبنني إذ مات بعضي، لأنظر كيف تندبنني إذا مات كلّي، وأنشد:

إذا المرء أعطى نفسَه كلّ ما اشتهت ولم ينهها تاقت إلى كلّ باطل
وساقت إليه الإثم والعار للذي دعته إليه من حلاوة عاجل

نصيحة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أظهر للناس خشوعا فوق ما في قلبه، فإنما أظهر نفاقا على نفاق.

خبر نبوي بعمل غبطة:

حدّثنا أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي بمدينة فاس، قال: ثنا أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود الأنصاري البوصيري، قال: ثنا أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال السعيدي[1] النحوي، قال: أنبأ أبو عبد الله محمد بن

(١) ج، م: السعدي.

سلامة بن جعفر بن علي القضاعي، قال: أنبأ أبو محمد عبد الرحمن بن عمر، قال: ثنا أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، ثنا عبيد بن شريك البزاز، ثنا داءود بن أبي إياس، ثنا إسماعيل بن عياش، عن المطعم بن المِقدام، وعنبسة بن سعيد بن غنيم الكَلاعي، عن فصيح العبسي، عن رَكْب المصري، قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذلّ في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مالٍ جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذلّة[1] والمسكنة. طوبى لمن طاب كَسبه، وصلحت[2] سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شرّه. طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

بلغنا أنّ أبا العباس السفّاح، لمّا ولي الخلافة، وصل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، بألفي ألف دينار، وهو أوّل خليفة وصل بهذه الجملة.

ولمّا أفْضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور، قتل أبا مسلم الخراساني الذي أقام لهم الدعوة، قتله في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة[3]، وأمر بتوسعة المسجد الحرام سنة تسع وثلاثين، وحجّ سنة أربعين، وزار، ومضى إلى بيت المقدس، وعاد إلى الهاشميّة، وحجّ أيضا سنة أربع وأربعين، وسنة تسع وأربعين. وخرج عليه الحسن بن الحسن، فوجّه إليه عيسى بن موسى، فقتله في رمضان سنة خمس وأربعين. وخرج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن إلى الكوفة، فلقيه عيسى بن موسى فقتله في تلك السنة أيضا. وفي أيّامه توفّي جعفر بن محمد الصادق سنة ثمان وأربعين (ومائة). ومات الإمام أبو حنيفة سنة خمسين ومائة، وله سبعون سنة، وكان مولده سنة ثمانين. وقيل عاش تسعين سنة، وكان مولده سنة[4] ستين.

وأمّا المهدي فيقال: أنّه لمّا حج سنة ستين (ومائة)، دخل الكعبة ومعه منصور الحجبي، وهو من حجبة البيت، فقال له المهدي: اذكر حاجتك. فقال: إنّي أستحي من الله أن أسأل في بيته غيرَه. فلمّا خرج أرسل إليه بعشرة آلاف دينار.

وأمّا هارون الرشيد، فحجّ في خلافته ثمان أو تسع حجج، وغزا ثمان غزوات. روينا أنّه وصل إلى مكة في شهر رمضان سنة تسع وسبعين (ومائة)، واعتمر، ومضى إلى المدينة، ثمّ

(١) ج، م، ي: الذل.
(٢) ج، م، ي: وطابت.
(٣) أ، ر، م، ن، ي: - ومائة.
(٤) أ، ر، ن: - سنة.

رجع فحجّ تلك السنة ماشيا، ولم يحجّ خليفة بعده إلى زماننا، غير أنّي سمعت مستفاضا أنّ خليفتنا الإمام الناصر لدين الله تعالى حجّ متنكرا لا يعلم به أحد، فالله يعلم. ومات في خلافته مالك بن أنس سنة تسع وسبعين ومائة، وله ست وثمانون سنة، وقيل سبعون سنة، وصلّى عليه ابن أبي ذؤيب. وماتت أمّ الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة، وكان من بنات هارون الرشيد مَن تَعدّ لنفسها عشرة خلفاء كلّهم لها محرم: هارون الرشيد أبوها، الهادي عمّها، المهدي جدّها، المنصور جدّ أبيها، السفّاح عمّ جدّها. الأمين والمأمون والمعتصم: إخوتها[1]. الواثق والمتوكل: أبناء أخيها.

ونُكِب جعفر بن برمك سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: ثمان وثمانين، وقتل.

وحُبِس يحيى وابنه الفضل إلى أن ماتا، فمات يحيى سنة تسعين (ومائة)، ومات الفضل سنة ثلاث وتسعين ومائة.

ولمّا ولي الأمين، وأقام المأمون بخراسان سنتين[2] وأشهرا، أغزى الفضل بن الربيع، على ما ذكر بينهما، فنصب الأمين ابنه موسى لولاية العهد بعده، وأخذ له البيعة، ولقّبه الناطق بالحقّ، وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة، وجعله في حجر على بن عيسى، ووجّه علي بن عيسى إلى خراسان، ووجّه المأمونُ هرثمةَ بن مرّة على مقدّمة طاهر بن الحسين، فقُتل علي بن عيسى، ولم يزل الحرب بين الأمين والمأمون سنتين وشهورا، إلى أن نزل طاهر بالأنبار، وهرثمة بالنهروان. ونجا الأمين إلى مدينة أبي جعفر، وخرج ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم، سنة ثمان وتسعين ومائة، فوقع في أيدي أصحاب طاهر، فأتوا به طاهرا، فقتله ونصب رأسه على الباب الجديد، ثمّ أنزله وبعث رأسه إلى خراسان، ودفن جثّته في بستان مؤنسة، فيقال أنّ المأمون لمّا رأى رأسه بكى واستعبر، وذكر له أيّاما محمودة، وجميلا[3] أسداه إليه في أيّام الرشيد.

وأمّا المأمون، فبايع لعليّ الرضا بن موسى بن جعفر، بولاية عهده، في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، ولبس الخضرة[4]. فمات عليّ الرضا سنة ثلاث ومائتين، ودعا إبراهيم بن المهدي لنفسه بالخلافة، وهو عمّ المأمون، ولقّب نفسه المبارك، وبويع له ببغداد سنة اثنين

(١) ج، ي: إخوانها.

(٢) ج، م، ي: سنين.

(٣) أ، ر، ن: وحميدا.

(٤) المقصود بها العمامة الخضراء شارة العلويين.

ومائتين، وأقام أحد عشر شهرا وأيّاما، ثمّ كان من أمره ما ذكرناه في هذا الكتاب.

وفي سنة أربع ومائتين، رجع المأمون إلى لباس السواد. وفي هذه السنة مات محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه بمصر. وفي سنة اثني عشرة (ومائتين) أظهر المأمون القول بخَلق القرآن.

وأمّا المتوكل فحظي في دولته أهل الأدب، وظهر علي بن محمد صاحب الزنج، في شوّال سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل في صفر سنة سبعين ومائتين، في خلافة المعتمد.

وكان المعتمد صاحب لذّات، فجعل أخاه وليّ عهده، طلحة، ولقّبه الموفّق، وجعل إليه الشرق. وجعل ابنه جعفرا وليّ عهد ابنه[1]، ولقّبه المفوّض إلى الله، وجعل إليه المغرب. فغلب الموفّق على الأمر، وقام به أحسن قيام، ومال الناس إليه، واشتغل بقتال علي بن محمد، صاحب الزنج. وكان المعتمد قد صار يريد مصر في جمادى الآخرة سنة تسع وستين ومائتين، لمكاتبة جرت بينه وبين ابن[2] أحمد بن طولون، فلمّا بلغ الموفّق ذلك، وهو في قتال علي بن محمد، أنفذ إسحق بن كنداح، فردّه[3] المعتمد، وسلّمه إلى صاعد بن مخلد، وأنزله دار ابن الخصيب بِسُرَّ مَن رأى[4]، وحجر عليه. ولقّب الموفّقُ إسحقَ، ذا السيفين، وولّاه أعمال ابن طولون. ولقّب صاعد بن مخلد، ذا الوزارتين. وجمع القضاة والفقهاء بدمشق، فكلّهم أفتوا بخلعه، إلّا بكّار بن قتيبة، فحبسه. وأمر الموفّق بلعنة ابن طولون على المنابر. ثمّ مات أحمد بن طولون لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين. ومات ابنه العباس بعده باثني عشرة ليلة. وبلغنا أنّه أحصى من قتله ابن طولون، ومات بحبسه، فكان مبلغه ثمانية عشر ألفا.

ثمّ مات الموفّق في صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين، فردّ المعتمد ولاية عهده إلى ابن الموفّق، وهو أحمد المعتضد، وخلع ابنه جعفرا. والمعتضد هو الذي أسقط المكوس التي كانت تؤخذ بالحرمين، وتزوّج قطر الندى، بنت ابن أحمد بن طولون، سنة إحدى وثمانين، وأصدقها ألف ألف[5]. وأنفذ الحسين بن عبد الله الجوهري، المعروف بابن الجصّاص، فحملها إليه في آخر هذه السنة.

---

(١) ج، م: أبيه.

(٢) المقصود به أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون. ج، م، ي: - ابن.

(٣) أ، ر، ن: فرد.

(٤) أ، ر، م، ن، ي: وبسرّ من رأى.

(٥) ألف ألف درهم (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ٦٢٢/٢).

وفي أيّام المقتدر بالله، بطل الحجّ، سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وأُخذ الحجر الأسود. وذلك أنّ أبا طاهر سليمان بن الحسن القرمطي، دخل مكة يوم التروية، فقتل الحاج قتلا ذريعا، ورمى القتلى في زمزم، وأخذ الحجر الأسود، وعرّى الكعبة، وقلع بابها. وبقي الحجر الأسود عندهم اثنين وعشرين سنة إلّا شهرا، ثمّ ردّوه لخمس خلون من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وكان قد بذل لهم في ردّه خمسون ألف دينار، فما فعلوا، وقالوا: أخذناه بأمر، فلا نردّه إلّا بأمر. وفي أيّامه أيضا استولى عبيد الله المهدي على المغرب، وبنى المهديّة بأفريقية، في سنة اثنين وثلاثمائة، بعد أن دعي له بأرض القيروان، في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ومائتين، وكان ظهوره لسبع خلون من ذي القعدة سنة ست وتسعين ومائتين، وفيها أُخِذ الحسين بن منصور الحلاج، فقطعت يداه وجلاه، وحُزّ رأسه وأُحرق، في ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة.

حدّثنا يونس[1]، ثنا عبد الوهاب، أنبأ المبارك بن عبد الجبار، أنبأ أحمد بن علي التوزي، أنبأ عمر بن ثابت، أنبأ علي بن قيس، عن أبي بكر القرشي، عن محمد بن يحيى، سمعت أبا عمر الخطاب يقول: دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة، في يوم حار، وبلال في خيشه، وعنده الثلج، فقال بلال: يا أبا عبد الله؛ كيف ترى بيتنا هذا؟ قال[2]: إنّ بيتك لطيّب، والجنّة أطيب منه، وذِكر النار يلهي عنه. قال: ما تقول في القدَر؟ قال: جيرانك أهل القبور، ففكّر فيهم؛ فإنّ فيهم شغلا عن القدَر. قال: ادع لي؟ قال: وما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا، كلٌّ يقول إنّك ظلمتهم، يرتفع دعاؤهم قبل دعائي، لا تظلِم ولا تحتاج إلى دعائي.

ومن كلام الحسن البصري:

عجبا لقوم أُمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحُبس أوّلهم على آخرهم، وهم قعود يلعبون. يا ابن آدم؛ السكين تُحدّ، والتنّور يُسجر، والكبش يعتلف! كفى بالتجاريب[3] تأديبا، وبتقلّب الأيّام عظة، وبذكر الموت زاجرا عن المعصية! ذهبت الدنيا بحال بالها[4]،

(١) أ، ر، ن: - حدثنا يونس.
(٢) أ، ر، م، ي: - قال.
(٣) ج، م، ي: بالتجارب.
(٤) ج، م، ي: أولها.

وبقيت الآثام[1] قلائد في الأعناق، إنّكم تسوقون[2] الناس، والساعة تسوقكم[3]، وقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون؟ المعاينة.

وكان قد حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج علي بن محمد، أنبأ المبارك بن علي الصيرفي، أنبأ علي بن محمد العلّاف، أنبأ عبد الملك بن بشران، أنبأ أحمد بن إبراهيم الكندي، أنبأ أبو بكر محمد بن جعفر، ثنا أبو الفضل الربعي، ثنا إسحق بن إبراهيم، عن الهيثم بن عدي، قال: كانت[4] لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز جارية حسناء، كان عمر بن عبد العزيز يهواها، فطلبها منها لنفسه، وحرص في ذلك، فأبت عليه، وغارت من ذلك، ولم يزل عمر مشغوفا بها، فلمّا أفضت إليه الخلافة، طلبتْ فاطمة زوجته الحظوة عنده بتقريب الجارية إليه، فأمرت بإصلاح شأنها، وأدخلتها عليه في أحسن صورة، وقالت له: يا أمير المؤمنين؛ إنّك كنت بفلانة جاريتي معجبا، وسألتنيها فأبَيتُ ذلك عليك، وأمّا اليوم قد طبتُ نفسا بذلك، فدونكها.

فسُرَّ عمر بقولها، وظهر الفرح في وجهه بها، وازداد بها عجبا وفيها صبابة، فقال لها: ألقِ ثوبك أيّتها الجارية. فلمّا همّت، قال لها: على رَسْلِك، أخبريني لمن كنت ومن أين أنت لفاطمة؟ قالت: كان الحجاج بن يوسف، أغرَمَ عاملا كان له من أهل الكوفة مالا، وكنتُ في رقيق ذلك العامل، فأخذني وبعثني إلى عبد الملك بن مروان، وأنا يومئذ صبيّة، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة. فقال: وما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك. قال: وما ترك ولدا؟ قالت: بلى. قال: وما حالهم؟ قالت: سيّئة. قال: شدّي عليك ثوبك.

ثمّ كتب إلى عبد الحميد عامِله، أن سَرِّح إليّ فلان بن فلان على البريد. فلمّا قدم، قال له: ارفع إليّ جميع ما أغرم الحجاج أباك، فما رفع إليه شيئا إلّا دفعه إليه، ثمّ أمر بالجارية فرفعت إليه، فلمّا أخذ بيدها، قال: إيّاك وإيّاها، فإنّك حديث السن، ولعلّ أباك أن يكون قد وطئها. فقال الغلام: يا أمير المؤمنين؛ هي لك. قال: لا حاجة لي فيها. قال: فابتعها منّي. قال: لستُ إذنْ ممن ينهى النفس عن الهوى. فمضى بها الفتى. فقالت له الجارية: فأين موجدتك بي يا أمير المؤمنين؟ فقال لها: لعلى حالها، ولقد ازدادت. فقيل: إنّه ما زالت في نفس عمر حتى مات.

---

(١) أ، ر، ن: الأيام.

(٢) أ، ج، ر، ن، ي: تسرقون.

(٣) في النسخ: تسرقكم.

(٤) ج، م، ي: كان.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن محمد بن الحسين، عن يوسف بن الحكم، عن عبد السلام مولى مسلمة بن عبد الملك. قال: بكى عمر بن عبد العزيز يوما، فبكت لبكائه زوجته فاطمة، فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء، فلمّا تجلت عنهم العَبرة، قالت له فاطمة: يا أمير المؤمنين؛ ممّ بكيت؟ قال: ذكرت منصرف القوم من[1] بين يدي الله ﷻ؛ فريق في الجنّة وفريق في السعير، ثمّ صرخ وغشي عليه.

بلغني، عن عطاء أنّه قال: كان عمر بن عبد العزيز في أيّام خلافته يجمع الفقهاء كلّ ليلة، فيتذاكرون الموت والقيامة، وما أعدّ الله في الآخرة، ثمّ يبكون حتى كأنّ بين أيديهم جنازة.

وحدّثنا يونس في آخرين، قالوا: ثنا ابن البطّي، عن حمد بن أحمد، عن أبي نعيم، عن أبي محمد بن حيّان، عن أحمد بن محمد بن عمر، عن أبي بكر بن عبيد، حدّثني حاتم بن عبد الله الأزدي، عن الحسن بن محمد الخزاعي، عن رجل من ولد عثمان، أنّ عمر بن عبد العزيز، قال في بعض خطبه: إنّ لكلّ سفر زادا لا محالة، فتزوّدوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعدّ الله من ثوابه وعقابه، ترغّبوا وترهّبوا، ولا يطولنّ عليكم الأمد، فتقسوا قلوبكم، فوالله ما بسط أمل من لا يدري، لعلّه لا يصبح بعد مسائه، ولا يمسي بعد صباحه، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، فكم رأيتم ورأيت من كان في الدنيا مغترّا! وإنما تقرّ عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمِن من الأهوال يوم القيامة، فأمّا مَن لا يداوي كلْمًا إلّا أصابه جرح من ناحية أخرى، نعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي، فتخسر صفقتي، لقد عنيتم بأمر لو عنيتْ به النجوم لانكدرت، ولو عنيتْ به الجبال لذابت، ولو عنيتْ به الأرض لتشقّقت، أما تعلمون أنّه ليس بين الجنّة والنار منزلة؟ وإنّكم صائرون إلى إحديهما.

قال أبو سليم الهذلي: خطب عمر بن عبد العزيز، فقال: أمّا بعد؛ فإنّ الله ﷻ لم يخلقكم عبثا، ولم يدَع شيئا من أمركم سدى، وإنّ لكم معادا ينزل الله فيه في الحكم والقضاء بينكم، فخاب وخسِر من خرج من رحمة الله، وحُرم الجنّة التي عرضها السماوات والأرض، واشترى قليلا بكثير، وفانيا بباقٍ، وخوفا بأمن. ألا ترون أنّكم في أسلاب الهالكين؟ وسيخلفها[2]

(١) ج، ن: - من.
(٢) أ، ر، ن: وسيخلقها.

بعدكم الباقون، كذلك حتى تردّ إلى خير الوارثين! في كلّ يوم وليلة تشيّعون غاديا ورائحا إلى الله ﷻ، قد قضى نحبه وانقضى أجله، حتى تغيّبوه في صدع من الأرض، في بطن صدع، ثمّ تدَعوه غير ممهّد ولا موسّد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب، وسكن التراب وواجه الحساب، مرتهنا بعمله، فقيرا إلى ما قدّم غنيّا عمّا ترك، فاتّقوا الله قبل نزول الموت، وأيم الله، إنّي لأقول لكم هذه المقالة، وما أعلم عند أحدٍ من الذنوب ما أعلم عندي، وما يبلغني عن أحدٍ منكم حاجة إلّا أحببت أن أسدّ من حاجته ما قدرت عليه، وما يبلغني أنّ أحدا منكم لا يسعه ما عندي إلّا ودِدتُ أنّه يمكنني تغييره حتى يستوي عيشنا وعيشه، وأيم الله، لو أردتُ غير ذلك من الغضارة والعيش لكان اللسان منّي به ذلولا عالما بأسبابه، ولكن سبق من الله ﷻ كتاب ناطق، وسنّة عادلة، دلّ فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته. ثمّ وضع طرف ردائه على وجهه، وبكى وشهق، وبكى الناس، فكانت آخر خطبة خطبها.

حدّثنا محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن، عن علي بن محمد بن أبي عمر، عن محمد بن الحسن، عن عبد الملك بن بشران، عن أبي بكر الآجُرّي، عن الفريابي، عن عمرو بن علي، عن سفيان بن خليد الضبّي، عن سالم بن نوح العطار، عن بشر بن البشري، قال عمرو بن علي: ثمّ لقيت سالما فحدّثني به عن بشر بن البشري، قال عمرو بن علي: ثمّ حججت، فقيل لي بمكة: إنّ بشر بن البشري بمكة[1]، فأتيته، فسألته، فحدّثني عن بشر بن البشري، عن أبي سليم الهذلي، وذكره.

وحدّثنا يونس بن يحيى، عن محمد بن أبي منصور، عن رزق الله، وطرّاد هو الزينبي، كلاهما، عن علي بن محمد المعدل، عن الحسين[2] بن صفوان، عن عبد الله بن محمد بن عبيد، عن أبي محمد العبدي، عن عبيد الله بن محمد القرشي، عن ابن أبي شميلة، قال: دخل رجل على عبد الملك بن مروان، ممّن كان يوصف بالعقل والأدب، فقال له عبد الملك بن مروان: تكلّم، قال: بم أتكلّم وقد علمتُ أنّ كلّ كلام يتكلّم به المتكلّم عليه وبال إلّا ما كان لله؟ فبكى عبد الملك، ثمّ قال: يرحمك الله، لم يزل الناس يتواعظون ويتواصَون. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين؛ إنّ للناس في القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها،

(١) ج، م، ي: - بمكة.
(٢) ج، م: الحسن.

إلّا من أرضى الله بسخط نفسه. قال[1]: فبكى عبد الملك. ثمّ قال: لا جرم، لأجعلنّ هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت أبدا.

وروينا من حديث أبي نعيم، عن أبي بكر بن مالك، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: أُخبرت عن سيّار عن جعفر عن مالك بن دينار قال: كنت عند بلال بن أبي بردة، وهو في قبّة له، فقلت: قد أصبتُ هذا خاليا، فأيّ قصص أقصُّ عليه؟ فقلت في نفسي: ما له خير من أن أقصّ عليه ما لقي نظراؤه من الناس. فقلت له: أتدري من بنى هذا الذي أنت فيه؟ بناها عبيد الله بن زياد، وبنى البيضاء[2]، وبنى المسجد، فولي ما ولي، ثمّ قُتل، ثمّ ولي بشر بن مروان، فقالوا أخو أمير المؤمنين، فمات بالبصرة، فحملوه. ومات زنجي فحمله الزنج، فذُهب بأخي أمير المؤمنين فدفنوه. وذُهب بالزنجي فدفنوه[3]، ثمّ جعلت أقصّ عليه أميرا أميرا حتى انتهيت إليه، فأثّر ذلك فيه.

قصّة الشعبي والحسن البصري مع عمر بن هبيرة والي العراق:

حدّثنا يونس بن يحيى في آخرين، قال[4]: ثنا محمد بن ناصر، أنبأ عبد القادر بن محمد، ثنا إبراهيم بن عمر البرمكي، أنبأ علي بن عبد العزيز، ثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، ثنا أبو حميد الحمصي، ثنا يحيى بن سعيد، عن يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مَرْثِد قال: لمّا قدم عمر بن هبيرة العراق، أرسل إلى الحسن والشعبي، فأمر[5] لهما ببيت، فكانا فيه شهرا أو نحوه، ثمّ أنّ الخصيّ غدا عليهما ذات يوم، فقال: إنّ الأمير داخل عليكما. فجاء عمر متوكّئا على عصا له، فسلّم ثمّ جلس معظّما لهما، فقال: إنّ أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليّ كتبا أعرف أنّ[6] في إنفادها الهلك؛ فإن أطعته عصيتُ الله، وإن عصيته أطعتُ الله؛ فهل تريا لي في متابعتي إيّاه فرجا؟

فقال الحسن للشعبي: يا أبا عمرو؛ أجب الأمير. فتكلّم الشعبي بكلام يريد به إبقاء وجه

---

(١) أ، م: - قال.

(٢) البيضاء: دار في البصرة.

(٣) ج، م، ي: فقالوا أخو أمير المؤمنين، فدفنوه، ثمّ ذهب بالزنجي فمات بالبصرة، فحملوه. ومات زنجي، فحمله الزنج، فذهب بأخي أمير المؤمنين، وذُهب بالزنجي فدفنوه.

(٤) أ، ر، ن: قالوا.

(٥) ج، م، ي: وأمر.

(٦) ج، م، ي: أنه.

عنده.

فقال ابن هبيرة: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيّها الأمير؛ قد قال الشعبي ما قد سمعت[1]. قال: ما تقول أنت؟ قال، أقول: يا عمر بن هبيرة؛ أوشكَ أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى، فظّ غليظ، لا يعصي الله ما أمره، فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك. يا عمر بن هبيرة؛ إن تتّق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله. يا عمر بن هبيرة؛ لا تأمن أن ينظر اللهُ إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك، فيغلق به باب المغفرة دونك.

يا عمر بن هبيرة؛ لقد أدركتُ ناسا من صدر هذه الأمّة، كانوا عن هذه[2] الدنيا وهي مقبلةٌ، أشدّ إدبارا من إقبالكم عليها وهي مدبرة. يا عمر بن هبيرة، إنّي أخوّفك مقاما خوّفكه الله، فقال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[3]. يا عمر بن هبيرة؛ إن تكُ[4] مع الله في طاعته كفاك يزيد بن عبد الملك، وإن تكُ مع يزيد على معاصي الله، وكلك الله إليه.

فبكى عمر بن هبيرة، وقام بعَبرته. فلمّا كان من الغد، أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما[5]، فأكثر جائزة الحسن وأنقص جائزة الشعبي. فخرج الشعبي إلى المسجد، فقال: أيّها الناس؛ من استطاع منكم أن يؤثِر الله على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده، ما علِم الحسن منه شيئا فجهلته، ولكنّي أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله منه.

وبلغني أنّ عمر بن عبد العزيز، لمّا ولي الخلافة، أخذ إقطاع أمير كبير كان أقطعه إيّاها سليمان بن عبد الملك، والوليد بن عبد الملك، فلمّا مات عمر بن عبد العزيز، وولي يزيد بن عبد الملك، جاء الأمير إليه، فقال له: إنّ أخاك سليمان أمير المؤمنين والوليد، أقطعاني شيئا قطعه عنّي أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ، فأريد منك أن تردّه عليّ. فقال يزيد: لا أفعل. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّ الحقّ فيما فعل عمر بن عبد العزيز. قال: وبِمَ ذلك؟ قال: لأنّ أخويّ أحسنا إليك، وذكرتهما، وما دعوت لهما، وعمر بن عبد العزيز أساء إليك، وذكرته، فترضّيت عليه، فعلمتُ أنّ عمر آثر الله على هواه فيك، وأنّ سليمان والوليد، آثرا هواهما

(١) ج، ي: + به.
(٢) أ، ر، ن: - هذه.
(٣) [إبراهيم: ١٤]
(٤) ج، م، ي: تكن.
(٥) ج، م، ي: فأدناهما وأجازهما.

على حقّ الله، فواللهِ لا رأيتَه منّي أبدا. وهذا من أحسن ما يحكى عن التفاتات أولات الأمر.[1]

(١) انتهى السمر.

ذِكر ما أرّخ به الناس
من آدم إلى الهجرة النبويّة

فأوّل تاريخ، كان بهبوط آدم عليه السلام، ثمّ ببعث نوح، ثمّ بالطوفان، ثمّ بنار إبراهيم، وقد أرّخ بموت آدم، وببعث إدريس عليهم السلام. ثمّ إنّ بني إسحق بن إبراهيم عليه السلام، أرّخوا بنار إبراهيم إلى يوسف، ومن يوسف أرّخوا إلى بعث موسى عليهما السلام، وأرخوا من موسى إلى ملك داءود وسليمان، ثمّ أرّخوا بما كان من الكوائن، وكان منهم من أرّخ بوفاة يعقوب، ثمّ بخروج موسى من مصر ببني إسرائيل، ثمّ بخراب بيت المقدس.

وأمّا بنو إسماعيل، فقيل أرّخوا ببناء الكعبة، ثمّ أرّخوا بكلّ قوم[1] أخرجوا من تهامة، ثمّ أرّخوا بعام الفيل، وبيوم الفجار[2]، وقد كانت معد بن عدنان[3]، تؤرّخ بغلبة جرهم العماليق، وإخراجهم إيّاهم من الحرم، ثمّ أرّخوا بأيّام الحروب، كحرب ابني وائل، وهو حرب البسوس، وكحرب داحس. وكانت[4] حمير وكهلان تؤرّخ بملوكها التبابعة[5]، وأرّخوا بنار ضرار، خرّبت بعض اليمن، وأرّخوا بسيل العرم، وأرّخوا بظهور الحبشة على اليمن. وقد أرّخت الأمم قبل إبراهيم بهلاك عاد بالريح.

وأمّا الروم واليونانيون[6] فتؤرّخ بظهور الاسكندر، وأرّخت القبط بملك بختنصر، ثمّ أرّخت بملك دقلديانوس[7] القبطي، وقالوا: إنّه تاريخهم إلى الآن، وأرّخت المجوس بآدم، ثمّ أرّخوا بقتل دارا وظهور الاسكندر[8]، ثمّ بظهور أردشير، ثمّ بملك يزدجرد، وما زال التاريخ في العرب، من عام الفيل إلى خلافة عمر بن الخطاب. فتقرّر الأمر على أن يؤرّخ بهجرة النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وجعلوا التاريخ في المحرم أوّل عام الهجرة.

---

(١) ج، ي: يوم.

(٢) ج، م، ي: الفجار: بالكسر بمعنى المفاجرة، كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتال في الشهر الحرام، بين قيس وكنانة، ففجروا فيه جميعا، فسمي الفجار.

(٣) ج، م، ي: بنو معد بن عدنان.

(٤) م، ي: وكان.

(٥) ج، م، ي: السابقة.

(٦) ج، م: واليونان.

(٧) في النسخ: ذفلط يانوس.

(٨) الاسكندر اليونانى هو الذي قتل دارا وسلب ملكه وتزوّج بابنته واجتمع له الروم وفارس ولهذا سمى ذا القرنين. [تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس للديّار بكري ١٠١/١]

ذكر اختلاف الأمم فيما مضى من الزمان
من آدم إلى هجرة نبيّنا عليهما السلام

تاريخ العرب في ذلك:

روينا من حديث ابن عبّاس، أنّ مدّة ما بين آدم إلى نبيّنا عليهما السلام، خمسة آلاف سنة وخمسمائة وخمس وسبعون سنة، ثمّ فصّل فقال على ما رواه الكلبي عن أبي صالح عنه: من آدم إلى نوح ألف ومائتا سنة، ومن نوح إلى إبراهيم ألف ومائة سنة، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمس وسبعون سنة، ومن موسى إلى داءود ألف ومائة سنة[١] وتسع وسبعون سنة، ومن داءود إلى عيسى ألف وثلاث وخمسون سنة[٢]، ومن عيسى إلى نبيّنا صلّى الله عليه وعليهم أجمعين[٣] ستمائة سنة[٤]، وقد روي عنه غير ذلك. وفي قول الواقدي: من هبوط آدم إلى مولد نبيّنا عليهما السلام أربعة آلاف سنة وستمائة سنة. وفي قول محمد بن إسحق خمسة آلاف سنة وأربعمائة سنة وست وعشرون سنة، قال: كان بين آدم ونوح ألف ومائتا سنة، ومن نوح إلى إبراهيم ألف ومائة واثنان وأربعون سنة، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة وخمس وستون سنة، ومن موسى إلى داءود خمسمائة وتسع وستون سنة، ومن داءود إلى عيسى ألف وثلاثمائة وخمس وستون سنة، ومن عيسى إلى محمد صلوات الله عليهم أجمعين ستمائة سنة. وفي قول وهب بن منبّه: خمسة آلاف سنة وستمائة سنة.

تاريخ مجوس الفرس في ذلك: أربعة آلاف ومائة واثنان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوما.

تاريخ أصحاب الزيجات[٥] في ذلك:

والتاريخ عندهم الذي يصحّ في دعواهم بالبرهان: من الطوفان، فإنّهم غير مؤمنين بما وردت به الأنبياء عليهم السلام، من حديث آدم، فقالوا: إنّ من أوّل الطوفان إلى أوّل يوم من[٦] الهجرة، ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة وخمس وعشرون سنة فارسيّة وثلاثمائة وتسعة

---

(١) ج، م، ي: - سنة.

(٢) ج، م، ي: ألف وثلاثمائة وخمس وستون سنة.

(٣) ج، م، ي: ومن عيسى إلى محمد.

(٤) أ، ر، ن: - سنة. وواضح أن الأرقام هنا غير مطابقة للمجموع المذكور أولا، ولعل ذلك من أخطاء النساخين.

(٥) يقصد بهم علماء النجوم والفلك.

(٦) ج، م، ي: - من.

وأربعون يوما.

تاريخ اليهود في ذلك أربعة آلاف سنة وستمائة سنة واثنان وأربعون سنة.

تاريخ اليونانيين[1] من النصارى في ذلك: خمسة آلاف سنة وسبعمائة واثنان وسبعون سنة وأشهر.

ذكر المؤرّخون أنّ عمر آدم ألف سنة، وقيل: ألف إلّا سبعين عاما، وقيل: ثمانمائة سنة. وعمر ولده شيث، وتفسيره: هبة الله، وهو ابن آدم، سبعمائة سنة واثنا عشرة سنة، وعاش أنوش بن شيث بن آدم، سبعمائة سنة وخمسا وستين سنة[2]. وعاش قينان بن أنوش بن شيث بن آدم سبعمائة وعشرين سنة، وعاش مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثمانمائة سنة وخمسا وتسعين سنة، وعاش يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم تسعمائة واثنين وستين سنة، وفي زمانه عملت الأصنام. وولد كلّ هؤلاء في حياة آدم عليه السلام.

وعاش إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم، إلى أن رفع إلى السماء، ثلاثمائة وخمسين سنة في حياة أبيه يرد، وعاش أبوه بعد رفعه أربعمائة وخمسا وثلاثين سنة، وقيل: رفع وهو ابن أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة.

وعاش متوشلخ بن إدريس تسعمائة واثنين وثمانين سنة. وولد متوشلخ وابنه لامك في حياة آدم أيضا. وولد للامك نوح، وعمر لامك إذ ذاك مائة وسبعة وثمانون سنة، وكان مولد نوح بعد وفاة آدم بمائة[3] سنة وست وعشرين سنة، وذلك في سنة ست وخمسين سنة لهبوط آدم، وبعث نوح، وله أربعمائة وثمانون سنة، وركب الفُلك وله ستمائة سنة، وأقام بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل: بُعث وله خمسون سنة، ومات وله ألف سنة[4]، وقيل غير ذلك، قيل: واستقلّت السفينة لعشر خلت من رجب، وبقيت على الماء مائة وخمسين يوما، ثمّ استقرّت على الجودي في جبل بالجزيرة شهرا، وخرج إلى الأرض في المحرّم،

---

(١) ج، م: اليونان.

(٢) أ، ر، ن، ي: - سنة.

(٣) ج، م، ي: بثمانمائة.

(٤) الآية القرآنية ذكرت أنه لبث فيهم ٩٥٠ سنة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

في اليوم العاشر منه، وابتنى قرية بالجزيرة تسمّى سوق ثمانين[1]، فإنّهم كانوا في السفينة ثمانين رجلا.

وعاش سام بعد نوح، ستمائة سنة، وكان سام أوسط ولد نوح، وكان يافث أسنَّ منه، وقدّموا سامًا بالذكر، لأنّه أبو الأنبياء، وكان له من الولد: إرم، وأرثميون، وأرفخشد، وعويلم، ولاود، وكان يسكن هو وولده الحرم، وما حوله، إلى اليمن وإلى عمان العرب. والأنبياء كلّهم؛ عربيّهم وعجميّهم من ولده. واليمن كلّها وعاد وثمود من ولده.

وأمّا حام بن نوح، فزعم وهب أنّه كان أبيض حسن الصورة، فغيّر اللهُ لونَه وألوان ذريّته، لدعوة أبيه عليه. قال: نام نوح عليه السلام فانكشفت عورته فلم يسترها حام، وسترها سام ويافث، فدعا لهما، فالسودان كلّهم على اختلاف أجناسهم، من أولاد حام، وكان له من غربي النيل إلى ما ورائه من منخر الدبور.

وأمّا يافث بن نوح وولده، فكانت منازلهم أرض الروم، والروم من ولده، والترك والخزر، ويأجوج ومأجوج.

نسب هود عليه السلام

يقال أنّه عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام، وأنّه ولد بعد ما مضى ستمائة وسبع وستون سنة من عمر نوح. وقال بعضهم: هو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام، بعثه الله إلى حيّ من ولد إرم بن سام، وهم عاد بن عوص بن إرم، وهم عاد الأولى، فكذّبوه فأهلكهم الله. وقصّتهم مذكورة في هذا الكتاب.

ولمّا أهلكهم الله، بعث الله طيرا سودًا، فنقلتهم إلى البحر، فأصبحوا لا تُرى إلّا مساكنهم، وكانت مساكنهم الشحر، بين عمان وحضرموت. ويقال: كان هودٌ أشبهَ ولد آدم بآدم، وكذلك قيل في يوسف عليه السلام. ومات هود بمكة، بعد هلاك قومه، وله مائة وخمسون سنة، وقيل غير ذلك. قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: قبر هود بحضرموت[2].

---

(١) سوق الثمانين: بليدة عند جبل الجودي قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل. [تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٢/ ٢٤٧)]

(٢) قبر هود في وادي حضرموت شرق مدينة تريم بحوالي ٥٠ كم.

نسب صالح عليه السلام

هو صالح بن عبيد بن اسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عابر[١] بن إرم بن سام، بعثه الله إلى حيّه، وهم ثمود بن عابر[٢]، وكانت مساكنهم الحِجْر، من وادي القرى والشام، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب[٣].

زعم وهب أنّ الله بعثه حين راهق الحلم، وكان يمشي حافيا لا يتّخذ نعلا، وكانت آيته ناقة أخرجها الله من هضبة من الأرض، يتبعها فصيل لها فيحلبون منها رِيّهم، وتشرب في ذلك اليوم جميع مياههم، ويشربون هم اليوم الثاني، الماء، ولا تأتيهم، فلمّا طال ذلك عليهم ملّوها، فاجتمع[٤] تسعة من شرار قومه على عَقرها، وخرجوا إليها، فعقرها رجل يعرف بـ"قدار" أحمر أزرق، فوعدهم الله بالعذاب بعد ثلاث، فأصابهم في اليوم الأوّل، وكان يوم الخميس، صُفرة، فأصبحهم[٥] مصفرّين، وأصبحوا في الثاني ووجوههم محمرّة، وأصبحوا في اليوم الثالث ووجوههم مسودّة، وصبّحهم العذاب يوم الأحد، فأتتهم صيحة من السماء، فماتوا كلّهم، ولحق صالح ومن آمن معه من قومه بمكة، ومات وله ثمان وخمسون سنة. وروي أنّ قبورهم بين دار الندوة والحِجر. وذكر وثيمة أنّ صالحا عاش ثلاثمائة سنة إلّا عشرين سنة. وزعم أهل التوراة، إن صدقوا، أنّه لا ذِكر لعاد وثمود في كتابهم.

نسب إبراهيم الخليل عليه السلام

وقصّته مذكورة في هذا الكتاب[٦]، ونسبه مذكور في سرد نسب[٧] النبيّ عليهما السلام، وهو إبراهيم بن تارخ، وهو آزر بن ناحور بن ساروغ ويقال سروغ بن أرغول بن قالع بن عابر، وهو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام، ولد ببابل، وقيل: بحرّان ونقله أبوه إلى بابل، وولد في زمن نمرود بن كوش، وقيل: نمرود بن كنعان بن كوش. وكان لنمرود مُلك المشارق والمغارب.

---

(١) أ، م، ن، ي: جابر.
(٢) أ، م، ن، ي: جابر.
(٣) ج، م، ي: ستجيء إن شاء الله.
(٤) ج، م، ي: فاجتمعوا.
(٥) ج، م، ي: فأصبحوا.
(٦) ج، م، ي: ستجيء.
(٧) ج، م، ي: - نسب.

ولمّا بلغ إبراهيم ثلاثين سنة، ألقاه نمرود في النار، وكان قد حبسه قبل أن يلقيه في النار ثلاث عشرة سنة، وقيل: ألقي في النار وله ست عشرة سنة. ولمّا بلغ عمره سبعين سنة خرج إبراهيم، ومعه ابن أخيه، لوط بن هاران، وابنة عمّه سارة زوجته، إلى حرّان، وقيل أنّ أباه كان[1] معه، فأقاموا بها خمسين سنة. ومات بها آزر بعد أن خرج ابنه منها بسنتين. ثمّ سار إبراهيم ولوط وسارة، من حرّان إلى الشام، فوجدوا في الشام جوعا عظيما، فساروا إلى مصر، وفرعونها إذ ذاك سنان بن علوان، وأقاموا بها ثلاثة أشهر، ورجعوا إلى الشام، وقد أهدى سنان، فرعون مصر، إلى سارة هاجَر، فنزلوا السبع[2] من أرض فلسطين، وفارقه لوط وسكن في سدوم. ثمّ تحول إبراهيم ونزل بين الرملة وإيليا. فلمّا بلغ إبراهيم خمسا وثمانين سنة، وهبت له سارة جاريتها هاجر، فولدت هاجرُ إسماعيلَ وله ست وثمانون سنة، واختتن وله تسع وتسعون سنة، ثمّ ختن ابنه إسماعيل، ثمّ ولدت له سارةُ إسحقَ وله مائة سنة، وأنزل الله تعالى (عليه) عشر صحائف. وولد لإسحق يعقوب والعيص، بعد ما مضى مائة وستون سنة لإبراهيم. ومات إبراهيم وله مائة وخمس وسبعون سنة. وماتت سارة ولها مائة وتسع وعشرون سنة، وكان موتها قبل وفاة إبراهيم بعد مضي سبع وثلاثين سنة من عمر ابنها، ودفنا في مزرعة جيرون[3] من أرض الشام.

وزعم محمد بن جرير الطبري أنّ من هبوط آدم إلى أن وُلد إبراهيم ثلاثة آلاف سنة[4] وثلاثمائة وسبعا وثلاثين سنة، فيكون إلى موته ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنا عشر سنة.

نسب لوط عليه السلام

هو لوط بن هاران بن آزر، أُرسل إلى أهل سدوم، وقصّته مذكورة مع قومه في هذا الكتاب. وأنّ جبريل اقتلع أرضهم من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ بها[5] السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، وأصوات دِيَكَتِهم، ثمّ قلبها، وهو قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾[6]. وأرسل على الشذّاذ منهم حجارة من سجيل. وكان ذلك بعد مضي تسع وتسعين من عمر

(١) أ، ر، م، ن، ي: - كان.
(٢) لعله يقصد بير سبع. أ، ر، ن: لسبع. ج: المسبع.
(٣) أ: حبرون. م: حيرون.
(٤) ج، م، ي: - سنة.
(٥) ج، م، ي: + إلى.
(٦) [النجم: ٥٣]

إبراهيم. وكانت فيما رُوي خمس قرى: صنعة، وصعوة، وعمره، ودوما، وسدوم، وهي العظمى. وذكر أنّ جميع ما عمّرت سدوم إحدى وخمسون سنة.

نسب إسماعيل عليه السلام

هو إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وقد ذكرنا أولاده وحديثه بمكة. لمّا حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحق، وزوّج ابنتَه من العيص بن إسحق، وكان عمره مائة وسبعة وثلاثين سنة، ودفن في الحِجر إلى قبر أمّه هاجر. وماتت هاجر في حياة أبيه.

وأمّا[1] إسحق عليه السلام

فأصحّ الروايات أنّه الذبيح، ولمّا عرّضه أبوه للذبح كان ابن سبع سنين، وكان مذبحه في بيت إيليا. ولمّا علمت سارة بما أراد إبراهيم بإسحق من الذبح، أخذها البطن من الجزع يومين، وماتت في الثالث. وقيل: كان ابن ست وعشرين سنة. ولمّا بلغ عمر إسحق ستين سنة، ولد له العيص ويعقوب، وكانا توأمين، فولد العيص الروم[2] وكلّ بني الأصفر من ولده. وقيل: إنما سمّوا بني الأصفر لأنّ العيص كان أصفر. وولد يعقوب الأسباط. وعاش إسحق مائة وثمانين سنة، وكان ضريرا، وكانت وفاته في السنة التي استوزر فيها يوسف بمصر، ودفن عند قبر أبيه إبراهيم.

وأمّا يعقوب عليه السلام

فهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، عاش مائة وسبع وأربعين سنة. توفّي بمصر، وحملة ابنه يوسف، ودفنه عند قبر أبيه، ثمّ عاد وكانت النبوّة والملك متّصلين بالشام ونواحيها لولد إسرائيل الذي هو يعقوب بن إسحق، إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم، بعد يحيى بن زكريا، وبعد عيسى عليهم السلام. وكان ليعقوب اثنا عشر ولدا ذكورا، وهم الأسباط.

وذكر بعض أهل التاريخ، أنّ الأنبياء كلّهم من ولد[3] يعقوب، إلّا أحد عشر نبيّا، وهم: نوح وهود وصالح ولوط وأيوب وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ومحمد صلّى الله عليهم أجمعين.

---

(١) ج، م، ي: نسب.

(٢) أ، ر، م، ن، ي: + بن العيص.

(٣) م، ي: أولاد.

وأمّا يوسف عليه السلام

فهو يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب. قيل: كان سِنّهُ في الوقت الذي رأى الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا، سبع عشرة سنة. واسم العزيز الذي استوزره الريّان بن الوليد، وذكر أنّه آمن واتّبع يوسف، ومات في حياة يوسف، وولي بعده قابوس بن مصعب وكان كافرا.

ومات يوسف وله مائة وعشر سنين. وباعوه إخوته وله سبع عشرة سنة. وأقام في الرِّقّ ثلاث عشرة سنة. واستوزر وله ثلاثون سنة، وأقام وزيرا تسع سنين، واجتمع بأبيه، فكانت[1] مدّة الفراق اثنين وعشرين سنة. وأقام معه أبوه سبع عشرة سنة.

وقال سلمان الفارسي: مدّة فراقه من أبيه أربعون سنة. وقال الحسن: ثمانون سنة. وقال ابن إسحق: ثمان عشرة سنة. وكان يعقوب وأهل بيته[2] يوم دخولهم مصر سبعين نفسا. وبين دخول يعقوب وأهله مصر وبين خروج موسى ببني إسرائيل منها، أربعمائة وستّ وثلاثون سنة. وكان عدد من خرج مع موسى من بني إسرائيل من مصر ستمائة ألف مقاتل. وحمل موسى تابوت يوسف معه حين خرج. وإنّه دفن عند آبائه.

وأمّا أيوب عليه السلام

فهو أيوب من مصوع بن رازح بن عيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل[3]، قاله وهب بن منبّه. وقيل[4]: أيوب بن عوص بن رعويل بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل. وقال أهل التوراة: إنّه من ولد عوص بن ناحور، أخي إبراهيم الخليل، فعلى هذا القول ليس هو من الروم. ومن[5] قال: إنّه من ولد العيص يكون روميّا. واختُلف في زوجته التي ضربها بالضغث، فقيل: هي لَيَا بنت يعقوب بن إسحق عليهما السلام، وقيل: هي رحمة بنت افراثيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق، وكانت أمّ أيوب بنت لوط عليه السلام.

وزعم الحسن البصري أنّه ابتلي وله ثمانون سنة من عمره. قال وهب: وابتلي ثلاث

---

(١) أ، ر، ن: وكانت.

(٢) ج، م، ي: بيتهم.

(٣) جاء في طبقات ابن سعد ٤٦/١: أيوب بن زارح بن أمْوَص بن ليفزن بن العيص بن إسحق. وفي تاريخ الخميس للديّار بكري ص ٧٨/١: أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحق.

(٤) ج، م، ي: وهو.

(٥) م، ي: - ومن.

سنين. قال محمد بن جرير الطبري: عاش أيوب ثلاثا وتسعين سنة، وقيل: عاش مائتي سنة وعشر[1] سنين. وقيل: نُبّئ في عهد يعقوب.

وذكر الطبري أنّ الله بعث بعده ابنه ذا الكفل، واسمه بشر بن أيوب، وله خمس وسبعون سنة، ثمّ بعث الله بعد ذي الكفل شعيبا.

نسب شعيب عليه السلام

هو شعيب وقيل: اسمه ثيرون بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين[2] بن إبراهيم.

وروينا عن ابن إسحق أنّه شعيب بن متكيل من ولد مدين، وقيل: لم يكن من ولد إبراهيم، وإنما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم، وهاجر معه. قالوا: وأمّ أبيه هي بنت لوط، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب. وبعثه الله إلى أمّتين: مدين وأصحاب الأيكة. وهو خطيب الأنبياء، قيل: وكان أعمى، ومات بمكة، وما بلغني كم عاش.

وأمّا الخضر عليه السلام

فقيل أنّ اسمه الخضر، هذا قول الطبري. وقيل اسمه: بِلّيا بن مَلكّان بن قالع بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام، وكان أبوه ملِكا واختلف في نبوّته، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب.

قال ابن إسحق: كان الخضر نبيّا بعثه الله إلى بني إسرائيل بعد شعيا. قال وهب: واسم الخضر أورميا بن خلقيا، وكان من سبط هارون، وهو الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها. وقال عبد الله بن شوذب: الخضر من فارس، وإلياس من بني إسرائيل.

وقال بعض أهل الكتاب من اليهود: إنّ موسى الذي لقي الخضر، هو موسى بن منشا بن يوسف، وكان نبيّا قبل موسى بن عمران. والصحيح: أنّ موسى بن عمران هو صاحب الخضر. وقيل أنّ هذا الخضر كان على مقدّمة عسكر ذي القرنين الأكبر، الذي كان أيّام إبراهيم الخليل، وبلغ معه نهر الحياة، فشرب من مائه وهو لا يعلم به، فُخُلِّد، وهو حيٌّ إلى الآن، هذا قول الطبري حكاه عنه صاحب كتاب "أخبار الزمان".

نسب موسى وهارون عليهما الصلاة السلام

وهما أخوان لأب وأمّ، أبوهما عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق

---

(١) م، ي: وعشرين.

(٢) أ، ر، ن: مدبر.

بن إبراهيم الخليل. واسم أمهما: أناخبت وقيل يوحاند وقال ابن إسحق: لخييث. وقصّته مذكورة في هذا الكتاب.

وكان قابوس بن مصعب، صاحب يوسف الثاني قد مات، وقام مقامه أخوه الوليد بن مصعب، وهو فرعون موسى.

ولمّا بلغ لفرعون بولادة مولود يكون هلاك فرعون على يده، صار يقتل الولدان سنة، ويحييهم سنة، فولد هارون في السنة التي لا قتل فيها، ثمّ ولد موسى بعده بثلاث سنين، في السنة التي يقتل فيها، فجعلته أمّه في التابوت كما ذُكر.

ولمّا وُجد التابوت في الماء عند الشجر، سمّاه فرعون: موسى، مركّب من ماء وشجر. فإنّ الماء بلغتهم: المو، والسا: الشجر. فسمّي بصفة المكان الذي وُجد فيه. ذكر ذلك شيخنا أبو زيد السهيلي في المعارف والأعلام.(١)

وقتل القبطي وسنّه إحدى وأربعون سنة، وأقام بمدين تسعا وثلاثين سنة، ثمّ رجع إلى مصر بزوجته صفورا بنت شعيب، ثمّ بعثه الله إلى فرعون، فأقام يدعوه أحد عشر شهرا، ثمّ سار ببني إسرائيل، وأتبعه فرعون، فأغرقه الله.

وأقاموا في التيه أربعين سنة، وخسف الله بقارون في التيه، ومات هارون في التيه وله مائة وسبع عشرة سنة، ومات موسى في التيه وله مائة سنة وعشرون سنة، بعد أن استخلف يوشع بن نون. قال ابن إسحق: حوّلت النبوّة إلى يوشع بن نون في حياة موسى عليه السلام.

نسب يوشع عليه السلام

وهو فتى موسى عليه السلام، هو يوشع بن نون بن افراثيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. بعثة الله نبيّا بعد موسى إلى أريحا لحرب من فيها من الجبابرة، فقاتلهم حتى أمسى، فدعا الله أن يمسك عليه الشمس عن الغروب حتى يظهر عليهم. فقيل: رجعت الشمس قدر نصف ساعة. وقيل: رجعت اثني عشر برجا، ولم يبق أحد ممّن أبى أن يدخل مدينة الجبّارين مع موسى، إلّا مات ولم يشهد الفتح، قاله السدّي. وقال ابن عباس: كلّ من دخل التيه ممّن جاوز العشرين مات، ولم يدخل المدينة غير يوشع، وقد قيل أنّه

(١) بعد اكتشاف اللغة الهيروغليفية مؤخرا تبين أن اسم موسى باللغة المصرية القديمة التي كانت سائدة في زمن موسى وسمي بموجبها هو "الوليد". انظر كتاب من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن لمؤلفه رءوف أبو سعدة ج٢ الصفحات ١١-٢١.

فتحها في حياة موسى، وعاش يوشع مائة وعشر سنين، وأقام يدبّر بني إسرائيل ثمان وعشرين سنة، ثمّ استخلف يوشع رجلا صالحا اسمه غالب بن يوقنا.

نسب[1] حزقيل عليه السلام

ذكر الطبري: لا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين أنّ القائم بأمور بني إسرائيل بعد يوشع، كان غالب بن يوقنا، ثمّ حزقيل بن يونا، ويقال: ابن العجوز، لأنّ أمّه ولدته وهي عجوز عقيم، وهو النبيّ الذي أصاب قومه الطاعون، فـ ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[2] وقصّتهم مذكورة في هذا الكتاب.

نسب إلياس عليه السلام

قيل: هو إدريس عليه السلام، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب، ذكر الطبري ' قال: لمّا مات حزقيل، كثرت الأحاديث في بني إسرائيل، وتركوا عهد الله تعالى وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم إلياس، وهو إلياس بن العيزار بن هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل، هكذا نسبه الطبري. وذكر غيره: أنّه بعث إلى أهل بعلبك. وبعل: اسم صنم كانوا يعبدونه، فتمادوا في طغيانهم بنو إسرائيل، فدعا عليهم إلياس، فأمسك الله الغيث عنهم ثلاث سنين، حتى هلكت مواشيهم ودوابهم، فسألوه أن يدعو لهم، فدعا لهم، فجاءهم الخير، فلم يتوبوا، فدعا إلياس أن يقبض روحه، فكساه الله الريش، وجعله يطير مع الملائكة، فكان إنسيّا ملكيّا، سماويّا أرضيّا، ويجتمع في كلّ موسم بالخضر. وقد روي أنّه اجتمع برسول الله ﷺ وأكل معه من طعامه، ويذكر أنّ الأبدال يجتمعون به.

وأمّا اليسع عليه السلام

فهو اليسع بن أخطوب، كان تلميذا لإلياس، فدعا له، فنبّئ بعده، وهو يعرف بابن العجوز، ثمّ هلك، وما زال الأمر في إدبار لكثرة التخاليط، وسلّط الله عليهم ملكا أخذ منهم التابوت. وقصّتهم مذكورة في هذا الكتاب. فأقاموا في ذلك التمزيج[3] من أوّل وفاة يوشع، أربعمائة وستين سنة، إلى أن عادت النبوّة والملك إليهم بشمويل.

---

(١) أ، ج، ر، ن، ي: - نسب.

(٢) [البقرة: ٢٤٣]

(٣) ج، م، ي: التخليط.

وأمّا شمويل عليه السلام

فقد زرته[1] على أميال من بيت المقدس، وهو شمويل بن بالي، ويقال: ابن هلقانا، وهو بالعربية إسماعيل.

وكان بنو إسرائيل لمّا طال عليهم البلاء، وملكتهم العمالقة، وضُربت عليهم الجزية، وكان ملكهم طالوت، وكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيّا يقاتلون معه، ولم يكن بقي من سبط النبوّة إلّا امرأة حبلى اسمها حنّا، وكانت تدعو أن يرزقها غلاما، قيل وكانت عاقرا، فسألت الله تعالى أن يرزقها ولدا، فولدت شمويل، فسمّته شمعون، وهو فعلون، من سمع الله دعائي، والسين في لغتهم شين، وهو من ولد قاهث بن لاوي بن يعقوب، فلمّا بلغ اثنين وعشرين سنة، ولد داءود النبيّ عليه السلام.

فلمّا أكمل شمويل أربعين سنة، بعثه الله نبيّا، وبعث لهم شمويل طالوت ملكا، ولم يكن من سبط الملك، فأبَوْه، وكانت آيته أن آتاهم التابوت الذي انتزع منهم، تحمله الملائكة نهارا، حتى وُضع بين أيديهم عند طالوت. هذا مرويّ عن ابن عباس. فآمنوا حينئذ بنبوّة شمويل، وبملك طالوت.

وكان في التابوت، على ما زعم السدّي، طست من ذهب، كان يغسل فيها قلوب الأنبياء، ورضراض الألواح[2]، وعصا موسى عليه السلام.

وخرج طالوت لقتال جالوت، كما ذكرناه في هذا الكتاب. ولمّا قتل داءود جالوت، زوّجه طالوت ابنته، ثمّ بعد ذلك حبسه، وأراد قتله، فهرب منه داءود عليه السلام، وندم طالوت على ما همّ به من قتل داءود، وتاب إلى الله. وقال طالوت: من توبتي أن أنخلع عن ملكي، وأقاتل في سبيل الله، أنا وبنيّ حتى أموت. فخرج عن ملكه، وأخرج معه بنيه، وهم ثلاثة عشر، فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا كلّهم. وورّث الله داءودَ مُلك طالوت، ونبوّة شمويل، وهو قوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾، يعني مُلك طالوت ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾[3]: نبوّة شمويل.

وتاريخ مدّة مُلك طالوت، فيما حكى ابن جرير الطبري، على ما زعم أهل التوراة: أربعون سنة.

---

(١) يقصد أنه زار قبره.

(٢) رضراض الألواح: فتات الألواح (ألواح موسى هنا).

(٣) [البقرة: ٢٥١]

وأمّا شمويل، فعاش اثنين وخمسين سنة، دبّر أمر بني إسرائيل منها إحدى عشرة سنة.

وأمّا داءود عليه السلام

فهو داءود بن بائش بن عويال من ولد يهودا[1]، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب. أطاعه بنو إسرائيل، وفتح لهم الفتوحات الكثيرة. كان يقيم الزبور على اثنين وسبعين صوتا، وكان له تسع وتسعون زوجة. ولمّا بلغ ثمانين سنة، ابتلي بقصة أوريا، وتزوّج زوجته، فولدت له سليمان، وعاش داءود مائة سنة، وقيل: شرع في بناء بيت المقدس، فمات قبل أن يتمّه. وكان ملكه أربعين سنة، وشيّع جنازته أربعون ألف راهب.

(وأمّا سليمان بن داءود عليهما السلام)

ثمّ ولي سليمان بن داءود ملك أبيه، وله اثنتا عشرة سنة. وسخّر له الجنّ والإنس والريح. وقصّته مذكورة في هذا الكتاب.

ولمّا مضى من ملكه أربع سنين، بدأ ببناء بيت المقدس، وفرغ منه في سبع سنين. ولمّا مضى من ملكه خمس وعشرون سنة، جاءته ملكة سبأ، وهي بلقيس. واختلف في تزويجه إيّاها، وقد ذكرناه.

وروينا من حديث ابن عباس، عن النبيّ ﷺ، قال: بينما سليمان يصلّي ذات يوم، رأى شجرة، فقال: ما اسمك؟ فقالت: الخرّوب. فقال: لأيّ شيء أنت؟ فقالت: لخراب هذا البيت. فقال سليمان؟ اللهمّ غمّ على موتي، حتى تعلم الجنّ أنّهم لا يعلمون الغيب. ونحت من الخرّوب عصا، وتوكّأ عليها حولا، وهو ميّت حتى أكلتها الأرضة، فسقط عن كرسيّه، فعلمت الجنّ عند ذلك بموته، وعاش سليمان اثنين وخمسين سنة، وملك بعده ابنه رحبعم، سبع عشرة سنة. وملك ابنه أبيا بعده بعض بني إسرائيل، ثلاث سنين. ولم يزل الملك في ولده إلى صاحب شعيا.

ثمّ بعث الله شعيا عليه السلام

قال ابن إسحق: اسم صاحبه صديقة[2]. وقال غيره: صديقا. وهو الذي بشّر بعيسى وبمحمد، عليهما السلام. وقصد مَلِك بابل قتال صديقة، فكفاه الله. وأوحى الله إلى شعيا أنّي

(١) في النسخ: يهود.

(٢) صديقة: اسم الملك في عهد شعياء.

قد أخّرت أجل صديقة خمس عشرة سنة. قاله ابن إسحق.

وذكروا أنّ بني إسرائيل قتلوا شعيا بعد موت صديقة، وسلّط الله عليهم عدوّهم فأفناهم. وأقام الملك في داءود وبنيه أربعمائة وثلاثا وخمسين سنة، وكان آخرهم صدقيا[1]، وكان في زمنه أرميا، وأقام الشام خرابا ما[2] فيه غير السمَرة سبعين سنة، والمُلك لأهل بابل.

وبعث الله أرميا عليه السلام

فأخبرهم بغضب الله عليهم، فضربوه وقيّدوه، فبعث الله عليهم بخت نصر، فقتل منهم وصلب وحرق، والقصّة مذكورة في هذا الكتاب، وخرّب بيت المقدس، وخرج أرميا إلى مصر، فأقام بها، فأمره الله بالعَوْد، فسار حتى أشرف على خراب بيت المقدس، فقال: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾[3]، ثمّ أحياه بعد أن عمرت بيت المقدس. قيل: أقامت خرابا سبعين سنة.

وزعم ابن إسحق أنّ أرميا هو الخضر. وقال قتادة: الذي مرّ على القرية هو عُزَيْر.

وأمّا دانيال والعُزير

فكانا من جملة من سباهم بخت نصر، فسار بهم إلى بابل، وأقاما في يده، ثمّ رأى رؤيا هالته، فعبّرها له دانيال، فأكرمه. ونجا دانيال والعزير ومن كان تحت يد بخت نصر بعد موته، إلى بيت المقدس.

وذُكر أنّ أبا موسى الأشعري وجد قبر دانيال بالسوس، فأخرجه وكفّنه وقبره، وهو الذي كان يستمطر به أهلُ فارس في زمان كسرى.

وأمّا العُزير

فلمّا عاد إلى بيت المقدس، أقام لِبني إسرائيل التوراة، بعدما أُحرقت، وكان من علمائهم، ولم يكن نبيّا.

وقال العتبي: وأخبرني أيضا بذلك أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحنبلي بمكة، وأنا أسمع عليه "كتاب السنن" لأبي داءود، فمرّ ذكره، فقال: كان عُزير قد أكثر المناجاة في القدَر، فمحي

---

(١) أ، ر، ن: صندقيا.

(٢) أ، ر، م، ن: - ما.

(٣) [البقرة: ٢٥٩]

من الأنبياء اسمه، فلا يُذكر فيهم. وزعم أهل التوراة أنّ عزرة وهو العزير دبّر أمر بني إسرائيل، ومكث معه أربعين سنة. وذكر أهل التاريخ أنّه من ولادة داءود إلى موت العزير، خمسمائة وأربع وستون سنة. وفي آخر أيّام العزير، زال مُلك الفرس من الشام، وصارت لليونانيين والروم.

وأمّا يونس عليه السلام

وهو يونس بن متّى، بعث إلى أهل نينوى، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب، واختُلف في زمن مبعثه، فقيل: بُعث بعد سليمان، وقيل: بعد إلياس، وقيل: بعد شعيا.

وأمّا زكريا عليه السلام

فهو زكريا بن برخيا من ولد سليمان بن داءود، وقيل: زكريا بن اذن، وكان زكريا وعمران أبو مريم متزوّجين بأختين: الواحدة عنده، والأخرى عند عمران، وهي أمّ مريم، ولهذا كفل زكريا مريم، فإنّ أباها كان قد مات، وقيل أنّه ضعف عن كفالتها لأزمة أصابتهم، فكفلها جريج النجار. فلمّا بلغ زكريا الكبر، رزقه الله يحيى من زوجته تلك، فيحيى ابن خالة مريم. وولِد عيسى بعد ولادة يحيى بثلاث سنين، وقيل: ستة أشهر، فاتّهم بنو إسرائيل زكريا بمريم، فهرب منهم، والقصة مذكورة في هذا الكتاب.

وأمّا يحيى بن زكريا عليهما السلام

فولِد في مُلك سابور، وذلك بعد قيام الاسكندر بثلاثمائة سنة وثلاث سنين، ويحيى صبغ عيسى في نهر الأردن.

وذكر أنّ ملكا من ملوك بني إسرائيل، شاور يحيى في تزويج امرأة، فقال: إنّها بغي، فاحتالت المرأة عليه حتى قتله الملك، وبقي دمه يغلي إلى أن رُفع عيسى. غزاهم ملك بابل، يقال له خردوس، وظهر عليهم، ورأى دم يحيى يغلي، فقتل عليه خلقا من الناس، وخرّب بيت المقدس.

وأمّا عيسى بن مريم عليه السلام

فولد بعد قيام الاسكندر بثلاثمائة سنة وثلاث سنين، وقيل: بثلاثمائة وتسع عشرة سنة. ذكر الحسن أنّ مريم حملت بعيسى تسع ساعات، ووضعته من يومها. وقيل: حملت به

على العادة، ومولده ببيت لحم، وهربت به إلى مصر، فأقامت[1] بها اثني عشرة سنة، ثمّ رجعت به إلى الشام، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة، وكانت نبوّته ثلاث سنين. وقيل: تكلّم في المهد ثلاث مرات، ثمّ لم يتكلّم حتى بلغ حدّ الكلام المعتاد. هذا قول أبي هريرة، وقصّته مذكورة في هذا الكتاب. وكان رفعه من بيت المقدس ليلة القدر. قال وهب: توفّاه الله ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه، وعاشت أمّه بعده ست سنين. وكان[2] بيت المقدس حين رُفع عيسى للروم. ولمّا بلغ ملك الروم ما فُعل بالمسيح، وجّه، فأنزل المصلوب المشبَّه، وأخذ خشبته فأكرمها، وقتل من بني إسرائيل قتلى كثيرة، وأجلاهم عن فلسطين، ومن هناك كان أصل النصرانية في الروم، واسم هذا الملك قسطنطين، وهو الذي بنى قسطنطينية.

وأمّا الثلاثة أصحاب القرية

وحكايتهم مذكورة، واختلف الناس فيهم، فقال وهب: كانوا ثلاثة أنبياء: صادق وصدوق وسلوم. بُعثوا إلى أهل أنطاكية، وملكهم أنطيخش[3]. وقال قتادة: كانوا من الحواريين، بعثهم عيسى بأمر الله إلى أنطاكية.

فأمّا الذي جاء من أقصى المدينة: فآمن بهم، واسمه حبيبا، كان مجذما بأنطاكية، فلمّا آمن وطئه الروم[4] بأرجلهم حتى مات، فأحياه الله وأدخله الجنّة، وأهلك قريته بصيحة من السماء فخمدوا.

وأمّا ذو الكفل

فإنما سمّي ذا الكفل، قيل: أنّه بُعث إلى ملك[5] من بني إسرائيل، يقال له: كنعان، فدعاه إلى الإيمان، وكفل له بالجنّة، فآمن به، فسمّي ذا الكفل، قاله العتبي. قال مجاهد: تكفل لليسع بأمّته، فوفى له، ولم يكن نبيّا. وقيل: تكفّل بعمل رجل صالح. وكان يصلّي كلّ يوم مائة صلاة. وقيل: تكفّل بملك أحد ملوك بني إسرائيل. وقال الطبري: ذو الكفل هو بشر بن أيوب

---

(١) أ، ر، ن: فأقام.

(٢) ر، ن: وكانت.

(٣) أ، ج، ر، ن: طيخش. م، ي: طيخشر.

(٤) ج، م، ي: وطئوه.

(٥) ج، م، ي: حي.

عليه السلام، بعثه الله بعد أبيه أيوب.

وأمّا لقمان الحكيم

فكان عبدا حبشيّا لرجل من بني إسرائيل، فأعتقه، وكان في زمن داءود عليه السلام، واسم أبيه: باران، واختُلف في نبوّته، وكان خيّاطا. وقيل: كان في زمن عاد، وكان من جملة وفدِ عادٍ الذين أنفذوهم إلى مكة يستسقون لهم، فدعا الله أن يطيل عمره، وكان له حينئذ مائتا سنة، وقيل: عاش ألفا وثلاثمائة سنة.

وأمّا خالد بن سنان العبسي عليه السلام

قيل هو من ولد إسماعيل، أدركتْ ابنتُه النبيّ عليه السلام. قال ابن عباس: ظهرت نار بالبادية بين مكة والمدينة، في الفترة، فسمّتها العرب: بدا، وكادت طائفة منهم أن تعبدها مضاهاة للمجوس، فقام هذا خالد، فأخذ عصاه، واقتحم النار يضربها بعصاه حتى أطفأها الله. ثمّ قال: إنّي ميّت، فإذا أنا متُّ، وحال الحول، فارصدوا قبري، فإذا رأيتم حمارا عند قبري، فارموه فاقتلوه، وانبشوا قبري، فإنّي[1] أحدّثكم بكلّ ما هو كائن. فمات، فلمّا حال الحول، رأوا الحمار فقتلوه، وأرادوا نبشَه، فمنعهم أولاده، وقالوا: لا نسمّى بني المنبوش[2]. وقصّ النبيّ عليه السلام قصّته على أصحابه، حين جاءته ابنته، فانتسبت له، فقال لها: "مرحبا بابنة نبيّ أضاعه قومه"، ثمّ قال عليه السلام: "لو نبشوه لأخبرهم بشأني، وشأن هذه الأمّة، وما يكون منها".

تاريخ نزول الكتب من عند الله تعالى

روي أنّ صحف إبراهيم، نزلت[3] أوّل ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التوراة لستّ ليال خلت من شهر رمضان، بعد صحف إبراهيم بسبعمائة عام، وأنزل الزبور لاثني عشر ليلة خلت من شهر رمضان بعد التوراة بخمسمائة عام، وأنزل الإنجيل لثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، بعد الزبور بألف ومائتي عام، وأنزل القرآن لسبع وعشرين ليلة من شهر رمضان بعد الإنجيل بستمائة وعشرين عاما.

---

(١) أ، ن: وإني.

(٢) في النسخ: بنو المنبوش.

(٣) ج، م، ي: + في.

تاريخ قتل المختار[1]

قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين، وأقام ابن الزبير الحج للناس من سنة أربع وستين إلى سنة اثنين وسبعين، وقُتل ابن الزبير، وصُلب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقيل من جمادى الآخرة سنة اثنين وسبعين، وماتت أمّه بعده[2] بخمسة أيّام، ولها مائة سنة. وكان مُلك ابن الزبير بالحجاز والعراق منذ مات معاوية بن يزيد إلى أن قتل تسع سنين.

وكان إسلام الحكم[3]، طريد رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، ومات في خلافة عثمان.

وولي الحجاج العراق سنة خمس وسبعين. ونقشت الدنانير والدراهم بالعربية سنة ست وسبعين. وقيل: سنة خمس وسبعين، نقشها عبد الملك بن مروان، وكان نقشها قبل ذلك بالروميّة.

وأمّا الوليد بن عبد الملك

فهو الذي بنى جامع دمشق، وزاد فيه كنيسة النصارى، وولي عمر بن عبد العزيز المدينة، وأقام بها[4] سبع سنين وخمسة أشهر. وشيّد مسجد النبيّ عليه السلام، وفي أيامه فُتحت بلاد الأندلس، وحُملت إليه منها مائدة سليمان، وهي من خليطين: ذهب وفضة، وعليها ثلاثة أطواق[5] من لؤلؤ، وحمل له كلّ ما أخذ فيها من لؤلؤ وياقوت وزمرّد، سوى ما أخفي: مائة عجلة وثلاث عشرة عجلة. وفي أيامه كان طاعون الجارف؛ مات في ثلاثة أيّام ثلاثمائة ألف إنسان. وفيها مات الحجاج بواسط، في رمضان سنة خمس وتسعين وله ثلاث وخمسون سنة. وولي الحجاجُ العراقَ عشرين سنة. وعدد من قتل الحجاجُ صبرًا مائة ألف وعشرون

---

(١) المختار بن عبيد الثقفي: لقّب المختار بالكذّاب، لأنّه ادعى أنّه يوحى إليه، وكان أميرا على الكوفة من قبل ابن الزبير رضي الله عنهما، فطابت نفسه بالملك، فسار إليه مصعب بن الزبير فقتله. [الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا (ص: ٤٨٢)]

(٢) أ، ر، م، ن، ي: - بعده.

(٣) الحكم بن أبي العاص أبو مروان الأموي أسلم يوم الفتح وقدم المدينة وكان يفشي سر رسول الله ﷺ فسبّه وطرده إلى بطن وج ولم يزل طريدا إلى أن ولي عثمان فأدخله المدينة ووصل رحمه وأعطاه مائة ألف درهم لأنه كان عمه وقيل نفاه إلى الطائف لأنه كان يحكيه في مشيته وبعض حركاته. [الوافي بالوفيات (١٣/ ٧٠)]

(٤) أ، ر، ن: واليها. م: فيها.

(٥) م، ي: أطواف.

ألفا، ومات وفي[1] حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، وحج بالناس سنة ثمان وثمانين، وسنة[2] إحدى وتسعين، وسنة[3] أربع وتسعين.

وأمّا سليمان بن عبد الملك

فكان نكّاحا، شرِها في الأكل، يأكل في كلّ يوم نحوًا من مائة رطل. وبنى ميناء الرملة سنة ثمان وتسعين، وحج بالناس سنة سبع وتسعين.

وأمّا عمر بن عبد العزيز

فهو الذي بنى الجُحفة، واشترى ملطية من الروم بمائة ألف، وحج بالناس سنة تسع وتسعين، وكان له ولد ناسك اسمه عبد الملك، مات في حياته وله تسع عشرة سنة ونصف.

وأمّا يزيد بن عبد الملك

فكان[4] صاحب لذّات وكان[5] قد تعشّق بجاريتين: اسم الواحدة حبابة والأخرى سلّامة، فماتت حبابة فحزن عليها وتركها ولم يدفنها، فعوتب فدفنها ثمّ نبشها وأخرجها، ومات بعدها بيسير حزنا عليها. وفي أيّامه خرج يزيد بن المهلّب بالبصرة ووجّه إليه أخاه مسلمة فقتله، ولم يحج في شيء من خلافته.

وأمّا هشام بن عبد الملك

فخرج في أيامه زيد بن علي بالكوفة، ودعا إلى نفسه، فقتله يوسف بن عمر وصلبه، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائة. وفي أيّامه بنى سعيد أخوه قبّة بيت المقدس. وحج بالناس سنة ست ومائة[6].

وأمّا الوليد بن يزيد

فهو الذي دفع خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر، فقتله. وسار إليه ابن عمه

---

(١) ج، م، ي: في.
(٢) ج، م، ي: - وسنة.
(٣) ج، م، ي: - وسنة.
(٤) م، ي: كان. ج: فإنه كان.
(٥) ج، م، ي: - وكان.
(٦) كان هذا الحج قبل خلافته.

يزيد بن الوليد بن عبد الملك فقتله في يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ستّ وعشرين ومائة. وحبس ولديه عثمان والحكم، وكان الوليد قد عهد إليهما ولم يزالا في الحبس إلى أن ولي مروان الحمار فقُتلا. قال صالح بن الوجيه: لمّا قتل الوليد بن يزيد حمل رأسه إلى دمشق، ونصب في مسجدها، ولم يزل أثر دمه بالجدار إلى أن ولي المأمون، فأمر بحكّه.

وأمّا يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي قتل الوليد بن يزيد

لمّا ولي بعده نقّص الجند أعطياتهم، فسمّوه الناقص.

وأمّا مروان بن محمد الذي يلقّب الحمار

يقال له الجعدي لأنّ خاله الجعد بن درهم، ولم يزل مروان ظاهرا إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني، وبويع للسفّاح بالكوفة في شهر ربيع الأوّل سنة اثنين وثلاثين ومائة، وسار عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس إلى مروان، بأمر السفّاح، فانهزم مروان، فاتبعه عبد الله حتى نزل نهر قلان بفلسطين، وقتل جماعة من بني أميّة[1]، فهرب مروان إلى مصر، ولحقه صالح بن علي أخو عبد الله بن علي ببوصير، قرية من صعيد مصر، فقتله ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة[2].

* * *

موعظة عبد الله العمري للرشيد بمكة

روينا من حديث ابن إسحق، هو محمد بن إسحق بن عبد الرحمن البغوي. قال سمعت سعيد بن سليمان، قال: كنت بمكة في زقاق الشطوي وإلى جنبي عبد الله بن عبد العزيز العُمري[3]، وقد حج هارون الرشيد، فقال له إنسان: يا أبا عبد الله[4]؛ هو ذا أمير المؤمنين يسعى وقد أخلي له المسعى، قال العُمري للرجل: لا جزاك الله عنّي خيرا؛ كلّفتني أمرا كنت عنه غنيّا. ثمّ قام، فتبعته، فأقبل هارون الرشيد من المروة يريد الصفا، فصاح به: يا هارون! فلمّا نظر إليه قال: لبّيك يا عُمَرِي، قال: ارق الصفا. فلمّا رقيه، قال: ارم بطرفك إلى البيت،

---

(١) جاء في [قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (٢/ ١٤٣)] ما يلي: وهدم عبد الله بن علي سور دمشق حجرا حجرا، وقتل بنهر أبي فطرس سبعين رجلا من بني أمية.

(٢) لعل الصواب ٣ من ذي الحجة ١٣٢هـ، أما ٢٧ ذو الحجة فهو يقابل يوم الخميس وليس الأحد.

(٣) العمري: من نسل عمر بن الخطاب.

(٤) جاء في المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي: يا أبا عبد الرحمن.

قال: قد فعلت. قال: كم هم؟ قال: ومن يحصيهم؟ قال: فكم في الناس مثلهم؟ قال: خلقٌ لا يحصيهم إلّا الله. قال: اعلم أيّها الرجل؛ أنّ كلّ واحد منهم يُسأل عن خاصّة نفسه، وأنت وحدك تُسأل عنهم كلّهم، فانظر كيف تكون؟ قال: فبكى هارون وجلس، وجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع.

قال العُمري: وأخرى أقولها، قال: قل يا عم. قال: واللهِ إنّ الرجل ليسرف في ماله فيستحقّ الحجْرَ عليه، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين؟ ثمّ مضى وهارون يبكي.

قال البغوي: فبلغني أنّ هارون الرشيد كان يقول: إنّي لأحبُّ أن أحجّ كلّ سنة، ما يمنعني إلّا رجل من ولد عمر ثَمَّ يُسمعني ما أكره.

حدّثني بهذه الحكاية يونس بن يحيى بمكة، قال: ثنا أبو بكر بن أبي منصور، عن أبي إسحق إبراهيم[1] بن سعيد الحبَّال الحافظ، عن أبي العباس أحمد بن محمد بن الجرّاح، عن محمد بن جعفر بن دُرّان، عن هارون بن عبد العزيز العباسي، ثنا محمد بن خلف بن حيّان[2]، عن محمد بن إسحق بن عبد الرحمن البغوي.

وروينا من حديث ابن ودعان، عن أبي الموفّق محمد بن محمد بن محمد بن[3] الحسن النيسابوري، عن سلمة بن خلف، عن إبراهيم بن محمد، عن أحمد بن عبد الجبار العطاردي، عن وكيع بن الجراح، عن سليمان بن إبراهيم، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: «يا ابن آدم؛ يؤتى كلّ يوم برزقك وأنت تحزن، وينقص كلّ يوم من عمرك وأنت تفرح، أنت فيما يكفيك، وأنت تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع، ولا بكثير تشبع».

وسماعنا على قول الشريف الرضي[4] في التوديع بالنفس:

أراك ستحدث للقلب وجدا ... إذا ما الركائب ودّعن نجدا
بواكر يطلعن نقب الغوير ... شأون النواظر نأيا وبُعدا
كأنّا بنجد غداة الوداع ... نُصادِي عيونا من الدمع رُمدا

---

(١) ج، م، ي: عن إبراهيم.

(٢) محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد أبو بكر الضبي القاضي المعروف بوكيع كان عالما فاضلا عارفا بالسير وأيام الناس وأخبارهم، وله مصنفات كثيرة.

(٣) ج، م، ي: - بن.

(٤) أ، ر، م، ن، ي: قول الرضي.

وأيسر ما نال منّا الغليل أن لا يحسّ من الماء بردا
أثاروا زفيرا يلفّ الضلوع لفّ الرياح أنابيب مُلدا
فكلّ حرارة أنفاسه تدلّ على أنّ في القلب وقدا
وإنّي للشوق من بعدهم أراعي الجنوب مراحًا ومَغدى
وأفرح من نحو أوطانهم بغيثٍ يجلجل برقا ورعدا
إذا طلع الركب يمّمتهم أحيّي الوجوه كُهولا ومُردا
وأسألهم عن عقيق الحمى وعن أرض نجد ومَن حلّ نجدا
نشدتكم الله فليُخبِرن من كان أقربَ بالرمل عهدا
هل الدار بالجزع مأهولة أثار الربيع عليها وأسدى
وهل حَلَبَ الغيثُ أخلافَهُ على محضر[1] من زَرود ومبدا
وهل أهله عن تنائي الديار يراعون عهدا ويرعون ودّا

وسمعنا على قول مهيار[2] في التوديع بالنفس:

لو كنت تتلو غداة السفح أخباري علمتَ أن ليس ما عيّرتَ بالعارِ
شوقٌ[3] إلى الوطن المحبوب جاذب أضـ ـلاعي ودمعٌ جرى من فرقة الجار
ووقفةٌ لم أكن فيها بأوّل من بان الخليط فداوى الوجد بالدار
ولُمْتُ في البرق زفراتي فلو علمتْ عيناك من أين ذاك البارق الساري
طارت شرارته في جوّ كاظمة تحت الدجى[4] بلباناتي وأوطاري
هل بالديار على لومي ومعذرتي عدوى تقام على وجدي وتذكاري
أم أنت تعذُل فيما لا تريد به إلّا مداواة حرّ النار بالنار

وسماعنا على قوله أيضا في ذلك بالنفس:

من بمنى وأين جيرانُ منى كانت[5] ثلاثا لا تكون أربعا
سلبتموني كبدا صحيحة أمس فردّوها عليّ قِطعا

(١) أ، ر، ن: مخضر.

(٢) مهيار بن مرزويه الديلمي (ابو الحسن) (ت: ٤٢٨ هـ): أديب، كاتب، شاعر وقته، فارسي الأصل من أهل بغداد، كان مجوسيا فأسلم على يد أستاذه الشريف الرضي، وعليه تخرج في الشعر والأدب، وتشيّع، وتوفي ببغداد. وله ديوان شعر كبير في أربع مجلدات. [معجم المؤلفين ١٣/ ٣٢]

(٣) ج، م، ي: شوقي.

(٤) أ، ر، ن: الرجا.

(٥) ج، م، ي: كانوا.

عدمت صبري فجزعتُ بعدكم ثمّ ذهلتُ فعدمت الجزعا
فارتجعا لي ليلة بحاجر إن تمّ[1] في الفائت أن يُرتجعا
وغفلة سرقتها من زمني بلعلع سقى الغمام لعلعا

ومن وقائع بعض الفقراء

ما حدّثناه عبد الله بن الأستاذ المورووري بمورور، قال: قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين وخلقا كثيرا من أهل التصوّف لم أعرف منهم إلّا أبا حامد الغزالي[2] وأبا طالب المكي وأبا يزيد البسطامي، فقالوا لأبي مدين: زدنا من الغذاء الباقي. فقال: التوحيد هو المقصد وإليه الطريق، وهو القطب وعليه التحليق[3]، وهو تاج العارفين وبه سادوا، وبأخلاقه تخلّقوا وله انقادوا، هو بهم بَرٌّ وَصول، منه البداية وإليه الوصول، نوّر قلوبهم بالحكمة والإيمان، وشرح صدورهم فتحلّقوا[4] بالقرآن، ففهموا معانيه وبان لهم المراد، فدامت فكرتهم فيه فمنعتهم[5] السهاد، وما عرّجوا على أهلٍ ولا أولاد، ولم يشركوا بعبادة ربّهم أحدا.

هو الضياء بمشكاة العارف؛ عنه ينطق وبه يكاشف، لم يلتفت إلى ما سواه ولم يدّخر سوى مولاه، هو حياته ونشوره، وبه إشراقه ونوره، يمدّه بدقائق المعاني، فيميّز بين الباقي منه والفاني، فيعبّر عنه بمعان روحانية، تقصُر عن إدراكها الصفات البشرية، ويعيها من هو بالتوحيد حيّ، ويعجز عنها من رضي بنعيم الجنان. فالعارف لذّته ذكره، هو[6] كلّ كلّيّته، والظاهر لعباده[7]، ومفصحه بالعلم وهاديه لبيانه، أمدّ سرّه مِن سرّه، فأنطق لسانه بالحكمة، فجذب الخلق إليه وهدى به الأمّة، فكشف له الغطاء عن أسرار التوحيد، وتجلّى لقلبه مَن هو أقرب إليه[8] من حبل الوريد. فتألّفت متفرّقاته، ففني عن رسومه، وكاشفه به، وشرّفه بمعلومه، فاهتزّت أرضه، ونبع ماؤه، فوسعه[9] قلبه، وما وسعه أرضه ولا سماؤه. هكذا جاء

(١) ج، م، ي: ثمّ.
(٢) أ، ر، ن: - الغزالي.
(٣) أ، ج، م، ي: التخليق.
(٤) ج، م، ي: فتخلقوا.
(٥) ج، م، ي: فمنعهم.
(٦) ج، م، ي: وهو.
(٧) ج، ي: بعباده.
(٨) أ، ر: إليه أقرب.
(٩) أ، ج، ر، م، ن: فوسع.

في الخبر عن سيّد البشر.

هو مأمول العارف وهو الأمل. وقد صحّت له محبّته في الأزل، فألبسه التقوى وزيّنه بالتجريد، وأقامه للعيان وأفناه في التوحيد. سقاه شرابا رويّا، وغذّاه بلبّ[١] اللبّ، واتصل بالمحلّ الخالص من اللقاء والقرب.

ومن باب من يتوكّل على الله فهو حسبه

ما أخبرنا به عبد الوهاب بن علي بن عبيد الله[٢] ببغداد، قال: أخبرني والدي، قال: ثنا الخطيب أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصريفيني[٣]، أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن إسحق بن سليمان بن حبابة، ثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن أبي حمزة، قال: سمعت هلال بن حصن قال: أتيت المدينة فنزلت دار أبي سعيد الخدري فضمّني وإيّاه المجلس، فحدّث أنّه أصبح ذات يوم وليس عندهم طعام، وأصبح وقد عصب على بطنه حجرا من الجوع، فقالت لي امرأتي: إئت رسول الله ﷺ، فقد أتاه فلان فأعطاه، وأتاه فلان فأعطاه. قال: فأتيته فقلت: ألتمس شيئا فذهبت[٤] أطلب، فانتهيت إلى النبيّ ﷺ، وهو يخطب، وهو[٥] يقول: من يستعفف يعفّه الله، ومن يستغنِ يغنه الله، ومن سألنا فوجدناه[٦] أعطيناه وواسيناه، ومن استعفّ عنّا واستغنى فهو أحبّ إلينا ممن سألَنا: قال: فرجعت وما سألته، فرزقني[٧] الله تعالى حتى ما أعلم أهل بيت من الأنصار أكثر أموالا منّا.

قصّة ما جرى لأمير المؤمنين المنصور بمكة مع بعض الفقراء

روينا عن غير واحد أنّ أبا جعفر المنصور بينا هو يطوف[٨] بالبيت ليلا، إذ سمع قائلا يقول: اللهمّ إنّا نشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحقّ وأهله من

---

(١) م، ي: بلبن. ج: بلبان.

(٢) هو أبو أحمد ابن سكينة البغدادي الحافظ الشافعي (ت: ٦٠٧هـ).

(٣) نسبة إلى صريفين وهي من قرى الكوفة.

(٤) ج، م، ي: - فذهبت.

(٥) ج، م: - هو.

(٦) ج، م، ي: شيئا.

(٧) أ، ر، م، ن: فرزق.

(٨) ج، م، ي: طائف.

الطمع.

فخرج المنصور، فجلس ناحية من المسجد، ثمّ أرسل إلى الرجل، فصلّى ركعتين، ثمّ استلم الركن، وأقبل مع الرسول، فسلّم عليه بالخلافة، فقال له المنصور: ما[1] الذي سمعتك تذكر؟ قال: إن أمّنتني -يا أمير المؤمنين- أعلمتك بالأمور من أصولها، وإلّا اقتصرت على نفسي، ففيها لي شغل شاغل. قال: فأنت آمن على نفسك.

فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ الله استرعاك أمر عباده وأموالهم، فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجصّ والآجر، وأبوابا من الحديد، وحرّاسا معهم السلاح، ثمّ سجنتَ نفسك منهم، وبعثت عمّالك في جباية الأموال وجمعِها، وأمرت ألّا يدخل عليك من الناس إلّا فلان وفلان، ولم تأمر بإيصال المظلوم والملهوف إليك، ولا أحد إلّا وله في هذا المال حقّ. فلمّا رآك النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيّتك، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك[2]، تجبى الأموال وتجمعها، قالوا: هذا خان الله، فما لنا لا نخونه؟ فأتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلّا ما أحبّوه، ولا يخرج لك عامل إلّا خوّنوه عندك وعابوه حتى تسقط منزلته عندك.

فلمّا انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمَهم[3] الناس وهابوهم وصانعوهم. وكان أوّل من صانعهم عمّالك بالهدايا والأموال، ليتقوّوا بذلك على ظلم رعيّتك. ثمّ فعل ذلك ذو المقدرة والأموال من رعيّتك، ليصلوا إلى ظلم من دونهم. فامتلأت بلاد الله بغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركاءك وأنت غافل. فإن جاء متظلّم حيل بينك وبينه، وإنّ أراد رفع قصّته إليك وجدك قد نهيت عن ذلك، ووقّفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم، فإن جاء[4] ذلك المتظلّم، وبلغ بطانتك خبره، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك. فلا يزال المظلوم يختلف إليه، ويلوذ به، ويشكو ويستغيث ويدفعه، فإذا جهد وخرج، ظهر لك وصرخ بين يديك، ضُرب ضربا مبرّحا يكون نكالا لغيره، وأنت تنظر فلا تنكر. فما بقاء الإسلام على هذا؟

قال: فبكى المنصور بكاء شديدا، وقال: ويحك؛ كيف أحتال لنفسي؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ للناس أعلاما يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم، وهم العلماء وأهل

---

(١) م، ي: ماذا.

(٢) أ، م، ن، ي: + غيرك.

(٣) م، ي: عظمهم.

(٤) ج، ي: جاءك.

الديانة. فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاوِرهم يسدّدوك. فقال: قد بعثتُ إليهم فهربوا منّي. فقال: خافوا أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك، وسهّل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات على وجوهها، وأنا ضامن عنهم أنّهم يأتوك فيساعدونك[1] على صلاح الأمّة. ثمّ أُذّن بالصلاة، فقام يصلّي وعاد إلى مجلسه، ثمّ طلب الرجل فلم يجده.

وأنشدنا محمد بن عبد الواحد، عقيب ما سمعته يقول هذه الحكاية:

فاعمل لنفسك واجتهد إن كنت ترغب في السلامه
من قبل أن يأتي الحِمام وقبل أن تأتي القيامه
يوما تعضّ ندامة كفًّا وما تغني الندامه

وأنشد بعضهم في الزهد ومعناه:

طلّق الدنيا ثلاثا والتمس زوجا سواها
إنّها زوجة سوء لا تبالي من أتاها
تُبْ إلى ربّك منها واحترس قبل أذاها
وانهَ للنفس عن الـ ـغيّ وجنّبها هواها
فبهذا تدخل الـ ـجنّة فاحذر وتناهى

(في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)

حدّثنا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم، قال: قرأت على عمر بن عبد المجيد[2] بمكة، أنّ عبد الله بن العباس قال[3] في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[4].

قال: مرض الحسن والحسين، رضوان الله عليهما، وهما صبيّان، فعادهما ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، فقال[5]: يا أبا الحسن؛ لو قد نذرتَ عن ابنيك نذرا إن الله عافاهما، قال: أصوم ثلاثة أيّام إن الله عافاهما شكرا لله. قالت فاطمة رضي الله عنها: وأنا أيضا أصوم ثلاثة أيّام. وقال الصبيّان: ونحن نصوم ثلاثة أيّام. قالت جاريتهما فضّة: وأنا أصوم ثلاثة أيّام. فألبسهما الله تعالى

(١) أ، ر، ن: ويسعدونك. م، ي: فيسعدونك.
(٢) ج، ي: عمر بن عبد الحميد.
(٣) أ، ر، م، ن، ي: - قال.
(٤) [الإنسان: ٧]
(٥) ر، ن: فقال عمر. وفي المراجع الأخرى ومنها الإصابة والدر المنثور وأسد الغابة: فقالوا.

العافية، فأصبحوا صياما وليس عندهم طعام. فانطلق عليّ ﷺ إلى جار له من اليهود يقال له شمعون، يعالج الصوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزّة من صوف تغزلها لك ابنة محمد بثلاثة آصُع من الشعير؟ قال: نعم؛ فأعطاه، فجاء بالصوف والشعير، فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت، ثمّ غزلت ثلث الصوف، وأخذت صاعا من الشعير، فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحد قرصا.

وصلّى عليّ[١] مع النبيّ ﷺ المغرب، ثمّ أتى منزله[٢] فوضع الخوان فجلسوا، فأوّل لقمة كسرها عليّ إذا مسكين واقف على الباب، فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد؛ أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون؛ أطعمكم الله من موائد الجنّة. فوضع عليّ اللقمة من يده، ثمّ قال رجزا:

فاطم[٣] ذات المجد واليقين
يا بنت خير الناس أجمعين
أما تريْ ذا البائس المسكين
جاء إلى الباب له حنين
كلّ امرئ بكسبه رهين

فقالت فاطمة من حينها:

أمرك سمع يا ابن عمّ وطاعه ما ليَ من لومٍ ولا ضراعه
غذيت باللبّ والبراعه[٤] أرجو إذا أنفقتُ[٥] من مجاعه
أن ألحق الجنان والجماعه وأدخل الجنّة في الشفاعه

قال: وعمدتْ[٦] إلى ماكان على الخوان[٧]، فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعا، وأصبحوا صياما، لم يذوقوا إلّا الماء القراح.

ثمّ عمدتْ إلى الثلث الثاني من الصوف فغزلته، ثمّ أخذت صاعا فطحنته وعجنته وخبزت

---

(١) أ، ر، م، ن، ي: - علي.
(٢) م، ي: إلى منزله.
(٣) ج، م: أفاطم.
(٤) أ، ج، ر، ن: وبالبراعة.
(٥) أ، ر، م، ن، ي: أنصفت.
(٦) ج، م، ي: فعمدت.
(٧) ج، ي: إلى ما في الخوان.

منه خمسة أقراص لكلّ واحد قرصا.

وصلّى عليٌّ المغرب مع النبيّ ﷺ، ثمّ أتى منزله، فلمّا وُضع[1] الخوان وجلس، فأوّل لقمة كسرها عليّ إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف بالباب[2] وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد؛ أنا يتيم من يتامى المسلمين، أطعموني مما تأكلون، أطعمكم الله على موائد الجنّة. فوضع عليٌّ[3] اللقمة من يده وقال:

فاطمُ[4] بنت السيّد الكريم قد جاءنا الله بذا اليتيم
من يطلب اليوم رضى الرحيم موعده في جنّة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة وقالت:

فسوف أعطيه ولا أبالي وأُوثر الله على عيالي
أمسَوا جياعا وهُمُ أمثالي أصغرهم يقتل في القتال

ثمّ عمدتْ إلى جميع ما كان على الخوان فأعطته اليتيم، وباتوا جياعا لم يذوقوا إلّا الماء القراح، وأصبحوا صياما.

وعمدت فاطمة إلى باقي الصوف فغزلته، وطحنت الصاع الباقي وعجنته، وخبزته خمسة أقراص لكلّ واحد قرصا.

وصلّى عليٌّ المغرب مع النبيّ ﷺ، ثمّ أتى منزله فقرّب إليه الخوان، ثمّ جلسوا، فأوّل لقمة كسروها إذا أسير من أُسارى المسلمين بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد؛ إنّ الكفّار أسرونا وقيّدونا وشدّونا فلم يطعمونا، فوضع عليّ اللقمة من يده، وقال:

فاطم[5] بنت النبيّ أحمدِ بنت نبيّ سيّدٍ مسوَّدِ
هذا أسير جاء ليس يهتدي مكبّل في قيده المقيّدِ
يشكو إلينا الجوع والتشرّد من يطعم اليوم يجده في غدِ
عند العليّ الواحد الموحَّد ما يزرع الزارع يوما يحصدِ

فأقبلت فاطمة تقول:

---

(١) ج، م، ي: وضعت.
(٢) ج، ي: على الباب.
(٣) أ، ر، م، ن، ي: - علي.
(٤) أ، ر، ن: فاطمة.
(٥) أ، ر، ن: فاطمة.

لم يبق مما جاء غير صاع قد دبّرت كفّي مع الذراعا
وابناي والله هما قد جاعا يا ربّ لا تهلكهما ضياعا

ثمّ عمد[1] إلى ما كان على الخوان، فأعطياه إيّاه، وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء.

وأقبل عليّ والحسن والحسين نحو رسول الله ﷺ، وهما يرتعشان كالفرخين من شدّة الجوع، فلمّا بَصُر بهم رسول الله ﷺ قال: يا أبا الحسن؛ شدّ ما يسوءني ما أدرككم، انطلقوا إلى ابنتي فاطمة، فانطلَقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدّة الجوع، وغارت عيناها، فلمّا رآها رسول الله ﷺ ضمّها إليه وقال: واغوثاه يا ألله! فهبط جبريل عليه السلام وقال: يا محمد؛ خذ ما هيّأ الله لك[2] في أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبريل؟ قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[3].

ومن[4] محاسن الكلام

ما قاله الفضل بن سهل للمأمون، وقد سأله حاجةً لبعض أهل بيوتات دهاقين سمرقند، وكان وعده تعجيل نفاذها فتأخّر ذلك: يا أمير المؤمنين؛ هب لوعدك مذكّرا من نفسك، وهنّئ سائلك حلاوة نعمتك، واجعل ميلك إلى ذلك في الكرم تشهد لك القلوب بحقائق الكرم، والألسن بنهاية الجود. فقال له أمير المؤمنين: قد جعلت لك إجابة سؤالي عنّي بما ترى فيهم، وأخذك بما يلزم لهم من غير استئمار أو معاودة في إخراج الصكاك من أخضر[5] الأموال متناولا.

---

(١) ج، م: عمدت.

(٢) ج، م، ي: خذ هنيئا.

(٣) الآيات: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا. وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا. مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا. وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا. وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا. قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا. وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا. عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا. وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا. وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا. عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا. إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٢٢]

(٤) أ، ر، ن: وأما.

(٥) أ، ر، م: أحضر. ج: حصر.

وقال له يوما[1]: يا أمير المؤمنين؛ اجعل نعمتك صيانة لوجوه خدمك عن إراقة مائها في غضاضة السؤال. فقال: والله لا كان ذلك إلّا كذلك.

ومن هذا الباب ما حكي أنّ أبا وجرة الأسلمي[2] لمّا قدم على المهلّب بن أبي صفرة، فقال: أصلح الله الأمير؛ إنّي قطعت إليك[3] الدهناء[4]، وضربتُ إليك آباط الإبل من يثرب. قال[5]: هل أتيتنا بوسيلة أو عشيرة أو قرابة؟ قال: لا. ولكنّي رأيتك لحاجتي أهلا؛ فإن قمت بها[6] فأهل ذاك أنت، وإن يحل دونها حائل لم أذمم يومك، ولم أيأس من غدك. قال المهلّب: يعطى ما في بيت المال فوُجد فيه مائة ألف درهم فدفعت إليه، فأخذها، وقال:

يا من على الجود صاغ الله راحته فليس يحسن غير البذل والجودِ
عمّت عطاياك مَن بالشرق قاطبة فأنت والجود منحوتان من عودِ

خبر الحطيئة الشاعر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

لمّا رُفع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ الحطيئة آذى الناس بهجائه، فاستحضره وأنّبه وأوهمه أنّه يقطع لسانه، فقال له[7] الحطيئة: باللهِ يا أمير المؤمنين إلّا ما أقلتني؛ فقد واللهِ هجوتُ أمّي وأبي وامرأتي ونفسي. فقال عمر بن الخطاب: ما الذي قلت في أمّك؟ قال: قلت فيها، والجواب للأب:

ولقد رأيتكِ في النساء فسُؤتِني وأبا بنِيكِ فساءني في المجلس

وقلت أيضا فيها:

تنحّي فاجلسي منّا[8] بعيدا أراح الله منك العالمينا
أغربالا إذا استودِعت سرّا وكانونا على المتحدّثينا

ثمّ قلت في امرأتي:

---

(١) ج، م، ي: - يوما.
(٢) ج، م، ي: ما حكاه أبو وجرة.
(٣) م، ي: لك.
(٤) الدهناء: من صحاري شمال شرق الجزيرة العربية ومساحتها ٤٥ ألف كم٢.
(٥) ج، م، ي: فقال.
(٦) م، ي: - بها.
(٧) م، ي: - له.
(٨) ج، م، ي: منّي.

أطوِّف ما أطوِّف ثمّ آوي إلى بيت قعيدته لَكاعِ[1]

ثمّ نظرت في بئر ورأيت وجهي فاستقبحته فقلت:

أبت شفتاي اليوم إلّا تَكَلُّما بشرٍّ فما أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها قبّح[2] الله خلقه فقُبِّح من وجه وقُبِّحَ حامله

فأمر به فسجن في قعب، فكتب إليه بعد أيّام:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ حُمر الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبهم في قعر مُظلمةٍ فاغفر عليك سلام الله يا عمرُ
أنت الإمام الذي مِن بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشرُ
ما آثروك بها إذ قدّموك لها لا بل لأنفسهم قد كانت الأثرُ

فأمر به فأحضره وتوّبه وخلّى سبيله.[3]

* * *

روينا من حديث الهاشمي يبلغ به النبيّ ﷺ أنّه قال: «أيّها الناس؛ أقبلوا على ما كُلّفتموه من إصلاح آخرتكم، وأعرِضوا[4] عمّا ضُمن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارحَ غُذّيت بنعمته في التعرّض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته، واصرفوا هممكم إلى التقرّب إليه بطاعته، إنّه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة، ولا يدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد».

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى

ما حدّثناه عبد الله بن الأستاذ المورواري بمورور[5]، قال: قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين وأبا حامد وأبا طالب وأبا يزيد وجملة من الصوفية، فقال أبو يزيد للشيخ، يعني أبا مدين: زدنا من التوحيد شيئا. فقال: التوحيد هو النور الذي منه مادة كلّ نور، وما عداه فأغشية وستور. هو الساتر المستور، وهو الأصل في كلّ الأمور، مادته لكلّ ناقص وزائد، وما تفرّق في الوجود فهو عنده واحد. أودع عند العارف من الأسرار ما

(١) لكاع: خبيث.
(٢) أ، ر، م، ن، ي: أقبح.
(٣) انتهى السمر.
(٤) ج، م، ي: - وأعرضوا.
(٥) أ، ر، ن: - بمورور.

ميّزه بها عن الأغيار، وأجرى ينابيع التوحيد في قلبه فأنبتت أرضه بثمار الإيمان، وأزهرت بأنوار الإحسان، فأعقبت بنسيم الذكر، وجال سرّه في ميدان الفكر، فرُئي في حضرة الملكوت شاخصا، واختطفه معنى الوحدانيّة مغافصا[1]، فأفنته عن وجوده وعن الإحساس، وغيّبته عن مشاهدة الأنواع والأجناس، فكشف له الغطاء عن مُسِرّ الأسرار، فتلاشت الآثار والأخبار، فعاين من عظمة الجلال ما يليق به، وكشف السرّ الخفي لعينه[2] من غيبه، فامتزج نوره بنور النور، وتجلّى لقلبه الملك الغفور.

فصفات العارف أبدا تسمو وترقى، وأسراره لمالكه تزداد شوقا. قلبه أبدا له سليم، وسرّه في الحضرة معه مقيم، ليس منه في الوجود إلّا ظاهره، ينتظر ما ترِد عليه به أوامره، لا يشغله أبدا عنه شاغل. هو معه كالميّت بين يدي الغاسل، يقلّبه في أيّ الجهات شاء، ويكشف عن قلبه كلّ غشاء، فينظره بعين التحقيق، فيرِد إليه الخلق من كلّ طريق. فالعارف من آفات الغير محفوظ، وكلّ ما سوى الحقّ عنه مرفوض. ركن إلى الحصن المنيع فآواه، ودقّ نظره في معرفته فتمعنى بمعناه، فنودي من حضرة مولاه: وحِّدني فإنّي أنا الله.

حكي عن النعمان بن المنذر أنّه خرج يتصيّد ومعه عدي بن زيد العبادي، فمرّ بآرام، وهي القبور، فقال عدي: أبيت اللعن؛ أتدري ما تقول هذه الآرام؟ قال: لا. قال: إنّها تقول:

أيّها الركب المخبّون على الأرض تمرّون
لكَما كنتم فكُنّا وكما نحن تكونون

فقال: أعِد، فأعادها، فرجع كئيبا وترك صيده.

وخرج معه مرّة أخرى، فوقف على القبور بظهر الحيرة فقال: أبيت اللعن؛ أتدري ما تقول هذه الآرام؟ فقال: لا. قال[3]: إنّها تقول:

رُبَّ ركب قد أناخوا عندنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثمّ أضحَوا عصف[4] الدهر بهم وكذاك الدهر حالا بعد حال

فانصرف أيضا وترك صيده.

---

(١) المغافصة: المفاجأة.

(٢) م، ي: لعينيه.

(٣) ج، م، ي: فقال.

(٤) م، ي: أضعف.

وروينا من حديث أحمد بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش، حدّثه عن أبيه أنّ عمر بن عبد العزيز شيّع جنازة، فلمّا انصرفوا تأخّر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين؛ جنازةٌ أنت وليّها تأخّرتَ عنها وتركتها! فقال: نعم؛ ناداني القبر من خلفي: يا عمر بن عبد العزيز؛ ألا تسألني ما صنعتُ بالأحبّة؟ قلت: بلى. قال: خرّقتُ الأكفان، ومزّقت الأبدان، ومصصت الدم، وأكلت اللحم. قال: ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلت: بلى. قال: نزعت الكفّين من الذراعين، والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين.

ثمّ بكى عمر، ثمّ قال: ألا إنّ الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيّها فقير، وشابّها يهرم، وحيّها يموت. فلا يغرّنّكم إقبالُها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، والمغرور من اغترّ بها.

أين سكانها الذين بنوا مدائنها، وشقّقوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أيّاما يسيرة؟ غرّتهم بصحّتهم فاغترّوا بنشاطهم، فركبوا المعاصي. إنّهم كانوا واللهِ في الدنيا مغبوطين بالأموال على كثرة المنع عليه، محسودين على جمعه. ما صنع التراب بأبدانهم؟ والرمل بأجسادهم؟ والديدان بعظامهم[1] وأوصالهم؟

كانوا في الدنيا على أسرّة ممهّدة، وفرش منضّدة، بين خدم يخدمون وأهل يكرمون، وجيران يعضدون. فإذا مررت فنادِهم إن كنت مناديا، ومر بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، وسل غنيّهم ما بقي من غناه، وسل فقيرهم ما بقي من فقره، وسلهم عن الألسن التي كانوا بها[2] يتكلّمون، وعن الأعين التي كانت إلى اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان؛ محت الألوان، وأكلت اللحمان، وعفّرت الوجوه، وقبّحت[3] المحاسن، وكسرت الفقار، وأبانت الأعضاء، ومزّقت الأشلاء. وأين حجّابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم، وجمعهم ومكنوزهم؟ واللهِ ما زوّدوهم فراشا، ولا وضعوا هناك متّكأ، ولا غرسوا لهم شجرا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارا، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء. أليس هم في مدلهمّة ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبّة؟

---

(١) م، ي: باعظامهم.

(٢) ر، م، ن، ي: - بها.

(٣) أ، ر، ن: ومحت.

فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية، وأجسادهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم متمزّقة، وقد سالت الحدقات على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدا، ودبّت دواب الأرض في أجسادهم ففرّقت[1] أعضاؤهم، ثمّ لم يلبثوا واللهِ إلّا يسيرا، حتى عادت العظام رميما، قد فارقوا الحدائق، وساروا بعد السعة إلى المضايق، قد تزوّجت نساؤهم، وتردّدت في الطرق أبناؤهم، وتوزّعت الورثة ديارهم وتراثهم. فمنهم واللهِ الموسَع له في قبره، الغضّ الناظر فيه المتنعّم بلذّته.

يا ساكن القبر غدا؛ ما الذي غرّك من الدنيا! هل تعلم أنّك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء ونهرك المطّرد؟ وأين ثمرتك الحاضرة ينعها؟ وأين رقاق ثيابك؟ وأين طيبك؟ وأين بخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دخلا، وهو يرشح عرقا ويتلمّظ[2] عطشا، يتقلّب في سكرات الموت وغمراته. جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء[3] من الأمر الأجل ما لا يمتنع منه. هيهات هيهات يا مغمِض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفّن الميّت وحامله، يا[4] مخلّيه في القبر وراجعا عنه. ليت شِعري كيف كنت على خشونة الثرى؟ يا ليت شعري بأيّ خديك بدأ البلى؟ يا مجاور الهلكات صرت في محلّة الموتى. ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما يأتيني به من رسالة ربّي. ثمّ تمثّل:

نسرّ بما يفنى ونشغل بالمنى ... كما اغترّ باللذات في النوم حالم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وتعمل شيئا سوف تكره غبّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ثمّ انصرف، فما بقي بعد ذلك إلّا جمعة، ومات رضي الله عنه.

ولنا من هذا الباب

شاب فؤادي وشبّ الأملُ ... ومضى العمر وجاء الأجلُ
عسكر الموتى لنا منتظر ... فإذا سرنا إليهم رحلوا
ليت شعري ليت شعري هل درَوا ... أنّني بعدهم مشتغلُ

---

(١) م، ي: ومزقت.
(٢) يتلمّظ: يخرج لسانه.
(٣) م، ي: وجاء.
(٤) م، ي: ويا.

في فنون اللهو أفنى طربا غافلا عمّا له أنتقلُ

ولنا في المحاسبة وإضافة الأعمال إلى الله تعالى، إذ لا فاعل إلّا هو:

تحاسبهم بما فعلوا وما فعلوا الذي فعلوا
وتطلبهم بما عملوا وأنت خلقت ما عملوا
فهل تنجيهم حجج وهل يزكو لهم عمل
لئن أُخذوا بما عملوا فأعظم منه ماجهلوا

ولنا أيضا، وقد تذكّرت الأحبّة في القبور:

ضمت لنا آرامنا الآراما فكأنّ ذاك العيش كان مناما
يا واقفين على القبور تعجّبوا من قائمين كيف صاروا نياما
تحت التراب موسّدين أكفّهم قد عاينوا الحسنات والآثاما
لا يوقَظون فيخبرون بما رأوا لا بد من يوم يكون قياما

ولمّا سُجن عبد الله بن معاوية بن عبد الله جعفر بن أبي طالب ﷺ قال في ذلك:

خرجنا من الدنيا ونحن مِنَ اهلها فلسنا من الأموات فيها ولا الأحيا
إذا دخل السجّان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجلُّ[1] حديثنا إذا نحن أصبحنا الحديثُ عن الرؤيا
فإن حسنت كانت بطيئا مجيئها وإن قبحت لم تنتظر وأتت سعيا

موعظة

ومما قيل في المحبسين[2]:

ألا أحد يدعو لأهل محلّة مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا
كأنّهم لم يعرفوا غير دارهم ولم يعرفوا غير الشدائد والبلوى

ولمّا سجن ابن المعتز قال:

تعلّمت في السجن نسج التكك وكنت أمرءا قبل حبسي ملِكْ
وقيّدت بعد ركوب الجياد وما ذاك إلّا بدَور الفلك
ألم تبصر الطير في جوّه يكاد يلابس ذات الحبك

---

(١) ج، م، ي: وجل.
(٢) الشاعر هو صالح بن عبد القدوس (ت: ١٦٠هـ).

إذا أبصرَته خطوب الزمان أوقعنه[1] في حبال الشرك
فهذاك من حالق قد يصاد ومن قعر بحر يصاد السمك

ولمّا قتل رحمه الله وُجد في البيت الذي قتل فيه مكتوب على الأرض بخطه:

يا نفس صبرا لعلّ الخير عقبكِ خانتكِ بعد طويل الأمن دنياكِ
مرّت بنا سحرا طيرٌ فقلت لها طوباكِ يا ليتني إيّاك طوباكِ

مثلٌ في الوفاء

يقال: "أوفى من فكيهة". وهي امرأة من بني قيس بن ثعلبة كان من وفائها أنّ السُّليك بن السُّلَكة غزا بكر بن وائل، فخرج جماعة من بكر فوجدوا أثر قدم على الماء فقالوا: إنّ هذا لأثرُ قدمٍ ورد الماء، فقعدوا له، فلمّا وافى حملوا عليه فعَدا، وكان من العدّائيين ففاتهم حتى ولج قبّة فكيهة، فاستجار بها، فأدخلته تحت درعها، فانتزعوا خمارها ونادت إخوتها فجاءوا عشرة فمنعوهم منها.

قال: وكان سليك يقول: كأنّي أجد خشونة ذلك الموضع على ظهري، ولم يكن حين أدخلتني تحت درعها، وقال:

لعمر أبيك والأنباء تنمي لنعم الجارُ أخت بني عوارا
من الحفرات لم تفضح أخاها ولم ترفع لوالدها شنارا
فما ظلمت فكيهة حين قامت بنصل السيف وانتزعوا خمارا

كتب صاحب بريد همدان إلى المأمون وهو بخراسان يُعلمه أنّ كاتب صاحب البريد المعزول أخبره أنّ صاحبه وصاحب الخراج كانا تواطئا على إخراج مائتي ألف درهم من بيت المال واقتسماها بينهما. فوقّع المأمون: إنّا نرى قبول السعاية شرّا من السعاية، لأنّ السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس مَن دلّ على شيء كمن قبِله وأجازه، فانفِ الساعي عنك؛ فإن كان في سعايته صادقا لقد كان في صدقه لئيما؛ إذ لم يحفظ الحرمة، ولم يف لصاحبه.

وروينا من حديث نافع، قال: لقي يحيى بن زكريا عليهما السلام إبليس فقال: أخبرني بأحبّ الناس إليك وأبغضهم إليك[2]؟ قال: أحبُّ الناس إليّ كلّ مؤمن بخيل، وأبغض الناس

(١) أ، ر، م، ن: أوقعته.
(٢) أ، ر، ن: - إليك.

إليّ كلّ منافق سخي، قال: ولمَ ذلك[1]؟ قال: لأنّ السخاء خُلق الله الأعظم، فأخشى أن يطّلع عليه في بعض سخائه فيغفر له.

مثل سائر

"هو أبخل من مادر" وهو رجل من بني هلال بن عمرو، بلغ من بخله أنّه سقى إبله، فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسلح فيه، ومدر الحوض به، فسمّي مادرا.

حكاية

ذكر أهل الأدب أنّ بني فزارة وبني هلال تنافروا إلى أنس بن مدركة، وتراضوا به، فقالت بنو هلال: يا بني فزارة؛ أكلتم أير الحمار[2]. فقالت بنو فزارة: لم[3] نعرفه. وسبب هذا القول أنّ ثلاثة اصطحبوا: فزاري وتغلبي وكلابي، فصادوا[4] حمار وحش. ومضى الفزاري في بعض حوائجه، فطبخا وأكلا، وخبّئا للفزاري ذَكَر الحمار. فلمّا رجع قالا له: خبّأنا لك حقّك فكُلْ. فأقبل يأكل ولا يسيغه، فجعلا يضحكان، ففطن وأخذ السيف وقام إليهما، فقال: لتأكلان منه، أو لأقتلنّكما. فامتنعا، فضرب أحدهما فقتله، وتناوله الآخر فأكل منه. فقال فيهم الشاعر:

نشدتك يا فزار وأنت شيخ إذا خيّرت تخطى في الخيارِ
أصيحانية[5] أدمت بسمن أحبّ إليك أم أير الحمار
بلى أير الحمار وخصيتاه أحبّ إلى فزارة من فزاري

فقالت بنو فزارة: منكم يا بني هلال من سقى إبله، فلمّا رويت سلح في الحوض، ومدره بخلائه[6]. فنفرهم[7] أنس بن مدركة على الهلاليين، فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير، وكانوا تراهنوا عليها. وفي بني هلال يقول الشاعر:

لقد جللت خزيا هلال بن عامر بني عامر طُرّا لسلحة مادر

---

(١) أ، ر: ذاك.
(٢) أ، ر، ن: أير فعل الحمار.
(٣) ج، م، ي: ولم.
(٤) أ، م، ن: فصادفوا.
(٥) الصيحاني: تمر معروف في المدينة، وقيل كان كبش اسمه صيحان شدّ بنخلة فنسبت إليه وقيل صيحانية.
(٦) ج، ر: بخلا به.
(٧) نفرهم: غلبهم.

ومن باب الحماسة

كان جحدر بن مالك لَسِنًا شجاعا فاتكا شاعرا، وكان قد أبرّ على أهل هجر ناحيتها. فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف، فكتب إلى عامل اليمامة يوبّخه بتلاعب جحدر به، ويأمره بالتجرّد في طلبه حتى يظفر به. فبعث العامل إلى فتية من بني يربوع بن حنظلة، فجعل لهم جُعلا عظيما إن هم قتلوا جحدرا، أو أتوه[1] به أسيرا، ووعدهم أن يوفدهم إلى الحجاج.

فخرج الفتية في طلبه، حتى إذا كانوا قريبا منه، بعثوا إليه رجلا منهم يريه أنّهم يريدون الانقطاع إليه والتحرّم به. فوثق بهم واطمأنّ إليهم. فبينما[2] هم على ذلك إذ شدّوه وثاقا وقدِموا به إلى العامل، فبعث به معهم إلى الحجاج، وكتب يثني على الفتية.

فلمّا قدموا به على الحجاج، قال له: أنت جحدر؟ قال: نعم. قال: ما حملك على ما بلغني عنك؟ قال: جراءة الجنان، وجفوة السلطان، وكَلَب الزمان[3]. قال: وما الذي بلغ من أمرك، فيجتري جِنانك، ويصلك سلطانك، ولا يكلب زمانك؟ قال: لو بلاني الأمير لوجدني من صالح الأعوان، وبُهَمِ الفرسان، ومِن أوفى أهل الزمان. قال[4] الحجاج: أنا قاذفك في قبّة فيها أسد؛ فإن قتلك كفانا مئونتك، وإن قتلته خلّيناك ووصلناك. قال[5]: قد أَعطيت، أصلحك الله، الأمنية، وعظّمت المنّة، وقرّبت المحنة.

فأمر به فاستوثق منه بالحديد وألقي في السجن، وكتب إلى عامله بكسكر[6] يأمره أن يصيد له أسدا ضاريا، فلم يلبث العامل أن بعث له بأُسْدٍ ضاريات قد أثّرت[7] على أهل تلك الناحية، ومنعتْ عامة مراعيهم ومسارح دوابهم، فجعل واحدا منها في تابوت يُجَرُّ على عجلة. فلمّا قدموا به ألقي في حَيْر[8] وأجيع ثلاثا. ثمّ بُعث إلى جحدر، وأُخرج وأُعطي سيفا، ودلّي عليه، فمشى إلى الأسد وأنشأ يقول:

ليثٌ وليثٌ في مجالٍ ضنْكِ

---

(١) ج، م، ي: أتوا.
(٢) أ، ر، ن: فبينا.
(٣) كلَب الزمان: شدّته.
(٤) ج، م، ي: فقال.
(٥) أ، ر، ن: - قال.
(٦) كسكر: كورة واسط في العراق.
(٧) أ، ر، ن: أبرّت.
(٨) الحَيْر: شبه الحظيرة أو الحِمى.

كلاهما ذو أنف ومحكِ
وصولة في بطشه وفتكِ
إن يكشف الله قِناع الشكّ
وظفرا بجؤجو[١] وبرك[٢]
فهو أحقُّ منزل بتركِ
الذئب يعوي والغراب يبكي

حتى إذا كان منه على قيد رمحٍ تمطّى الأسد وزأر وحمل عليه، فتلقّاه جحدر بالسيف فضرب هامته ضربةً ففلقها، وسقط الأسد كأنّه خيمة قوّضتها الريح، فانثنى جحدر وقد تلطّخ بدمه لشدّة حملة الأسد عليه، فكبّر الناس. فقال الحجاج: يا جحدر؛ إن أحببتَ أن ألحقك ببلادك وأُحسن صحبتك وجائزتك فعلتُ ذلك بك، وإن أحببت أن تقيم عندنا أقمتَ فأسنينا[٣] فريضتك؟ قال: أختار صحبة الأمير. ففرض له ولجماعة أهل بيته. وأنشأ[٤] جحدر يقول:

يا جُملُ إنّك لو رأيت بسالتي ... في يوم هيج مردف وعِجَاج
وتقدُّمي لليث أرسفُ نحوه ... عنّي أكابره عن الإخراج[٥]
جهم كأنّ جبينه لمّا بدا ... طبَق الرحى متفجِّر الأثباج[٦]
يرنو بناظرتين تحسب فيهما ... من ظنّ خالهما شعاع سراج
شثْنٌ براثنه كأنّ نيوبه ... زُرفُ المعاول، أو شَذاةُ زجاج
وكأنما خيطتْ عليه عباءة ... برقاء أو خِلَقٌ من الديباج
قرنان محتضران[٧] قد ربّتهما ... أمّ المنية غير ذات نتاج
وعلمتُ أنّي إن أبَيتُ نزاله ... إنّي من الحجاج ليس بناجي
فمشيت أرسف في الحديد مكبّلا ... بالموت نفسي عند ذاك أناجي

(١) الجؤجؤ: الصدر.
(٢) م، ي: وترك.
(٣) أسنينا: رفعنا.
(٤) ج، م، ي: وأنشد.
(٥) م، ي: الأحراج.
(٦) أ، ن: الأشباج.
(٧) أ، ر، ن، ي: مختصران.

والناس منهم شامت وعصابة عبراتهم لي بالحلوق شواجي
ففلقت هامته فخرّ كأنّه أطُمٌّ تقوّض مائل الأبراج
ثمّ انثنيتُ وفي قميصي شاهد مما جرى من شاخب الأوداج
أيقنتُ أنّي ذو حفاظ ماجد من نسل أملاك ذوي أتواج
فلئن قذفتُ إلى المنيّة عامدا إنّي لخيرك بعد ذلك راجي
عَلِم النساءُ بأنّني لا أنثني إذ لا يثقن بغَيرة الأزواج

حدّثنا محمد بن قاسم، قال: سئل بعض السادة عن أوّل توبته، قال: لمّا تمادت بي المخالفة، وأسرفتُ على نفسي إسرافا أدّاني إلى القنوط، فوقع في قلبي أنّ الله لا يرحمني لمّا عظم[١] في قلبي إجرامي، فأقمت ثلاثا[٢] لا أذوق طعاما، ولا أسيغ شرابا، وقد جعلتُ ذنوبي بين عيني. فلمّا كانت الليلة الرابعة رأيت في النوم جارية وبيدها جام[٣] من الذهب مكتوب عليه بالنور: "يا هذا؛ إذا اشتدّ بك الكرب فأين اللجا؟ وإذا عظم عليك الخوف فأين الرجا؟" وعلى جبينها[٤] مكتوب: ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[٥] فوضعتْ الجام بين يدي، فأكلتُ منه طعاما لا يشبه طعام الدنيا، فوجدتُ حلاوة الرجا في قلبي، واستقمتُ من تلك الليلة على طاعة ربّي.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "لولا حبّ الوطن لخرب بلد السوء[٦]، فبحبّ الأوطان عمرت البلدان".

قال أبقراط[٧]: "يداوى كلّ عليل بعقاقير أرضه، فإنّ الطبيعة تنزع إلى غذائها".

وقال بعض الحكماء: "اطلبوا الرزق في البُعد، فإنّكم[٨] إن لم تكسبوا مالا غنمتم عقلا

(١) أ، ر: أعظم.
(٢) أ، ر، ن، ي: ثلاثة.
(٣) جام: إناء من ذهب أو فضة للطعام والشراب.
(٤) أ، ر، ن: جنبيها.
(٥) [الزمر: ٥٣]
(٦) المقصود ببلد السوء: عديم الإمكانيات.
(٧) ج، ي: بقراط.
(٨) أ، ر، ن: وإنكم.

كثيرا[1]".

وقال بعضهم[2]: "لا يألف الوطن إلّا ضيّق العطن".

روينا من حديث الهيثم بن الحسن بن عمارة قال: قدم شيخ من خزاعة أيّام المختار[3]، فنزل على عبد الرحمن بن أبْزَى الخزاعي: فلمّا رأى ما تصنع سوقة المختار بالمختار من الإعظام، جعل يقول: "يا عباد الله؛ أبِالمختار يُصنع هذا! واللهِ لقد رأيته مع الإماء بالحجاز" فبلغ ذلك المختار فدعا به، فقال: ما هذا الذي بلغنا عنك؟ قال: الباطل. فأمر بضرب عنقه، فقال: لا واللهِ لا تقدر على ذلك، قال: ولِمَ؟ قال: أمّا دون أن أنظر إليك وقد هدمت مدينة دمشق حجرا حجرا، وقتلت المقاتِلة، وسبيت الذرّية، ثمّ تصلبني على شجرة على نهر، والله إنّي لأعرف الشجرة الساعة، وأعرف شاطئ ذلك النهر.

فالتفت المختار إلى أصحابه فقال لهم: أما إنّ الرجل قد عرف الشجرة. فحبس حتى إذا كان الليل، بعث إليه فقال: يا أخا خزاعة، ومِزاح عند القتل! قال: أنشدك الله أن أقتل ضياعا. قال: وما تطلب هاهنا؟ قال: أربعة آلاف درهم أقضي بها دَيني، قال: ادفعوها إليه، وإيّاك أن تصبح بالكوفة، فقبضها وخرج.

مثَل

"هو أحمق من عجل" وهو عجل بن لجيم. وذلك أنّه قيل له: ما سمّيتَ فرسك؟ ففقأ عينه، وقال: سمّيته الأعور.

وقال الشاعر:

رمتني بنو عجل بداء أبيهم ... وأيّ امرئٍ في الناس أحمق من عجلِ
أليس أبوهم غار عين جواده ... فصارت به الأمثال تُضرب في الجهلِ

ومن سماعنا في نسيب مُمِيار[4] حيث يقول:

هبّت بأشواقك نجديّة ... مطيعة أنت لها واجبُ

---

(١) م، ي: كبيرا.

(٢) أ، ر، ن، ي: بعض. م: بعض الحكماء.

(٣) هو المختار بن عبيد الثقفي والي البصرة.

(٤) مُمِيار بن مرزويه الديلمي [ت: ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م] كان مجوسيًّا فأسلم على يد الشّريف الرّضيّ، وهو أستاذه في الأدب والنَّظْم، وبه تخرج. كان مقدَّمًا على شعراء عصره.

ما أنت يا قلبي وأهل الحمى وإنما هم أمسُكَ الذاهبُ
فاردد على الريح أحاديثها ففي صباها ناقل كاذبُ
ودون نجد وظباء[1] الحمى أن يقرح المنسِم والغاربُ

السماع في ذلك: يقول؛ يا أيّها المحبّ العارف؛ هبّت بأشواقك أنفاس متصاعدة تطمع في أمر هي دونه، ألا تراه قال: ما أنت يا قلبي؟ يقول: أنت في مقام التقليب والتلوين، وأهل الحمى[2] مقام الثبوت، وهما ضدّان فلا يجتمعان كما لا يرجع أمس أبدا. وقد نبّه على كذب الأحوال بما ذكر عن الريح بسبب الباعث لهبوبها. ثمّ قال: ودون نجد الذي هو المنظر الأعلى، وظباء الحمى: الأرواح العلوية، يقرح: أي، يدمي الخفّ والسنام من طول السير وحمل الأثقال، ثمّ لا وصول، يقول: إنّها موهوبة لا مكسوبة، فلا تعمل لها.

موعظة عطاء بن أبي رباح لعبد الملك بمكة

حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، أنبأنا عبد الوهاب، أنبأ جعفر بن أحمد، أنبأ عبد العزيز الضراب، أخبرني أبي، ثنا أحمد بن مروان، ثنا إبراهيم بن إسحق الحربي، ثنا الرياشي، قال: سمعت الأصمعي يقول: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كلّ بطن، وذلك بمكة في وقت حجّه في خلافته، فلمّا بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه، وقال له: يا أبا محمد؛ حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ اتّق الله في حرم الله ورسوله ﷺ، فتعاهَدْهُ بالعمارة، واتّق الله في أولاد المهاجرين والأنصار؛ فإنّك بهم جلست هذا المجلس، واتّق الله في أهل الثغور؛ فإنّهم حصن المسلمين[3]، وتفقّد أمور المسلمين[4]؛ فإنّك وحدك المسئول فيهم، واتّق الله فيمن على بابك ولا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك. فقال له: أفعل. ثمّ نهض فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد؛ إنّما[5] سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها، فما حاجتك؟ فقال: ما لي إلى مخلوق من حاجة، ثمّ خرج. فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤدد.

---

(١) م، ي: فظباء.
(٢) ج، م: + في.
(٣) ج، م، ي: للمسلمين.
(٤) أ، ر، ن: - وتفقد أمور المسلمين.
(٥) ج، م، ي: - إنما.

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى ما حدّثناه عبد الله بن الأستاذ المورووري، قال: قال لي بعض المريدين: رأيت أبا مدين وأبا حامد وأبا طالب وأبا يزيد وجماعة من الصوفية، فقال أبو يزيد لأبي مدين: تكلّم لنا في شيء من التوحيد. فقال: التوحيد هو الحقّ، وإليه الملجأ لأهله، وبه النجاة. هو السرّ الخفي، به ظهرت الأسرار، والشمس المشرقة، ومنه ينابيع الأنوار، هو قطب العارفين، وهو الدليل ومبرئ الأسقام، وشفاء كلّ عليل. هو الظاهر، فما سواه حجابه، فمن كان ذا بصر جاوز أبوابه، كشف له عن ملكه فعاين سلطانه، وغيّبه به عنه فعظم شأنه. فبين العارف وبين ربّه سرّ وقر في صدره، وحِكم يمدّه بها من غيبه، هي[1] غذاؤه وشرابه، مظهر له حقيقة التوحيد ولبابه، امتاز بها عن سائر الخلق فوصلته وأجلسته في حضرة الحقّ، اختصّه بالعلوم الأزليّة العجيبة، فحقيقته من الحقّ دانية قريبة، بلا حركة من معني لمعني[2]، ولا انتقال ولا ماض ولا مستقبل ولا حال. هو بسرّ العارف مكشوف، أمدّه به من خفيّ سرّه، فسرّه من سرّه معروف. فجملة المحسوسات عدم وهَبَاء، فحقّق بصيرتك تنظر عجبا، تجد القائم في كلّ الخطوات واللحظات شاهد، هي أغطية يستر بها إذ هو في الوجود واحد، فالمعرفة في حقّ كلّ مصنوع صنعه، فكلّ مفترق هو أصله وجمعه. بذلك شهدت الظواهر على غيبها، فهو المبدئ لكلّ شيء والمعيد، والفعّال في ملكه ما يريد. فجملة هذه العلوم عرفها العارفون، وحملها وجهلها الأكثرون، وعلِم تأويلها الراسخون، وما يعقلها إلّا العالمون.

وروينا من حديث الهاشمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ بسيط الأمل متقدِّمٌ حلولَ الأجل، والمعاد مضمار العمل، فمغتبط بما احتقب غانم، ومبتئس بما فاته من العمل نادم.

أيّها الناس؛ إنّ الطمع فقر، واليأس غنى، والقناعة راحة، والعزلة عبادة، والعمل كنز، والدنيا معدن. واللهِ ما يسرّني ما مضى من دنياكم هذه بأهداب بُردي هذا، ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء. وكلٌّ إلى نفاد وشيك وزوال قريب، فبادروا وأنتم في مهل الأنفاس، وجدة الأحلاس، قبل أن يؤخذ بالكظم، ولا يغني الندم».

---

(١) ج، م، ي: فهي.

(٢) ج، م، ي: إلى معنى.

عمرة أبي بكر الصدّيق في خلافته ﷺ

حدّثنا محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن علي، عن محمد بن عبد الباقي، عن أبي محمد الجوهري، عن ابن حبُّويه، عن أبي الحسن بن معروف، عن الحسين بن الفهم، عن محمد بن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه، قالوا: اعتمر أبو بكر الصديق ﷺ في خلافته، في رجب سنة اثنتي عشرة، فدخل مكة ضحوة، فأتى منزله وأبوه، أبو قحافة، جالس على باب داره، فقيل له: هذا ابنك، فنهض قائما، وعجّل أبو بكر أن ينيخ راحلته، فنزل عنها وهي قائمة، فجعل يقول: يا أبت لا تقم، ثمّ التزمه، فقبّل أبو بكر بين عيني أبيه. فأخذ الشيخ يبكي فرحا بقدومه، وجاء من سمع به ممن هنالك من الصحابة، مثل عتّاب بن أسيد، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، فسلّموا عليه: سلام عليك يا خليفة رسول الله ﷺ، فجعل أبو بكر عندما سمع ذِكرهم رسولَ الله ﷺ يبكي، وأبكى القوم، وتجدّد عليهم[1] الحزن برسول الله ﷺ. فقال أبو قحافة: يا عتيق؛ هؤلاء الملأ فأحسِن صحبتهم، فقال أبو بكر: يا أبت؛ لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، لقد طوّقني الله أمرا عظيما لا قوّة لي به ولا يدان إلّا بالله.

ثمّ دخل فاغتسل وخرج وتبعه[2] أصحابه فنحّاهم، ولقيه الناس يعزّونه برسول الله ﷺ، وهو يبكي حتى انتهى إلى البيت، فاضطبع واستلم، وطاف سبعا، وركع ركعتين، ثمّ انصرف[3] إلى منزله. فلمّا كانت صلاة الظهر، خرج فطاف بالبيت، ثمّ جلس قريبا من دار الندوة، فقال: هل من أحد يشتكي من ظلامة، أو يطلب حقّا؟ فما أتاه أحد، وأثنى الناس على واليهم خيرا، ثمّ صلّى العصر وجلس، فردفه الناس ثمّ خرج راجعا إلى المدينة.

وبالإسناد أنّ عمر بن الخطاب ﷺ دخل في بعض حججه على نافع بن الحارث يعوده، فوجده قريب عهد بعرس وفي بيته ستر من أدم[4] مزيّن بسيور، فأخذه عمر فشقّه، وقال: لِمَ لا تسترون بيوتكم بهذه المُسُوح[5]، فهي أدفأ وأكَن[6] وأحمل للغبار؟

---

(١) ج، م، ي: عليه.

(٢) أ، ر، ن: وتبع.

(٣) ج، م، ي: رجع.

(٤) الأدم: المصنوع من الجلد.

(٥) المسوح: غرائر مصنوعة من الشعر.

(٦) ج، م، ي: وألين.

وأذّن له أبو محذورة بصوت شديد، فقال: يا أبا محذورة؛ أما خشيت أن تنشقّ مريطاؤك[1]؟ قال: إنّي أحببت أن أُسمعك صوتي. ثمّ مرّ عمر بأبي سفيان بن حرب، فرأى أحجارا قد بناها أبو سفيان كالدكان في وجه داره يجلس عليها بالغداة، فقال عمر: لا أرجعن من وجهي هذا حتى تقلعه وترفعه. فلمّا رجع عمر وجده على حاله، فقال: ألم أقل لك؟ قال: انتظرتُ أن يأتينا بعض أهل مهنتنا، فقال: عزمتُ عليك لتقلعنّه بيدك، وتنقلنّه على عاتقك، فلم يراجعه وفعل ذلك. فقال عمر: الحمد لله الذي أعزّ الإسلام؛ رجل[2] من عديّ يأمر أبا سفيان سيّد بني عبد مناف بمكة فيطيعه!

وبالإسناد قال محمد بن سعد: ثنا يزيد بن هارون، ثنا يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيّب، أنّ عمر لمّا أفاض من منى أناخ بالأبطح، فكوّم كومة من بطحاء، فطرح عليها طرف ثوبه، ثمّ استلقى عليها[3]، ورفع يديه إلى السماء، وقال: اللهمّ كبرتُ بسنّي[4]، وضعفت قوّتي، وانتشرت رعيّتي[5]، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط. فلمّا قدم المدينة خطب الناس. قال سعيد: فما انسلخ ذو الحجة حتى طُعِن.

ذكر حِجج[6] الخلفاء الأربعة في زمان خلافتهم

أمّا أبو بكر الصديق ﷺ فاستعمل على الناس في الحج عمر بن الخطاب سنة إحدى عشرة، واعتمر هو في رجب، وحج بالناس سنة[7] اثنتي عشرة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان.

وأمّا عمر بن الخطاب ﷺ فاستعمل أوّل سنة وَلِي على الحج عبد الرحمن بن عوف، فحجّ بالناس، ثمّ لم يزل عمر يحجّ بالناس في[8] خلافته كلّها، فحجّ بهم عشر سنين، وحج بأزواج النبيّ ﷺ في آخر حجة حجها. قال ابن عباس: حججت مع عمر إحدى عشرة حجة،

---

(١) المريطاء: لحمة رقيقة بين السرة والعانة من باطن.

(٢) ج، م، ي: برجل.

(٣) ج، م، ي: عليه.

(٤) ج، م، ي: سنّي.

(٥) أ، م، ي: رغبتي.

(٦) ج، م، ي: حج.

(٧) أ، ر، ن، ي: - سنة.

(٨) أ، ر، ن، ي: - في.

واعتمر في خلافته ثلاث مرات.

وقالت عائشة: لمّا كانت[1] آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين فمررت بالمحصّب، فسمعت رجلا على راحلته يقول: أين كان عمر أمير المؤمنين؟ فسمعت رجلا آخر يقول: ها هنا قد كان، فأناخ راحلته ورفع عقيرته[2]، فقال:

عليك سلام من إمام وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزّق
فمن يسعَ أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدّمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثمّ غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتّق

قالت عائشة: فلم يُدر ذاك الراكب من هو؟ فكنّا نتحدث بأنّه من الجنّ، قالت: فقدم عمر من تلك الحجة، فطُعن فمات.

وقد ذكرنا هذا الشعر في هذا الكتاب أكمل من هذا من حديث أحمد بن عبد الله.

وأمّا عثمان بن عفان رضي الله عنه

فإنّه لمّا ولي أمّر عبد الرحمن بن عوف على الحج، سنة أربع وعشرين، وحج عثمان سنة خمس وعشرين، ثمّ لم يزل يحجّ إلى سنة أربع وثلاثين، ثمّ حُصِر في داره، وحج بالناس عبد الله بن عباس. قال ابن سيرين: وكان عثمان أعلم الناس بالمناسك، وبعده ابن عمر.

وأمّا عليّ رضي الله عنه

فحجّ كثيرا قبل ولايته الخلافة. فأمّا ولايته، فإنّه ولي الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وأيّاما؛ وكانت ولايته بعد انقضاء الحج في سنة خمس وثلاثين، لأنّ عثمان قُتل في[3] يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة من هذه السنة. وكانت وقعة الجمل في سنة ست وثلاثين، فحج بالناس عبد الله بن عباس. ثمّ كانت صفّين في سنة سبع وثلاثين، وحجّ بالناس أيضا عبد الله بن عباس، واشتغل عليّ رضي الله عنه بتلك الأمور، فحجّ بالناس سنة ثمان وثلاثين قثم بن العباس. ثمّ اصطلح الناس في سنة تسع (وثلاثين) على شيبة بن عثمان، فأقام لهم

(١) أ، ر، ن: كان.
(٢) العقيرة: منتهى الصوت.
(٣) ج، م، ي: - في.

الحج. ثمّ[1] قُتل عليّ ﷺ سنة أربعين.

ولنا في المحلّات، وهي ستّ آلات،
وإنما سمّيتْ محلّات لأنّ من كانت معه حلّ حيث شاء

إنّ المحلّات ستّ فاسمعنّ لها ... الزند[2] والدلو والسكين والفأسُ
والقِدر والزقّ لا تبغي بها عِوضا ... فحيث ما كنّ كان الناس والبأسُ

ولنا في أصناف المياه ونعوتها، وأصناف الشرب

ماء فرات نَقاخٌ[3] سلسل شبمٌ ... سلاسل وزلال نشره عطِرُ
تسري الحياة به في كلّ ذي شبح ... النبت والحيوان الكلّ والبشرُ
وما سواه من الأمواه ليس له ... هذي النعوت فما في نعته نكرُ
مثل الأجاج وماجٍ مالح لغة ... فريدة وشريب طعمه خصِرُ
كذا الشروب وملح والزعاق له ... على القعاع مقام ليس يستترُ
أمّا النمير فنعت لا تخصّ به ... صنفا فذاك الذي ينمى به الشجرُ
فهذه خمسة من بعد عاشرة ... من اللغات لها في نفسها سورُ
والنشج والنضح ثمّ النقعُ والبغر ... ونغبة بعدها لفظ هو النجرُ

تفسير[4]: فالنشج والنضح: الشرب دون الري. والنقع: الري. والبغر والنجر: أن تكثر من الشرب فلا تروى[5]. والنغبة: الجرعة من الماء. كلّ ما ضمّنته البيت الأوّل فهو الماء العذب الطيّب، والشبم: البارد. والسلسل والسلاسل: السهل الدخول في الحلق. والشريب: الذي فيه شيء من عذوبة. والشروب: دونه، وهو الذي يشرب عند الضرورة. والأجاج: الماء المالح، وهو أيضا: الماج والقعاع، والزعاق: فيه مرارة.

ولنا في أسماء العطش

الصدى والأوام ثمّ غليل ... وغيم ولوحه العطش

---

(١) ج، م، ي: و.
(٢) الزند: العود الذي يقدح به النار.
(٣) نقاخ: بارد عذب.
(٤) أ، ر، ن: - تفسير.
(٥) ج، م، ي: يكثر ... يروى.

وكذلك[1] الجواد مهلكة فإذا ما ارتويت تنتعش

ولنا في أسماء الخيل في السباق

قالوا المجلِّي أوّل ثمّ المصلّي بعده ثمّ المسلِّي ثالث والتالي طرف رابع
والخامس المرتاح ثمّ عاطف سادسهم ثمّ الحظيُّ بعده وهو الجواد السابع
والثامن المؤمَّل ثمّ اللطيم تاسع سِكِّيتهم عاشرهم أهلّة طوالع
فِشْكِلُهم[2] آخرهم فلا يعدّ فيهم إنّ المجلّي أوّل فتسعة توابع

المحفوظ عند العرب: السابق والمصلّي والسكّيت الذي هو العاشر، والسابق هو الأوّل، وهو المجلّي والمبرّز أيضا. وسائر ما ذكر من الأسماء، فإنّ بعض الحفّاظ من أهل اللغة قال: أراها محدثة، والله أعلم.

وروينا من حديث عمرو بن بحر[3] قال: حدّثنا سنان بن الحسن التستري، عن إسماعيل بن مهران العسكري، عن أبان بن عثمان، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب ﵁ قال: لمّا أُمر رسول الله ﷺ أن يعرِض نفسَه على القبائل، خرج وأنا معه وأبو بكر، وكان عالما بأنساب العرب، فوقفنا على مجلس من مجالس العرب عليهم الوقار والسكينة، فتقدّم أبو بكر، فسلّم عليهم، فردّوا عليه، فقال: ممّن القوم؟ فقالوا: من ربيعة، قال: أمِن هاماتها أم من لهازمها[4]؟ قالوا: بل من هامتها العظمى. قال: وأيّ هاماتها؟ قالوا: ذُهل. قال: أذُهل الأكبر أم ذُهل الأصغر؟ قالوا: بل الأكبر. قال: أفمنكم عوف الذي كان يقال: لا حُرّ بوادي عوف[5]؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى[6] الأحياء؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم جسّاس بن مرّة، حامي الذمار[7] ومانع الجار؟ قالوا: لا. قال: أفمنكم المزدلف[8] صاحب العمامة[9]؟ قالوا: لا. قال: أفأنتم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: أفأنتم أصهار

(١) أ، ج: وكذاك.
(٢) الفسكل: الذي يجيء في آخر الحلبة آخر الخيل وهو بالفارسية فشكل. ر، م، ي: فشكلهم.
(٣) هو عمرو بن بحر الجاحظ.
(٤) هاماتها: أشرافها. ولهازمها: أوساطها.
(٥) لا حرّ بوادي عوف: يضرب مثلا للرجل يسود القوم فلا ينازعه فيه أحد لقوّته.
(٦) أ، ر، ن: منتهى.
(٧) حامي الذمار: حامي الحقيقة.
(٨) هو عمرو بن أبي ربيعة، قال لقومه وهو في حرب ازدلفوا قيد رمحي هذا، أي اقتربوا. وقيل اسمه الخصيب.
(٩) م، ي: العمام. أ، ج، ر، ن: الغمام. والترجيح من تاج العروس حيث ذكر عنه أنه إذا ركب لم يعتم معه غيره إجلالا له.

الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال: فلستم من ذهل الأكبر، إذَنْ أنتم من ذهل الأصغر.

فقام إليه أعرابي غلام حين بقل وجهه[1]، فأخذ بزمام ناقته، ورسول الله ﷺ واقف على ناقته يسمع مخاطبته؛ فقال لنا:

على من سألنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا؛ إنّك سألتنا أيّ مسألة شئتَ فلم نكتمك، فأخبرنا ممن أنت. فقال أبو بكر: من قريش. قال: بخ بخ أهل الشرف والرئاسة، فأخبرني من أيّ قريش أنت؟ قال: من بني تيم بن مرّة. قال: أمنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر، فكان يقال له مجمعا؟ قال أبو بكر: لا. قال: أفمنكم هاشم الذي يقول فيه الشاعر:

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون[2] عجاف

قال أبو بكر: لا. قال: أفمنكم شيبة الحمد[3]، الذي كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء الداجية، مُطعِم الطير؟ قال: لا. قال: أفمن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الرفادة أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا. قال: أفمن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا. قال: أما واللهِ لو شئتُ لأخبرتك أنّك لست من أشراف قريش. فاجتذب أبو بكر زمام ناقته منه كهيئة المغضب، فقال الأعرابي:

صادف درّ السيل درّا يدفعه[4] في هضبة يرفعه ويضعه

فتبسّم رسول الله ﷺ. قال عليّ: فقلت: يا أبا بكر؛ لقد وقعت من هذا الأعرابي على باقعة[5]. قال: أجل يا أبا الحسن؛ ما من طامة إلّا وفوقها طامة، وإنّ البلاء موكل بالمنطق.

سأل علي بن أبي طالب رسولَ الله ﷺ: ما أفضل الصلاة؟ قال: ما حضرتْ فيها القلوب، وذرفتْ فيها العيون، وخلصتْ فيها النيّات، وفاضتْ فيها العبرات.

وبكى الحسن بن أبي الحسن البصري يوما في حلقته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال[6]: لأنّي

---

(١) جاء في لباب الأنساب أن اسم الغلام هو دغفل بن حنظلة من بني ربيعة.

(٢) مسنت: إذا أجدب.

(٣) شيبة الحمد هو عبد المطلب بن هاشم.

(٤) مثلٌ يضرب لمن يجد من هو أقوى منه.

(٥) الباقعة: الذكي العارف الذي لا يفوته شيء.

(٦) ج، م، ي: قال.

أرى قوما قد أُمروا بالزاد، ونُودِيَ فيهم بالرحيل، وحُبس أوّلهم على آخرهم وهم قعود يلعبون.

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم:

قالوا تقدّم فقلت الخوف أخّرني ... وقُبح فعلي وزلّاتي ومجترمي
بأيّ وجه إذا ما جئت أرفعه ... وقد تمّرث[1] بالتوبيخ والتُّهم
وكيف أنقل أقداما عصيت بها ... إلى محلّ العلا في القدس والعِظم
إلى الذي جاد بالإحسان مبتدئا ... ومَنّ بالفضل والآلاء والنِّعم
وكلّ جارحة لي غير طاهرة ... لا ماء وجهي ولا جسمي ولا قدمي
قالوا فدونك من أبواب رحمته ... ومنتهى العفو والإحسان والكرم
فقلت وجهي من الزلّات محتشم ... ولست أملك وجها غير محتشم

وقال بعض الأولياء: الفكرة نور، والغفلة ظلمة، والجهالة ضلالة، والسعيد من وُعِظ بغيره.

إنّي لأذكر مولاي وأشكره ... في كلّ وقت وفي داج من الظُّلَمِ
فكم له نعمة في كلّ جارحة ... ضاقت لكثرتها عن شكرها همم
فرض على كلّ عبد شكر خالقه ... فيما أفاض من الإنعام والكرمِ

أوحى الله إلى داءود: يا داءود؛ اعرفني واعرف قدر نفسك. ففكّر ساعة، ثمّ قال: إلهي عرفتك بالأحدية والقدرة والبقاء، وعرفتُ نفسي بالعجز والضعف والفناء.

وقال السري: اطلب حياة قلبك بمجالسةِ أهل الذكر، واستجلب نور القلب بدوام الحزن، والتمس تعجيل الانتقال، وإيّاك والتسويف، ونافِس الأبرار في إقامة الفرض، ونافِس المقرّبين في إخلاص النوافل وترك فضول الحلال، واطلب حلاوة المناجاة بفراغ القلب، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشكر، وأكثر الحسنات الحديثات للسيّئات القديمات، واستبق الحسنات بترك التبعات، وسارِع في الخيرات، واحذر ما يوجب العقوبات.

وروينا[2] من حديث ابن ودعان، قال: أنبأ أبو نصر أحمد بن الخليل، عن علي بن أبي القاسم، عن عبد الله بن جعفر، عن محمد بن الحسن العبدي، عن أبيه، قال: حدّثنا أبو

(١) تمرّث: عجن.
(٢) ج، م: روينا.

سلَمة موسى بن إسماعيل، عن حمّاد بن سلمة، عن حميد وثابت، جميعا عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمّهم على ما لم يؤتك الله، إنّ رزق الله لا يجرّه حرص حريص، ولا يردّه كراهية كاره، إنّ الله تبارك وتعالى[1] بحكمه جعل الرَّوح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسخط، إنّك لم تَدَعْ شيئا تقرّبا إلى الله إلّا أجزل لك الثواب عنه[2]؛ فاجعل همّك وسعيك لآخرة لا ينفد فيها ثواب المرضيّ عنه، ولا ينقطع فيها عقاب المسخوط عليه».

وروينا من حديث الخطّابي، قال: حدّثنا ابن داسة، حدّثنا أبو داود، ثنا عمرو بن مروان، قال: أنبا شعبة، عن الأشعث بن سليمان، عن أبي بردة، عن ثعلبة بن ضُبيعة، قال: دخلنا على حذيفة، قال: إنّي لأعرف رجلا لا تضرّه الفتن شيئا! قال: فخرجنا فإذا فسطاط مضروب، فدخلنا فإذا فيه محمد بن مسلمة[3]، فسألناه عن ذلك فقال: ما أريد أن أشتمل على شيء من أمصارهم حتى تنجلي عمّا انجلت.

وروينا من حديث ابن الخطاب[4]، قال: ثنا ابن الأعرابي، عن أبي سعيد، عن يحيى بن سعيد القطّان، عن محمد بن مهران بن مسلم بن المثنّى، قال: أخبرني مسلم، قال: كنّا مع عبد الله بن الزبير، والحجاج محاصِرُه، فكان ابن عمر يصلّي مع ابن الزبير، فإذا فاتته الصلاة معه، وسمع مؤذّن الحجاج، انطلق فصلّى معه، فقيل له: تصلّي مع ابن الزبير ومع الحجاج؟ فقال: إذا دعونا إلى الله أجبناهم، وإذا دعونا إلى السلطان تركناهم. وكان ينهى ابن الزبير عن طلب الخلافة والتعرّض لها.

خبر الضبّ الذي آمن برسول الله ﷺ

روينا من حديث أبي نعيم، عن سليمان بن أحمد إملاءً وقراءةً، عن محمد بن علي بن

---

(١) أ، ر، ن: اسمه.

(٢) م، ي: عنه.

(٣) ج، م: سلمة.

(٤) ج، م: الخطابي.

الوليد السلمي البصري من كتابه، عن محمد بن علي[١] الصنعاني[٢]، عن معتمر بن سليمان، عن كهمس بن الحسن، عن داود بن أبي هند، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر قال: إنّ رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي من بني سليم قد أصاب ضبًّا، وجعله في كمّه ليذهب به إلى رَحْلِهِ ليأكله[٣]، فقال: على من هذه الجماعة؟ فقالوا: على هذا الذي يزعم أنّه نبي. فشَقَّ الناس، ثمّ أقبل على النبيّ ﷺ فقال: يا محمد؛ ما اشتملت النساء على ذي لهجةٍ أكذب منك، ولا أبغض منك، ولولا أن يسمّيني[٤] قومي عجولا، لعجلت عليك فقتلتك، فسررت بقتلك الناس جميعا. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله؛ دعني أقتله. فقال رسول الله ﷺ: يا عمر؛ أما علمتَ أنّ الحليم كاد أن يكون نبيّا؟

ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ، فقال: واللّات والعزّى لا آمنتُ بك. فقال له[٥] رسول الله ﷺ: يا أعرابي؛ ما حَمَلك على الذي قلت، وما قلت، وقلت غير الحقّ، ولم تكرم مجلسي؟ فقال: وتكلّمني أيضا! -استخفافا برسول الله ﷺ- واللّات والعزّى لا آمنت بك، أو يؤمن بك هذا الضبُّ. فأخرج الضبَّ من كمّه وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، وقال: إن آمن بك هذا الضبُّ آمنتُ بك. فقال رسول الله ﷺ: يا ضبّ! فتكلّم الضبُّ بلسان عربيّ مبين، يفهمه القوم جميعا: لبّيك وسعديك يا رسول ربِّ العالمين. فقال له رسول الله ﷺ: يا ضبُّ؛ ومن تعبد؟ قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنّة رحمته، وفي النار عذابه. قال: فمن أنا يا ضبّ؟ قال: أنت رسولُ ربّ العالمين وخاتم النبيّين، قد أفلح من صدَّقك، وقد خاب من كذَّبك.

فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأشهد[٦] أنّك رسول الله حقّا. واللهِ لقد أتيتُك وما على وجه الأرض أحدٌ أبغض إليّ منك، واللهِ لأنت الساعة أحبُّ إليّ من نفسي ومن والدي، وقد آمنت بك بشعري وبشري، وداخلي وخارجي، وسرّي وعلانيتي. فقال له النبيّ ﷺ: الحمد لله الذي هداك إلى هذا الدين الذي يعلو ولا يُعلى، لا يقبله الله إلّا

---

(١) جميع النسخ: الأعلى.
(٢) م، ي: الصغاني.
(٣) ج، م، ي: - ليأكله.
(٤) ج، م، ي: يسموني.
(٥) ج، م، ي: - له.
(٦) أ، ر، ن: - أشهد.

بصلاة، ولا يقبل الصلاة إلّا بالقرآن.

فعلّمه رسول الله ﷺ الحمد وقل هو الله أحد[١]. فقال يا رسول الله: ما سمعت في البسيط ولا في الرجز أحسن من هذا. فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذا كلام ربِّ العالمين، وليس بشِعر، وإذا قرأت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢] فكأنّك قرأت ثلث القرآن، وإذا قرأتها مرّتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن، وإذا قرأتها ثلاث مرّات[٣]، فكأنما قرأت القرآن كلّه. فقال الأعرابي: نِعم الإله إلهنا؛ يقبل اليسير، ويعطي الجزيل. ثمّ قال رسول الله ﷺ: أعطوا الأعرابي، فأعطوه حتى أبطروه. فقام عبد الرحمن بن عوف، فقال: يا رسول الله؛ إنّي أريد أن أعطيه ناقة أتقرّبُ بها إلى الله دون البختي وفوق العِرابي[٤]، وهي عُشراء تَلحق ولا تُلحق، أهديت إليّ يوم تبوك. فقال له رسول الله ﷺ: قد وصفتَ ما تعطي، فأصِفُ لك ما يعطيك الله جزاء. قال: نعم. قال: لك ناقة من درّة جوفاء، قوائمها من زبرجد أخضر، وعنقها من زبرجد أصفر، عليها هودجٌ، وعلى الهودج السندس والاستبرق، وتمرّ بك[٥] على الصراط كالبرق الخاطف.

فخرج الأعرابي من عند رسول الله ﷺ، فلقيَه ألفُ أعرابي على ألف دابة وألف رمح وألف سيف، فقال لهم: أين تريدون؟ فقالوا: نقاتل هذا الذي يكذب ويزعم أنّه نبي. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدا رسول الله. فقالوا له: صبوتَ! فقال: ما صبوتُ، وحدّثهم الحديث. فقالوا بأجمعهم: لا إله إلّا الله، محمد رسول الله. فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فتلقّاهم بلا رداء، فنزلوا على رُكبهم يقبّلون عوارضه، وما ولّوا منه إلّا[٦] وهم يقولون: لا إله إلّا الله محمد رسول الله. فقالوا: مُرنا بأمر تحبُّ يا رسول الله. قال: تكونون تحت راية خالد بن الوليد. قال: فليس أحد من العرب آمن منهم ألف رجل إلّا (هؤلاء) من بني سليم.

دلالات التائبين

روينا من حديث ابن مروان، عن عبد الرحمن بن مرزوق، عن عبد الله بن بكر

---

(١) ج، م، ي: الفاتحة والإخلاص.

(٢) [الإخلاص: ١]

(٣) أ، ر: مرار.

(٤) البختي: الإبل العظيمة، والعِرابي: الإبل الصغيرة.

(٥) ج، م، ي: بها.

(٦) أ، ج، ر، ن: - إلا.

السهمي، قال: قال بعض العبّاد: علامة التوبة الخروج من الجهل، والندم على الذنب، والتجافي عن الشهوات، واعتقاد مقت نفسك المسوّلة، وإخراج المظلمة، وإصلاح الكسرة والشهوة، وترك الكذب، وقطع الغيبة، والانتهاء عن خِدْنِ السوء، والاشتغال بما عليك، والاستعداد لما تنقلب إليه، والبكاء على ما سلف من عمرك، وترْك ما لا يعنيك، والخوف من ساعة تأتيك رسلُ ربّك تقبض[1] روحك، والتفجّع والحزن من[2] ليلة تبيتُ في قبرك وحدك بين أطباق الثرى إلى يوم المعاد.

ولبعضهم في الحنين إلى الأوطان للشريف الرضي

لا يذكر الرمل إلّا حنَّ مغترب ... له بذي الرمل أوطار وأوطانُ
تهفو إلى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البانُ بل من داره البانُ
أسُدُّ سمعي إذا غنّى الحمام به ... أن لا يهيّج سرَّ الوجد إعلانُ[3]
ورُبَّ دار أوّليها مجانبة ... ولي إلى الدار أطرابٌ[4] وأشجانُ
إذا تلفّتُّ في أطلالها ابتدرتْ ... للعين والقلب أمواه ونيرانُ

ومن قول الشريف الرضي في الاشتياق

خذي نَفَسِي يا ريح من جانب الحمى ... فلاقي بها ليلا نسيم رُبا نجدِ
فإنّي بذاك الحيّ حيّا عهدته ... وبالرغم منّي أن يطول به عهدي
ولولا تداوي القلب من ألم الهوى ... بذكر تلاقينا قضيتُ من الوجد
ويا صاحبيّ اليومَ عوجا لتسألا ... ركيبا من الغورين أينقهم تخدي
عن الحيّ بالجرعاء جرعاء مالك ... هل ارتبعوا واخضرّ واديهم بعدي
شممتُ بنجد شيحةً حاجريّةً ... فأمطرتُها دمعي وأفرشتها خدّي
ذكرتُ بها ريّا الحبيب على النوى ... وهيهات ذا يا بعد بينهما عندي
وإنّي لمجلوبٌ لي الشوق كلّما ... تنفّس شاكٍ، أو تألّم ذو وجد
تعرّض رسل الشوق والركب هاجدٌ ... فأيقظني من بين نوامهم وحدي
فما شرب العشّاق إلّا بقيّتي ... ولا وردوا في الحبّ إلّا على وردي

---

(١) ج، م، ي: بقبض.
(٢) أ، ر، ن: - من.
(٣) أ، ر، ن: إحسان.
(٤) أطراب: أشواق.

* * *

إن كانت الحاجة إلى الناس فالكسب أوْلى، ومن لم ير غير الله ولم يخطر له الناس ببال، ففي أيّ مقام أقيم فهو ذلك، وهو حالٌ عزيز.

قال بعض الحكماء: "بَذْلُ الحيلة في طلب الحلال وقلّة الحوائج إلى الناس أفضل العبادة". رويناه من حديث ابن مروان عن عباس بن محمد الجمحي، عن محمد بن سلام.

ومن الأمثال في السعي على العيال

رويناً[١] من حديث المالكي، عن علي بن الحسن، عن أبيه، قال: قال النباجي[٢]: قال بعض العبّاد: إنّ مثل الرجل لولده ولعياله مثل الدُّخْنة[٣] الطيّبة تحترق ويلتذّ بطيب رائحتها آخرون.

ومن أحوال الدنيا ما رويناه من حديث الدينوري، عن أحمد بن الحسن، عن سعيد الجرمي، قال: قال ابن السمّاك لجعفر بن يحيى: إنّ الله ﷻ ملأ الدنيا لذّات، وحشاها بالآفات، فمزج حلالها بالموبقات، وحرامها بالتبعات.

حكمة علويّة

أحسنُ الدنيا أقبَحُها عند من يبصرها، يعني بعين عقله، وذلك أنّها تشغل[٤] عمّا هو أحسن منها، يعني الآخرة، واكتساب الخُلق الفاضلة. رويناه من حديث أحمد بن مروان بن إبراهيم بن نصر[٥]، عن محمد بن سلام، عن بعض الحكماء.

ومن باب حنين الإبل وسيرها، قول أبي منصور بن الفضل المؤدّب

تزاورن من أذرعات يمينا نواشز ليس يُطِعْنَ البُرينا[٦]
كَلِفْنَ بنجد كأنّ الرياض أخذن لنجد عليها يمينا
وأقسمن يحملن إلّا نحيلا إليه ويُبلغن إلّا حزينا

---

(١) ج، م/ ي: ما رويناه.
(٢) م، ي: قال لي الساحي.
(٣) الدُخْنة: بَخُور كالذَرِيرة يُدَخّن بها البيوت.
(٤) ر، ن: تشتغل.
(٥) ج، م، ي: عن نصر.
(٦) البُرين: جمع بُرَة، وَهِي الْحلقَة فِي حِتار أنف الْبَعِير إِذا كَانَت من فضّة أَو صُفْر.

ولمّا استمعن زفير المشوق ونوح الحمام تركن الحنينا
إذا جئتما بانة الواديين فأرخو النسوع وحُلّوا الوضينا[1]

وقال أيضا في هذا الباب:

لأيّ مرمى تَزجر الأيانقا إن جاوزتْ نجدا فلستَ عاشقا
وإنما كان بكائي حاديا ركب الغرام وزفيري سائقا

ومن هذا الباب لأبي جعفر بن البياضي:

نوق تراها كالسفِين[2] إذا رأيت الآل بحرا
كتب الوجا بدمائها في مهرق البيداء سطرا
فكأنّ أرجلهنّ تطلب عند أيديهنّ وترا
يحملن من أهل الهوى شعثا على الآكوار غبرا
لاح الهجير وجوههم فأحال منها البيض سمرا

ولابن الخفاجي من هذا الباب:

أَمُبيحها فضل الأزمّة شمّر فمع النسيم تحيّة من عرعرِ
يا بانَتَيْ إضم وَمَن دين الهوى بَثَّ السؤال لكلّ من لم يخبَرِ
أعلمتما[3] قلبي أقام مكانه أم سار في طلب الصباح المسفرِ

وله أيضا من هذا الباب:

دعوها تناضل بالأذرع فأين العواصم من لعلع
وقودوا أزمّتها بالحنين فلولا الصبابة لم تتبع

وروينا عن الإمام أبي الفرج ابن الجوزي الحافظ كتابةً لنفسه في هذا الباب:

وحرمة شعث على كلّ نضر[4] براهنّ من ألم ما براني
إذا ذكرتها حداة[5] الهوى قطعن البرى قطع وجدي عناني
تطايرن والشوق يدني مِنى وكلّ المنى عند ذاك المكان
فلمّا علون فويق الكثيب تراءين ذاك البُريق اليماني

---

(١) النُّسوع: السيور التي يشدّ بها الرحل، والوَضين: حزامُ الرَّحْل والهَوْدَج.
(٢) السفين: جمع سفينة.
(٣) أ، ر، م، ن، ي: أعلمتها.
(٤) م، ي: نصف.
(٥) أ، ر، ن: الحداة.

وله أيضا من قصيدة في هذا الباب:

لا وشعث فارقوا أوطانهم ... يستلينون السبيل الأوعرا
كلّما غنّى بهم حاديهم ... أخذتْ عيسهم تفري البُرى
أعسفتْ في سيرها إذ طربت ... أمِنًى ذكّرها والأجفرا
وافقتْ من حملت في شوقهم ... فتناست بالهوى طول السُرى

خبر فيميون وعبادته وما جرى له

روينا من حديث ابن إسحق، عن المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن منبّه اليماني أنّه حدّثهم، أنّ مُوقع دين النصرانية بنجران، كان رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم، يقال له فيميون، وكان صالحا زاهدا مجتهدا في العبادة[١] ورعا، مجاب الدعوة، سائحا نائحا ينزل القرى، لا يُعرف بقرية إلّا خرج منها إلى قرية لا يُعرف بها. وكان لا يأكل إلّا من كسب يديه[٢]، وكان بنّاءً يعمل الطين، وكان يعظِّم الأحد، إذا كان يوم الأحد لا يعمل فيه شيئا وخرج إلى فلاة من الأرض فصلّى بها حتى يمسي.

قال: وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك[٣] مستخفيا، ففطِن لشأنه[٤] رجل من أهلها يقال له صالح، فأحبّه صالح حبّا لم يحبّه شيئا كان قبله، فكان يتبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون، حتى خرج مرّة يوم الأحد إلى فلاةٍ من الأرض، كما كان يصنع، وقد اتّبعه صالح، وفيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يحبّ أن يعلم بمكانه. وقام فيميون يصلّي، فبينا هو يصلّي إذ أقبل نحوه التنّين: الحيّة ذات الرءوس السبعة، فلمّا رآها فيميون دعا عليها فماتت؛ ورآها صالح ولم يدرِ ما أصابها فخافها عليه، فعِيل عولُه، فصرخ: يا فيميون؛ التنّين قد أقبل نحوك؛ فلم[٥] يلتفت إليه، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى، فانصرف وعَرف أنّه قد عُرِف، وعرف صالح أنّه قد رأى مكانه، فقال له: يا فيميون، تعلم واللهِ أنّي ما أحببت شيئا قط حبّك، وقد أردتُ صحبتك، والكينونة معك

(١) ج، م، ي: - في العبادة.
(٢) ج، م: يده.
(٣) ج، م: - ذلك.
(٤) ج، م، ي: بشأنه.
(٥) م، ي: لم.

حيث كنت[1]. قال: ما شئت، أمري كما ترى، فإن علمتَ أنّك تقوى عليه فنعم، فلزمه صالح. وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه، وكان إذا ناجاه العبدُ به الضرُّ دعا له فشفي، وإذا دُعِي لأحدٍ به ضُرٌّ لم يأته.

وكان لرجلٍ من أهل القرية ابنٌ له ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنّه لا يأتي أحدا دعاه، ولكنّه رجل يعمل للناس البنيان بالآجُر. فعمد الرجل إلى ابنه ذلك، فوضعه في حجرته، وألقى عليه ثوبا، ثمّ جاءه فقال: يا فيميون؛ إنّي قد أردت أن أعمل في بيتي عملا، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارطك عليه. فانطلقَ معه حتى دخل حجرته، ثمّ قال له: ما تريد أن تعمل في[2] بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثمّ انتشط الثوبَ عن الصبي، وقال: يا فيميون؛ عبد من عباد الله أصابه ما ترى، فادع الله له، فدعا له فيميون، فقام الصبيّ ليس به بأس، وعرف فيميون أنّه قد عُرِف. فخرج من القرية، واتّبعه صالح، فبينا هو يمشي في بعض الشام، إذ مرّ بشجرة عظيمة، فناداه منها رجل، فقال: أفيميون؟ قال: نعم. قال: ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاءٍ؟ حتى سمعت صوتك، فعرفت أنّك هو، لا تبرح حتى تقوم عليّ، فإنّي ميّت الآن. قال: فمات وقام عليه حتى واراه.

ثمّ انصرف، وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب، فعدوا عليهما، فاختطفتهما سيارةٌ من بعض العرب، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران. وأهل نجران يومئذ على دين العرب، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم، لها عيدٌ كلَّ سنة، إذا كان ذلك العيد، علّقوا عليها كلّ ثوب حسن وجدوه، وحليّ النساء، ثمّ خرجوا إليها، فعكفوا عليها يوما. فابتاع فيميونَ رجلٌ من أشرافهم، وابتاع صالحا آخرُ. فكان[3] فيميون إذا قام من الليل في بيته يصلّي، استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيّده، فأعجبه ما رأى منه، فسأله عن دينه فأخبره، وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع، فلو دعوتُ عليها إلهي الذي أعبد أهلكَها، وهو الله وحده لا شريك له. فقال له سيّده: فافعل؛ فإنّك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه. قال: فقام فيميون، فتطهّر وصلّى ركعتين، ثمّ دعا اللهَ ﷻ[4] عليها، فأرسل ريحًا، فجعفتها من أصلها فألقتها. فاتّبعه عند ذلك أهلُ نجران على

(١) ج، م، ي: شئت.
(٢) أ، ر، م، ن، ي: من.
(٣) ر، ن: وكان.
(٤) أ، ر، ن: - ﷻ.

دينه، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم.

قوله: فجعفتها؛ قلعتها، وقوله: عيل عولُه، يقال: عال الأمر إذا أثقل وغلبه. قال الفرزدق:

ترى الغرّ الجحاجح من قريش إذا ما الأمر في الحدثان عالا

فمعنى عيل عوله أي غلب غلبه، وقهرت شدّته وجلَده.

* * *

ومن وقائع بعض أصحاب شيخنا أبي مدين، شعيب بن الحسن ﷺ ما حدّثنا به أبو محمد عبد الله بن الأستاذ صاحبنا، وهو من سادات القوم، قال بعض المريدين: رأيت في واقعتي أبا مدين، والشيوخ قد أحدقوا به يسألونه عن المعرفة، فقال لهم: إذا تلاشت المعرفة بالمعروف صحّت المعرفة، ثمّ قالوا له: صف لنا سِرّك، فقال لهم: اسمعوا ولنفسي أسمع:

يا سرّ سرّي وجهر جهري
يا نور نوري وحياة أمري
يا قلب قلبي وبحر فكري
ومن به الفلك في البحر تجري
فأنت الذي تكسو وأنت الذي تعري

قال عبد الله؛ قال صاحب الواقعة: ثمّ أصابتني في واقعتي شبه السِّنة، فرأيت أبا مدين والأشياخ كما كانوا، فقالوا له: زِدنا، فقال لهم: إنّكم تحسبون أنّي أغيّبه، ثمّ سكت، فإذا جملة من الديكة مجتمعون فتطاول واحد منهم وهو يبكي بحنين وتطويل، فقال له أبو مدين: قل، فنطق بلسان فصيح: إنّكم تحسبون أنّي أغيّبه، المطبوع في البيت هو فيه[1]؛ فقال له الشيخ: أين هو؟ فقال: هو فيه هو فيه، فأخذته حالة وهو يقول: هو فيه، فبهت الحاضرون وتحيّروا.

وأنشد ابن الأعرابي:

سقى الله حيّا بين صارة والحِمى حمى فيد صوب المدجنات المواطر
أمينٌ وأدّى الله ركبا إليهم بخير ووقّاهم[2] صروف المقادر

ولمهيار الديلمي في النسيب:

أسِفتُ لحلم كان لي يوم بارقٍ فأخرجه جهل الصبابة عن يدي
وما زلت أبكي كيف حلّت بحاجر قوى جَلَدِي حتى تداعى تجلّدي

(١) ج، م، ي: في البيت.
(٢) م، ي: ووقتهم.

تحرّش بأحقاف اللوا عمرَ ساعة ولولا مكان الريب قلت لك ازددِ
وقل: صاحب لي ضلّ بالرمل قلبه لعلّك أن يلقاك هاد فتهتدي
فسلّم على ماءٍ به بَرْدُ غُلّتي وظِلّ أراك كان للوصل موعدي
وقل لحمام البانتين مهنّئا تغنّى خليّا من غرامي وغرّدِ
فيا أهل نجد كيف بالغور بعدكم بقاء تهاميّ بهيم بمنجدِ
ملكتم عزيزا رِقُّهُ فتعطّفوا على منكر للذلّ لم يتعوّد

وله أيضا في هذا الباب:

يا ليلتي بحاجر إن عاد ماضٍ فارجعي
أرضى بأخبار الريا ح والبروق اللمّع
وأين من برق الحمى شائمة بلعلع

وله في هذا الباب:

أودع فؤادي حرقا أودع ذاتك تؤذي أنت في أضلعي
وارم سهام الطرفِ أو كُفّها أنت بما ترمي مصاب معي
موقعها القلب وأنت الذي مسكنه بذلك الموضعِ

ومن ثمرات المحبّة عند أهلها

ما حدّثني به عبد الرحمن، عن أبي بكر، عن الحيري، عن ابن باكويه، عن إبراهيم بن محمد المالكي، عن يوسف بن أحمد البغدادي، عن ابن أبي الحواري، قال: حججت أنا وأبو سليمان الداراني، فبينا نحن نسير إذ سقطت السطيحة[1] منّي، وكان برد عظيم، فأخبرت أبا سليمان، فقال: سلّم وصلّ على محمد، وقل: يا رادّ الضالة، ويا هاديا من الضلالة، رُدّ الضالة، فإذا بواحد ينادي: مَن ذهبت له سطيحة، فأخذتُها منه، فقال لي أبو سليمان: لا تتركنا بلا ماء. فبينا نحن نسير إذا برجل عليه طِمران[2] رثّان، وقد تدرّعنا بالفراء من شدّة البرد، وهو يرشح عرقا، فقال له أبو سليمان: ألا ندثّرك ببعض ما معنا؟ فقال الرجل: يا داراني؛ الحرُّ والبردُ خلقان لله ﷻ؛ إن أمرهما أن يغشياني أصاباني، وإن أمرهما أن يتركاني تركاني، يا داراني؛ تصف الزهد وتخاف من البرد، أنا شيخ أسيح في هذه البرّيّة منذ ثلاثين سنة ما

(١) السطيحة: مزادة صغيرة من جلدين.
(٢) طمران: ثوبان.

انتفضتُ ولا ارتعدتُ؛ يلبسني في البرد فيحا من محبّته، ويلبسني[1] في الصيف برد محبّته، ثمّ ولّى وهو يقول: يا داراني؛ تبكي وتصيح وتستريح[2] إلى الترويح. فكان أبو سليمان يقول: لم يعرفني غيره.

قلت: كنت أطلب بيت المقدس، فدخل عليّ شاب كما عذر عليه أثر السياحة، وأنا بمسجد بظاهر بيسان، وكان صاحبي عبد الرحمن بن علي اللواتي يعمل لي شغلا بين يدي، فدنا منّا، وأخذ السكين من يد عبد الرحمن، فأصلح به نعلا كان له، ثمّ قال لي: تكون فقيرا وتمشي بِعدّة، فقلت له: يا فقير؛ تراك قد احتجت إليها، فلو كانت عندك ما كان يضرّك؟ فقال لي: لمّا احتجتُ وجدتُك فأصلحتُ شأني، وأراحني الله من حملها، فكن مثلي واتركها، فإذا احتجتَ إليها وجدت حاجتك عند مثلك، وتكون بينهما سالم الحال مع الله. ثمّ خرج مسرعا، فطلبته فلم أره حتى الآن.

سبحانك اللهمّ وبحمدك، لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.[3]

موعظة الفضيل بن عياض لأمير المؤمنين هارون الرشيد بمكة زادها الله تشريفا

روينا من حديث أبي نعيم، عن سليمان بن أحمد، عن محمد بن زكريا الغلابي، عن أبي عمر الجرمي[4] النحوي، عن الفضل بن الربيع، قال: حج أمير المؤمنين[5] هارون الرشيد، فأتاني، فخرجت مسرعا، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ لو أرسلت إليّ لأتيتك، فقال: ويحك قد حاك[6] في نفسي شيء، فانظر لي رجلا أسأله. فقلت: ها هنا سفيان بن عيينة. قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ الباب، فقال: من ذا؟ فقلت[7]: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعا، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليّ لأتيتك، قال له: خذ لما جئناك له رحمك الله، فحدّثه ساعة، ثمّ قال له[8]: عليك دَين؟ قال: نعم، قال: اقض دَينه.

---

(١) أ، ر، ن: - يلبسني.
(٢) أ، ر، ن: وتسريح.
(٣) انتهى السمر.
(٤) ج، م، ي: - الجرمي.
(٥) ج، م، ي: - أمير المؤمنين.
(٦) أ، ر، ن: حك.
(٧) أ، ر، م، ن، ي: فقال.
(٨) ج، م، ي: - له.

فلمّا خرجنا قال: ما أغنى عنّي صاحبك شيئا، انظر لي رجلا أسأله. فقلت له: هاهنا عبد الرزاق، فذكر مثل ما جرى له مع سفيان. وقال: ما أغنى عنّي صاحبك شيئا، انظر لي رجلا أسأله.

فقلت: هاهنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فإذا هو قائم يصلّي يتلو آية من القرآن يردّدها، قال: اقرع الباب، فقرعتُ، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله، أما عليك طاعة؟ فنزل ففتح الباب، ثمّ ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثمّ التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا، فسبقتْ كفُّ هارون الرشيد[1] قبلي إليه، فقال: يا لها من كفّ ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله ﷻ. فقلت في نفسي: ليكلّمنّه الليلة بكلام من قلب تقي. فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله[2]، فقال له: إنّ عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إنّي قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ. فعدَّ الخلافة بلاء، وعددَتها أنت وأصحابُك نعمة. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت، وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبيرُ المسلمين عندك أبًا، وأوسطهم عندك أخا، وأصغرهم عندك ولدا، فوقِّر أباك، وأكرِم أخاك، وتحنّن على ولدك، وقال له[3] رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فأحبَّ للمسلمين ما تحبّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثمّ مت إذا شئت.

وإنّي أقول لك يا هارون[4]؛ إنّي أخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزلّ فيه الأقدام، فهل معك -رحمك الله- من يشير عليك بمثل هذا؟

فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه، فقلت له: أرفق بأمير المؤمنين. فقال: تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا. ثمّ أفاق فقال له: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين؛ بلغني أنّ عاملا لعمر بن عبد العزيز شكا إليه، فكتب إليه: يا أخي أذكّرك طول سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإيّاك أن ينصرف بك من عند الله ﷻ، فيكون آخر العهد

---

(١) أ، ر، ن: هارون أمير المؤمنين.

(٢) أ، ر، ن: - فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله.

(٣) ج، م، ي: - له.

(٤) ج، م، ي: فإني أقول لك يا هارون الرشيد.

وانقطاع الرجاء. فلمّا قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله تعالى.

قال: فبكى هارون بكاء شديدا، ثمّ قال: زدني رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أمّرني على إمارة، فقال له: «إنّ الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة؛ فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل».

فبكى هارون بكاء شديدا[1]، وقال له[2]: زدني رحمك الله، قال: يا حسن الوجه؛ أنت الذي يسألك الله تعالى عن هذا الخَلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل، وإيّاك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غِشٌّ لأحد من رعيّتك، فإنّ النبيّ ﷺ قال: «من أصبح لهم غاشّا لم يرح رائحة الجنّة».

فبكى هارون، وقال له: عليك دين؟ قال: نعم؛ دَينٌ لربّي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم أُلهم حجّتي.

قال: إنما أعني من دَين العباد، قال: إنّ ربّي لم يأمرني بهذا، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾[3]، فقال له: هذه ألف دينار، خذها وأنفقها على عيالك، وتقوّى بها على عبادتك. فقال: سبحان الله! أنا أدلّك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا، سلّمك الله ووفّقك. ثمّ صمت فلم يكلّمنا. فخرجنا من عنده، فلمّا صرنا على الباب قال لي هارون: إذا دللتني على رجل فدلّني على مثل هذا، هذا سيّد المسلمين.

فدخلتْ عليه امرأة من نسائه، فقالت له: يا هذا؛ قد[4] ترى ما نحن فيه من ضيق الحال! فلو قبلتَ هذا المال لفرّجت عنّا به، فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قومٍ كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلمّا كبر نحروه فأكلوا لحمه. فلمّا سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال، فلمّا علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلّمه ولا يجيبه. فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ هذه الليلة، فانصرِف رحمك الله، فانصرفنا[5].

---

(١) ج، م، ي: - بكاء شديدا.

(٢) ج، م، ي: - له.

(٣) [الذاريات: ٥٨]

(٤) ج: ما. م، ي: - قد.

(٥) أن ر، ن: - فانصرفنا.

* * *

وروينا من حديث ابن ودعان، عن طاهر بن محمد بن يوسف[1] عن علي بن وسيم، عن جعفر بن إبراهيم، عن عبد الكريم بن الهيثم، عن أبي اليمان، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة، قال؛ قال: رسول الله ﷺ: «إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث: إمّا من شبهة في الدين ارتكبوها، أو شهوة للذّة آثروها، أو غضبة لحميّة أعملوها، فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين، وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد، وإذا عنت[2] لكم غضبة فادرءوها بالعفو، إنّه ينادي منادٍ يوم القيامة: من له أجر على الله فليقم، فيقوم العافون عن الناس، ألم تر إلى قوله تعالى[3]: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[4]».

ومن سماعنا على قول الرضي بالنفس:

أما عَلِم الغادون والقلب خلفهم يضمّ زفيرا يصدع القلب ضمّه
بأنّ وميض البرق ما لا أشيمه وإنّ نسيم الروض ما لا أشمّه

ومن[5] سماعنا على قوله أيضا بالنفس:

ولمّا أبى الأضعان إلّا فراقنا وللبين وعد ليس فيه كِذاب
رجعت ودمعي جازع من تجلّدي يروم نزولا للجوى فيهاب
وأثقلُ محمولٍ على العين ماؤها إذا بان أحباب وعزّ إياب

وعلى قوله في التوديع أيضا بالنفس:

وإنّي إذا اصطكّت رقاب مطيّكم وثوّر حاد بالرفاق عجول
أخالف بين الراحتين على الحشا وأنظر أَنَّى مِلْتُمُ فأميل

ومن وقائع بعض الفقراء، ما حدّثنا به أبو محمد عبد الله بن الأستاذ المورواري بإشبيلية، قال: قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين وأبا حامد وأبا طالب وأبا يزيد وخلقًا

(١) أ، ج، ر، ي: سيف.
(٢) ج، ر: عرضت.
(٣) أ، ر، ن: ﷻ.
(٤) [الشورى: ٤٠]
(٥) أ، ر: - من.

كثيرا من الصوفية، فقال أبو يزيد لأبي مدين: زدنا من كلامك في التوحيد، فقال: التوحيد هو الحقُّ، ومنوِّر القلوب، ومحرّك الظواهر، وعلّام الغيوب، به نظر العارفون فتاهوا، إذ لم يعمر قلوبهم إلّا هو، فهم به والهون، قلوبهم تسرح في الحضرة العليّة، وأسرارهم ممّا سواه فارغة، جالت أسرارهم في الملكوت فلاحظوا عظمته، وتجلّى لقلوبهم فأنطقتهم حكمته، فهو للعارف ضياء ونور، وقد أشغله به عن الجنّة والقصور، آنسه به فهو أليفه، وأفناه عنه فتلاشى كثيفه، فامتزج المعنى بالمعنى، فكان[1] هو. ذهبَتِ الرسوم، وفنيتِ العلوم، ولم يبق إذ ذاك سوى الحيّ القيوم. هو معنى المعاني، والحيّ الباقي، ومكشف سِرّ العارف ماذا يلاقي من البرّ والإحسان ولذّة النظر، وغيّبه عن الأغيار وعن جملة البشر، تنزّه عن تنزيهه فنزّهه به، وفني عن الأكوان بمشاهدة ربّه، فعدا عن الأسماء، ورقى عن الصفات، واضمحلّت كُلّيّته في مشاهدة الذات.

هذه علوم، وهذه أسرار يكاشَف بها من هو لها مختار، فيبثّها في الوجود، فيظهر ما عنده ويحيي بها القلوب، ويُنجز له وعده، فيرويها الحقّ بالماء الصافي، ويعالج علّتها بالعلم الشافي، فيبري بها من الأسقام ومن جملة العلل، ويصلحها ويعلمها من الأسرار ما لم تكن تعلم؛ فعِلم العارف موصّل المعرفة، فيظهر له الحقّ فيألف لمألوفه. فاستمِع لهذه العلوم، واصغ إليها بقلبك، فكلّ[2] من عليها فانٍ ويبقى وجه ربّك.

ومن باب البلاغة

حكي عن يحيى بن خالد، أنّه وصف الفضل بن سهل وهو غلام على المجوسيّة للرشيد، وذكر أدبه وحسن معرفته، فعمل على ضمّه إلى المأمون، فقال ليحيى يوما: ادخل إليّ هذا الغلام المجوسي حتى أنظر إليه. فأوصَلَه، فلمّا مثل بين يديه ووقف، تحيّر، فأراد الكلام فارتجّ عليه، فأدركته كبوة. فنظر الرشيد إلى يحيى نظرةً منكرة، لما كان تقدم من إفراط ثنائه عليه. فانبعث الفضل بن سهل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّ من أيمن الدلالة على فراهة[3] المملوك شدّة إفراط هيبته لسيّده! فقال له الرشيد: أحسنت واللهِ، إن كان سكوتك لتقول هذا إنّه لحسن، وإن كان شيء أدركك عند انقطاعك إنّه لأحسن وأحسن. ثمّ جعل[4] لا يسأله عن

(١) أ، ر، ن: وكان.
(٢) أ، ر، ن: وكل.
(٣) فراهة: حذق.
(٤) أ، ر، ن: جعله.

شيء إلّا رآه فيه مقدَّما، فضمّه إلى المأمون.

حدّثني أبو عبد الله بن عبد الجليل، قال: مرّ الحجاج بن يوسف بشخص من عمّاله كان قد صلبه، فوجد عند خشبته صبيّا صغيرا، فاستنطقه الحجاج فقال له: يا صبي؛ ما تقول في هذا الراكب؟ فقال: أيّها الأمير؛ هو زرع نعمتك، وحصيد نقمتك. فسأل عن الغلام، فوجده ابن ذلك المصلوب، فقرّبه وأقعده مقعد أبيه.

وحدّثنا أيضا: عن الأصمعي، قال: لقيت بالبادية صبيّا لم يدرك الحلم، فاستنطقته فوجدته بليغا فصيحا، فاستخبرته هل عنده شيء من عرض الدنيا، فقال: يا عمّ؛ واللهِ ما أملك اليوم درهما واحدا. قال: فقلت له: أتودّ[1] أن تكون لك مائة ألف درهم وتكون أحمق؟ فقال: لا واللهِ يا عمّ؛ فإنّي أخاف أن يجني عليّ حمقي جناية تذهب بمالي، ويبقى عليّ حمقي.

وحدّثنا أيضا من هذا الباب، قال: كان الرشيد يميل لعبد الله المأمون أكثر من ميله إلى محمد الأمين، فقالت له زبيدة، وهي أمّ الأمين: يا أمير المؤمنين؛ إنّك تميل إلى المأمون أكثر من ميلك إلى ولدي الأمين. فقال لها: ما أنا حيث ظننتِ، ولكنّي تفرّستُ فيه النجابة أكثر من الأمين. قالت: فأُحبُّ من أمير المؤمنين، أن يختبرهما بحضرتي.

قال: فبعث خلف الأمين أوّلا، فقال له: يا محمد، إنّي جلست هذا المقام، وآليت على نفسي أن لا يسألني أحد منكم شيئا إلّا أعطيته ما سأل. فقال الأمين: أسألك كلب بني فلان، وبازي بني فلان، لكلب مشهور وبازي مشهور. فقال[2]: لك ذلك، ثمّ انصرف. فاستدعى المأمون، فوقف بباب الستر، فأذن له، فدخل وسلّم، فقال: أُدنُه فدنا، وخدم ووقف، فما زال يقول: أدنُه وهو يدنو ويخدم، إلى أن وقف بين يديه، فأمره بزيادة الدنو، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ هذا مقام العبد من مولاه. فقال له: يا بنيّ؛ إنّي جلست هذا المقام، وآليت على نفسي أن لا يسألني أحد منكم عن شيء إلّا أعطيته مسألته. قال: فأطرق واغرورقت عيناه بالدموع، وقال له: يا أمير المؤمنين؛ أسألك في الخلافة بعدك، وأرجو الله أن لا يذيقني فقدك. فقال: انصرف.

وحدّثنا أيضا، قال: مرّ عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين بغلمان يلعبون فيهم عبد الله

---

(١) ج، م، ي: تود.

(٢) م، ي: + له.

بن الزبير، ففرّ الصبيان خوفا من عمر إلّا عبد الله بن الزبير. فقال له عمر: يا عبد الله؛ لَمَ لم تفرّ كما فرّ أصحابك؟ فقال[1]: يا أمير المؤمنين؛ لم أكن على ريبة فأخافك، ولم يكن في الطريق ضيّق فأوسع عليك.

موعظة

حدّثنا صاحبنا أيضا أبو عبد الله بن عبد الجليل بمكة قال: يحكى أنّ ملكا من ملوك اليونانيين انتبه من منامه في بعض الغدوات فأتته قيّمةُ مَلْبِسِهِ بثيابه فلبسها، وناولته المرآة فرأى شيبة في لحيته، فقال: المقراض[2] يا جارية؟ فأتته به، فقصّ الشيبة وناولها إيّاها، فتناولتها ووضعتها في كفّها وأصغت إليها أذنها ساعة والملك ينظر إليها، فقال لها[3]: ما الذي تصغين إليه يا جارية؟ قالت: أستمعُ إلى ما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك فأقصاها. فقال لها: فما الذي سمعتِ من قولها؟ قالت: زعم قلبي أنّه سمعها تقول كلاما لا يجترئ لساني على النطق به لاتّقائي سطوة المِلك. فقال لها: قولي على حال آمنةٍ وعدم توقٍّ ما لزمتِ أسلوب الحكمة. قالت: إنّها تقول: أيّها الملك المسلّط على أمدٍ قصير؛ إنّي ظننت بك البطش بي والاعتداء عليّ، فلم أظهر على سطح جسدك حتى بضتُ وحضنتُ بيضي، فأفرخنَ وعهدت لبناتي بالأخذ بثأري عهدا إذ كأنّهنّ قد خرجن فعجلن الأخذ بثأري إمّا باستئصالك أو تنغيص لذّتك وتحيّف[4] قوّتك حتى تعدّ الهلك راحة. فقال: اكتبي كلامك هذا، فكتبته في صحيفة وناولته[5] إيّاها. فتأمّلها مرارا، ثمّ قام ودخل بيت النسّاك ولبس زيّ النسك، وترك المُلك ولحق[6] بربّه.

وأنشدني في هذا المعنى صاحبنا علي بن محمد القفصي:

وناذرة بالشيب حلّت بعارضي فبادرتها بالنتف[7] خوفا من الحتف
فقالت على ضعفي استطلت[8] ووحدتي رويدك للجيش الذي جاء من خلفي

---

(١) أ، ر، ن: قال.
(٢) ر، ن، ي: المقراضان.
(٣) أ، ر، ن: - لها.
(٤) تحيف: تنقص.
(٥) ج، ي: فناولته.
(٦) أ، ر، ن، ي: وألحق.
(٧) ر، ن: بالحتف.
(٨) أ، ر، ن: استطعت.

ومن هذا الباب ما حدّثنا أيضا صاحبنا أبو عبد الله قال: دخلتْ حرقة بنت أبي قابوس، النعمان بن المنذر بن ماء السماء على سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسيّة إذ ذاك مع جملة من[١] جواريها وعليهنّ المسوح ومقطعات[٢] السلب[٣] السود، فسلّمن عليه، فلم تتميّز له حرقة[٤] من بين جواريها لمشاركتها إيّاهنّ في الزيّ، وكنّ رواهب، فقال سعد: أيّتكنّ حرقة؟ فقالت: ها أنا ذه، فقال: أنت حرقة؟ فقالت: فما تكرارك استفهامي أيّها الأمير؛ إنّ الدنيا دار قلعة وزوال، فما تدوم على حال، تنتقل بأهلها انتقالا، وتعقبهم حالا بعد حال، وإنّا كنّا ملوك هذه الأرض، يجبى إلينا خراجها، ويطيعنا أهلها مدى المدّة وزمان الدولة، فلمّا أدبر الأمر، وصاح[٥] بنا صائح الدهر، فصدّع عصانا، وشتّت ملانا، وكذا الدهر يا سعد، إنّه ليس من قوم أتحفهم بفرحة إلّا أعقبهم بقرحة[٦]، وأنشدته:

بينا نسوس الناس[٧] والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف[٨]
فأفٍّ لدنيا لا يدوم[٩] نعيمها ... تقلّب تارات بنا وتصرّف

قال: فبينا هي تخاطب سعدا ﷺ إذ دخل عمرو بن معدي كرب، فقال: أنت حرقة التي كانت تُفرش لك الأرض من قصرك إلى بيعتك بالديباج المبطّن بالوشي؟ قالت: نعم، قال[١٠] لها: ما الذي دهَمِك، وأذهب مجموداتِ شيمك، وغوّر ينابيع نعمك، وقطع سطوات نقمك؟ قالت: يا عمرو؛ إنّ للدهر عثرات تلحق السيّد من الملوك بالعبد المملوك، وتخفض ذا الرفعة، وتذلّ ذا المنعة[١١]. وإنّ هذا أمر كنّا ننتظره، فلمّا حلّ لم ننكره. فسألها سعد: فيما ذا قصدت له؟ فاستوصلته، فوصلها وقضى حوائجها، فلمّا انفصلت عنه سُئلتْ: ماذا لقيتِ منه؟

---

(١) أ، ر، ن: - من.
(٢) م، ي: والمقطعات.
(٣) ج، م، ي: صلب.
(٤) ج، ي: فلم يميز حرقة.
(٥) أ، ر، ن: صاح.
(٦) ج، ن: بترحة.
(٧) أ، ب، ر، م: الأمر.
(٨) نتنصف: نطلب النصّف وهي العدالة. أ، ر، م، ن: نتصرف
(٩) م، ي: لا يديم.
(١٠) أ، ر، ن: فقال.
(١١) ج، م، ي: النعمة.

فأنشدت:

صان لي ذمّتي[1] وأكرم وجهي إنما يكرِم الكريمَ كريم[2]

وحدّثنا أيضا قال: قال الأصمعي: بينا أنا أطوف بالبيت إذا بجارية متعلّقة بأستار الكعبة وهي تنشد:

يا ربّ إنّك ذو مَنٍّ ومغفرة دارِكْ بعفوك أرواحَ المحبّينا
الذاكرين الهوى ليلا إذا هجعوا والنائمين على الأيدي مكبّينا
يا ربّ كن لهمُ عونا إذا ظلموا واعطف بقلب الذي يهوون آمينا

قال: فقلت يا جارية؛ أفي هذا المقام، وحول بيت الله الحرام تذكرين الهوى؟ قالت: أوَتعرف الهوى؟ قلت: أوَأنت تعرفينه[3]؟ قالت: بُليتُ به صغيرة، وأحطت به خُبرا كبيرة. قلت: صِفيه لي. قالت: جلّ عن أن يخفى، ودقّ أن يُرى، فهو كامن ككمون النار في الحجر؛ إن قدحته أورى، وإن تركته توارى. قال الأصمعي: فما سمعت مَن وَصَفه بمثل ما وصفته.

وحدّثنا محمد بن سعيد[4]، قال: قال وهب بن ناجية الرصافي: كنت أحدَ مَن وقعت عليّ التهمة في مال مصر أيّام الواثق بالله، فطلبني السلطان طلبا شديدا حتى ضاقت عليّ الرصافة وغيرها، فخرجت إلى البادية مرتادا رجلا عزيز الدار منيع الجار، أعوذ به وأنزل عليه.

فبينا أنا أسير إذ رأيت خياما، فعدلت إليها، فملت إلى بيت منها مضروب وبفنائه رمح مركوز وفرس مربوط، فدنوت فسلّمت، فردّ عليّ نساء من وراء السجف، وقالت لي إحداهن: اطمئن يا حَضَري؛ فنعم مناخ الضيفان؛ بوّأك القدَر، ومهّدك السفر. قلت: وأنّى يطمئنّ المطلوب أو يأمن المرعوب، من دون أن يأوي إلى جبل يعصمه، أو مفزِع يمنعه، وقليلا ما يهجعه مَن السلطان طالبه والخوف غالبه. قالت: لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم وقلب صغير، وأيم الله لقد حللت بفناء رجُلٍ لا يضام بفنائه أحد، ولا تجوع بساحته كبد، هذا الأسود بن قنان، أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صعلوك الحيّ في ماله، وسيّدهم في

(١) ج: زلتي. م، ي: ذلتي.
(٢) ج، ي: الكريم.
(٣) أ، ر، ن: تعرفيه.
(٤) أ، ر، ن: + أيضا.

فعاله، صدق[١] الجوار، ووقود[٢] النار، وبهذا وصفته أمامة بنت خزرج حيث تقول:

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكلّ معدّيٍّ وكلّ يماني
وفا بهما جودا وفضلا وسؤددا ورأيا فذاك الأسود بن قنان
فتى لا ترى[٣] في ساحة الأرض مثله ليوم ضِراب أو ليوم طعان

قال؛ فقلت: يا جارية؛ وأنّى لي به؟ قالت: يا خادم؛ مولاك! فلم تلبث أن جاءت وهو معها في جماعة من قومه، وقال: أيّ المنعمين علينا أنت؟ فسبقتني المرأة وقالت: يا أبا المرهف؛ هذا رجلٌ نَبَتْ به أوطانه، وأزعجه زمانه، وأوحشه سلطانه، وقد ضمنّا له ما يُضمن لمثله عن مثلك. فقال: بَلَّ الله فاك، أشهدكم يا بنيّ، أنّ[٤] هذا الرجل في جواري وفي ذمّتي، فمن آذاه فقد آذاني، ومَن كاده فقد كادني. وأمر ببيت فضرب إلى جانبه. وقال: هذا بيتك وأنا جارك وهؤلاء رجالك. فلم أزل بينهم في خفضِ[٥] عيش[٦] إلى أن سرت عنهم.

أنشدني يونس بن يحيى، قال: أنشدني أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي بن محمد الطائي، قال: أنشدني أبو حفص عمر بن محمد الشيرازي، قال: أنشدنا القاضي أبو علي الحسن بن علي بن محمد الوحشي، قال: أنشدنا الفضل بن أحمد الحصيني لبعضهم[٧]:

أتهزأ[٨] بالدعاء وتزدريه وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل لا تخطي[٩] ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

وحدّثني يونس بن يحيى، قال: حدّثنا محمد بن محمد، قال: أنبأ أبو بكر محمد بن منصور السمعاني، قال: أنبأ أبو منصور أحمد بن الحسين بن علي العمروي، ثنا أبو سعيد عبد الرحمن بن حمدان النصروي، أنبأ بشر بن أحمد المهرجاني، أنبأ أبو جعفر أحمد بن الحسين الحذّا، ثنا بعض أصحابنا، عن عبد الأعلى بن حماد النرسي، قال: دخلت على المتوكل فقال: أبا يحيى؛

---

(١) أ، ر، ن: له صدق.
(٢) ن، ي: وقود.
(٣) م، ي: لا يرى.
(٤) أ، ر، ن: يا بني أني أنا.
(٥) أ، ر، ن: أخفض.
(٦) خفَض عيشُه: سهُل ولان وتيَّسر.
(٧) القائل هو الإمام الشافعي.
(٨) أ، ر، م، ن، ي: أتلعب.
(٩) أ، ر، م، ن، ي: ما تخطي.

قد هممنا أن نصلك بخير فتدافعت الأيام، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ سمعت مسلم بن خالد المكي، يقول: سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول: من لم يشكر الهمّة لم يشكر النعمة، ثمّ قلت: أفلا أنشدك ببيتين قالهما بعض الشعراء[1]؟ قال: ما هما؟ فأنشدته:

لأشكرنّك معروفا هممت به إنّ اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك إن لم يُمْضِه قدرٌ فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

قال: فاستحسنهما وكتبهما بيده من إعجابه بهما، وأمر لي بجائزة.[2]

* * *

روينا من حديث الهاشمي بسنده إلى ابن عباس قال؛ قال رسول الله ﷺ: «أَكثِروا ذِكر هادم اللذات، فإنّكم إن ذكرتموه في ضِيق وسَّعَه عليكم فرضيتم به فأُجرتم، وإن ذكرتموه في غنى بغَّضَه إليكم فجدتم به فأُثِبْتُمْ. إنّ المنايا قاطعات الآمال، والليالي مُدْنِيات الآجال، وإنّ المرءَ بين يومين: يوم قد مضى أُحصي فيه عمله فختم عليه، ويوم قد بقي لا يدري لعلّه لا يصل إليه، وأنّ العبد عند خروج نفسه وحلول رَمْسِه، يرى جزاء ما أسلف، وقِلّة غناء ما أخلف[3]، ولعلّه من باطلٍ جمَعَهُ، ومن حقٍّ مَنَعه».

لمّا قرأنا هذا الحديث على شيخنا الإمام اللغوي الأديب أبي ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشني، ثمّ الجيّاني، فقال لنا: "هاذم" بالذال المعجمة، وقال: معناه قاطع، هكذا رواه لنا.

موعظة بعض الصالحين لعبد الملك

روينا من حديث ابن مروان، عن إبراهيم الحربي، عن الرياشي، عن الأصمعي، قال: خطب عبد الملك بن مروان بمكة، لمّا حج يوما، فلمّا صار إلى موضع العِظة، قام إليه رجل فقال: مهلا مهلا، إنّكم تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولا تنتهون، أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم، أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا، فأين وكيف وما الحجّة؟ وكيف الاقتداء بسيرة الظلَمة؟ وإن قلتم أطيعوا أمرنا واقبلوا نُصحنا، فكيف ينصح غيره من يغشُّ نفسه؟ وإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، فعلامَ قلّدناكم أزمّة أمورنا؟ أما علمتم أنّ فينا من

(١) الشاعر هو محمد بن حازم الباهلي.
(٢) انتهى السمر.
(٣) أ، ر، ن: ما خلف.

هو أفصح بفنون العِظات، وأعرف بوجوه اللغات؟ فتلجلجوا عنها، وإلّا فأطلقوا عقالها يبتدر إليها الذين شردتموهم في البلدان. إنّ لكلّ قائم يوما لا يعدوه، وكتابا بعده يتلوه، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[1]، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2].

روينا من حديث ابن الخطاب؛ قال محمد بن أحمد بن عمر الزنبقي، ثنا محمد بن سليمان القزاز، عن أبي بكر الحنفي، عن بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبل وغنم فأتاه ابنه عمر، فلمّا رآه قال: أعوذ بالله من شرّ هذا الراكب. فلمّا انتهى إليه قال: يا أبتِ؛ أرضيتَ أن تكون أعرابيّا في إبلك وغنمك، والناس يتنازعون الملك؟ قال: فضرب سعد صدر عمر بيده وقال: اسكت يا بنيّ؛ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله يحبّ العبد التقي الغني الخفي».

وحدّثنا بعض شيوخنا من أهل الأدب والتاريخ رحمه الله، في بعض مجالسه، وكان حسن المحاضرة، قال: لمّا كان من أمر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ما كان، قال الحجاج: اطلبوا لي شهاب بن حرقة السعدي، في الأسرى وفي القتلى، فطلبوه فوجدوه في الأسرى. فلمّا دخل على الحجاج، قال له: من أنت؟ قال: أنا شهاب بن حرقة. قال: واللهِ لأقتلنّك. قال: لم يكن الأمير بالذي يقتلني. قال: ولِمَ ويلك! قال: لأنّ فيّ خصالا يرغب فيهنّ الأمير. قال: وما هنّ؟ قال: ضَروب بالصفيحة، هزوم للكتيبة، أحمي الجار، وأذبّ عن الذمار، وأجود في العسر واليسر، غير بطيء عن الضر. قال الحجاج: ما أحسن هذه الخصال! فأخبرني بأشدّ شيء مرّ عليك. قال: نعم أصلح الله الأمير: (رجز)

بينا أنا أسير ومركبي وثير
في عصبة من قومي في ليلتي ويومي
يمضون كالأجادل في الحرب كالبواسل
أنا المطاع فيهم في كلّ ما يليهم
فسرت خمسا عوما وبعد خمس يوما
حتى وردت أرضا ما أن ترام عرضا
من بلد البحرين عند طلوع العين

(١) [الكهف: ٤٩]
(٢) [الشعراء: ٢٢٧]

فجئتهم نهارا ألتمس المغارا
حتى إذا كان السحر من بعد ما غاب القمر
إذا أنا بِعير يقودها خفير
موقرة متاعا مقبلة سراعا
فصُلت بالسنان معْ سادة فتيان[1]
فسقتها جميعا أحثّها سريعا
أريد رمل عالج أمعج بالعناجج[2]
أسير في الليالي خرقا بعيدا خالي
وقد لقينا تعبا وبعد ذاك نصبا
حتى إذا هبطنا من بعد ما علونا
عنت لنا سدانه قد كان فيها عانه[3]
فرمتها بقوسي في مهمه كالترس
حتى إذا ما أمعنت في القفر ثمّ درمت
وردت قصرا منهلا في جوفه طام خلا
وعنده خيمة في جوفها "نعيمة"
عزيزة كالشمس فاقت جميع الإنس
فعجت مهري عندها حتى وقعت معها
حييت ثمّ ردّت في لطف وحيّتْ
فقلت يا لعوب والطفلة العروب
هل عندكم قِراء إذ نحن بالعراء
قالت نعم برحب في لطف وقرب
أربِعْ هنا عتيدا ولا تكن بعيدا
حتى يجيك "عامر" مثل الهلال الزاهر
فعجت عن قريب في باطن الكثيب
حتى رأيت عامرا يحمل ليثا خادرا[4]

---

(١) أ، ر، ن: الفتيان.
(٢) العنجوج: الجواد من الخيل، والجمع عناجيج.
(٣) العانة: القطيع من حمر الْوَحْش. والعانة: الأتان.
(٤) الخادر: المغطى.

على عتيق سابح كمثل طرف اللامح

قال: وكان الحجاج متّكئا فاستوى جالسا، ثمّ قال: ويحك؛ دعني من السجع والرجز، وخذ في الحديث. قال: نعم أيّها الأمير، ثمّ نزل فربط فرسه، وجمع حجارة، وأوقد عليها نارا، وشقّ عن بطن الأسد، وألقى مراقه في النار، فجعلتُ -أصلحَ الله الأمير- أسمع للحم الأسد تشديدا، فقالت له نعيمة: قد جاءنا ضيف وأنت في الصيد، قال: فما فعل؟ قالت: ها هو ذاك بظهر الخيمة، فأومت[1] إليّ فأتيتها، فإذا أنا بغلام أمرد كأنّ وجهه دارة القمر، فربط فرسي إلى جنب فرسه، ودعاني إلى طعامه فلم أمتنع من أكل لحم الأسد لشدّة الجوع، فأكلت أنا ونعيمة منه بعضه، وأتى الغلام على آخره، ثمّ مال إلى زقٍّ فيه خمر فشرب وسقاني، فشربت ثمّ شرب الغلام حتى أتى على آخره. فبينا نحن كذلك إذ سمعنا وقع حوافر خيل أصحابي، فقمت وركبت فرسي، وتناولت رمحي، وسرت معهم، ثمّ قلت: يا غلام؛ خلّ عن الجارية ولك ما سواها، فقال: ويحك؛ احفظ الممالحة. قلت: لا بد من الجارية. فالتفت إليها وقال لها: قفي. ثمّ قال: يا فتيان؛ هل لكم في العافية وإلّا فارس وفارس؟ فبرز إليه رجل من أصحابي، فقال له الغلام: من أنت؟ فلست أقابل[2] إلّا كفؤا. قال: أنا عاصم بن كلَبة السعدي، فشدّ عليه وأنشأ يقول:

إنّك يا عاصم بي لجاهل إذ رمت أمرا أنت عنه ناكل
إنّي كميٌّ في الحروب بازل ليثٌ إذا اصطكّ الليوث باسل
ضرّاب هامات العدا مُنازل قتّال أقران الوغى مُقاتل

قال: ثمّ طعنه طعنة فقتله، ثمّ قال: يا فتيان؛ هل لكم في العافية وإلّا فارس لفارس، فتقدّم إليه آخر من أصحابي، فقال له الغلام: من أنت؟ قال: أنا صابر بن حرقة السعدي، فشدّ عليه وأنشأ يقول:

إنّك والإلهِ لست صابرا على سنان تجلب المقادرا
ومنصل مثل الشهاب باترا في كفّ قزم يمنع الحرائرا
إنّي إذا ما رمت أن أقاسرا يكون قرني في الحروب بائرا[3]

ثمّ طعنه طعنة فقتله، ثمّ قال: هل لكم في العافية وإلّا فارس لفارس، فلمّا رأيت ذلك

(١) أ، ر، ن: فأومأت.
(٢) ج، م: أقاتل.
(٣) ج، م، ن، ي: باترا.

هالني أمره، وأشفقتُ على أصحابي، فقلت: احملوا عليه حملة رجل واحد، فلمّا رأى ذلك أنشأ يقول:

الآن طاب الموت ثمّ طابا
إذ تطلبون رخصة كعابا
ولا نريد[1] بعدها عتابا

فركبتْ نعيمة فرسها، وأخذتْ رمحها، فما زال يجالدنا ونعيمةُ حتى قتل منّا عشرين رجلا، فأشفقتُ على أصحابي، فقلت: يا غلام؛ قد قبلنا العافية والسلامة[2]! فقال: كان ما أحسن هذا لو كان أوّلا، ونزلنا وسالمنا. ثمّ قلت: يا عامر بحقّ المماحلة من أنت؟ قال: أنا عامر بن حرقة الطائي وهذه ابنة عمي، ونحن في هذه البرّيّة منذ زمان ودهر، ما مرّ بنا إنسي غيركم، فقلت: من أين طعامكم؟ قال: حرشات[3] الطير والوحش والسباع، قلت: من أين شرابكم؟ قال: الخمر، أجلبها من بلاد البحرين كلّ عام مرّة أو مرّتين، قلت: إنّ معي مائة من الإبل موقرة متاعا، فخذ منها حاجتك، قال: لا إرب لي فيها، ولو أردت ذلك لكنت أقدر عليه، فارتحلنا عنهم منصرفين.

قال[4] الحجاج: الآن طاب قتلك يا عدوّ الله لغدرك بالفتى، قال: قد كان خروجي على الأمير أصلحه الله أعظم من ذلك، فإن عفا عنّي الأمير رجوت أن لا يؤاخذني بغيره. فأطلقه ووصله وردّه[5] إلى بلاده[6].

قلت: ولنا في هذا الباب

وهذا عامر بن حرقة الطائي منّا، وربما قد ذكرته في بعض قصائدي مع المشاهير[7] من أجدادي في المفاخرة.

---

(١) أ، ر، م، ن: يريد.
(٢) ج، م، ي: - والسلامة.
(٣) ج، م، ي: حشرات. ولعل المقصود صيد الحيوانات.
(٤) أ، ر، ن: فقال.
(٥) ج، م، ي: - ورده.
(٦) أ، ر، ن: بلده.
(٧) أ، ر، م، ن، ي: المشاهر.

أشدّ على قاسي اللجام سناني فيكرع[1] من[2] حوض الدماء سناني
فأروي به[3] من حوض كلّ غشمشم يحمي قُرونته ليوم طعان
فيرجع ريّانا وقد كان يانعا كما عاد مبيّضا[4] لأحمر قاني
حتى إذا ضاق المجال على فتى ضربت على رأس الحسام بناني
وجرّدته من غمده وكسوته غمدا من الهامات والأبدان

* * *

حدّثني بعض الأدباء عن الحجّاج بن يوسف الثقفي أنّه قال: قعد الحجّاج يوما في دسكرة له فيها جماعة من الناس من جملتهم حميد الأرقط، وكان شاعرا، فقام فأنشده قصيدة يصف فيها الحرب، فقال له الحجّاج: أمّا القول فقد أجدتَه، وإنّي سائلك يا حميد، قال: عمّاذا[5] يسأل الأمير؟ قال: هل قاتلتَ قط؟ قال: لا أيّها الأمير إلّا في النوم، فقال له: وكيف كانت وقعتك؟ قال: انتبهت وأنا منهزم، وقلت:

يقول لي الأمير بغير جرم تقدّم حين جدّ بنا المِراسِ
وما لي إن أطعتك من حياة وما لي غير هذا الرأس رأسي

كما قيل لبعضهم: ما لك لا تغزو؟ فقال: والله إنّي لأبغض الموت على فراشي، فكيف أمرُّ إليه ركضا!

مثَل

"أحْذَرُ من غراب، وأجبنُ من صرصار". ويقال: "من صافر". ويقال: "وأجبن من المترَف[6] ضرطًا". قال لي أبو ذر: كان من حديثه أنّ نسوة من العرب لم يكن لهنّ رجل، فتزوّجتْ واحدةٌ منهنّ رجلا كان ينام إلى الضحى، فإذا أتينه ضربنه، وقلن له: قم فاصطبح، فيقول: ألِعاديةٍ نبّهتنّي؟ فلمّا رأين ذلك يكثر منه سررن به، وقلن: إنّ صاحبنا واللهِ شجاعٌ جريءٌ، ألا ترين إلى ما يقول كلّما نبّهناه[7]؟ فقالت إحداهنّ: تعالين نجرّبه، فأتينه وأيقظنه،

(١) أ، ر، ن: ليكرع.
(٢) أ، ر، م، ن، ي: في.
(٣) جميع النسخ: فأرويه، والترجيح من ديوان ابن العربي.
(٤) النسخ عدا ج: مبيضّ.
(٥) رسمها في النسخ: عمّ ذا.
(٦) أ، ج، ر، ن: المتروف.
(٧) رسمها في النسخ: نبّهنه.

فقال: أوَلِعادية نبّهتنّي؟ فقلن له: نواصي الخيل معك، فجعل يقول: الخيل الخيل، ويضرط حتى مات، فضرب به المثل.

يقول الفرّار: [١]

ما كان ينفعني مقال نسائهم وقتلتُ خلف رجالهم: لا تَبعدُ[٢]

وقال الآخر[٣] عن فِراره يعتذر[٤]:

وما جبنتْ[٥] خيلي ولكن تذكّرت مرابطها من بربعيص وميسرا[٦]

وقيل لبعض الجبناء: انهزمتَ فغضب الأمير عليك! قال: أن[٧] يغضبُ الأمير وأنا حيٌّ أحبُّ إليّ من أن يرضى عنّي وأنا ميّت.

حدّثنا بعض الأدباء، قال قرأت في أخبار عمرو بن معدي كرب الزبيدي صاحب الصمصامة، وكان صاحب غارات؛ مذكور بالشجاعة، مشهور في العرب، فذكر أنّه هجم في بعض غاراته على شابّة جميلة منفردة، فأخذها[٨]، فلمّا أمعن بها بكت، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: أبكي لفراق[٩] بنات عمّي، هنّ مثلي في الجمال وأفضل منّي، خرجتُ معهنّ فانقطعنا عن الحيّ. قال: وأين هنّ؟ قالت: خلف ذلك الجبل، ووددتُ إذ[١٠] أخذتني أنّك تأخذهنّ[١١] معي، وهنّ يَوَدْنَ ذلك، فاغْدُ إلى الموضع الذي وصفتُه لك. فمضى عمرو إلى هناك[١٢]، فما شعر حتى هجم عليه[١٣] فارس شاك في السلاح، فعرض عليه المصارعة فصرعه الفارس، ثمّ عرض عليه ضروبا من المناوشة فغلبه الفارس في جميع ذلك كلّه، فسأله عمرو

---

(١) هو الفرار السلمي.

(٢) م، ي: يبعد.

(٣) القائل هو امرؤ القيس.

(٤) أ، ر، ن: - يعتذر.

(٥) أ، ر، ن: جبلت.

(٦) بربعيص: موضع بحمص، والمَيْسَر: نَبتٌ رِبْعِيٌّ يُغرَسُ غَرْساً وَفِيه قَصَفٌ.

(٧) جميع النسخ عدا أ: - أن.

(٨) أ، ر، ن: وأخذها.

(٩) أ، ر، ن: لفراقي.

(١٠) م، ن، ي: إذا.

(١١) أ، ر، ن: أخذتهن.

(١٢) أ، ر، ن: هنالك.

(١٣) أ، ر، ن: على.

عن اسمه، فإذا هو ربيعة بن مكرم الكناني، فاستنقذ الجارية منه[١].

حدّثنا محمد بن قاسم، ثنا عمر بن عبد المجيد، قال: قال لي[٢] بعض الرجال: جلس رجل من المسرفين على نفسه في مجلس راحته مع ندمائه، ثمّ دعا بغلامه فدفع إليه أربعة دراهم وأمره أن يشتري له بها من المشمومات ما يليق بمجلس راحته.

فمرّ الغلام بمجلس منصور بن عمّار وهو يسأل لفقير بين يديه، فسمعه يقول: بقيت لهذا الفقير أربعة دراهم فمن دفعها له دعوت له أربع دعوات، فدفع الغلام له الدراهم، فقال له منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك به؟ فقال له: سيّدي أريد أن أتخلّص منه، فدعا له بذلك. فقال له[٣]: وما الذي تريد أن أدعو لك به ثانية؟ فقال: أحبّ أن تخلف لي[٤] هذه الدراهم، فدعا له. ثمّ قال: فما الدعوة الثالثة؟ قال: أُحبّ أن يتوب الله على سيّدي. فدعا له بذلك، وسأله عن الرابعة فقال: أحبّ أن يغفر الله لي ولسيّدي ولك وللقوم الحضور، فدعا منصور بذلك، وانصرف الغلام راجعا إلى سيّده وقد أبطأ عليه، فقال له سيّده: لمَ أبطأت علي؟ وأين الحاجة التي أمرتك بشرائها؟ فقصّ الغلام عليه القصّة. فقال له: أخبرني ما الذي دعا لك به؟ فقال: سألت أن يدعو الله لي بالعتق[٥]، فقال له: اذهب فأنت حرّ لوجه الله تعالى. فما الثانية؟ قال: أن تخلف عليّ الدراهم. فقال له: لك من مالي أربعمائة درهم، فما الثالثة؟ قال: أن يتوب الله عليك. قال: فإنّي أُشهد الله أنّي تائب. فما الرابعة؟ قال: أن يغفر الله لي ولك، وللمذكِّر ولأهل مجلسه. قال: ذلك لله تعالى. فلمّا كان الليل وقف للرجل هاتف في منامه، فقال له: يقول الله: أنت فعلتَ ما لَكَ[٦] وأنت عبد لئيم، أتراني لا[٧] أفعل ما كان إليّ، وأنا المولى الكريم! قد غفرت لك وللغلام وللمذكِّر ولأهل مجلسه.

---

(١) أ، ر، ن: - منه.
(٢) أ، ر، ن: - لي.
(٣) ج، م، ي: - له.
(٤) ج، م، ي: - لي.
(٥) أ، ر، ن: في العتق.
(٦) ج: ما إليك. م، ي: بمالك.
(٧) ج، م، ي: ما.

ذكر نبذ من الأنساب

وأنتهي[1] بكلّ نسب إلى الجدّ الذي يجتمع فيه صاحب ذلك النسب برسول الله ﷺ.

فمن ذلك: قحطان، وهو أبو اليمن كلّها، وإليه يجتمع[2] نسبها، وهو ابن عابر، هنا يجتمع.

ومن ذلك: **جرهم**: وهو[3] ابن قحطان بن عابر[4]، وقيل: هو جرهم بن يقطن بن عابر، هنا يجتمع.

عاد: وهو ابن عوص بن إرم بن سام، هنا.

ثمود، وجديس: ابنا جاثر[5] بن إرم بن سام، هنا.

طسم، وعملاق، وأُمَيم. أُمَيم بضمّ الهمزة وفتح الميم، وقيل: بكسر الهمزة والميم وتشديده على وزن سِكّين، وهؤلاء الثلاثة أبناء لاود بن سام، هنا، وهم عرب كلّهم.

عك: هو ابن عدنان هنا.

أشعر: هو ابن نبت بن أدد بن زيد بن مُسمع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر هنا. ويقال: إنما هو أشعر بن سبأ بن يشجب.

مذحج[6]: قال بعض النسّابين: ليس مذحج أُمّا ولا أبا، وإنما هو اسم أَكمة ولدت عليها دلّة بنت منجشان فسمّيت مذحج، فلمّا ولدت طيّا[7]، وهو جلهمة، ومالِكا. فقيل: طيٌّ هو الذي سمّي مذحج. وقد قيل: إنّ هذا مالك هو أبو أشعر، فأشعر على هذا هو أشعر بن مالك، ومالك هو مذحج. فطيٌّ ومالك، أبناء أدد بن زيد بن يشجب. وقيل: إنما هو زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر هنا. وقد قيل: طيّ بن أدد بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان. فهذا نسب طيّ قد ذكرناه.

سليم: هو ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، هنا.

---

(١) ج، م، ي: وانتهاء.

(٢) أ، ر، ن، ي: يجمع.

(٣) أ، ر، ن: هو.

(٤) ر، م: عامر.

(٥) ج: غابر. أ، ر، ن: عاثر. م، ي: عابر. والترجيح من "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم.

(٦) ج، م، ي: مدجح. (مهملة، وكذلك في بقية هذه الفقرة)

(٧) النسخ عدا ج: طيبا.

غسّان: هو اسم ماء بسدِّ مأرب باليمن، وقيل: هو ماء بالمشلّل، فسمّوا به قبائل شربوا منه[1]، من ولد مازن بن الأسد[2] بن الغوث بن نبت بن[3] مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وسمّي سبأ لأنّه أوّل من سبى العرب، ابن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر هنا، وإليه ترجع الأزد والأوس والخزرج وغيرهم.

فأمّا الأوس والخزرج، فهما ولدان لحارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر هنا.

وأمّا الأزد، فهو ابن الغوث، وقد تقدّم سياق النسب.

أنشد ابن إسحق:

أما سألت فإنّا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسّان

بالسين والزاي معا.

قضاعة وضباعة وإياد: أولاد معد هنا.

وأمّا **قضاعة الآخر**، فهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن عابر هنا.

وأمّا **حمير**، فهو ابن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن عابر، هنا.

جهينة: هو ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الجاف[4] بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن عابر هنا.

لخم: هو ابن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن مهسع، وقد تقدّم سياق النسب في أشعر. وقيل: إنما هو لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ، ونسب سبأ قد ذكر، والاجتماع بالأصل في عابر.

ربيعة: يجتمع أيضا في عابر، وربيعة هو[5] نضر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الأزد بن الغوث، وقد ذكر نسب الأزد بن الغوث.

---

(١) أ، ر، ن: به.

(٢) الأسد: الأزد.

(٣) م، ن، ي: - بن.

(٤) م، ي: الجان.

(٥) أ، ر، ن: + ابن.

بكر بن وائل: هو بكر بن وائل بن قاسط بن هِنّب بن أقصى[1] بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار هنا. ويقال: أقصى بن دعمي[2] بن جديلة.

ثقيف: اسمه قسي بن منبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، هنا. وقيل: هو قسي بن النبيت بن منبّه بن منصور بن يقدم بن أقصى بن دعمي[3] بن إياد بن معد، هنا.

قال أميّة بن أبي الصلت الثقفي:

قومي إياد لو أنّهم أمم ولو أقاموا فتنزل النعم
قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعا والقِطُّ والقلم

وقال أيضا:

فإمّا تسألي عنّي لبيبا وعن نسبي يخبرك اليقينا
فإنّا للنبيت أبي قسي لمنصور بن يقدم الأقدمينا[4]

قيس: هو ابن غيلان بن مضر هنا.

جعدة: هو ابن كعب بن ربيعة بن[5] عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن مضر، هنا.

هُذيل: هو ابن مدركة، هنا.

خولان: هو ابن عمرو بن الجاف بن قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان بن عابر، هنا.

وقيل: بل هو خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مدحج.

وقيل: بل هو خولان بن عمرو بن مرّة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

---

(١) أ: أفصى.

(٢) م، ي: دعما.

(٣) م، ي: دعما.

(٤) البيتان في الموسوعة الشعرية هما:

فإمّا تَسأَلي عَنّي لُبَينَى	وَعَن نَسَبي أُخبِركِ اليَقينا
فَأَنّي لِلنَبِيتِ أَباً وَأُمّاً	وَأَجداداً سَمَوا في الأَقدَمينا

(٥) ج، م، ن: - كعب بن ربيعة بن.

والعمالقة: منسوبون إلى عملاق ويقال: عمليق، لغتان فيه، وقد نسبناه.

جشم: هو ابن وائل بن زيد بن قيس بن عامرة بن مرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، هنا(١).

كلب: هو ابن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمرو بن الجاف بن قضاعة، وقد ذكر نسب قضاعة.

همدان: واسم همدان أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، ويقال: أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقد تقدم اتّصال سبأ بعابر، وهناك يجتمع.

خثعمة: هو الأسد بن يشكر بن بشر بن صعب بن دهمان بن نضر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن الأسد بن الغوث، وقد قيل: **خثعمة** بن مبشر بن يشكر بن صعب بن نضر بن زهران بن الأسد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، هنا يجتمع، وعابر وعيبر، لغتان، هو ابن شالخ بن أرفخشد ويقال: الفخشر بن سام بن نوح عليه السلام.

وقد قيل في سياق نسب خثعمة بدل صعب كعب.

موعظة شيبان الراعي لهارون الرشيد بمكة

حدّثنا يونس بن يحيى(٢)، ثنا أبو بكر بن أبي منصور، عن محمد بن عبد الملك الأسدي، عن الحسين بن جعفر السلماسي، ثنا المعافى بن زكريا، عن محمد بن مخلد، عن حمّاد بن المؤمل، ثنا زيد بن العباس قال: لمّا حج هارون(٣) الرشيد قيل له: يا أمير المؤمنين؛ قد حج شيبان(٤)، قال: اطلبوه لي، فطلبوه فأتوه(٥) به، فقال له: يا شيبان عِظني، قال: يا أمير

(١) ج، م، ي: - "بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر، هنا" وبدلا عنها: وقد ذكر نسب أوس.

(٢) ج، م، ي: - بن يحيى.

(٣) أ، ر، ن: - هارون.

(٤) شيبان الراعي: من أهل مرو.

(٥) م، ي: فأتوا.

المؤمنين؛ أنا رجل ألْكَنُ لا أفصح بالعربية، فجئني بمن يفهم كلامي حتى أكلّمه، فأتي برجل يفهم كلامه، فقال له بالنبطية: قل له يا أمير المؤمنين؛ إنّ الذي يخوّفك قبل أن تبلغ المأمن أنصحُ لك من الذي يؤمّنك قبل أن تبلغ الخوف، فقال له: أيّ شيء هو تفسير هذا؟ قال: قل له: يا أمير المؤمنين؛ الذي يقول لك اتّق الله فإنّك رجل مسئول عن هذه الأمّة؛ استرعاك الله عليها، وقلّدك أمورها، وأنت مسئول عنها، فاعدل في الرعيّة، واقسِم بالسويّة، وانفر في السريّة، واتّق الله في نفسك؛ هذا هو الذي يخوّفك؛ فإذا بلغت المأمن أمِنتَ، هو أنصح لك ممن يقول لك: أنت من أهل بيت مغفور لهم، وأنتم قرابة نبيّكم وفي شفاعته، فلا يزال يؤمّنك حتى إذا بلغت الخوف عطبتَ. قال: فبكى هارون حتى رحمه مَن حوله، قال: زدني، قال: حسبُك.

وروينا من حديث ابن ودعان، قال: حدّثنا علي بن عبد الواحد، عن أبي الفتح العكبري، عن العباس بن محمد، عن محمد بن زكريا، عن عبد الله بن مسلمة القعنبي، عن مالك بن أنس، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك، قال: قيل لرسول الله ﷺ: «مَن أولياءُ الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال: الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، واهتمّوا بآجل الدنيا حين اهتمّ الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشَوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم، فما عرضهم من نائلها عارض إلّا رفضوه، ولا خدعهم من رفعتها خادع إلّا وضعوه، خَلُقت الدنيا عندهم فما يجدّدونها، وخربت بينهم[1] فما يعمرونها، وماتت في صدورهم فما يحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، ونظروا إلى أهلها صرعى، وقد[2] حلّت[3] بهم المثلات[4]، فما يَرون أمانا دون ما يرجون، ولا خوفا دون ما يحذرون».

روينا من حديث محمد بن إسحق، عن محمد بن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله[5] بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس، أنّه قال: كان بين آدم ونوح عليهما السلام[6]

---

(١) أ: بيوتهم. ر، ن: بيتهم.
(٢) أ، ر، ن: قد.
(٣) م، ن، ي: خلت.
(٤) المَثُلات: العقوبات.
(٥) ج، م، ي: - عبد الله.
(٦) ج، م، ي: - عليهما السلام.

عشرة آباء، وذلك ألف ومائتا سنة. وبين نوح وإبراهيم عليهما السلام عشرة آباء، وذلك ألف ومائة واثنان وأربعون سنة. وبين إبراهيم وموسى عليهما السلام سبعة آباء، وذلك خمسمائة وخمس وستون سنة. وبين موسى وداءود عليهما السلام خمسمائة وتسعة وستون سنة. وبين داءود وعيسى عليهما السلام ألف وثلاثمائة وخمسون سنة، وبين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ستمائة وعشرون سنة، وهي الفترة.

وعدد الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، منهم خمسة عبرانيون: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم. وخمسة من العرب: هود، وصالح، وإسماعيل، وشعيب، ومحمد صلّى الله عليهم وسلّم.

وأرسل بين عيسى وموسى ألف نبيّ من بني إسرائيل، سوى من أرسل من غيرهم، يريد بقوله "أُرسل" مؤيّدين لشريعة موسى لا ناسخين. وكان بين عيسى ومحمد صلّى الله عليهما أربعة من الرسل، وهو قوله ﷻ: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[1]، وأمّا الرابع فهو خالد بن سنان، والله أعلم فيما أحسبه، وهو خالد بن سنان بن غيث العبسي. وعاشت مريم بعد رفع عيسى خمس سنين، وكان عمرها ثلاثا وخمسين سنة. وصلّى شيث على أبيه آدم بأمر جبريل، وكبّر عليه أربعا وتسعين تكبيرة.

وأصحاب الأحلام والآداب والعلم أربعة: العرب والفرس والروم والهند، والباقون همج.

وأولوا العزم من الرسل ثلاثة: نوح وإبراهيم ومحمد صلوات الله عليهم.

وأوّل أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى.

والكتب التي أنزلت على الأنبياء، مائة كتاب وأربعة كتب، على شيث خمسون صحيفة، وعلى موسى التوراة، وعلى داءود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين القرآن.

ذِكر سبب تنصُّر النعمان بن المنذر، ورفعه يوم بؤسه، ووفاء الطائي، وفضل شريك بن عمير

أخبرنا بعض الأدباء من إخواننا من سنسن، أنّ النعمان بن المنذر ركب في يوم بؤسه، وكان له يومان: يوم بؤسٍ ويوم نعيم، لم يلقَه أحد في يوم بؤسه إلّا قتله، ولا في يوم نعيمه أحد

(١) [يس: ١٤]

إلّا حباه[١] وأعطاه، فاستقبله في يوم بؤسه أعرابي من طيّ، فقال: حيّا الله الملك؛ إنّ لي صِبية صغارا لم[٢] أوصِ بهم أحدا، فإن رأى الملك أن يأذن لي في إتيانهم، وأعطيه عهد الله أن أرجع إليه إذا أوصيت بهم حتى أضع يدي في يده. فرقّ له النعمان وقال له[٣]: لا، إلّا أن يضمنك رجل ممّن معنا، فإن لم تأت قتلناه. وكان مع النعمان شريك بن عمرو بن شراحيل، فنظر إليه الطائي وقال:

يا شريك بن عمير هل من الموت محاله
يا أخا كلّ مضاف يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فيك الـ ـيوم عن شيخ علاله
ابن شيبان قتيل أحسن الله فعاله

فقال شريك: هو عليّ، أصلح الله الملك. فمضى الطائي وأجّل له أجلا يأتي فيه. فلمّا كان ذلك اليوم، أحضر النعمان شُريكا، وجعل يقول له: إنّ صدرَ هذا اليوم قد ولّى، وشريك يقول: ليس لك عليّ سبيل حتى يمسي. فلمّا أمسى[٤] أقبل شخص والنعمان ينظر إلى شريك، فقال له[٥]: ليس لك عليّ سبيل حتى يدنو الشخص، فلعلّه صاحبي. فبينما هم كذلك إذ أقبل الطائي، فقال النعمان: واللهِ ما رأيت أكرمَ منكما، وما أدري أيّكما أكرم، أهذا الذي ضمنك وهو الموت، أم أنت إذ رجعت إلى القتل؟ ثمّ قال للوزير الذي هو شريك: ما حملك على ضمانه مع علمك أنّه[٦] الموت؟ قال: لئلّا يقال: ذهب الكرم من الوزراء. وقال للطائي: ما[٧] حملك على الرجوع إلى القتل؟ قال: لئلّا يقال: ذهب الوفاء من الناس، ويكون عارًا في عقِبي وفي قبيلتي. قال النعمان: فواللهِ[٨] لا أكون ألأم الثلاثة، فيقال: ذهب العفو من الملوك. فعفا عنه، وأمر برفع يوم بؤسه.

وأنشد[٩] الطائي:

---

(١) ج: حيّا. م، ن، ي: حيّاه.
(٢) ج، ن: ولم.
(٣) أ، ر، ن: - لا.
(٤) أ، ر، ن: أمسوا.
(٥) أ، ر، ن: - له.
(٦) أ، ر، ن: + هو.
(٧) أ، ر، ن: وما.
(٨) ج، م: والله.
(٩) م، ي: وأنشدني.

ولقد دعتني للخلاف جماعةٌ فأبيت عند تجهّمِ الأقوالِ
إنّي امرؤ منّي الوفاء خليقة وفِعال كلّ مهذّبٍ بذّالِ

فقال النعمان: ومع ما ذكرتَ، ما[1] حملك على الوفاء؟ قال: أيّها الملك؛ دِيني. قال: وما دِينك؟ قال: النصرانيّة. قال: أعرضها عليّ، فعرضها[2] عليه، فتنصّر النعمان.

وحدثني أبو جعفر بن يحيى قال: دخل رجل إلى أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين؛ عندي نصيحة. قال: وما نصيحتك؟ قال: فلان كان عاملا ليزيد بن معاوية وعبد الملك والوليد، فخانهم فيما تولّاه في أيّامهم، واقتطع أموالا جليلة، فمر باستخراجها منه. قال: أنت شرٌّ منه وأخوَنُ حيث اطّلعت على أمره وأظهرته، ولولا أنّي أنفّر النصّاح لَعَاقبتك، ولكن اختر منّي خصلة من ثلاث، قال: اعرضهنّ يا أمير المؤمنين. قال: إن شئت فتّشنا على ما ذكرت[3]، فإن كنت صادقا مقتناك، وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئت أقلناك. قال: بل يقيلني أمير المؤمنين. قال: قد فعلتُ، فلا تعودنّ بعد هذا إلى قلّة الوفاء، وإن ظهر لك من ذي حرمة أمر فاكتمه.

وحدّثنا مصعب الخُشَني الخطيب أنّ مخارق بن عفان ومعن بن زائدة، تلقّيا رجلا ببلاد الشرك ومعه جارية لم يريا مثلها شبابا وجمالا، فصاحا به ليخلّي عنها، ومعه قوس فرمى بها، وهابا الإقدام عليه، ثمّ عاود ليرمي فانقطع وتره، وسلّم الجارية، واشتدّ في جبل كان قريبا منه، فابتدرا[4] الجارية وفي أذنها قرط فيه درّة، فانتزعاها[5] من أذنها، فقالت: وما قدر هذه؟ لو رأيتما درّتين معه في قلنسوته! وفي قلنسوته وتر قد أعدّه ونسيه من الدهش، فلمّا سمع قول المرأة ذكر الوتر، فأخذه وعقده في قوسه، فولّيا ليست لهما همّة إلّا النجاة، وخلّيا عن الجارية.

وحدّثنا أيضا قال: قال سليمان بن عبد الملك: أنشدوني أحسن ما سمعتم من شعر النساء. فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين؛ بينا رجل من الظرفاء في بعض طرقاته إذ أخذته السماء، فوقف تحت مظلّة ليستكنّ من المطر، وجارية مشرفة عليه، فلمّا رأته خذفته بحجر،

(١) أ، ر، م، ن: فما.
(٢) ج، م، ي: فأعرضها.
(٣) أ، ر، ن: عمّا ذكرت.
(٤) أ، ج، ر، ن: فابتدر.
(٥) ج، ي: فانتزعها.

فرفع رأسه وقال:

لو بتفاحةٍ رميتِ رجونا ومن الرمي بالحصاة جفاء[1]

فأجابته:

ما جهلنا الذي ذكرت من الشكل ولا بالذي تراه خفاء

وداية معها فقالت:

قد بدا التيه بالذي ذكرته ليت شعري فهل لهذا وفاء

وسائلة بالباب فقالت:

ولعمري[2] دعوتها فأجابت هي داء وأنت منها شفاء

قال سليمان: قاتلها الله؛ هي والله أشعرهم.

وقرأت في كتاب "المحاسن والأضداد" للجاحظ عن عنان جارية الناطفي، قال عمرو بن بحر في باب الماجنات من الكتاب، قال السلولي: دخلت يوما على عنان وعندها رجل[3] أعرابي، فقالت: يا عم؛ لقد أتى الله بك. قلت: وما ذاك؟ قالت: هذا الأعرابي دخل عليَّ فقال: بلغني أنّك تقولين الشعر، فقولي بيتا. قال السلولي: فقلت لها: قولي، فقالت: قد ارتجّ عليّ، فقل أنت. فقلت:

لقد جلّ الفراق وعيل صبري عشيّة عِيرهم للبين زمّتْ

فقال الأعرابي:

نظرت إلى أواخرها ضحيّا وقد بانت وأرض الشام أمّتْ

فقالت عنان:

كتمت هواكم في الصدر منّي على أنّ الدموع عليّ نمّتْ

فقال الأعرابي: أنتِ والله أشعرنا، ولولا أنّك بحرمة رجل لقبّلتكِ، ولكن أقبّل البساط.

وقرأت في الكتاب المذكور: قال عمرو قال بعضهم: دخلت على عنان فإذا عليها قميص يكاد يقطر صبغه، وقد تناولها مولاها بضرب شديد وهي تبكي، فقلت:

إنّ عنانا أرسلت دمعها كالدرّ إذ ينسلّ من خيطه

---

(١) أ، ر، ن: الجفاء.

(٢) أ، ر، ن: قد لعمري.

(٣) ر، ن: - رجل.

فقالت، وأشارت إلى مولاها:

فليت من يضربها ظالما تجفّ يمناه على سَوطه

فقال مولاها: هي حرّة لوجه الله، إن ضربتها ظالما أو غير ظالم.

أنشدنا أبو عبد الله بن عبد الجليل، قال: أنشدني أبو الحسن علي المسفر بسبتة لنفسه:

يا أيّها المبتلى بذمّي قد علم الله ما تقولُ
والقول إن خفّ في لسان أخافني وزنه الثقيلُ
وحافظ كاتب شهيد يكتب عنّي الذي أقولُ
من حاسب النفس كلّ حين لم يتهاون بما يقولُ

كان هذا الشيخ المسفِر جليل القدر، حكيما، عارفا، غامضا في الناس، مخمول الذكر، رأيته بسبتة، له تصانيف، منها: "منهاج العابدين" الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له، وإنما هو من مصنّفات هذا الشيخ، وكذلك له أيضا كتاب "النفخ والتسوية" الذي يعزى إلى أبي حامد أيضا، وتسميه الناس: "المضنون الصغير".

ولهذا الشيخ أيضا القصيدة المشهورة، وهي:

قل لإخوانٍ رأوني ميّتا فبكوني إذ رأوني حزَنا
أتظنّون بأنّي ميتكم لست ذاك الميت واللهِ أنا
أنا عصفور وهذا قفصي كان سجني وقميصي زمَنا
أنا في الصور وهذا جسدي كان جسمي إذ ألفت السجنا
أنا كنز وحجابي طلسم من تراب فتخلّى[1] للفنا
فاهدموا البيت ورضوا قفصي وذروا الكلّ دفينا نتنا
وقميصي مزّقوه رمما وذروا الطلسم بعدي وثنا
لا تَرُعْكُم سكرةُ الموت فما هو إلّا انتقال من هنا
فحياتي وسنٌ بمقلة جيئة الموت تطير الوسنا
لا تظنّوا الموت موتا إنّه لحياة هي غايات[2] المنى
فاخلعوا الأجساد عن أنفسكم تبصروا الحقّ جهارا بيّنا
حسّنوا الظنّ بربٍّ راحم تُشكروا السعي وتأتوا أُمَنا

(١) ج: قد تحلى. م، ي: فتبلّى.
(٢) النسخ عدا ج: غاية.

ما أرى نفسي إلّا أنتم ... واعتقادي أنّكم أنتم أنا
عنصر الأنفس شيء واحد ... وكذاك الجسم جسمٌ عمّنا
فمتى ما كان خيرا فلنا ... ومتى ما كان شرّا فبنا
أشكرُ الله الذي خلّصني ... وبنى لي في المعالي ركنا
فأنا اليوم أناجي ملأً ... وأرى الحقّ جهارا علنا
عاكف في اللوح أقرأ وأرى ... كلّ ما كان ويأتي ودنا
وطعامي وشرابي واحد ... وهو[1] رمز فافهموه حسنا
ليس خمرا سائغا أو عسلا ... لا ولا ماء ولكن لَبَنا
هو مشروب رسول الله إذ ... كان يسري فطرةً فطّرنا
فافهموا السرّ ففيه نبأ ... أيّ معنى تحت لفظي كَمُنا
قد ترحّلت وخلّفتكم ... لست أرضى داركم لي وطنا
وخذوا في الزاد جهدا لا تنوا ... ليس بالعاقل[2] منّا من ونى
أسألُ الله لنفسي رحمة ... رحم الله صديقا أمّنا
وعليكم من سلامي صيّب ... وسلام الله بدءًا وثنى

وكتبت عنان إلى الفضل بن الربيع:

كن لي هديت إلى الخليفة شافعا ... بوركت يا ابن وزيره من مسلم
حثّ الإمام على شراي وقل له ... ريحانة ذخرت لأنفك فاشمم

وفيها يقول أبو نواس:

عنان يا من تشبه العِينا ... أنتم على الحبّ تلومونا
حسنك[3] حسن لا يُرى مثله ... قد صيّر الناس مجانينا

وقالت عُرَيب جارية المأمون:

وأنتم أناس فيكم الغدر شيمة ... لكم أوجهٌ شتّى وألسنة عُسر[4]
عجبت لقلبي كيف يصبو إليكم ... على عظم ما يلقى وليس له صبر

---

(١) أ، ر، ن: هو.
(٢) م، ي: للعاقل.
(٣) أ، ر، ن: حسبك.
(٤) ج، ن: عشر.

ويقال أنّ هذه الجارية هي التي يقول فيها أمير المؤمنين المأمون يخاطبها:

أنا المأمون والملك الهمام خلا أنّي بحبّك مستهام
أترضي أن أموت عليك وجدا فيبقى الناس ليس لهم إمام

فقالت له: يا أمير المؤمنين، أبوك الرشيد أعشقُ منك، حيث يقول:

ملك الثلاث الآنسات عناني وحللن من قلبي بكلّ مكان
ما لي تطاوعني البريّة كلّها وأطيعهنّ وهنّ في عصياني
ما ذاك إلّا أنّ سلطان الهوى وبه قَوينَ أعزُّ من سلطاني

فقدّم ذكرهنّ على ذِكر نفسه، وأنت قدّمت نفسك على من تزعم أنّك تهواها! قال لها المأمون: غير أنّي منفرد لك، والرشيد مقسّم بين ثلاث، قالت: أعرفهنّ: الواحدة مقصودة وهي فلانة، والثنتان محبوبتان لها، فأحبّهما لحبّها إذ ذاك ممّا يسرّها، كما قال خالد بن يزيد بن معاوية في رملة:

أحبّ بني العوّام طرّا لحبّها ومن أجلها أحببت أخوالها كلبا[1]

وقال الآخر:

أحبّ لحبّها السودان حتى أحبّ لحبّها سودَ الكلاب

فهؤلاء أحبّوا القبيل من أجلها، فأحرى من أحبّتْ! هذا المخرج لأمير المؤمنين الرشيد، فأين المخرج لأمير المؤمنين؟ فسكتَ وعظم وُجده.

ولنا في هذا المعنى في صاحب لي حبشي أخلص لي في حبّه[2] واسمه بدر:

أحبّ لحبّك الحبشان طرّا وأعشق لاسمك البدر المنيرا

حدّثنا مصعب بن محمد الخُشَني القاضي الخطيب الجيّاني، في مجلس كان بينه وبيني في الأدب، في حقّ شخص كان وسيم الوجه، وقد أصاب عينيه رمد فاحمرّت عيناه[3]، فقلت له: يا سيّدنا؛ ما أحسن قول القائل في مثل هذا! قال: وما قال؟ قلت:

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصبُ

---

(١) أضافت ج. تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالا يجول ولا قُلبا
فلا يعذلوني في هواها فإنني تخبرتها منهم زبيرية قلبا

(٢) أ، ر، ن: صحبته.

(٣) أ، ر، ن: عينه.

حُمرتها مِن دماءِ مَن قتلتْ والدم في السيف شاهد عجبُ

فقال رحمه الله: لنا في هذا المعنى في زمان الصبا شيء، قلت: فأنشِدني، فأنشَدني:

أنكر صحبي إذ رأوا طرفه ذا حمرة يشقى بها المغرمُ
لا تنكروا المحمرّ من طرفِه فالسيف لا ينكر فيه الدّمُ

ولنا في هذا المعنى:

لا تنكروا الحمرة في طرْف من يسفك بالطرف دماء البشر
وإنما الإنكار من أنفسٍ أرضيّة سالت بعين القمر

والنفوس هنا الدماء، كما قال[١]:

تسيل على حدّ السيوف نفوسنا وليس على غير السيوف تسيل

ثمّ تذاكرنا فيما قال الأدباء في فنون شتّى، إلى أن وقع ذكر النساء المتقدِّمات فقال: ما نرى[٢] في زماننا من مثل أولئك أحدا[٣]، فقلت له: يا سيّدنا؛ هنا عندنا بالبلد أمّ النساء[٤] بنت عبد المؤمن التاجر الفاسي، وهي تجيد قول الشعر، وقد أنشدت السيّد أبا علي صاحبك عندما ولي علينا قصيدتها، وكنت أحفظها فأنشدته إيّاها[٥]، فاستحسنها، ولا أذكر الآن منها إلّا أوّل بيت، وهو:

جاء البشير بوعد كان يُنتظرُ فأصبح الحقّ ما في صفوه كدرُ
من خير هاد غدا بالهدي يأمرنا وفي أوامره التسديد[٦] والنظر

وفيها تصفه في الحرب:

ليثٌ إذا اقتحم الأبطال حومتها يفني الكتائب لا يبقي ولا يذر

فجرينا في هذا الميدان ساعة، فأمتعني منه ما ملأ القلب أُنسا وطبت به نفسا، إلى أن

---

(١) القائل هو الشاعر السموأل بن عاديا (ت: ٦٤ ق. هـ./ ٥٦٠م).
(٢) م، ن، ي: ما ترى.
(٣) جميع النسخ: أحد.
(٤) أ، ر، ن: السنا.
(٥) م، ي: فأنشدتها إياه.
(٦) ج، ن: التشديد.

جرى في أثناء ذلك المجلس الزاهر، التمّام بأعراف هذه الأزاهر[١] ذِكر[٢] "فضل"[٣] الشاعرة وأدبها، وأنها ممن جمعت بين الشعر والصوت، فكانت تقول الشعر فتلحّنه، ثمّ تغنّي به في العود. فقلت له: هل تحفظ من شعرها الذي لها فيه صوت؟ فقال: كثير، فقلت: فإن رأى سيّدي في ذلك، فقال: روينا من حديث قاسم بن عبد الله أنّه قال: كنت عند سعيد بن حميد الكاتب وقد افتصد[٤]، فأتته هدايا "فضل" الشاعرة ألف جدي، وألف دجاجة، وألف طبق رياحين وطِيب وغير ذلك[٥]، فلمّا وصل ذلك كتب إليها: إنّ هذا يوم[٦] لا يتمّ فيه السرور إلّا بك وبحضورك. قال القاسم يصفها، وكان من أجود الناس شعرا، وأملحهم صوتا، وأحسن الناس ضربا بالعود، فأتته فضَرب بينها وبينه حجابا، وأحضر ندماءه[٧]، فلمّا استوى المجلس بالقوم وسرى السرور أخذت العود[٨] فغنّت، والشعر لها والصوت[٩]:

يا من أطلتُ تفرُّسي في وجهه وتنفُّسي
أفديكَ من متدلّل يزهو بقتل الأنفسِ
هبني أسأتُ وما أسأ ثُ بلى أقول أنا المسي
أحلفتني أن لا أسا رق نظرة في مجلسِ
فنظرت نظرة عاشق أتبعتها بتنفّسِ
ونسيت أنّي قد حلف ت فما يقال لمن

وضربتْ أيضا وغنّتْ:

عاد الحبيب إلى الرضا فصفحت عمّا قد مضى
من بعد ما بصدوده شمتَ الحسود وحرّضا

---

(١) م، ي: الأزهار.
(٢) ج، م، ي: وذكر.
(٣) فضل: جارية المتوكل.
(٤) الفصْدُ: قطع العِرْقِ. وقد فصدت وافتصدت. وانفصد الشيء وتفصد: سال.
(٥) ج، م، ي: - وغير ذلك.
(٦) أ، ر، ن، ي: يوما.
(٧) أ، ر، ن: فضَرب بينها وبينه حجاب، وأحضر ندماؤه.
(٨) أ، ر، ن: عودها.
(٩) ج، ي: - والصوت.
(١٠) البيتان الأخيران في الموسوعة الشعرية هما:

فنظرت نظرة مخطئ ووصلتها بتفـرّس
ونسيت أني قد حلفت فما عقوبة من نسي

تعس البغيض فلم يزل لصدودنا متعرّضا
هبني أسأت وما أسأ ت وإن أسأت لك الرضا

قال: فما أتى عليّ يوم[1] أَسَرُّ[2] من ذلك اليوم.

حكومة جرت للمنصور عند محمد بن عمران[3]

حدّثنا ابن يحيى، عن محمد بن أبي منصور، عن ثابت بن بُندار، عن عبد الوهاب الملحمي، عن المعافى بن زكريا، عن محمد بن مَزْيَد، وحدّثنا عبد الرحمن بن علي، عن ابن أبي منصور، عن محمد بن علي بن ميمون، عن محمد بن علي العلوي ومحمد بن أحمد بن علّان. قالا: ثنا محمد بن عبد الله النهرواني، عن الحسن بن محمد السكوني، عن أحمد بن سعيد الدمشقي، قالا: ثنا الزبير بن بكار، والسياق لابن يحيى، حدّثني عمر بن أبي بكر، عن نمير المدني قال: قدم علينا أمير المؤمنين المنصورُ المدينةَ ومحمد بن عمران الطلحي على قاضيه، وأنا كاتبه، فاستعدّ الحمّالون[4] على أمير المؤمنين في شيء ذكروه، فأمرني أن أكتب إليه كتابا بالحضور معهم وإنصافهم، فقلت: تعفيني من هذا؛ فإنّه يعرف خطّي. فقال: اكتب؛ فكتبت، ثمّ ختمه، وقال: واللهِ لا يمضي به غيرك، فمضيت به إلى الربيع، وجعلت أعتذر إليه، فقال: لا عليك، فدخل عليه بالكتاب، ثمّ خرج الربيع فقال للناس، وقد حضر وجوه أهل المدينة والأشراف وغيرهم: إنّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: إنّي قد دعيت إلى مجلس الحكم فلا أعلم أحدا قام إليّ إذا خرجت، أو بدأني بالسلام.

ثمّ خرج المسيّب بين يديه والربيع، وأنا خلفه، وهو في إزار ورداء. فسلّم على الناس فما قام إليه أحد، ثمّ مضى حتى بدأ بالقبر، فسلّم على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر وعمر، ثمّ التفت إلى الربيع فقال: ويحك يا ربيع؛ أخشى أن يراني ابن عمران فتدخل قلبه هيبة فيتحوّل عن مجلسه، وتالله لئن فعل ذلك لا وَلِيَ لي ولاية أبدا. قال: فلمّا رآه ابن عمران وكان متّكئا أطلق رداءه عن عاتقه ثمّ احتبى به، ودعا بالخصوم والحمّالين، ثمّ دعا بأمير المؤمنين، ثمّ ادّعى عليه القوم، فقضى لهم عليه.

فلمّا دخل الدار، قال للربيع: اذهب فإذا قام وخرج من عنده الخصوم فادعه، فقال:

---

(١) أ، ر، ن: + كان.
(٢) أ، ر، ن: + عليّ.
(٣) أ، ر، ن: + القاضي بالمدينة الطيبة.
(٤) أ، ر، ن: الجمالون. (ولم تتفق النسخ بالتعبير بين الجمالون والحمالون)

واللهِ يا أمير المؤمنين؛ ما دعا بك إلّا بعد أن فرغ من أمور الناس جميعا. فدعاه، فلمّا دخل عليه سلّم، فردّ عليه السلام وقال: جزاك الله عن دينك وعن نبيّك وعن حسبك وعن خليفتك أحسن الجزاء، قد أمرتُ لك بعشرة آلاف دينار فاقبضها، فكانت عامّة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة.

ورووينا من حديث ابن ودعان، عن أبي الحسين بن السمّاك الواعظ، عن أبيه، عن ابن عرفة، عن العباس بن محمد، عن محمد بن كثير، عن حمّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه، فقيل له: ممّ تضحك يا رسول الله؟ قال: رجلان من أمّتي جثيا بين يدي ربّي ﷻ، فقال أحدهما: يا ربّ؛ خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: اعط أخاك مظلمته، فقال: يا ربّ؛ ما بقي من حسناتي شيء، فقال: يا ربّ؛ فليحمل من أوزاري، وفاضت عينا رسول الله ﷺ ثمّ قال: إنّ ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس إلى أن تُحمل عنهم أوزارهم، ثمّ قال[1]: قال الله تعالى للطالب بحقّه: ارفع بصرك فانظر إلى الجنان، فرفع رأسه، فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة، فقال: لمن هذا يا ربّ؟ فقال: لمن أعطاني ثمنه، قال: ومن يملك ذلك يا ربّ؟ قال: أنت، قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا ربّ؛ قد عفوت عنه، قال: خذ بيد أخيك فأدخِله الجنّة، ثمّ قال رسول الله ﷺ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[2] فإنّ الله يصلح بين خلقه يوم القيامة[3].

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى

ما حدّثناه عبد الله بن الأستاذ المورووري بمورور وبأشبيلية غير مرّة من لفظِه قال: قال لي بعض المريدين: رأيت في واقعتي أبا حامد يعني الغزالي، وأشياخ الصوفيّة، ومعهم الشيخ أبو مدين، فقال له بعضهم: أعِد علينا كلامك في التوحيد، فقال لهم الشيخ: التوحيد أصل في الوجود، وعليه أُخِذتِ المواثيق والعهود، وهو دليل على كلّ مفقود؛ فمن بقي على أصله فقد وفّى، ومن عدَل عن رسمه فقد أخطأ الطريق وجفا، ومن أتاه بقلب سليم، تلذّذ بالنظر إلى وجهه[4] الكريم. به يسيرون، وبه يهتدون، وأكثر الخلق للجزاء يعملون، ولِعليّين قوم

(١) ج، م، ي: - قال.
(٢) [الأنفال: ١]
(٣) ج، م، ي: - يوم القيامة.
(٤) أ، ر، ن: - إلى وجهه.

آخرون.

هو قلب الوجود وبه قام، وهو المحرّك والمسكّن لسائر الأجرام، سرّه في مخلوقاته قد انتشر، وحكمه في مصنوعاته كما قدّر وأمر، فما من شيء دقّ وجلّ إلّا هو معه، ولا ظاهر ولا باطن إلّا وقد أتقنه وصنعه، إن قلتَ فقوله سبق الأقوال، وإن عملتَ[1] فهو الخالق للأعمال. هو الممدّ للحركات والسكون، وإذا أراد أمرا فإنما يقول له كن فيكون.

فسرُّ هذا التوحيد مستور بالغيرة، وإذا صحّت الوحدة بطلت الكثرة. فمن انتهت همّته إلى هذا المقام، كان شغفه بالخالق العلّام، لا يلتفتُ إلى غيره، يتخلّق بأخلاقه ويسير بسيره، هو[2] الأوّل والغاية، وهو الآخر وإليه النهاية، به حيي كلّ حي، وبه نشأ[3] كلّ شيء، ونحن الفقراء وهو الغني، فسبحانه هو الواحد العلي، فمن كانت هذه رتبته فقد علتْ همّته، بنوره أشرق كلّ نور وسطع، وعمّا سواه سبحانه انقطع، تعزّز به وتاه، وتنزّه عن ملاحظة ما سواه، ولم يقنع من مولاه إلّا بمولاه.

وسماعنا على قول الشريف

يا طربا لنفحة نجديّة أعدل حرّ القلب باستبرادها
وما الصبا ريحي لولا أنّها إذا جرت مرّت على بلادها

السماع في ذلك قول النبيّ ﷺ: «إنّ لله نفحات فتعرّضوا لنفحات ربّكم» العلويّة التي تحصل للإنسان عند سجوده في مقام القربة عند[4] مناجاته، فإنّه[5] قال: «اجعلوها في سجودكم»، يقول: وما أتقيّد بريح مخصوصة، إلّا أنّ الصَّبا لمّا كان يهبّ من أفق الشروق، ومطلبنا الشهود والرؤية، لذلك أريدها وأسمع حديثها.

وعلى قوله أيضا بالنفس:

حلفت بالمقصّرين ركبوا فأوجفوا
لانوا على العيس وخا فوا فوتها فعنّفوا
رجوا لأثقال الذنو ب ساعةً تُخفّف

(١) ر، ن: علمت.
(٢) ج، م، ي: وهو.
(٣) ر، م، ن، ي: نسي.
(٤) أ، ر، ن: من.
(٥) ج، م، ي: - فإنه.

فاستنفدوا جهدهم سارين حتى وقفوا
فلثموا ومسحوا وجمّروا وطرفوا

وصيّة خطاب بن المعلى المخزومي لابنه

حدّثنا يونس بن يحيى بمكة، قال: ثنا الحاجب أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان المعروف بابن البطي، قال: حدّثنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، قال: حدّثنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان[١]، قال: أنبأ أبو الحسن أحمد بن إسحق الطِّيبي، قال: أنبأ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن ساكن الزنجاني، قال: ثنا أبو حاتم، قال: ثنا محمد بن عطيّة[٢]، قال: قال خطاب بن المعلى المخزومي القُرشي لابنه:

يا بنيّ؛ عليك بتقوى الله ﷻ وطاعته، وتجنّب محارمه باتّباع سنّته ومعاملته، حتى يصحّ عيشك، وتقرّ عينك، فإنّها لا تخفى على الله[٣] خافية، فإنّي قد رسمت لك رسما، ووضعت لك وسما، إن أنت حفظته ووعيته وعملتَ به ملأ بك أعين الملوك:

فأطِع أباك واقتصِر على وصيّته إيّاك، وفرّغ لذلك ذهنك، واشغل به قلبك ولبّك. فإيّاك وهذر[٤] الكلام، وكثرة الضحك والمزاح، ومماراة الإخوان؛ فإنّ ذلك يذهب البهاء، ويوقع الشحناء. وعليك بالرزانة والوقار، في غير كِبر يوصف منك، ولا خيلاء تحكى عنك. والْقَ صديقك وعدوّك بوجه الرضا وكفّ الأذى، من[٥] غير ذلّة لهم، ولا مهانة منهم، وكن في جميع أمورك أوسطها، فإنّ خير الأمور أوسطها، وأقلل الكلام، وافشِ السلام، وامشِ متمكّنا[٦]، ولا تخطّ برجليك، ولا تسحب ذيلك، ولا تلق رداءك، ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، ولا تتّخذ السوق مجلسا، ولا الحوانيت متحدّثا، ولا تكثر المِراء، ولا تنازع السفهاء، وإن قضيتَ فاختصر، وإن مَدحتَ فاقتصر، وإذا جلست فتربّع، وتحفّظْ من تشبيك أصابعك وتفقيعها والعبث بلحيتك وخاتمك وذوابة سيفك، وتخليل أسنانك، وإدخال[٧] يدك في أنفك، وطردِك الذباب عن وجهك، وكثرة التثاؤب والتمطّي،

---

(١) أ، ر، ن: - حدّثنا أبو علي الحسين بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان.
(٢) أ، ر، ن: + الجهضمي.
(٣) أ، ر، ن: + تعالى.
(٤) ج، م، ي: هدر.
(٥) في النسخ: عن.
(٦) أ، ر، ن: + قصدا.
(٧) أ، ر، ن: وإدخالك.

وأشباه ذلك مما يستخفّه الناس منك ويغتمزون به فيك. وليكن مجلسك هادئا وحديثك مقسوما، واصغِ إلى الكلام الحسن ممّن يحدّثك بغير إظهار عجب منك، ولا مسأله إعادة، وغضّ عن الفكاهات من المضاحك والحكايات، ولا تحدّث عن إعجابك بولدك ولا خادمك ولا عن فرسك وسيفك.

وإيّاك وأحاديث الرؤيا؛ فإنّك إن أظهرتَ الفرح بها والتعجّب منها، طمع فيك السفهاء، فولّدوا لك الأحلامَ واغتمزوا في عقلك. ولا تَصنَّع تَصنُّع المرأة، ولا تبذَّل تبذُّل العبد، وغبّ بامتشاط لحيتك، وتوقّ نتفَ الشَّيب وكثرة الكحل والإسراف في الدهن، وليكن كحلك غبّا.

ولا تلح في الحاجات، ولا تخشع في الطلبات، ولا تعلِم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم عدّة مالك؛ فإنّهم إن رأوه قليلا هُنتَ عليهم وإن كان كثيرا لم تبلغ به مرضاتهم، واجفهم[1] في غير عنف، ولا تهازل أَمَتك ولا عبدك. وإذا خاصمت فتوقّر، وتحفَّظ من جهلك، وتجنّب عجلتك، وتفكّر في حجّتك، وأَرِ الحاكم بينكما حلمك، ولا تكثر الإشارة بيدك، ولا تحفز على ركبتيك[2]، وتوقَّ حمرة الوجه وعرق الجبين. وأن سفه عليك فاحلم، وإذا هدأ غضبك فتكلّم، وأكرِم عرضك، وألق الفضول عنك.

وإن قرّبك السلطان فكن منه على حدّ السنان، وإن استرسل إليك فلا تأمنّ انقلابه عليك، وارفق به رفقك بالصبي[3]، وكلِّمه بما يشتهي ما[4] لم تضيّع في ذلك حقّا من حقوق الله، ولا يحملنّك ما ترى من ألطافه[5] إيّاك وخاصّته بك أن تدخل بينه وبين أحد من أهله وولده وحشمِه إلّا بخير، وإن كان لذلك منك مستمعا، وللقول منك فيه مطيعا؛ فإنّ سقْطَةَ الداخل بين المِلك وأهله صرعة.

وإذا وعدت فحقّق، وإذا حدّثت فاصدق، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم، ولا تخافت به كمخافتة الأخرس، وتخيّر محاسن القول بالحديث المقبول، وإذا حدّثت بسماع فانسبه إلى أهله. وإيّاك والأحاديث الغريبة المستشنعة التي تُنكرها القلوب، وتقف لها الجلود. وإيّاك

(١) أ، ر، ن: وأخفهم.
(٢) م، ي: ركبتك.
(٣) ج، م، ي: - بالصبي.
(٤) ج، م، ي: بما.
(٥) أ، ر، ن: النظافة.

ومضاعف الكلام، نعم نعم، ولا لا، واعجل اعجل، وما أشبه ذلك.

وإذا توضّأت فأجِد عَرْكَ كفّيك، ولا تنخع في الطست، وليكن طرحك الماء من فيك مسترسلا، لا[1] تمجّه فتنضح على أقرب جلسائك.

ولا تعضّ بعض اللقمة ثمّ تعيد ما بقي منها في متصبغ[2]، فإنّ ذلك مكروه. ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك[3]، ولا تعبث بالمشاش[4]، ولا تَعِبْ طعاما ولا شيئا مما يقرب على المائدة من بقل أو خلّ أو تابل أو عسل؛ فإنّ الصحابة صيّرت لنفسها المهابة[5].

ولا تمسك إمساك المسكين المثبور، ولا تبذّر تبذير السفيه المغرور، واعرف في مالك واجب الحقوق، وحرمة الصديق، واستغنِ عن الناس يحتاجون إليك. واعلم أنّ الجشع - يعني الطمع- يدعو إلى الطبع. والرغبة كما قيل تدقّ الرقبة، والأكلة تمنع الأكلات. والتعفّف مال جسيم، وخُلق كريم، ومعرفة الرجل قدره يشرّف ذكره، ومن تعدّى القَدر هوى في بعيد القعر، والصدق زين، والكذب شين، ولَصِدقٌ يسرع عطب صاحبه أحسنُ عاقبة من كذب يسلم عليه قائله. ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق.

والزوجةُ السوء[6] الداء العضال، ونكاح العجوز يُذهب ماء الوجه، وطاعة النساء تزري بالعقلاء.

تشبّهْ بأهل الفضل تكن منهم، وتصنّع للشرف تدركه. واعلم أنّ كلّ امرئ حيث وضع نفسه، وإنما ينسب الصارم إلى صانعه، والمرء يُعرف بقرينه. وإيّاك وإخوان[7] السوء؛ فإنّهم يخونون مَن رافقهم، ويُحزنون[8] من صادقهم، وقُربهم أعدى من الجَرَب، ورفضهم من استكمال الأدب. وجفوة المستجير لؤم، والعجلة شؤم، وسوء التدبير وهَن.

والإخوان اثنان: فمحافظ عليك عند البلاء، وصديق لك في الرخاء؛ فاحفظ صديق البليّة، وتجنّب صديق العافية؛ فإنّه أعدى الأعداء. ومن اتّبع الهوى مال به إلى الردى. ولا

---

(١) أ، ر، ن: ألا.

(٢) المقصود به الإدام.

(٣) ج، م، ي: الملوك.

(٤) المشاش: رءوس العظام.

(٥) جاء في كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان: "السحابة قد صيرت لنفسها مهابة".

(٦) م، ي: + الدمن.

(٧) أ، ر، ن: أخدان.

(٨) ج، م، ي: ويخونون.

يعجبنك الطَّرِير[1] من الرجال، ولا تحقّر[2] ضئيلا كالخلّال، وإنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، ولا يُنتفع منه إلّا بأصغريه. وتوقَّ الفساد وإن كنت في بلاد الأعادي. ولا تفرش عِرضك لمن دونك، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عِرضك. ولا تُكثر الكلام، فتثقل على الأقوام. وامنح البِشر جليسك والقبول مَن لاقاك. وإيّاك وكثرة التبريق والترليق والتنويق[3]، فإنّ ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث، والتصنّع[4] لمغازلة النساء. وكن غير منتهز في فرصتك، رفيقا في حاجتك، متثبّتا في عجلتك. والبس لكلّ دهر ثيابه، ومع كلّ قوم في سِلكهم، واحذر ما يلزمك اللائمة في آخرتك، ولا تعجل في أمر حتى تنظر في عاقبته.

وعليك بالتنوّر في كلّ شهر، وإيّاك وحلق الإبط بالنورة[5]، وليكن السواك من طبعك، وإذا استَكْتَ فعرضا.

وعليك بالعمارة فإنّها أنفع من التجارة، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع، ومنازعتك اللئيم يطمع فيك، ومن أكرم عِرضه أكرمه الناس، ومعرفة الحقّ من إخلاص الصدق، والرفيق الصالح ابن عم. مَن أيسرَ عُظِّم، ومن افتقر احتُقِر. قَصِّر في المقالة مخافة الإجابة، والساعي عاتِبٌ عليك. وطول السفر مَلالة، وكثرة المنى ضلالة، وليس للغائب صديق، ولا على الميّت شفيق. وأدب الشيخ عياء، والأدب للغلام شفاء، والدِّين أزين الأمور، والشماتة سفاهة، والسكران شيطان، وكلامه هذيان، والعادة طبيعة لازمة؛ إن خيرا فخير، وإن شرّا فشرّ. من حلّ عقدا احتمل حقدا، والفرار عار، والتقدّم مخاطرة، وكثرة العلل مع الوجود من البخل، وشرّ الرجال الكثير الاعتلال -يعني في القول-، وحسن اللقاء يذهب الشحناء، ولين الكلام من أخلاق الكرام.

يا بنيّ؛ إنّ زوجةَ الرجل سَكَنُهُ، ولا عيش له مع خلافها. وإذا هممت بنكاح امرأة فاسأل عن أهلها، فإنّ العروق الطيّبة تنبت الثمار الحلوة. واعلم أنّ النساءَ أشدُّ اختلافا من أصابع الكفّ، فتوقّ منهنّ[6] كلّ ذات يد مجبولة على الأذى.

---

(١) الطرير: ذو المنظر الحسن. ج، م، ي: الظريف.

(٢) ر، ن، ج: تحقره.

(٣) التبريق: تحديد النظر، يقال: برّق عينيه تبريقا: إذا أوسعها. والترليق: تكثير الادهان. والتنويق: التذلل والميوعة.

(٤) أ، ر، م: والتصنيع.

(٥) النورة: الغَلامَة وَحجر الكلس وأخلاط من أملاح الكالسيوم والباريون تسْتَعْمل لإزَالَة الشّعْر.

(٦) في النسخ عدا هامش أ: منهم.

فمنهنّ[1] المعجبة بنفسها، المزرية ببعلها؛ إن أكرمها رأت فضلها[2] عليه، ولا تشكره على جميل، ولا ترضى منه بقليل، لسانها عليه سيف صقيل، قد كشفت القحة ستر الحياء عن وجهها، ولا تستحي من عوارها ولا من جارها، هذّارة، طيّة، مهارشة عقّارة، وجه زوجها مكلوم، وعِرضه مشتوم، لا ترعى عليه لدنيا ولا لدين[3]، ولا تحفظه لصحبة ولا لكبر سنّ. حجابه مهتوك، وسرّه منشور، وخيره مدفون، يصبح كئيبا ويمسي غائبا، شرابه شرّ وطعامه غيظ، وولده صائم، وبيته مستهلك، وثوبه وسخ، ورأسه شعث، إن ضحك فراهب، وإن تكلّم فمتكارِه، نهاره ليل وليله نهار، تلدغه مثل الحيّة، وتكرشه مثل العقرب، صهصلق[4] ختّارة[5]، دِفْنِس[6]، لخناء[7] تهبّ مع الرياح، وتطير مع كلّ ذي جناح، إن قال: لا، قالت: نعم، وإن قال: نعم، قالت: لا، محتقرة لما في يديه، تَضرب له الأمثال، وتقصُر به دون الرجال، وتنقله من حال إلى حال، حتى قلَى[8] بيته، وملّ ولدَه، وغثّ عيشَه، وهانت عليه نفسه، حتى أنكره إخوانه، ورحمه جيرانه.

ومنهنّ الحمقاء ذات الدلال في غير موضعه، الماضغة للسانها، الآخذة في غير شأنها، قد قنعت بحبّه، ورضيت بكسبه، تأكل كالحمار الراتع، ترتفع الشمس ولم تسمع لها صوتا ولم تكنس لها بيتا، طعامها بائت، وإناؤها وَضَر[9]، وعجينها وماؤها فاتر، وماعونها ممنوع، وخادمها مضروب.

ومنهنّ العطوف الودود، المباركة الولود، المأمونة على غيبتها، المحبوبة في جيرانها، الحافظة لسرّها وعلنها، الكريمة التبعّل، الكثيرة التفضُّل، الخافضة[10] صوتا، النظيفة بيتا، خادمها مسمّن، وابنها مزيّن، وخيرها دائم، وزوجها ناعم، مومقة[11] ألوفة، بالخير والعفاف موصوفة.

---

(١) ج، م، ي: فمنهم.
(٢) أ، ر، ن: رأته لفضلها. م، ي: رأت لفضلها.
(٣) ج، ي: دين.
(٤) صهصلق: العجوز الصخّابة.
(٥) ختارة: غدارة.
(٦) دفنس: حمقاء، امرأة ثقيلة.
(٧) لخناء: منتنة المغابن.
(٨) قلى: هجر.
(٩) الوضر: وسَخ الدسم واللبَن.
(١٠) ج، م، ي: الحافظة.
(١١) مومقة: محبوبة. م، ي: موصوفة.

جعلك الله يا بنيّ فيمن يقتدي بالخير، ويأتمّ بالتقى، ويجتنب السخط، ويحبّ الرضى، والله خليفتي عليك، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

ومن الشمائل الأريحية ما ذكره الأصمعي

قال: دخل إسحق بن إبراهيم الموصلي على أمير المؤمنين الرشيد فقال: ما مالك؟ فقال إسحق:

سوامي سوام المكثرين[1] تجمّلا ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء ما إليه سبيلُ
وكيف أخاف الفقر أو أُحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميلُ
أرى الناس خِلّان الجواد ولا أرى بخيلا له في العالمين خليلُ

فقال الرشيد: هذا واللهِ الشعر الذي صحّت معانيه، وقوِيت أركانه، ولذّ على أفواه القائلين وأسماع السامعين. يا غلام؛ احمل إليه خمسين ألف درهم.

قال إسحق: يا أمير المؤمنين؛ كيف أقبل صِلتك وقد مدحتَ شِعري بأكثر ما مدحتك به؟ قال الأصمعي: فعلمت أنّه أصيدُ للدراهم منّي.

ومن هذا الباب ما حكاه الأصمعي

قال: دخل المأمون ذات يومٍ الديوان، فنظر إلى غلام جميل، على أذنه قلم، فقال: من أنت؟ قال: أنا الناشئ في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، الحسن بن رجاء. فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تتفاضل العقول، يُرفع عن مرتبة الديوان إلى مرتبة[2] الخاصة، ويعطى مائة ألف درهم تقوية له.

ومن صفات العارفين

ما ذكره إبراهيم بن أدهم قال: من علامات العارف أن يكون أكثر صمته التفكر والعَبرة، وأكثر كلامه الثناء والمدحة، وأكثر عمله الطاعة والخدمة، وأكثر نظره إلى لطائف صنع ربّ العزّة.

وسئل بعض المحققين من أهل الله عن علامات العارف والعابد والمحبّ والخائف؟ فقال:

---

(١) ج: فعالي فعال الأكثرين.

(٢) أ، ر، ن: مراتب.

الخائف ذو هرب، والعابد ذو نصَب، والمحبّ ذو شُعَب[1]، والعارف ذو طرب.

قال بعضهم: سمعت بعض المنقطعين وهو يتأوّه ويقول: آهٍ على أعمارٍ في المعصية ضاعت، آهٍ على أسرارٍ بسوء المعاملة ذاعت، آهٍ على أوقاتٍ في المخالفة انقرضت، آهٍ على ساعات عن[2] اكتساب المعصية ما حُفظت، آهٍ على توبة أُبرمت ثمّ نُقضت، آهٍ على عهود أُكّدت ثمّ لُفظت، آهٍ على نفوس تكفّل الخالق بأرزاقها فاعترضتْ، آهٍ على شباب علا[3] بعد إقباله، آهٍ على شيب مؤذن للجسد بارتحاله، فأين الاستعداد والاهتمام؟ وأين التزوّد والاعتزام؟ وأين المبادرة والاغتنام؟ إن كنت ممن يبيع معالم الشريعة بالحطام، فاعلم أنّه ليس في خسارتك كلام.

وأنشدنا محمد بن عبد الواحد لبعضهم:

إذا وافى بصولته المشيب ... فلا عيش يلذّ ولا يطيب
أتطمع في الخلود على الليالي ... وشيب الرأس يتبعه شَعوب[4]
إذا نزل المشيب برأس عبد ... فمنهل موته منه قريب

وأنشدني أبو بكر بن صاف اللخمي لبعضهم:

الحمد لله ثمّ الحمد لله ... ما ذا على الأرض من ساهٍ ومن لاه
ماذا يعاين ذو عينين من عجب ... يوم الخروج من الدنيا إلى الله

وروينا من حديث الهاشمي بسنده إلى أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أما رأيت المأخوذين على العزّة، والمزعجين بعد الطمأنينة، الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهوات، حتى أتتهم رسل ربّهم، فلا ما كانوا أمّلوا أدركوا، ولا إلى ما فاتَهم رجعوا، قدِموا على ما عملوا، وندموا على ما خلّفوا، ولم يُغْنِ الندم، وقد جفّ القلم، فرحم الله امرءا قدّم خيرا، وأنفق قصدا، وقال صدقا، وملِك دواعي شهوته ولم تملكه، وعصى إمرة نفسه فلم تهلكه».

---

(١) أ، ر، ن: شغب.
(٢) ج، م، ي: على.
(٣) رسمها في بقية النسخ: على.
(٤) شَعوب: المنيّة.

موعظة سفيان الثوري للمنصور بمكة

ثنا محمد بن إسماعيل اليمني، ثنا عبد الرحمن[١] بن علي بن محمد، ثنا محمد بن أبي منصور، عن المبارك بن عبد الجبار، ثنا أبو إسحق البرمكي، عن أحمد بن جعفر بن سَلَم، ثنا أبو بكر بن عبد الخالق، عن يعقوب بن يوسف البستي، عن أبي نشيط محمد بن هارون عن الفريابي[٢] قال: سمعت سفيان الثوري يقول: دخلت على أبي جعفر المنصور بمنى، فقلت له[٣] اتّق الله؛ فإنما أنزلتَ هذه المنزلة، وصرت إلى هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعا. حج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فما أنفق إلّا خمسة عشر دينارا، وكان ينزل تحت الشجر! فقال لي: إنما تريد أن أكون مثلك! فقلت: لا تكن مثلي، ولكن كن دون ما أنت فيه، وفوق ما أنا فيه، فقال لي: اخرج، قال الثوري: فقلت له: إنّي لأعلم مكان رجلٍ واحدٍ لو صلح صلحتِ الأمّة كلّها، قال: من هو؟ قلت: أنت يا أمير المؤمنين.

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى

ما حدّثنا به عبد الله بن الأستاذ المورووري قال: قال لي بعض الصالحين: رأيت في المنام في واقعتي أبا حامد وأبا يزيد وأبا طالب وأشياخ الصوفية وأبا مدين، فقال أحدهم للشيخ أبي مدين: قل لنا شيئا في المعرفة! فقال: المعرفة هي المحجّة[٤] لبلوغ الغاية، ثمرتها التوحيد وإليه النهاية. فالتوحيد هو غاية الأمل، وما افترق في الوجود عنده اشتمل، هو المبدأ، وله البيان وإليه المرجع، وبه يحصل الأمان، سرّه في مخلوقاته خفيّ، وحكمه في مصنوعاته ظاهرٌ جليّ، أمره قد انتشر في الورى، وقضاؤه وقدره في كلّ شيء قد جرى. هو الأوّل قبل كلّ شيء وهو الآخر، وإليه يرجع الأمر كلّه وهو الآمر، فالمحسوسات كلّها هباء، وهي حجابه سبحانه وبها خفي.

فقلبُ العارف طاهر[٥] ممّا سواه، فإذا أغين عليه بادره برحمته فقوّاه[٦]، بحياته امتدّت حياته، وبصفاته ظهرت صفاته، فمخلوقاته بأسرها إليه مضطرّة، إذ لم يخلُ شيء من الأشياء

---

(١) ج، م، ي: ثنا عبد الله.
(٢) هو محمد بن يوسف الفريابي (ت: ٢١٢هـ).
(٣) ج، م، ي: - له.
(٤) ج، م، ي: الحجة.
(٥) ج، ن: ظاهر.
(٦) أ، ر، ن: فعرّاه.

من سرّه حتى الذرّة[1]، قد شهِدت بأسرها إليه، ونطقت بأنّه الواحد، وأنه ليس له شريك في ملكه ولا ولد ولا والد، شهادة قد أحكمتها الفطرة، يشهدها العارف في كلّ خطرة ونظرة، فالعارفون به ظهرت لهم الغيوب، وبذكره اطمأنّت منهم القلوب، فلم يعرِّجوا على شيء ممّا سواه، وما منهم من قنع بشيء عوضا عن مولاه، فأسرار العارفين عن الخلق محجوبة، وعند من عرفهم ظاهرة بالحسن مطلوبة، فقلوب الغير بالأسباب في شغب[2] هي من المعرفة خالية، ومن الحكمة مسلوبة، لاحظوا أنفسهم فهم منها على غرور، ومن أسرار العارفين خلوا، وبظواهرهم تشبّهوا، و«الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

ورووينا من حديث الخطّابي

قال: كان سعد ممن اعتزل أيّام الفتنة، ولم يكن مع واحد من الفريقين، فأرادوه على الخروج فأبى، وضرب لهم مثلا: قال الخطّابي: أنا ابن الأعرابي، ثنا محمد بن أحمد بن أبي العوّام، ثنا أبي، ثنا كثير بن مروان الفلسطيني، ثنا جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، قال إنّ[3] سعدا لمّا دعوه إلى الخروج معهم أبى عليهم وقال: لا، إلّا أن تعطوني سيفا له عينان بصيرتان، ولسانا ينطق بالكافر فأقتله، وبالمؤمن فأكفّ عنه، وضرب لهم مثلا، وقال: مثَلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجّة بيضاء، فبينما هم كذلك هاجت ريح عجّاجة فضلّوا الطريق والتبس عليهم، فقال بعضهم طريق ذات اليمين، فأخذوا فيها فتاهوا وضلّوا، وقال الآخرون طريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلّوا، وقال الآخرون: كنّا على الطريق[4] حيث هاجت فننيخ، فأناخوا وأصبحوا فذهبت الريح، فتبيّن الطريق. فهؤلاء هم[5] الجماعة قالوا نلزم ما فارقنا عليه رسول الله ﷺ حتى نلقاه، ولا ندخل في شيء من الفتن. قال ميمون بن مهران فصار الجماعة والفئة التي يدعى[6] فيها الإسلام ما كان عليه سعد بن أبي وقاص وأصحابه الذين اعتزلوا الفتن، حتى أذهب الله ﷻ الفرقة، وجمع الألفة، فدخلوا الجماعة، ولزموا الطاعة وانقادوا، فمَن فعل ذلك ولزمه نجا، ومن لم يلزمه وقع في المهالك.

---

(١) ج، م، ي: ذرة.
(٢) م، ي: شعب.
(٣) ج، م، ي: - إن.
(٤) أ، ر، ن: طريق.
(٥) ج، م، ي: - هم.
(٦) ج، م، ي: تدعى.

وحدّثنا يونس بن يحيى الهاشمي عن أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان المعروف بابن البطي، عن أبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، عن أبي علي الحسن بن إبراهيم بن شاذان، عن الحسن أحمد بن إسحق، عن أبي عبد الله أحمد بن محمد، عن عمّار بن عبد الله[1] المصيصي، عن مخلد بن حسين، عن واصل، ذكر أنّه أُسِر غلام من بني بطاركة الروم، وكان غلاما جميلا، فلمّا صار إلى دار الإسلام، وقع إلى الخليفة، وذلك في ولاية بني أميّة، فسمّاه بشيرا، وأمر به إلى الكتّاب، فكتب، وقرأ القرآن، وطلب الأحاديث، وروى الشعر، فلمّا بلغ[2]، أتاه الشيطان فوسوس له، وذكّره النصرانيّة، دين آبائه، فهرب مرتدّا من دار الإسلام إلى أرض الروم للذي سبق له في أمّ الكتاب، فأتي به الطاغية، فسأله عن حاله، وما الذي دعاه إلى الدخول في دين النصرانيّة؟ فأخبره برغبته فيه، فعظُم في عين الملك ورأْسه، وصيّره بطريقا من بطارقته، وأقطعه قرى كثيرة، فهي اليوم تعرف به، يقال لها: قرى بشير.

وكان من قضاء الله وقدره أنّه أُسِر ثلاثون رجلا من المسلمين، فأدخلوا على بشير، فسألهم رجلا رجلا عن دينهم، وكان فيهم شيخ من أهل دمشق يقال له واصل، فسأله بشير، فأبى الشيخ أن يردّ عليه شيئا، فقال له بشير: ما لك لا تجيبني؟ قال: لست أجيبك اليوم بشيء، فقال بشير للشيخ: إنّي سائلك غدا، فأعِد لي جوابا، وأمره بالانصراف. فلمّا كان الغد بعث إليه بشير، فأُدخل عليه الشيخ، فقال بشير: الحمد لله الذي كان قبل أن يكون شيء من خلقه، وخلق سبع سماوات طباقا بلا عون كان معه مِن خلقه، ودَحَى سبع أرضين بلا عون كان معه من خلقه، فعجبٌ لكم معاشر العرب، حين تقولون: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3].

فسكت الشيخ، فقال: ما لَك لا تجيبني؟ قال: كيف أجيبك وأنا أسيرٌ في يديك؟ فإن أجبتك بما تهوى أسخطتُ عليّ ربّي، وأهلكت عليّ[4] ديني، وإن أجبتك بما لا تهوى أهلكت نفسي، فأعطني عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله ﷻ على النبيّين، وما أخذ النبيّون على

(١) أ، ر: عبيد الله.
(٢) بلغ: وصل إلى سن البلوغ.
(٣) [آل عمران: ٥٩]
(٤) أ، ر، ن: - علي.

الأمم، أنّك لا تغدر بي ولا تمحل[١] بي ولا تبغي بي[٢] باغية سوء، وأنّك إذا سمعت الحقّ تنقاد له. قال بشير: فلك عليّ عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على النبيّين، وما أخذ النبيّون على الأمم، أنّي لا أغدر بك ولا أمحل بك ولا أبغي بك باغية سوء، وإنّي إذا سمعت الحقّ انقدت له.

فقال[٣] الشيخ: أمّا ما وصفت عن صفة الله ﷻ، فقد أحسنتَ الصفة، وما لم يبلغ علمك ولم يستحكم عليه[٤] رأيك أكثر، والله ﷻ أعظمُ وأكبر ممّا وصفتَ، ولا يصف الواصفون صفته. وأمّا ما ذكرت من هذين الرجلين، فقد أسأتَ الصفة، ألم يكونا يأكلان الطعام، ويشربان، ويبولان، ويتغوّطان، وينامان، ويستيقظان، ويفرحان، ويحزنان؟ قال بشير: بلى. قال: فلِم فرّقت بينهما؟ قال بشير: لأنّ عيسى كان له روحان اثنان: فروح يبرئ بها الأكمه والأبرص، وروح يعلم بها الغيب[٥]، ويعلم ما في قعر البحار، وما يتَحاتّ[٦] من ورق الشجر، قال واصل: روحان اثنان في جسد واحد؟ قال بشير: نعم. قال الشيخ: فهل كانت القويّة تعرف موضع الضعيفة منها[٧] أم لا؟ قال بشير: قاتلك الله؛ ماذا تريد أن تقول إن قلتُ أنّها تعلم؟ وماذا تريد أن تقول إن قلتُ أنّها لا تعلم؟ قال الشيخ: إن قلتَ إنّها تعلم، قلتُ: فما لهذه القويّة لا تطرد بها عنه هذه الآفات، وإن قلتَ إنّها[٨] لا تعلم، قلتُ: كيف تعلم الغيوب، ولا تعلم موضع روح معها في جسد واحد.

قال: فسكت بشير،[٩] فقال الشيخ: أسألك[١٠] بالله ﷻ هل عبدتم الصليب مثالا لعيسى بن مريم أنّه صُلب؟ قال بشير: نعم. قال الشيخ: فبرضى منه أم بسخط؟ قال بشير: هذه أخت تلك؛ ماذا تريد أن تقول إن قلتُ بسخط، وما تريد أن تقول إن قلتُ برضى منه؟ قال الشيخ: إن قلتَ برضى منه، قلتُ: فما أتتم قوم أعطوا ما سألوا وأرادوا، وإن قلتَ

---

(١) تمحل: تكيد.
(٢) أ، ر، ن: ولا تبغيني.
(٣) أ، ر، ن: قال.
(٤) أ، ر، ن: - عليه.
(٥) أ، ر: الغيوب.
(٦) ج، ر، ن، ي: ينحات.
(٧) أ، ر، م، ن، ي: منهما.
(٨) أ، ر، ن: - إنها.
(٩) أ، ر، ن: + قال.
(١٠) ج، م، ي: - أسألك.

بسخط قلتُ: فلِمِ تعبدون[1] ما لا يمنع عن نفسه؟ قال بشير: والضارِ والنافعِ ما ينبغي لمثلك أن يعيش إلّا في النصرانية، أراك رجلا قد تعلّمتَ الكلام، وأنا رجل صاحب سيف، ولكن آتيك غدا بمن يخزيك اللهُ على يديه، ثمّ أمره بالانصراف.

فلمّا كان الغد بعث بشير إلى الشيخ، فلمّا دخل عليه إذا عنده قِسٌّ عظيم اللحية، فقال له بشير: إنّ هذا رجلٌ من العرب له حكم وعقل وأصل في العرب، وقد أحبّ أن يدخل في ديننا فكلِّمه حتى تنصِّره، فسجد القسّ لبشير، وقال: قديما ما أتيتَ إليّ بالخير، وهذا أفضل ما أتيت به إليّ. ثمّ أقبل على الشيخ وقال له: أيّها الشيخ؛ ما أنت بالكبير الذي قد ذهب عنه عقله، وتفرّق عنه حلمه[2]، ولا أنت بالصغير الذي لم يستكمل عقله، ولم يبلغ حلمه، غدا أغطِّسك في المعمودية[3] غطسةً تخرج منها كيوم ولدتك أمّك. قال الشيخ: فما هذه المعمودية؟ قال[4] القسّ: ماء مقدَّس. قال الشيخ: من قدّسه؟ قال القسّ: أنا قدّسته والأساقفة من قبلي. قال الشيخ: فهلّا كانت لك ذنوب وخطايا؟ قال القسّ: نعم، إنّها لأكثر من ذلك، قال الشيخ: فهل[5] يقدِّس الماءَ من لم يقدِّس نفسه؟ قال: فسكت القسُّ، ثمّ قال: إنّي لم أقدّسه أنا.

قال الشيخ: فكيف كانت القصّة إذَنْ؟ قال القسّ: إنّها سنّة من عيسى بن مريم، قال الشيخ: فكيف كان الأمر إذَن؟ قال القسّ: إنّ يحيى بن زكريا أغطسَ عيسى بن مريم بالأردن غطسة، ومسح[6] رأسه، ودعا له بالبركة. قال الشيخ: واحتاج عيسى إلى يحيى بن زكريا أن يمسح رأسه ويدعو له بالبركة! فاعبدوا يحيى، فيحيى خير لكم من عيسى. قال: فسكت القسُّ، واستلقى بشير على فراشه، وأدخل كمّه في فيه وجعل يضحك، وقال للقسّ: قم أخزاك الله، دعوتك لتنصّره، فإذا أنت قد أسلمت.

ثمّ إنّ أمر الشيخ بلغ إلى الملِك، فبعث إليه وقال[7]: ما هذا الذي يبلغني عنك من تنقّصك لديني ووقيعتك فيه؟ قال الشيخ: إنّ لي دينا كنت ساكتا عنه، فلمّا فُصِتُّ عنه،

---

(١) ن، ي: تعبدوا.

(٢) أ، ر، ن، ي: حكمه.

(٣) المعمودية: ماءٌ للنَّصارى يَغْمسونَ فيه وَلَدَهُمْ مُعْتَقِدينَ أنه تَطْهيرٌ له، كالخِتانِ لغيرِهِم.

(٤) أ، ر، ن: فقال.

(٥) ج، ي: هل.

(٦) ج، ي: + له. م: + على.

(٧) ج، م، ي: فقال.

لم أجد بدًّا من الذبّ عنه. قال الملك: وهل في يدك حجّة؟ قال الشيخ: ادعُ لي من شئت يحاورني؛ فإن كان الحقّ في يدي فلِمَ تلومني على الذبّ عن الحقّ، وإن كان الحقّ في يده[1] رجعت إلى الحقّ.

فدعا الملك بعظيم النصرانية، فلمّا دخل عليه سجد له الملِك ومَن عنده أجمعون. فقال له الشيخ: أيّها الملِك؛ من هذا؟ قال: هذا رأس النصرانية الذي تأخذ النصرانية عنه دينها. قال الشيخ: فهل له من[2] امرأة؟ أم هل له ولد؟ أم هل له من عقِب[3]؟ قال له الملك: ما لَك أخزاك الله؛ هذا أزكى وأطهر من أن يدنَّس بالنساء، هذا أزكى من أن يُنسب إليه الولد، ويدنَّس بالحيض، هذا أزكى وأطهر من ذلك. قال الشيخ: فأنتم تكرهون الآدمي[4]، يكون منه ما يكون من بني آدم من الغائط والبول والنوم والسهر، وتأخذكم عزّة من ذكر نسبة النساء إليه، وتزعمون أنّ ربّ العالمين سكن ظلمة البطن وضيق الرحم ودُنِّس بالحيض. قال القسّ: هذا شيطان من شياطين البحر، رمى به البحر إليكم فأخرِجوه من حيث جاء.

فأقبل الشيخ على القسّ فقال: إن كنتم[5] عبدتم عيسى بن مريم لأنّه لا أب له، فضمّوا آدم مع عيسى حتى يكون لكم إلهان اثنان، وإن كنتم عبدتموه لأنّه أحيا لكم الموتى، فهذا حزقيل مرّ بميت تجدونه في الإنجيل لا تنكرونه، فدعا الله ﷻ، فأحياه له حتى كلّمه، فضمّوا حزقيل مع عيسى وآدم حتى يكون لكم ثلاثة، وإن كنتم إنما عبدتموه لأنّه أراكم المعجزات، فهذا يوشع بن نون قاتَل قومَه يوما[6] حتى غربت الشمس، فقال لها: ارجعي بإذن الله تعالى[7]، فرجعت اثنا عشر برجا، فضمّوا يوشع أيضا إلى عيسى حتى يكون لكم رابع أربعة، وإن كنتم إنما عبدتموه لأنّه عُرِج به إلى السماء، فمن ملائكة الله ﷻ مع كلِّ نفسٍ اثنان بالليل واثنان بالنهار، يعرجون إلى السماء، ما لو ذهبنا نعدّه لالتبس علينا عقولنا، وأخلط علينا ديننا، وما زادنا[8] في ديننا إلّا تحيّرا.

---

(١) أ، ر، م، ي: يديه.
(٢) أ، ر، ن: - من.
(٣) أ، ر، ن: عقيب.
(٤) أ، ر، م: لآدمي.
(٥) ج، ن، ي: - إن كنتم.
(٦) ج، م، ي: - يوما.
(٧) م، ي: - تعالى.
(٨) ج، ي: زاد.

ثمّ قال: أيّها القسّ؛ أخبرني عن رجل يحلُّ به الموت؛ الموت أهون عليه أم القتل؟ قال القسّ: بل القتل. قال: فلِمَ لم يقتل عيسى بن مريم أمّه، وعذّبها بنزع النفس؟ إن قلت: إنّه قتلها، فما برّ أمَّه مَن قتلها، وإن قلتَ: إنّه لم يقتلها، فما برَّ أمَّه مَن عذّبها بنزع النفس. قال: اذهبوا به الكنيسة العظمى فإنّه لا يدخلها أحد إلّا تنصّر. قال الملك: اذهبوا به إلى الكنيسة. قال الشيخ: لماذا يُذهب بي إلى الكنيسة ولا حجة عليّ دحضتْ حجتي؟ قال الملك: لن[1] يضرّك شيء[2]، إنما هو بيت من بيوت الله تعالى تذكر فيه ربّك. قال الشيخ: أما إذا كان هكذا فلا بأس.

قال: فذهبوا به إلى الكنيسة[3]، فلمّا دخل[4] الكنيسة وضع أصبعيه في أذنيه ورفع صوته بالأذان، فجزعوا لذلك جزعا شديدا، وصرخوا لذلك، ولبّبوه[5]، وجاءوا به إلى الملك، فقالوا[6]: أيّها المِلك؛ أحلّ بنفسه القتل. قال الشيخ: أيّها الملك؛ أين ذهبوا[7] بي؟ قال: ذهبوا بك موضعا تذكر فيه ربّك. قال: فقد دخلته وذكرتُ[8] ربّي فيه[9] بلساني، وعظّمته بقلبي، فإن كان كلّما ذكر الله في كنائسكم صغَّر إليكم دينكم فزادكم الله صغارا. قال الملك: صدق، وما سبيلكم عليه؟ قالوا: أيّها الملك؛ لا نرضى حتى نقتله. قال الشيخ: إنّكم متى قتلتموني فبلغ ذلك مَلِكَنا؛ وضع يده على قتل القسّيسين والأساقفة، وتخريب الكنائس وكسر الصلبان ومنع النواقيس. قالوا: وإنّه ليفعل؟ قال: فلا تشكّوا! قال: فتفكّروا في ذلك فتركوه.

قال الشيخ: أيّها الملك؛ ما عاب أهلُ الكتاب على أهلِ الأوثان؟ قال: لأنّهم عبدوا ما عملوا بأيديهم. قال: فهذا أنتم عبدتم ما عملتم بأيديكم، هذه الصور[10] التي في كنائسكم! فإن كان في الإنجيل فلا كلام لنا فيه، وإن لم يكن في الإنجيل، فلِمَ تشبّه دينكم بدين أهل الأوثان؟ قال: صدق، هل تجدونه في الإنجيل؟ قال القسّ: لا. قال: فلِم تشبّه ديني بدين

---

(١) ج، م، ي: لم.
(٢) ج، م، ي: شيئا.
(٣) أ، ر، ن: - إلى الكنيسة.
(٤) أ، ر، ن: + في.
(٥) لبّبوه: جعلوا ثوبه في عنقه وقبضوا عليه. ج، ي: وكتفوه.
(٦) أ، ر، ن: فقالوا له.
(٧) أ، ر، ن: أين ذُهب بي.
(٨) أ، ر، ن: فذكرت.
(٩) م، ي: - فيه.
(١٠) ج: الأصنام. م، ي: الصنم.

أهل الأوثان؟ قال: فأمرهم بتبييض الكنائس، فجعلوا يبيّضونها ويبكون. قال القسُّ: إنّ هذا شيطان من شياطين العرب رمى به البحر إليكم، فأخرِجوه من حيث جاء، ولا يقطر من دمه قطرة في بلادكم فيفسد عليكم دينكم، فوكّلوا به رجالا، فأخرجوه إلى[1] بلاد دمشق. ووضع الملك يده في قتل البطارقة والقسّيسين والأساقفة، حتى هربوا إلى الشام، لمّا لم يجد أحدا يحاجّه.

أخبرني عبد الواحد بن إسماعيل العسقلاني قال: سمعتُ جدّي لأمّي عمر بن عبد المجيد يقول: اعلم أنّ الناس في الدنيا على أبواب ملوكهم طبقات؛ فمنهم الخواص المقرَّبون، والخدّام المتحبّبون، والأمناء الثقات، والكبراء السادات، والتجار الطالبون للأرباح، والفقراء أصحاب الصدقات. فأحسَنُ أحوالك أن تنزِل نفسَك منزلة الفقراء والسؤال، لا مقام ذي الصلة[2] والنوال، كم تُدعَون فلا تجيبون، وتُرغّبون فلا ترغبون؟ فما لكم لا تكونون كما قال الله تعالى[3]: ﴿اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[4] وأشرفُ الذِّكر ذِكْرُ القلب، لأنّه موضع نظر الله ﷻ من العبد.

وقال بعضهم يوبّخ نفسه: يا نفسي[5]؛ أما تستحي[6] من الله! كم يكون منك الخطأ ومنه العطا، كم يكون منك الجفا ومنه الوفا؟ هلّا كان منك التوبة فيكون منه القبول؟ يا نفسي[7]؛ كم تعصيه ويستر عليك، وتتمادي في الذنب ويمهلك؟ أما تخشي عقابه؟ أما تستحي من عتابه؟

أخاف عليك إن لم تنتهِ عن[8] قبيح فعلك ليصبّنّ عليك سخطه، وليحرقنّك بنار غضبه. هذا قلبك في فلوات المعاصي ضائع، وسرّك بالأعمال القبيحة ذائع.

فبادر بالتوبة والإقلاع، والندم والاسترجاع، فكأنْ قد كشف القناع، ولا تغتر بالحياة

---

(١) أ، ر، ن، ي: من.
(٢) أ، ر، ن: ذوي الصلات.
(٣) أ، ر، ن: - الله تعالى.
(٤) [البقرة: ١٥٢]
(٥) م، ي: يا نفس. ج: - يا نفسي.
(٦) أ، ر، ن: تستحيي.
(٧) ج، م، ي: يا نفس.
(٨) ج، م: من.

الدنيا فما الحياة الدنيا في الآخرة إلّا متاع.

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم:

أنت ستري كيف أهتكه ذا[1] طريق لست أسلكه
أملك الدنيا بأجمعها وفؤادي لست أملكه

قال بعض العارفين: للعارف أربع علامات: ذِكر المِنّة، وصدق الهمّة، وعرفان الحرمة، وخوف الفُرقة.

وقال بعض الصالحين: من علامات العارف أن ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار، وإلى الآخرة بعين الانتظار، وإلى النفس بعين الاحتقار، وإلى الطاعة بعين الاعتذار لا بعين الاستكبار، وإلى المغفرة بعين الافتقار، وإلى المعرفة بعين الاستبشار، وإلى المعروف سبحانه بعين الافتخار.

حدّثنا يونس بن يحيى، حدّثنا ابن البطي، ثنا ابن خيرون[2] عن ابن شاذان، عن أحمد بن إسحق، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن عبد العزيز الجَرَوي، ثنا أبو حفص التنيسي، عن أبي معبد، قال: سمعت بلال بن سعيد يقول: أخوَان في بني إسرائيل خرجا يتعبّدان، فلمّا أرادت الطريق تفرّق بينهما قال أحدهما لصاحبه: خذ أنت في هذا الطريق، وآخذ أنا في هذا الطريق، فإذا كان رأس السنة فهذا الموعد بيني وبينك. فخرجا يتعبّدان، فلمّا كان في رأس السنة اجتمعا في ذلك الموضع، فقال أحدهما لصاحبه: أيّ ذنب فيما عملتَ أعظم؟ قال: بينا أنا أمشي على الطريق إذا بسنبلة فأخذتها فألقيتها في إحدى الأرضين، أرض عن يميني، وأرض عن شمالي، ولا أدري هي للأرض التي ألقيتها فيها أم للأخرى؟

قال: ثمّ قال المسئول للسائل: أيّ ذنب فيما عملتَ أعظم؟ قال: لا أعلم إلّا أنّي كنت أقوم في الصلاة، فأميل مرّة على هذه الرجل، ومرّة على هذه الرجل، فلا أدري أكنت أعدل فيما بينهما أم لا؟ فسمعهما أبوهما من داخل الدار، فقال: اللهمّ إن كانا صادقين فأمِتهما، فخرج فإذا بهما قد ماتا.

ورويناه من حديث ابن ودعان، عن الحسن بن شهاب، عن ابن الهادي، عن محمد بن

---

(١) م، ي: ذاك.

(٢) ج، م، ي: - ثنا ابن خيرون.

منصور، عن موسى بن إسماعيل، عن حمّاد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس شيء يباعدكم من النار إلّا وقد ذكرته لكم، ولا شيء يقرّبكم من الجنّة إلّا وقد دللتكم عليه، إنّ روح القدس نفث في روعي: أنّه لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه، فأجمِلوا في الطلب، ولا يحملنّكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئا من فضل الله بمعصيته؛ فإنّه لا يُنال ما عند الله إلّا بطاعته، ألا وإنّ لكلّ امرئ رزقا هو يأتيه لا محالة، فمن رضي به بورك له فيه، فوسِعه، ومن لم يرض به لم يبارك له فيه، ولم يسعه، إنّ الرزق ليطلب الرجلَ كما يطلبه أجله».

خبر الكنيسة التي بناها أبرهة بصنعاء إلى جنب غمدان[1]

روينا من حديث محمد بن إسحق، أنّ أبرهة الأشرم، لمّا كان من أمره ما كان مع أرياط، وقتلِه، ومَلِك اليمن، وأقرّه النجاشي على اليمن، بنى كنيسة عظيمة[2] بصنعاء إلى جنب غمدان، وسمّاها القلّيس، وحرّق غمدان هو وأرياط، وكتب إلى النجاشي: إنّي قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبنِ العرب ولا العجم مثله، ولن أنتهي حتى أصرف حاجّ العرب إليه، ويتركوا الحجّ إلى بيتهم. فبنى القلّيس بحجارة قصر بلقيس الذي بمأرب، صاحبة الصرح المذكور في القرآن، وكان سليمان -في رواية من قال إنّه تزوّج بها- إذا جاءها ينزل عليها فيه.

قال ابن إسحق: فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والآلة، حتى نقل ما كان في قصر بلقيس، مما احتاج من الحجارة والرخام والآلة، وجدّ في بنائه، وبناه مربّعا، مستوي التربيع، طوله في السماء ستون ذراعا، وكبسه من داخله في السماء عشرة أذرع، فكان يصعد إليه بدرج الرخام، وبنى حوله سورا بينه وبين القلّيس مائتا ذراع مُطيف[3] به من كلّ جانب، وبنى ذلك كلّه بحجارة يسمّيها أهل اليمن الجروب، منقوشة مطابقة لا تدخل بين أطباقها الإبرة مطيفة به، وجعل طول ما بنى به من الجُروب عشرين ذراعا في السماء، ثمّ فصل ما بين حجارة الجُروب بحجارة مثلّثة تشبه الشُّرف، متداخلة[4] بعضها ببعض: حجر أخضر، وحجر أسود، وحجر أحمر، وحجر أبيض، وحجر أصفر، فيما بين كلّ ساقين خشب

(١) أ، ر، ن: + وتسمّى القليس.
(٢) ج، م، ي: - عظيمة.
(٣) م، ي: يطيف.
(٤) أ، ر، ن: مداخلة.

ساسَم مدوّر الرأس، غلظ الخشبة حضن الرجل، ناتية[1] على البناء، وكان مفصّلا بهذا البناء على هذه الصفة.

ثمّ فصل بإفريز من رخام منقوش، طوله في السماء ذراعان، وكان الرخام ناتيا[2] عن[3] البناء ذراعا. ثمّ فصل فوق الرخام بحجارة سود لها بريق، ثمّ وضع فوقها حجارة صفر لها بريق، ثم وضع فوقها حجارة بيض لها بريق. فكان هذا ظاهر حائط القلّيس، وكان عرض حائط القلّيس[4] ستة أذرع، وكان له باب من نحاس عشرة أذرع طولا في أربعة أذرع عرضا، وكان المدخل منه إلى بيت في جوفه طوله ثمانون ذراعا في أربعين ذراعا، معلّق العمل بالساج المنقوش، ومسامير الفضّة والذهب، ثمّ يدخل من البيت إلى إيوان طوله أربعون ذراعا، عن يمينه وعن يساره عقود مضروبة بالفسيفساء مشجّرة، بينهما كواكب الذهب ظاهرة، ثمّ يدخل من الإيوان إلى قبّة ثلاثون ذراعا في مثلها جدراتها بالقص[5]، فيها صُلُبٌ منقوشة بالذهب والفضة، وفيها رخامة مما يلي مطلع الشمس من البلق مربعة عشرة أذرع في مثلها، تغشي عين من نظر إليها من بطن القبّة، تؤدّي ضوء الشمس والقمر إلى داخل القبّة، وكان تحت الرخامة منبر[6] من خشب اللبخ، وهو الأبنوس، مفصّل بالعاج الأبيض، ودرج المنبر من خشب الساج ملبّسة ذهبا وفضّة، وكان في القبّة سلاسل فضّة، وكان في القبّة وفي البيت خشبة ساج منقوشة طولها ستون ذراعا، يقال لها كعيب، وخشبة من ساج، نحوها في الطول، يقال لها امرأة كعيب، كانوا يتبرّكون بهما في الجاهلية، وكان يقال لكعيب الأجوري، وهو في لسانهم: الحرّ.

وكان أبرهة عند بناء القلّيس قد أخذ العمّال بالعمل أخذا شديدا، وكان قد آلى أن لا تطلع الشمس على عامل لم يضع يده في العمل[7] فيؤتى به[8] إلّا قطع يده. قال: فتخلّف رجل ممن كان يعمل فيه حتى طلعت الشمس، وكانت له أمّ عجوز، فذهب بها معه لتستوهبه من أبرهة، فأتته به وهو بارز للناس، فذكرت له علّة ابنها واستوهبته منه، فقال: لا أكذّب

(١) ج، م، ي: ثابتة.
(٢) ج: بائنا. م، ي: نابتا.
(٣) ج، م، ي: على.
(٤) أ، ج، ر، ن: - وكان عرض حائط القليس.
(٥) أ، ر، م، ن، ي: بالفص.
(٦) في النسخ: منبرا.
(٧) أ، ر، ن: عمله.
(٨) ج، م، ي: - فيؤتى به.

نفسي، ولا أفسد عليّ عمّالي، فأمر بقطع يده، فقالت له أُمّه[1]:

اضرب بمعولك ساعي بهر، اليوم لك وغدا لغيرك، ليس كلّ الدهر لك.

فقال: أدنوها. فقال لها: إنّ هذا الملك ليكون لغيري؟ قالت: نعم.

وكان أبرهة قد أجمع أن يبني القلّيس حتى يظهر على ظهره، فيرى منه بحر عدن، فقال: لا[2] أبني حجرا على حجر بعد يومي هذا، فأعفى الناس من العمل.

قال أبو الوليد: تفسير قولها: ساعي بهر، تقول: اضرب بمعولك ما كان حديدا.

قال ابن إسحق: وانتشر خبر بناء هذا البيت في العرب، وسمع به رجل من النساة أحد بني فقيم، ثمّ من بني مالك بن كنانة، فغضب وخرج حتى أتى القلّيس فدخله، فأحدث فيه[3]، فبلغ ذلك أبرهة، فغضب وقال: لا أنتهي حتى أهدم بيت العرب الذي يحجّون إليه، يعني الكعبة، فتجهّز وساق الفيل إلى البيت الحرام ليهدمه، فكان[4] من شأنه ما ذكرناه في هذا الكتاب.

قال ابن إسحق: ولم يزل القلّيس على ما كان عليه حتى ولّى أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي، اليمن، فذكر للعباس ما في القلّيس من النقض[5] والذهب والفضة، وعظم ذلك عنده، وقيل له: إنّك مصيبٌ فيه مالا كثيرا وكنزا، فتاقت نفسه إلى هدمِه وأخذ ما فيه. فبعث إلى ابن وهب بن منبّه[6] فاستشار في هدمه وقال: إنّ غير واحد من أهل اليمن قد أشاروا عليّ أن لا أهدمه، وعظم عليّ أمر كعيب، وذكر أنّ أهل الجاهلية كانوا يتبرّكون به، وأنّه كان يكلّمهم ويخبرهم بأشياء ممّا يحبّون ويكرهون.

قال ابن وهب: كلّ ما بلغك باطل، وإنما كعيبٌ صنم من أصنام الجاهلية، فُتنوا به، فمر بالدُّهر[7] وهو الطبل، وبمزمار، فليكونا قريبا، ثمّ اعْلُهُ الهدّامين، ثمّ مُرهم بالهدم، فإنّ الدهر والمزمار، أنشط لهم وأطيب لنفوسهم، وأنت مصيب من نقضه مالا، مع أنّك تأخذ بثأر من الفسقة الذين حرّقوا غمدان، وتكون قد محوت عن قومك اسم بناء الحبش، وقطعتَ ذكرهم.

---

(١) ج، م، ي: - أمه.

(٢) أ، ر، ن: لما يا.

(٣) أحدث فيه: تبرّز فيه.

(٤) أ، ر، ن: وكان.

(٥) ج، م، ي: - النقض.

(٦) أ: ابن لوهب بن منبه.

(٧) ج: بالذهل.

وكان بصنعاء يهودي عالم، قال: فجاء قبل ذلك إلى العباس بن الربيع يتقرّب إليه، فقال له: إنّ ملِكا يهدم القلّيس يلي اليمن أربعين سنة، فلمّا اجتمع له مشورة ابن وهب وقول اليهودي، أجمع على هدمه. قال مَن شهد هدمه: أصاب منه العباس مالا عظيما، ثمّ رأيته دعا بالسلاسل فعلّقها في كعيب والخشبة التي معه، فاحتملها الرجال فلم يقربها أحد مخافة لما[1] كان أهل اليمن يقولون فيها. قال[2] فدعا بالورديين وهو العجل، فأعلق فيها السلاسل، ثمّ جذبتها الثيران حتى أبرزها من السور. فلمّا لم ير الناس شيئا مما كانوا يخافون من مضرّتها، اشترى رجل عراقي الخشبة، وقطعها لدار له، واتّفق أنّ العراقي تجذَّم فقال مَن كان في قلبه تعظيم كعيب من جهّالهم: إنما أصابه ما أصابه من أجل شرائه كعيبا. فكان[3] الناس إذا فتّشوا في هدم القلّيس، وجدوا قطع الذهب والفضة. فهذا ما كان من خبر القلّيس.

ومن الإلحاد في الحرم المكي

ما حدّثنا به محمد بن إسماعيل، حدّثنا عبد الرحمن، ثنا أحمد بن علي، ثنا أبوبكر الخطيب، أنا ابن بشران، أنا ابن صفوان، ثنا عبد الله بن محمد القرشي، ثنا إبراهيم بن سعيد، ثنا أبو سلمة مسعر[4]، عن علقمة بن مرثد، قال: بينما رجل يطوف بالبيت إذ برق له ساعدُ امرأة فوضع ساعده على ساعدها يتلذّذ به، فلصقت ساعداهما، فخرجا من الحرم ملتصقين حياءً لما حلّ بهما، فقال لهما بعض العلماء: ارجعا إلى الموضع الذي أصابكما هذا فيه، فتوبا إلى الله، واعزما أن لا تعودا، فرجعا فعاهدا الله، فخلّي[5] عنهما.

ومن باب تعجيل العقوبة

ما كان يحدّثنا به أبو عبد الله بن العاص الباجي المالكي[6] في مناقب مالِك وفضله في العلم، أنّ امرأة غسلت امرأة[7] ماتت، فلمّا غسلت فرجها ضربت الغاسلة بيدها على فرج الميّتة، وقالت: يا فرجُ؛ ما كان أزناك! فلصق يدها بالفرج، فسئل علماء المدينة في ذلك،

---

(١) م، ي: - لما.

(٢) ج، م، ي: - قال.

(٣) أ، ر، ن: وكان.

(٤) أ، ر، ن: أبو أسامة بن مسعر. ج، ي: أبو أسامة مسعر. م: أبو شامة مسعر.

(٥) أ، ر، ن: فخلا.

(٦) أ، ر، ن: + رحمه الله.

(٧) أ، ر، ن: - غسلت امرأة.

ومالكٌ صغيرٌ طالبٌ للعلم، فاختلف علماء المدينة بين تغليب حرمة الميّت على الحيّ، وحرمة الحيّ على الميّت، فمن قائل يقطع يدها، ومن قائل يقطع الفرج، ومالك حاضر فقال: أرى إن سمعتم أن تجلد حدّ الفرية، فإنّه يخلّى عنها، قال: فجُلدت ثمانين جلدة[1]، فانطلق يدها، فمن هناك عرف علماء المدينة فضل مالِك في العلم[2].

وروينا من حديث ابن بأكويه، عن أبي الفضل القطان، عن جعفر الخلدي قال: سمعت الجنيد يقول: حججت على الوحدة فجاورت بمكة، فكنت إذا جنّ الليل دخلتُ الطواف، فإذا بجارية تطوف وهي تقول:

أبى الحبّ أن يخفى وكم قد كتمتُه ... فأصبح عندي قد أناخ وطنّبا
إذا اشتدّ شوقي هام قلبي بذكره ... وأن رمت قربا من حبيبي تقرَّبا
ويبدو فأفنى ثمّ أحيا به له ... ويسعدني حتى ألذّ وأطربا

قال: فقلت لها[3]: يا جارية؛ أما تتّقين الله[4] في هذا المكان؟ تتكلّمين بهذا الكلام! فالتفتتْ إليّ وقالت: يا جنيد..

لولا التّقى لم ترني ... أهجر طيب الوسنِ
إنّ التّقى شرّدني ... كما ترى عن وطني
أفرّ من وجدي به ... فحبّه هيّمني

ثمّ قالت: يا جنيد؛ تطوف بالبيت أم بربّ البيت؟ قلت: أطوف بالبيت. فرفعتْ رأسها إلى السماء وقالت: سبحانك ما أعظم مشيئتك في خلقك، خلقٌ كالأحجار[5] يطوفون بالأحجار، ثمّ أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربة ... إليك وهم أقسى قلوبا من الصخرِ
وتاهوا فلم يدروا مِن التيه مَن هم ... وحلّوا محلّ القرب في باطن الفكرِ
فلو أخلصوا في الودّ غابت صفاتهم ... وقامت صفات الودّ للحقّ في الذكرِ

قال الجنيد: فغشي عليّ من قولها، فلمّا أفقت لم أرها.

---

(١) أ، ر، ن: - جلدة.
(٢) ج: فمن هناك علم فضله في العلم. م، ي: فمن هناك علم فضل مالك في العلم.
(٣) ج، م، ي: - لها.
(٤) أ، ر، ن: + تعالى.
(٥) ج، م، ي: - كالأحجار.

* * *

قلت: كنت ليلة في الطواف، فطلبتُ قلبي فلم أجده، فجهدتُ أن أجده فلم أجده، فصعبَ عليّ طواف جسمي بقلب غير حاضر، وداخلني خوف، فنزلت أطوف في الرمل وحدي، وأقول وأبكي:

جسم يطوف وقلب ليس بالطائف ذات تصدُّ وذات ما لها صارفْ
هيهات هيهات ما اسم الزور يعجبني قلبي له من خفايا مكرِهِ خائفْ

ثمّ وجدتُ لمحة برقتْ، فدنوت من البيت وأنا أقول:

أطوف على طوافي بالمعاني[1]

فهتف بي هاتف خلف الستر يقول:

فغايتك الوصول إلى الغواني

فقلت:

فكم من طائف ما نال إلّا

فقال:

ملاحظة من الحور الحسانِ

فقلت:

وكم من طائف ما نال إلّا

فقال:

عيانًا في عيانٍ من عيانِ

فقلت:

فأنبئني بحظّي منه واصدُقْ

فقال:

كيان في كيانٍ من كيانِ

فقلت:

فقد أودعته التوحيد عقدًا وكان يمينه بذل[2] الجنانِ

---

(١) م، ر، ن، ي: بالمغاني.
(٢) في النسخ: بدل.

فقال:

وربّ الراقصات[1] بقاع سلع وربّ مثالث تتلو المثاني
لقد عاينته كالسلك فيه فأبشر بالقبول وبالأمانِ

ولأبي عبد الله محمد بن أحمد الشيرازي:

إليك قصدي لا للبيت والأثرِ ولا طوافي بأركان ولا حجرِ
صفاء دمعي[2] الصفالي حين أعبره وزمزمي دمعة تجري من البصرِ
وفيك سعيي وتعميري ومزدلفي والهدي جسمي الذي يغني عن الجُزرِ
عرفانه عرفاتي إذ منى منن وموقفي وقفة في الخوف والحذرِ
وجمر قلبي جمار نبذها شرري[3] والحرم تحريمي الدنيا عن الفكرِ
ومسجد الخيف خوفي عن تباعدكم ومشعري ومقامي دونكم خطري
زادي رجائي له والشوق راحلتي والماء من عبراتي والهوى سفري

واقعة لبعض الفقراء

حدّثنا عبد الله بن الأستاذ المورووري، قال: رأى بعض الفقراء من أصحابنا في واقعته كأنّ أبا مدين جالس وعلى رأسه ألوية مركوزة، وإذا بشخص عليه مسح من شعر، فسلّم عليه، ثمّ قال: جئتُ أسألك عن الروح وما سِرّه؟ فقال له الشيخ: السرّ هو الحقيقة لا تخلى عنه خليقة ولا دقيقة، هو مادة الله في الوجود، يأتي من عين اللطف والجود، محرّك للحركات[4]، ومجمِّد للجمادات، ومنتشر في النباتات، عنصره النور الإلهي، ومنبعها السرّ الخفي، به قام[5] الوجود إلى أمد، وبه رفع السماوات بغير عمد، فهو العَمد الذي هم عنه عمون، وإنما يراه المبصِرون الذين هم به ينظرون، وبه يسمعون، وبه يتقلّبون[6].

ثمّ قال الشيخ: يا من خلق الخلق أطوارا، وأنطَقهم سِرّا وجهارا، وبصّرهم في نفوسهم فكرة واعتبارا، قوم نُبّهوا فانتبهوا، وقوم أُغفلوا فبقوا حيارى. ثمّ قال: إذا عرفك به أمدّ سرّك

(١) أ، ر، ن: الرافضات.
(٢) م، ي: دمع.
(٣) أ، ر، ن: شرر.
(٤) أ، ر، ن: للمحركات.
(٥) ج، ي: أقام.
(٦) م، ي: ينقلبون.

من سرّه، فكنت قريبا بقربه، ومنعّما في قُدسه، وكشف لك عن وجهه، فنظرتَ جماله به، فالفروع راجعة إلى الأصول، منها ظهرتْ، ومنها أثمرت، فكلّ فرع هو أصله، وكلّ مفترق فهو جمعه.

وروينا من حديث محمد بن سلامة، عن الحسن بن محمد بن ميمون[١] عن علي بن عمر الدار قطني، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن أسد، عن محمد بن عبد الملك بن زنجويه، عن عمر بن طارق، عن يحيى بن أيوب، عن عيسى بن موسى بن أياس بن بكير، أنّ صفوان بن سليم حدّثه، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال[٢]: «اطلبوا الخير دهركم، وتعرّضوا لنفحات رحمة الله، فإنّ لله ﷻ نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمّن روعاتكم».

خبر ذي الأكتاف كسرى مع ساطرون

روينا من حديث ابن هشام[٣]، عن خلاد قرّة بن خلاد السدوسي، عن جناد، قال: كان كسرى سابور ذو الأكتاف، غزا ساطرون ملك الحَضْرَ -حصن بشاطئ الفرات- فحصره سنتين، فأشرفت بنت ساطرون يوما، فنظرت إلى سابور، وعليه ثياب ديباج، وعلى رأسه تاج من ذهب مكلّل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ، وكان جميلا، فدسّتْ إليه: أتتزوّجني إن فتحتُ لك باب الحضْر[٤]؟ قال: نعم. فلمّا أمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلّا سكرانا[٥]، فأخذت مفاتيح باب الحَضْر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مولى لها، ففتح الباب، فدخل سابور، فقتل ساطرون، واستباح الحضْر وخرّبه، وسار بها معه، فتزوّجها، فبينا هي نائمة على فراشها ليلا، إذ جعلت تتململ[٦] لا تنام، فدعى لها بالشمع، ففتّش فراشها فوجد عليه ورقة آس، فقال لها سابور: أهذا الذي أسهرك؟ قالت: نعم. قال: فما كان أبوك يصنع بك[٧]؟ قالت: كان يفرش لي الديباج، ويُلبسني الحرير، ويطعمني المخ،

---

(١) ج، م، ي: الحسن بن ميمون.
(٢) ج، م، ي: - قال.
(٣) أ، ج، ر، ن: ابن هاشم.
(٤) ج، م، ي: الحصن.
(٥) أ، ج، ر، ن، ي: سكران.
(٦) أ، ر، م، ن: تململ.
(٧) م، ي: لك.

ويسقيني الخمر. قال: أفكان جزاء أبيك ما صنعتِ به أنت؟ إليّ بذلك أسرع. ثمّ أمر بها، فربطت قرون رأسها بذنب فرس، ثمّ ركض الفرس حتى قتلها. وفي ذلك يقول عدي بن زيد:

والحضْر صابت عليه داهية ... من فوقه أيد[1] مناكبها
ربية[2] لم توق والدها ... لحينه إذ أضاع راقبها
إذ غبَّقته صهباء صافية ... والخمر وهل يهيم شاربها
وأسلمت أهلها بليلتها ... تظنّ أنّ الرئيس خاطبها
فكان حظّ العروس إذ جشروا ... الصبح[3] دماء تجري سباسبها
وخرّب الحضْرَ واستبيح وقد ... أحرق في خدرها مشاجبها

ومن قِيله في الحَضْر موعظة

والحَضْرُ بلد قديم بين الموصل والفرات، ونهر[4] الثرثار، وهي:

وأخو الحضْر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تجيء إليه والخابورُ
شاده مرمرا وجلّله كلـ ... ـسًا فللطير في ذراه وكورُ
لم يهبه ريب المنون فباد الـ ... ـمُلك عنه فبابه مهجورُ

* * *

وقرأت على باب مدينة الزهراء الذي صورتها فيه بعد خرابها، فهي اليوم مأوى الطير والوحش[5]، وبناءُ بنيانها عجيب في بلد الأندلس[6]، قريب من قرطبة[7]، أبياتا تذكّر العاقل، وتنبّه الغافل:

ديار بأكناف المغيب تلمّع ... وما إن بها من ساكن وهي بلقع
تنوح عليها الطير من كلّ جانب ... فتصمت أحيانا وحينا ترجّع
فخاطبتُ منها طائرا متفرّدا ... له شجن في القلب وهو مروَّع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي ... فقال على دهر مضى ليس يرجع

---

(١) ج: أبدت. م، ي: أيدي.
(٢) أ، ن: رتبة. ج، م: ريبة.
(٣) ج: نصبح. م، ي: لصبح.
(٤) أ، ر، ن: ونهره.
(٥) أ، ر، ن: والوحوش.
(٦) م، ي: أندلس.
(٧) أ، ر، ن: - في بلد الأندلس قريب من قرطبة.

أخبرني بعض مشيخة قرطبة، عن سبب بنيان المدينة الزهراء، فقال: إنّ عبد الرحمن أحد خلفاء بني أميّة بقرطبة ماتت سُرِيّة له، فتركت مالا كثيرا، فأمر الخليفة أن يُفْتَكَّ بذلك المال أسرى، فطلب في بلد الإفرنج بالأندلس[1] أسيرا فلم يوجد، فشكر الله على ذلك. فقالت له الزهراء: اشتهيتُ لو بنيتَ لي به[2] مدينة تسمّيها[3] باسمي، تكون خاصّة لي.

فبناها تحت جبل العروس من[4] قِبلة الجبل وشمال قرطبة، وبينها وبين قرطبة اليوم قدر ثلاثة أميال أو دون ذلك، وأتقن بناءها، وأحكمه، وأتقن الصنعة فيه. وقد ذكر تاريخها ابن حيّان، وجعلها متنزّها له[5] ومسكنا للزهراء، وحاشية أرباب دولته، ونقش صورتها على الباب. فلمّا قعدت الزهراء في مجلسها على الجبل الأسود عليها فنظرت إلى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل الأسود، قالت: يا سيّدي؛ ألا ترى إلى هذه الجارية الحسناء في حجر هذا الزنجي؟ فأمر بزوال الجبل، فقال بعض جلسائه: أعيذ أمير المؤمنين من أن يخطر له ما يشين العقل بسماعه، لو اجتمع الخلق وعمر الدنيا معهم ما أزالوه حفرا[6] ولا قطعا، ولا يزيله إلّا من أنشأه، فأمر بقطع شجره، وغرَسَه تينا ولوزا، فلم يكن منظر أحسن منها، ولا سيما في زمن الإزهار وفتح الأشجار، وهي بين الجبل والسهل.

تذكّرتُ أحبابي، ورَسْمَ ديارهم فقلت

دَرَستْ ربوعهم وإنّ هواهمُ ... أبدًا جديدٌ بالحشا لا يدرسُ
هذي طلولهم وهذي الأدمُع[7] ... ولذكرها أبدا تذوب الأنفسُ
ناديتُ خلف ركابهم مِن حُبِّهم ... يا من غِناه الحسن ها أنا مفلسُ
مرّغتُ خدّي رقّة وصبابة ... فبحقّ حقّ هواكم لا تؤيسوا
مَن ظلّ في عبراته غَرِقا وفي ... نار الأسى حَرِقا ولا متنفّسُ
يا موقد النار الرويدا هذه ... نار الصبابة شأنكم فلتقبسوا

(١) ج، م، ي: - بالأندلس.
(٢) ج، م، ي: - به.
(٣) ج، ي: سمّيتها.
(٤) أ، ر، ن: في.
(٥) ج، م، ي: - له.
(٦) أ، ر، ن: جفرا.
(٧) ج: أدمعي. م، ي: الأربع.

ولنا من اللطائف العرفانية والإشارات

ألا يا ثرى نجد تباركت من نجدِ سقتكَ سحاب المزن جودا على جودِ
وحيّاك من أحياك خمسين حجة بعودٍ على بدء وبدءٍ على عودِ
قطعت إليها كلّ قفر ومهمهٍ على الناقة الكوماء والجَمل العَودِ[1]
إلى أن تراءى البرق من جانب الغضى وقد زادني مسراه وجدا على[2] وجدِ

أردت بـ"ثرى نجد" مركب العقل، و"سحاب"[3] المعارف تسقيه علما على علم، و"خمسين[4] حجة" عمر المركب في هذا الوقت، و"التحيّة" سلام الحقّ عليه مردّدا بلطائف التحف، والإشارة بـ"إليها" الحضرة، و"القفر والمهمه" الرياضة النفسيّة والمجاهدة البدنيّة، و"الناقة الكوماء" الشريعة، و"العَود" العقل المجرّب[5] المحنّك، و"البرق" المطلوب، و"الغضى" الإشراق النوراني، و"مسراه" لمعانه من جانب الكون، فإنّ السرى لا يكون إلّا ليلا، والكونُ ليلٌ.

حدّثنا محمد بن قاسم، ثنا أبو الطاهر أحمد بن محمد، عن أبي نصر بن علي عن أحمد بن الحسن عن أبيه عن محمد بن الحسن، عن الشاذكوني[6]، عن النعمان بن عبد السلام، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحق، عن أبي بردة، عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبّوا الدنيا، فنعمت مطيّة المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشر، إذا قال العبد: لعن الله الدنيا، قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربّه».

بناءُ ابن الزبير الكعبة وسببه

روينا من حديث الأزرقي، قال: حدّثني جدّي أحمد بن محمد، عن سليم بن مسلم، عن ابن جريج، قال: سمعت غير واحد من أهل العلم ممن حضر ابن الزبير حين هدم الكعبة وبناها، قالوا: لمّا أبطأ عبد الله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية، وتخلّف وخشي منهم، لحق بمكة ليمتنع بالحرم، وجمع مواليه، وجعل يُظهر عيب يزيد بن معاوية، ويذكر أنّه لا يصلح

---

(١) الناقة الكوماء: الطويلة السنام. الجمل العَود: الكبير المجرّب.
(٢) أ، ر، ن: إلى.
(٣) جميع النسخ عدا ج: سحائب.
(٤) جميع النسخ عدا ج: وخمسون.
(٥) ج، م، ي: المجرد.
(٦) اختلف رواة النسخ ج، م، ي وكانت كما يلي: "ثنا أبو الطاهر أحمد بن الحسن عن أبيه محمد بن الحسن عن الشاذكوني".

للخلافة لما هو عليه من الفسوق، ويثبّط الناس عنه، ويجمع الناس إليه، فيقوم فيهم بين الأنام[1]، فيذكر مساوئ بني أميّة، وقد كان رسول الله ﷺ ذكر فيهم فيما رويناه أنّهم من شرّ الملوك. فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فأقسم أن لا يؤتى به إلّا مغلولا، وأرسل إليه رجلا من أهل الشام في خيلٍ من خيل الشام، فعظَّم على ابن الزبير الفتنة، وقال: لا يستحلّ الحرم بسببك، فإنّه غير تاركك، ولا تقوى[2] عليه، وقد لج في أمرك، فأقسم أن لا يؤتى بك إلّا مغلولا، وقد عمل لك غلّا من فضة، وتلبس فوقه الثياب، وتبرّ قسم أمير المؤمنين، فالصلح خير عاقبة، وأجمل بك وبه.

فقال: دعوني أيّاما حتى أنظر في أمري، فشاور أمّه أسماء بنت أبي بكر الصديق في ذلك، فأبت عليه أن يذهب مغلولا، وقالت: يا بنيّ؛ عش كريما ومت كريما، ولا تمكّن بني أميّة من نفسك، فتلعب بك، فالموت أحسن من هذا. فأبى[3] أن يذهب إليه في غلّ، وامتنع في مواليه ومن يألف إليه من أهل مكة وغيرهم، فكان يقال لهم الزبيرية.

فبينما يزيد على بعثِه الجيوش إليه، إذ أتى يزيد خبر المدينة بما فعل أهلها بعمّاله، وبمن كان بالمدينة من بني أميّة، وإخراجهم إيّاهم منها إلّا ما كان من ولد عثمان بن عفان، فجهّز إليهم مسلم بن عقبة المزني في أهل الشام، وأمره بقتال أهل المدينة، فإذا فرغ من ذلك سار إلى ابن الزبير بمكة، وكان مسلم مريضا، في بطنه الماء الأصفر، فقال له يزيد: إن حدث بك حدث الموت، فولّ الحصين بن نمير الكندي على جيشك، فسار حتى قدم المدينة، فقاتلوه، فظفر بهم ودخلها، وقتل من قتل منهم، وأسرف في القتل، فسمّي بذلك مسرفا، وأنهبَ المدينة ثلاثا. ثمّ سار إلى مكة.

فلمّا كان في بعض الطريق حضرته الوفاة، فدعا الحصين بن نمير فقال: يا برذعة الحمار؛ لولا أنّي أكره أن أتزوّد عند الموت معصية أمير المؤمنين، ما ولّيتك! انظر إذا قدمت مكة فاحذر أن تمكّن قريشا من أذنك فتبول فيها، لا يكن إلّا الوقاف، ثمّ الثقاف، ثمّ الانصراف[4]، فتوفّي مسلم، ومضى الحصين بن نمير إلى مكة، فقاتل بها ابن الزبير أيّاما، وجمع ابن الزبير (أنصاره)، فتحصّن بهم في المسجد الحرام وحول الكعبة، وضرب أصحاب ابن الزبير في

---

(١) ج، ر، ن: الأيام.

(٢) ج، ر، ن، ي: يقوى.

(٣) أ، ر، ن: + عليه.

(٤) المقصود؛ الموافقة في الحرب، ثم المناجزة بالسيوف، ثم الانصراف عنها.

المسجد الحرام خياما ورفافا[1] يكتنون فيها من حجارة المنجنيق، ويستظلّون فيها من الشمس، وكان الحصين بن نمير قد نصب لهم المنجنيق على أبي قبيس، وعلى الأحمر، وهما أخشبا[2] مكة، فكان يرميهم بها فتصيب الحجارةُ الكعبةَ حتى تخرّقت كسوتها عليها، فصارت كأنّها جيوب النساء.

فوهّنَ الرميُ بالمنجنيقِ الكعبةَ، فذهب رجل من أصحاب ابن الزبير يوقد نارا في بعض تلك الخيام، ممّا يلي الصفا بين الركن الأسود[3] واليماني، والمسجد يومئذ ضيّق صغير، فطارت شرارة في الخيمة فاحترقت. وكانت في ذلك اليوم رياح شديدة، والكعبة يومئذ مبنيّة بناء قريش: مدماك من ساج، ومدماك من حجارة، من أسفلها إلى أعلاها، فأطارت الرياح لهب تلك النار فاحترقت[4] كسوة الكعبة، فاحترق الساج الذي بين البناء. وكان احتراقها يوم السبت ثالث[5] شهر ربيع الأوّل قبل أن يأتي نعي يزيد بن معاوية بسبعة وعشرين يوما، وجاء نعيه في هلال شهر ربيع الآخر ليلة الثلاثاء سنة أربع وستين. وكان توفّي لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين. وكانت خلافته ثلاث سنين وسبعة أشهر.

فلمّا احترقت الكعبة، واحترق الركن الأسود وتصدّع، كان ابن الزبير بعد ربطه بالفضة فضعفت جدران الكعبة، حتى أنّها ليقع الحمام عليها فتتناثر حجارتها، ففزع لذلك أهل مكة وأهل[6] الشام جميعا. والحصين بن نمير مقيم يحاصر ابن الزبير، فأرسل ابن الزبير رجالا من أهل مكة[7] من قريش وغيرهم، فيهم عبد الله بن خالد، ورجالا[8] من بني أميّة، إلى الحصين، فكلّموه وعظّموا عليه ما أصاب الكعبة، وقالوا: إنّ ذلك كان منكم، رميتموها بالنفط، فأنكروا ذلك، وقالوا[9]: قد توفّي أمير المؤمنين، فعلى ماذا تقاتل؟ ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يجمع عليه رأي صاحبك، يعنون معاوية بن يزيد، وهل يجتمع الناس عليه؟ فلم يزالوا به حتى

---

(١) الرفاف: صفائح من حجارة.
(٢) الأخشب: الجبل.
(٣) ج، م، ي: - الأسود.
(٤) أ، ر، ن: فأحرقت.
(٥) أ، ر، ن: لثلاث خلون من.
(٦) ج، م، ي: - أهل.
(٧) ج، م: - من أهل مكة. ي: - مكة.
(٨) النسخ عدا ج: ورجال.
(٩) أ، ر، ن: فقال.

لانَ لهم. وقال له خالد بن عبد الله بن أسيد: تراك تتّهمني في يزيد، ولم يزالوا به[1] حتى رجع إلى الشام.

فلمّا أدبر جيش الحصين بن نمير، وكان خروجه من مكة لخمس ليال خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، دعا ابن الزبير وجوهَ الناس وأشرافهم، فشاورهم في هدم الكعبة، فأشار[2] عليه ناس غير كثير بهدمها. وقال عبد الله بن عباس: دعها على ما أقرّها عليه رسول الله ﷺ فإنّي أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها، فلا تزال تُهدم وتُبنى، فيُتهاون بحرمتها، ولكن ارقعها[3]. فقال ابن الزبير: واللهِ[4] ما يرضى أحدكم أن يرقّع[5] بيت أبيه وأمّه، فكيف أرقّع[6] بيت الله، وأنا أنظر إليه على ما ترون من الوهن؟ وكان ممن أشار بهدمها: جابر بن عبد الله، وعبيد بن عمير، وعبد الله بن صفوان بن أميّة.

ثمّ أجمع ابن الزبير رأيه على هدمها، وكان يحبّ أن يكون هو الذي يردّها على ما قال رسول الله ﷺ على قواعد إبراهيم، وعلى ما وصف رسول الله ﷺ لعائشة. فأراد أن يبنيها بالورس[7]، ويرسل إلى اليمن في ورس يشترى له، فقيل له: إنّ الورس يذهب، لكن ابنِها بالقصّة[8]. فسأل عن القصّة، فأُخبر أنّ قصّة صنعاء هي أجود القصّة، فأرسل إلى صنعاء بأربعمائة دينار ليشترى له بها[9] قصّة، ويُكترى عليها. ثمّ سأل رجالا[10] من أهل العلم[11] من أهل مكة: من أين أخذتْ قريش حجارتها؟ فأخبروه، فنقل له من الحجارة قدر ما يحتاج إليه.

فلمّا أراد هدمها خرج أهلُ مكة منها[12] إلى منى، فأقاموا بها ثلاثا، فَرَقًا من أن ينزل

---

(١) ج، م، ي: - ولم يزالوا به.
(٢) ج، م، ي: فأشاروا.
(٣) أ، ر، ن: ارفعها.
(٤) ج، م، ي: - والله.
(٥) أ، ر، ن، ي: يرفع.
(٦) أ، ر، ن، ي: أرفع.
(٧) الوَرْس شيء أحمر قاني يُشبه سَحيق الزعفران وهو مجلوب من اليمنِ ويقال إنه يَنحَتُّ من أشجاره.
(٨) القصّة: الجص. ج، م: بالفضة.
(٩) ج، م، ي: - بها.
(١٠) ج، م، ي: رجلا.
(١١) ج، م، ي: - من أهل العلم.
(١٢) ج، ي: - منها.

عليهم عذابٌ لهدمها، فأمر ابن الزبير بهدمها، فما اجترأ على ذلك أحد. فلمّا رأى ذلك عَلاها هو بنفسه، وأخذ المعول وجعل يهدمها ويرمي بحجارتها[1]. فلمّا رأوه أنّه لم يصبه شيء، اجترءوا فصعدوا وهدموا. وأرقى ابن الزبير فوقها[2] عبيدا من الحبش يهدمونها، رجاءَ أن يكون فيهم صفة الحبشي الذي قال رسول الله ﷺ أنّه يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة.

قال؛ وقال مجاهد: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: كأنّي به أصيلع أفيدع قائم عليها يهدمها بمسحاته.

قال مجاهد: فلمّا هدم ابن الزبير الكعبة، جئت أنظر الصفة التي قال عبد الله بن عمرو، فلم أرَها. فهدموا وأعانهم الناس حتى ألصقها كلّها بالأرض من جوانبها. وكان هدمها يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة أربع وستين.

ولم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت الكعبة حتى فرغ منها. وأرسل إلى ابن الزبير: لا تَدَع الناس بغير قِبلة، انصب لهم حول الكعبة الخشب، واجعل عليها الستور حتى يطوف الناس من ورائها ويصلّوا إليها، ففعل ذلك ابن الزبير، وقال ابن الزبير: أشهدُ لسمعتُ عائشة تقول: قال رسول الله ﷺ: «إنّ قومَكِ استقصروا في بناء البيت، وعجزت بهم النفقة فتركوا في الحِجر منها[3] أذرعا، ولولا حداثة قومك بالكفر لهدمتُ الكعبة، وأعدتُ ما تركوا منها، ولجعلتُ لها بابين موضوعين بالأرض: بابا شرقيّا يدخل منه الناس، وبابا غربيّا يخرج منه الناس، وهل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها[4]؟ قالت: قلت: لا. قال: تعزُّزا لئلّا يدخلها إلّا من أرادوا. فكان الرجل إذا كرهوا أن يدخلها يدَعونه يرتقي حتى إذا كان يدخل دفعوه فسقط، فإن بدا لقومك هدمها، فهلّمي لأريك ما تركوا في الحِجر منها، فأراها قريبا من سبعة[5] أذرع».

فلمّا هدم ابن الزبير الكعبة وسوّاها في الأرض، كشف[6] عن أساس إبراهيم، فوجده[7]

---

(١) أ، ر، ن: بحجارها.

(٢) ج، ي: فوقه.

(٣) أ، ر، ن: منه.

(٤) ج، م، ي: - بابها.

(٥) النسخ عدا ج: سبع.

(٦) أ، ر، ن: وكشف.

(٧) ج، م، ي: فوجدوه.

داخلا في الحِجر نحوا من ستة أذرع وشبر[1]، كأنّها أعناق الإبل، آخِذٌ بعضها بعضا كتشبيك الأصابع[2] بعضها ببعض، تحرّك الحجر من القواعد فتحرّك الأركان كلّها. فدعا ابن الزبير خمسين رجلا من وجوه الناس وأشرافهم، فأشهدهم على ذلك الأساس، قال: فأدخل رجل من القوم كان أيِّدًا يقال له عبد الله بن مطيع العدوي[3] عتلةً كانت في يده في ركن من أركان البيت، فتزعزعت الأركان كلّها جميعا.

ويقال أنّ مكة رجفتْ رجفةً شديدة حين زعزع الأساس، وخاف الناس خوفا شديدا حتى ندم كلّ من كان أشار على ابن الزبير بهدمها، وأعظموا ذلك إعظاما شديدا، وسقط في أيديهم. فقال لهم ابن الزبير: اشهدوا! ثمّ وضع البناء على ذلك الأساس، ووضع حذات الباب، باب الكعبة، على مدماك على الشاذروان اللاصق بالأرض، وجعل الباب الآخر بإزائه في ظهر الكعبة مقابله، وجعل عتبته على الحجر[4] الأخضر الطويل الذي في الشاذروان الذي في ظهر الكعبة قريبا من الركن[5] اليماني، وكان البُناة يبنون من وراء الستر، والناس يطوفون من خارج.

فلمّا ارتفع البنيان إلى موضع الركن، وكان ابن الزبير حين هدم البيت[6] جعل الركن[7] في ديباجة، وأدخله في تابوت، وأقفل عليه، ووضعه عنده في دار الندوة، وعمد إلى ما كان في الكعبة من حلية، فوضعه في خزانة الكعبة في دار شيبة بن عثمان. فلمّا بلغ البنيان موضع الركن[8]، أمر ابن الزبير بموضعه، فنقر في حجرين: حجر من المدماك الذي تحته، وحجر من المدماك الذي فوقه، بقدر الركن، وطوّق بينهما، فلمّا فرغوا منه أمر ابن الزبير ابنه عباد بن عبد الله بن الزبير، وجبير بن شيبة بن عثمان، أن يجعلوا الركن في ثوب، وقال لهم ابن الزبير: إذا دخلتُ في الصلاة، صلاة الظهر، فاحملوه واجعلوه في موضعه، فأنا أُطوّل الصلاة، فإذا فرغتم فكبِّروا حتى أخفّف صلاتي، وكان ذلك في حرّ شديد.

---

(١) ج، م، ي: وشبرا.
(٢) ج، م، ي: - بعضها بعضا كتشبيك الأصابع.
(٣) ج، م، ي: - العدوي.
(٤) ج، م، ي: - الحجر.
(٥) أ، ر، ن: ركن.
(٦) ج، م، ي: الكعبة.
(٧) المقصود بالركن الحجر الأسود.
(٨) ج، م، ي: + اليماني.

فلمّا أقيمت الصلاة، كبّر ابن الزبير وصلّى بهم ركعتين، خرج عباد بالركن من دار الندوة وهو يحمله ومعه جبير بن شيبة بن عثمان، ودار الندوة يومئذ قريب من الكعبة، فخرقا به الصفوف حتى أدخلاه في الستر الذي دون البناء، فكان الذي وضعه في موضعه هذا عباد بن عبد الله بن الزبير[١]، وأعانه عليه جبير بن شيبة، فلمّا أقرّوه في موضعه، وطوبق عليه الحَجران، كبّروا، فأخفّ ابن الزبير صلاتَه، وتسامع الناس بذلك، وغضب فيه رجال من قريش، حيث لم يحضرهم ابن الزبير بذلك، وقالوا: واللهِ لقد رفع في الجاهلية حين بَنَته[٢] قريش، فحكّموا فيه أوّل من يدخل عليهم من باب المسجد، فدخل[٣] رسول الله ﷺ فجعله في ردائه، ودعا رسول الله ﷺ من كلّ قبيلة من قريش رجلا، فأخذوا بأركان الثوب، ثمّ وضعه رسول الله ﷺ في موضعه. وكان الركن قد تصدّع من الحريق ثلاث فرق، وانشظّت منه شظيّة كانت عند بعض آل شيبة بعد ذلك بدهر طويل، فشدّه ابن الزبير بالفضة إلّا تلك الشظية من أعلاه، موضعها بَيِّنٌ بأعلى[٤] الركن.

ولمّا بلغ ابن الزبير بالبناء ثمانية عشر ذراعا قصُرت لحال الزيادة التي زاد من الحِجر فيها، واستسمج ذلك، إذ صارت عريضة لا طول لها، فقال: قد كانت قبل قريش تسعة أذرع حتى زادت قريش فيها تسعة[٥] أذرع طولا في السماء، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى[٦]، فبناها سبعا وعشرين ذراعا، وجعل[٧] فيها ثلاث دعائم، فأرسل ابن الزبير إلى صنعاء، فأتي من رخام بها يقال له البلق[٨]، فجعله في الروازن[٩] التي في سقفها للضوء.

وجعل الباب مصراعين، وكان في بناء قريش مصراعا واحدا، وجعل ميزابها في الحِجر، فلمّا فرغ منها خلّقها من داخلها وخارجها، من أعلاها إلى أسفلها، وكساها القَباطي[١٠]، وقال: مَن كانت لي عليه طاعة فليخرج، فليعتمر من التنعيم، ومن قدر أن ينحر بَدنة فليفعل، ومن

---

(١) ج، م، ي: - بن الزبير.
(٢) ج، ر، م، ي: فتنة.
(٣) أ، ر، ن: فطلع.
(٤) أ، ر، ن: في أعلى.
(٥) أ، ر، ن، ي: تسع.
(٦) أ، ر، ن: - طولا في السماء، فأنا أزيد فيها تسعة أذرع أخرى.
(٧) ج، م، ي: - وجعل.
(٨) م، ي: الأبلق.
(٩) الروازن: جمع روزن، وهو الكوّة (معرّب).
(١٠) القَبَاطيّ: ثيابٌ بيض دقيقة رقيقة تُتَّخذ بمصرِ الواحدُ (قُبطِيٌّ) بالضمِ نُسبتْ إلى القِبْطِ.

لم يقدر على بدنة فليذبح شاة، فمن لم يقدر فليتصدّق بقدر طَولِه. وخرج ماشيا، وخرج الناس معه مشاة حتى اعتمروا[1] من التنعيم شكرا لله. ولم يُرَ يوما كان أكثر عتيقا ولا أكثر بَدنة منحورة، ولا شاة مذبوحة، ولا صدقة من ذلك اليوم[2]. ونحر ابن الزبير مائة بَدنة.

فهذه هي العمرة التي يعتمرها الناس اليوم في السابع والعشرين من رجب التي يسمّونها عمرة الأكمه.

وما زال البيت على حاله إلى أن قَتل الحجاجُ ابنَ الزبير، فاستأذن الحجاجُ عبد الملك فيما أحدثه ابن الزبير في البيت، فكتب إليه عبد الملك أن يهدم الجانب الذي يلي الحِجر خاصة، ويكبس البيت به، ويغلق الباب الغربي، ويرفع الباب الشرقي إلى حدّه الأوّل. ففعل ذلك، فبلغ عبد الملك أنّ الذي فعله ابن الزبير على حديث عائشة صحيح، حدّثه به الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أنّه سمع هذا من رسول الله ﷺ. فقال عبد الملك: وددتُ واللهِ أنّي كنت تركت ابن الزبير وما[3] تحمّل من ذلك.

سماع العارف على قول القائل

هيّجتني إلى الحجونِ شجونُ ... ليته[4] قد بدا لعيني الحجونُ
حلّ في القلب ساكنوه محلّا ... من فؤادي يحلّ فيه المكينُ
كلّ داء له دواءٌ وداءُ الـ ... ـحبّ يا صاح[5] داء دفينُ
ليت شعري عمّن أحبّ أيُمْسِي ... عند ذكري كما أكون يكونُ

"الحجون": العطف الإلهي على القلوب المتعلّقة به المتواصلة الأحزان له، وقوله: "حلّ في القلب" بيّن به[6]، قوله تعالى: «وسعني قلب عبدي المؤمن[7]» تطلُّع على تلك السعة ليس إلّا، قوله: "كما أكون يكون" قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[8] «ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي». وهذا باب واسع في الشريعة.

---

(١) ج، م، ي: اعتمر.
(٢) أ، ر، م، ن، ي: - اليوم.
(٣) أ، ر، ن: ومما.
(٤) ج، م، ي: ليلة.
(٥) أ، ج، ر: يا صاحبي.
(٦) أ، ر، م، ن: تنزيه.
(٧) أ، ر، ن، ي: - المؤمن.
(٨) [البقرة: ١٥٢]

وسماعنا على قول قيس المجنون أيضا

ألا حبّذا[1] نجدٌ وطيبُ ترابِهِ وأرواحُهُ إن كان نجدٌ على العهدِ
ألا ليت شعري عن عوارضتي قبا[2] بطول الليالي هل تغيّرتا بعدي
وعن جارتينا بالأثيل إلى الحمى على عهدنا أم لم يدوما على العهدِ
وعن أقحوان الرمل ما هو صانع إذا هو أثرى ليلة بثرى جعدِ[3]

يقول: "ألا حبّذا" المراتب العليا ورفارفها وأرواحها إن كان "نجد" ما يناسبها منّي ممن أخذ عليها العهد هنالك[4]، فليس "نجد" الأوّل هو الثاني، و"عُوارضتي قبا[5]" موضع القدمين من الكرسي والقوّتين من النفس، "هل تغيّرتا بعدي" لتغيّري؟ فإنّهما بصفتي يقابلاني إلّا أن يمنّ فضلا بغير ذلك، و"الجارتان": القوّتان بلا شك، و"الأثيل": الأصل الذي مرجعهما إليه، و"الحمى": مقام العزّة والمنع، "على عهدنا أم لم يدوما على العهد": «إنما هي أعمالكم تردّ عليكم»، وشُغل أقحوان الرمل: ما تُنبته من المعرفة في الشجرة الإنسانية.

وسماعنا على قول الشريف الرضي

يا قلب ما أنت من نجدٍ وساكنِهِ خلّفتَ نجدًا وراء المدلِجِ الساري
أهفو إلى الركب تعلو[6] لي ركائبهم من الحمى في أسيحاق[7] وأطمار
تفوح أرواح نجد من ثيابِهِمُ عند النزول لقرب العهد بالدار
يا راكبان قفا لي فاقضيا وطري وخبّرانِيَ عن نجدٍ بأخبارِ
هل رُوِّضتْ قاعةُ الوعساء أم مُطِرتْ خميلةُ الطلح ذاتِ البان والغار
أم هل أبيتُ ودارٌ عند كاظمةٍ داري وسُمّارُ ذاك الحيّ سُمّاري
فلم يزالا إلى أن نمّ[8] بي نفَسي وحدّث الركبَ عنّي دمعي الجاري

السماع في ذلك:

---

(١) م، ي: يا حبذا.
(٢) أ، ر، ن: قنا.
(٣) ج، م، ي: نجد.
(٤) ج، م، ي: - هنالك.
(٥) أ، ر، ن: قنا.
(٦) ج: تحدو. م، ي: تعدو.
(٧) أ، ر، م، ي: إسحاق.
(٨) النسخ عدا ج: لمّ.

يقول لنفسه: أنت[1] من العالم العلوي خَلّفتِه[2] ونزلتِ إلى عالم الشهوة والطبع، لكنّي "أهفو" إلى العلى بما فيّ من أصالته فيما بقي عليّ من أطمار ما كان كساني ذلك المجد عند الإشهاد. ثمّ قال: "تفوح أرواح" العلى في أخلاقهم عند التنزّلات لقرب مشاهدة المنزل الذي يجمعهم. و"الراكبان": خاطران عُلويّان مرّا به على قدر حاله، فسألهما الخبر عن المقام العالي الأنزه: "هل رُوِّضتْ" يقول: هل رُوِّضَتْ[3] قاعةُ الطبيعة؟ وهل نزلتْ غيوث الحياة لساحتها فأنبتت ما يؤدّي إلى البينونة من الكون والغيرة من ظهور الغير هنالك؟ فأثبت الحقُّ له الخاطران تكرمة على ما أخبر، إلى أن نزل عليه روحه الخاص به الذي كنى عنه بالنفَس، فعقل عنهما ما جاءا[4] به وأودعهما حديثه بلسان الحال من جري الدموع على مفارقة الأوطان والرُّبوع.

وقوله: "أم هل أبيت" أي تستّري لُحَف ظلام الغيب، "ودارٌ عند كاظمة" من كظم غيظه خُلقا جميلا، "وسمّار ذاك الحيّ سمّاري" بالترداد بيني وبينهم بما يكون فيه علوّ مقامي وارتفاع شأني.

ومن باب الفخر

سمع رسول الله ﷺ رجلا ينشد:

إنّي امرؤ حميريٌّ حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مُضَرِ

فقال: «ذلك الأمر لك أبعد من الله ورسوله».

ومرّ العباس بن عبد المطلب بنفرٍ من قريش يقولون: إنما مَثَلُ محمد في أهله مثل نخلة نبتت في كناسة. فبلغ رسول الله ﷺ، فوجَدَ[5] منه، فخرج حتى قام فيهم خطيبا، ثمّ قال: «أيّها الناس؛ من أنا؟ قالوا: أنت رسول الله، قال: فأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، إنّ الله تعالى خلق خلقه فجعلني من خير خلقه، ثمّ جعل الخلق الذي أنا منهم فريقين فجعلني من خير الفريقين، ثمّ جعلهم شعوبا فجعلني في خيرهم شعبا، ثمّ جعلهم بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا؛ فأنا خيركم بيتا، وخيركم والدًا، وإنّي لَمُبَاهٍ لكم: قم يا عباس؛ فقام عن يمينه، ثمّ

(١) أ، ر، ن: ما أنت.

(٢) ج: أنت من عالم الخليقة. م، ي: أنت من العالم خليقة.

(٣) ج، م، ي: - يقول هل روّضت.

(٤) ج، م، ي: جاء.

(٥) وجَد: انزعج.

قال: قم يا سعد[١]؛ فقام عن يساره، فقال: قرّبَ[٢] امرؤ منكم عمًّا مثل هذا وخالًا[٣] مثل هذا».

وقال بعضهم يفتخر[٤]:

إذا مُضَرُ الحمراء كانت أرومتي ... وقام بنصري خازم وابن خازم
عطستُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ ... يداي الثريّا قاعدا غير قائم

قلت: ولقد فخرتُ بأحسن من هذا فقلت:

لنا همّة إنّ الثريا لَدونها ... نَعم ولنا فوق السماكين منزلُ
تقدّمتُ سبقا في المكارم والعلى ... وفي كلّ ما ينكي العِدا أنا أوّلُ
ولم ألف صمصاما بقدر عزيمتي ... ولو جمعوا الأسياف عزمي أفضلُ
كذلك جودي لا يفي الغيث والثرى ... إذا كان أموالا به حين أبذلُ
إذا التحم الجمعان في حومة الوغى ... وكانت نزال ما عليها معوّلُ
نضيت حساما للردى في فِرَنْدِهِ[٥] ... شعاع له بين الفريقين فيصلُ
له عزمة لا تبتغي غير كبشِهم ... فليس له عن قمّة الهام معدلُ
حملت به لا أرهب الموت والردى ... ولا أبتغي حمدا له النفس تعملُ
ولكن ليعلو الدين عزّا وشرعنا ... إلى موضع عنه الطواغيت تسفلُ
أنا العربيّ الحاتميّ أخو الندى ... لنا في العلا المجدُ القديمُ المؤثّلُ
وكلّا فنجدي ليس يسمو إلى العلا ... ألا كيف يسمو والعلا منه أسفلُ

ولنا أيضا من قصيدة أفتخر فيها:

أنا ابن الرابِعِين إذا انتسبنا ... وعندي صار خُمس المسلمينا[٦]

---

(١) هو سعد بن أبي وقاص وفيه جاء الحديث عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَقْبَلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَذَا خَالِي، فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ.

(٢) ج: هل يعرف.

(٣) أ، ر، ن: أو خالا.

(٤) البيتان للشاعر إسحق الموصلي، وكان أبوه قد نزل بالموصل وليس من أهلها فنسب إليها، وهو مولى خزيمة بن خازم التميمي.

(٥) فرند السيف: بريقه.

(٦) يفتخر بأن آباءه رؤساء خطباء. والرابع: الرئيس الذي كان يأخذ ربع الغنيمة في الغزو. ويقال ربع فلانٌ في الجاهلية وخمس في الإسلام.

بشرى سيف بن ذي يزن لعبد المطلب برسالة محمد ﷺ، وخلافة بني العباس حين وفد عليه في وفد قريش

روينا من حديث أحمد بن عبد الله قال: ثنا سليمان إملاء، ثنا أحمد بن يحيى بن خالد الرقّي، ثنا عمرو بن بكر بن بكار القَعْنَبي، عن أحمد بن القاسم الطائي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لمّا ظهر سيف بن ذي يزن على اليمن وظفر بالحبشة ونفاهم عنها، وذلك بعد مولد النبيّ ﷺ بسنتين، أتته وفود العرب وأشرافُها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه في طلب ثأر قومه، فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب بن هاشم، وأميّة بن عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وخويلد بن أسد بن عبد العزّى، ووهب[1] بن عبد مناف بن زهرة، في ناس من وجوه قريش، فقدِموا عليه بصنعاء، وهو في رأس قصر له يقال له: غمدان، وهو الذي قال فيه أميّة بن أبي الصلت:

لا يطلب الثأر إلّا كابن[2] ذي يزن ... يتمّم البحر للأعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته[3] ... فلم يجد عنده النصر الذي سالا
ثمّ انتهى عند[4] كسرى بعد تاسعة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببني الأحرار يحملهم ... تخالهم فوق متن الأرض أجبالا
مَن مثل كسرى شهنشاه الملوك لهم ... مثل[5] وهديٌ يؤمّ الجيش[6] أرسالا
لله درّهم من فتية صُبُرٌ ... ما إن رأيت لهم في الناس أمثالا
بِيض مرازبة[7] غلبٌ حجاجحة[8] ... أُسْدٌ يربّين في الغيضات[9] أشبالا
يرمون عن شُدُفٍ كأنّها غُبُطٍ[10] ... بِزَمْخَرٍ[11] تُعجل المرميَّ إعجالا

---

(١) أ، ر، ن: ووهيب.
(٢) م، ي: كان.
(٣) شالت نعامته: كناية عن تفرّق القوم وتبدّدهم وذهابهم قتلا أو موتا أو غيرهما.
(٤) أ، ر، ن: نحو.
(٥) ج، ي: ميل.
(٦) ن، ي: يوم الحبش.
(٧) مرازبة: رؤساء الفرس دون الملك.
(٨) حجاجحة: قادة صناديد. ولعل الأصوب: جحاجحة وهي صريحة في هذا المعنى.
(٩) الغيضات: غابات كثيفة الشجر.
(١٠) الشدف: جمع شدفاء، وهي القوس العوجاء. والغبط: الهوادج
(١١) الزمخر: النشّاب.

لا يضجرون وإن كلّتْ بوائكهم[1] ولا ترى منهم في الطعن ميّالا
أرسلتَ أُسْدا على سود الكلابِ فقد أضحى شديدُهم في الناس فُلّالا[2]
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقًا في رأس غمدان دار منك محلالا
واشرب هنيئا فقد شالت نعامتهم وأسبل اليوم من بُرديك إسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

قال: فاستأذنوا عليه، فأذِن لهم، فإذا الملك متضمِّخ بالعنبر[3] ينطف وينضّ[4] المسك من مفرقه، وعن يمينه وعن شماله الملوك وأبناء الملوك والمَقاول[5].

فلمّا دخلوا عليه دنا منه عبد المطلب فاستأذنه في الكلام، قال له سيف بن ذي يزن: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أَذِنّا لك. فقال عبد المطلب: أيّها الملك؛ إنّ الله قد أحلّك محلّا رفيعا شامخا منيعا، وأنبتك منبتا طابت أرومته، وعذبتْ جرثومته، وثبت أصله، وبسَقَ فرعه، في أطيب موطن وأكرم معدن، فأنت -أبيتَ اللعن- رأسُ العرب وربيعُها الذي تخصب به. وأنت أيّها الملك رأس العرب الذي له تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي يلجأ إليه العباد، سلفُك لنا خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلم يهلك مَن أنت خلَفُه، ولم يخمل ذِكْرُ من أنت سلفه. نحن أيّها الملك أهل حرم الله ورسول[6] بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشف[7] الكرب الذي فدحنا[8]، ونحن وفد التهنئة لا وفد المرزية.

فقال سيف بن ذي يزن: وأيّهم أنت أيّها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال: ابن اختنا؟ قال: نعم. قال فأدناه ثمّ أقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحبا وأهلا، وناقة ورحلا، ومستناخا سهلا، وملكا ربحلا[9]، يعطي عطاء جزلا. قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم، وقبِل وسيلتكم، وأنتم أهل الليل والنهار، لكم الكرامة ما أقمتم، والحِباء

(١) البوائك: جمع بائكة وهي الناقة الحسناء ذات الشحم. ر، م، ن، ي: بواركهم.
(٢) فلّالا: منهزمون. أ، ر، م، ن: قلالا.
(٣) أ، ر، ن: بالعبير.
(٤) ينض: يسيل. أ، ر، ن: وبيض.
(٥) المَقاول: جمع قيل، وهم الرؤساء في حِمير دون الملوك.
(٦) ج، م، ي: ورسوله.
(٧) أ، ر، ن: لكشفك.
(٨) فدحه: عاله وأثقله. ر، م، ي: قدحنا.
(٩) الربحل: الضخم.

إذا ظعنتم[1]، انهضوا إلى دار الضيافة والوفود. وأمر لهم بالأنزال، فأقاموا شهرا لا يصِلون إليه ولا يؤذن[2] لهم في الانصراف.

ثمّ انتبه لهم انتباهة، فأرسل إلى عبد المطلب دونهم، فلمّا دخل عليه أدناه، وقرّب مجلسه واستحباه، ثمّ قال: يا عبد المطلب؛ إنّي مفوّض إليك من سرّ علمي ما لو غيرك يكون لم أبح به، ولكن وجدتك معدنه، فأطلعتُك طلعَهُ، فليكن عندك مطويّا حتى يأذن الله فيه، فإنّ الله تعالى[3] بالغ أمره. إنّي أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون، الذي اخترناه لأنفسنا، واحتجناه دون غيرنا، خيرا[4] عظيما وخطرا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة، للناس كافّة، ولرهطك عامّة، ولك خاصّة.

فقال عبد المطلب: مِثلك أيّها الملك سرَّ وبَرَّ، فما هو؟ فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر. قال: إذا وُلِد بتهامة غلام به علامة، بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة. قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أُبْتُ بخير ما آب به وافد قوم[5]، ولولا هيبة الملك وإعظامه وإجلاله، لسألته مِن سارّه إيّاي ما أزداد به سرورا.

قال سيف بن ذي يزن: هذا حينُ الذي يولد فيه أو قد ولد، اسمه محمد، بين كتفيه شامة، يموت أبوه وأمّه، ويكفُله جدّه وعمّه، قد ولدناه مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعل له منّا أنصارا، يُعَزُّ بهم أولياؤه، ويُذَلّ بهم أعداؤه، ويضرب بهم الناس عن عُرض، ويستبيح بهم كرائم الأرض، يعبد الرحمن ويدحر الشيطان، ويخمد النيران ويكسر الأوثان، قوله فصل وحُكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويُبطله.

قال عبد المطلب: أيّها الملك؛ عزّ جارك، وسعد جدُّك، وعلا كعبك، ونما أمرك، وطال عمرك، ودام مُلكك، فهل الملك ساري بإفصاح، فقد أوضح لي بعض الإيضاح. فقال سيف بن ذي يزن: والبيتِ ذي الحجب، والعلامات ذي[6] النقب، إنّك يا عبد المطلب لجَدُّه بلا كذب.

قال: فخرّ عبد المطلب ساجدا. فقال سيف: ارفع رأسك، فقد ثلج صدرك، وعلا أمرك،

---

(١) الحباء: العطاء. ظعنتم: سافرتم.

(٢) أ، ر، ن: يأذن.

(٣) أ، م، ن: - تعالى.

(٤) م، ي: خبرا.

(٥) ج، م، ي: قومك.

(٦) أ، ر، ن: على.

فهل أحسستَ شيئا ممّا ذكرت لك؟ فقال عبد المطلب: نعم أيّها الملك؛ إنّه كان لي ابن، وكنتُ به معجَبا، وعليه رفيقا، فزوّجته كريمة من كرائم قومي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة، فجاءت بغلام وسمّيته محمدا، ومات[1] أبوه وأمّه وكفلته أنا وعمّه، بين كتفيه شامة، وفيه كلّ ما ذكرتَ من علامة.

قال سيف: إنّ الذي ذكرتُ لك كما ذكرت، فاحتفظ بابنك[2]، واحذر عليه اليهود، فإنّهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا. واطْوِ ما ذكرتُ لك دون هذا الرهط الذي معك؛ فإنّي لست آمن أن تدخلهم النفاسة[3] من أن تكون لك الرئاسة؛ فيبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، وهم فاعلون أو أبناؤهم، ولولا أنّي أعلم أنّ الموت محتاجي قبل مبعثه، لسرت بخيلي ورجلي حتى أُصَيِّر يثرب دار مملكتي؛ فإنّي أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أنّ بيثرب[4] استحكامُ أمره، وموضع قبره، وأهل نُصرته. ولولا أنّي أقيه من الآفات، وأحذر عليه[5] العاهات، لأوطأت أسنان العرب كعبه، ولأعلنت[6] على حداثةٍ من سنّه ذكره، ولكنّي صارف إليك ذلك من غير تقصير بمن معك.

ثمّ أمر لكلّ رجل منهم بمائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر إماء، وعشرة أرطال فضة، وخمسة أرطال ذهبا[7]، وكرش مملوءة عنبرا[8]، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال له: إذا كان رأس الحول فأتني بخبره، وما يكون من أمره.

فهلك ابن ذي يزن قبل رأس الحول، وكان عبد المطلب يقول: لا يغبطني يا معشر قريش رجلٌ منكم لجزيل عطاء الملك، وإن كثر، فإنّه إلى نفاد، ولكن ليغبطني بما يبقى لي[9] شرفه وذكره، ولعقِبي من بعدي. فكان إذا قيل له[10]: وما ذلك؟ قال: سيعلن ولو بعد حين.

وفي ذلك يقول أميّة بن أبي الصلت:

---

(١) أ، ر، ن: مات.

(٢) ج، م، ي: - بابنك.

(٣) م، ي: التفاسد (وهي بمعنى التدابر وقطع الأرحام).

(٤) ج، م، ي: يثرب.

(٥) ج، م: + من.

(٦) أ، ر، ن: ولأعنت.

(٧) ج، م، ي: ذهب.

(٨) م، ي: عنبر.

(٩) ج: - لي. م، ي: له.

(١٠) ج، م، ي: - له.

جلبنا النصح مُحْقَبة المطايا على أكوار أجمال ونوقِ[1]
مغلغلة مرافقها تعالى إلى صنعاء من فج عميقِ
يؤمّ بها ابن ذي يزن ويفري[2] بطون خفافها أمّ الطريقِ
وتلمح[3] من مخايله بروقا مواصلة الوميض إلى بروقِ
فلمّا وافقت صنعاءَ صارت بدار المُلك والحسب العتيقِ

وفي حديث المسور عن ابن عباس أنّ الحَبر قال لعبد المطلب: أشهد أنّ في إحدى يديك مُلكا، وفي الأخرى نبوّة، وذلك قبل تزويج عبد الله في بني زهرة، فكان كما[4] قال: النبوّة والخلافة العبّاسية.

شرح[5]:

الشُدف[6]: المعوجّ من كلّ شيء، وأراد به القسي هنا. والزمخر: النشّاب. والأرسال: الجماعات. والبوائك[7]: جمع بائك، وهي الناقة الحسناء[8] ذات الشحم، يقال: باكت[9] الناقة تبوك بوكا إذا[10] سمنت. والمَرزية -بفتح الميم- والرزيّة: المصيبة. الربحل، والسبحل: الضخم. احتجناه: أي حدّثناه. والزعامة: السيادة والتقدّم. أحقبت[11] البعير: إذا شددت رحله بالحُقب، وهو الحبل الذي يشدّ به.

ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب "مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن" قال: قال شاه بن شجاع الكرماني: دخلتُ البادية فرأيت غلاما أمرد كأنّه موسوَس لا يألف أهل القافلة، فساعة يشير إلى السماء وساعة يصيح، فقلت لأنظرنّ في شأنه وأين معاشه، ولم يكن معه

(١) ر، ن، ي: وفوق.
(٢) أ، ر، ن: وتفري.
(٣) أ: ونلمح. م، ي: ويلمح.
(٤) م، ي: ما.
(٥) أ، ر، ن: - شرح.
(٦) أ، ر، ن: الشرف.
(٧) أ، ر، ن: البوائك.
(٨) أ، ر، ن: الحسنة.
(٩) ج، م، ي: يقال لها بائك.
(١٠) أ، ر، ن: أي.
(١١) ج، م: احتقبت. ي: احتقب.

زاد ولا غطاء ولا وِطاء. فراقبته يوما فدخل وسط أشجار أمِّ غيلان[1]، فتبعته فإذا هو يجتني من شجرة شيئا يأكله، فلمّا أبصرني[2] أنشأ يقول:

باعتزالي عنكم في الخلوات صار طُعْمِيَ التمرُ وسط الفلوات

من استنصر ببسم الله الرحمن الرحيم

روينا من حديث الدينوري قال: حدّثنا إبراهيم بن سهلويه، ثنا عمر بن عبد الكريم، عن عبد الله بن أحمد بن يزيد، عن عبد الله بن عبد الوهاب، عن نافع، عن ابن عمر قال: بينما عمر بن الخطاب ﷺ في مسجد رسول الله[3] ﷺ في جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يتذاكرون فضائل القرآن. فقائل منهم خاتمة براءة، وقائل خاتمة بني إسرائيل، وقائل كهيعص وطه، وأكثروا، وفي القوم عمرو بن معدي كرب الزبيدي في ناحية إذ قال: يا أمير المؤمنين؛ فأين أنتم من[4] عجيبة "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ فوالله إنّ في بسم الله الرحمن الرحيم لعجيبة من العجب.

فاستوى عمر، وكان متّكئا فجلس، وكان يعجبه حديث عمرو فقال له: يا أبا ثور؛ حدّثنا بعجيبة بسم الله الرحمن الرحيم! فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّه أصابنا في الجاهلية مجاعة شديدة، فأقحمتُ بفرسي البرّيّة أطلب شيئا، فواللهِ ما أصبتُ إلّا بيض النعام، وإنّ فرسي ليتيمّم[5] من غثاء البرّيّة، فبينا أنا كذلك، إذ رفعت لي خيل وماشية وخيمة، فأتيت الخيمة فإذا بجارية كأحسن البشر، وإذا بفناء الخيمة شيخ متّكئ. فقلت لما داخلني من هول الجارية[6] ومن ألم الجوع: استأسِر، ثكلتك أمّك. فقال: يا هذا؛ إن أردت القِرَى فانزل، وإن أردت معونة أعنّاك. فقلت: استأسر، ثكلتك أمّك. فقال لي مثل قوله الأوّل. قال: ونهض نهوض شيخ لا يقدر على القيام، فدنا منّي وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ جذبني إليه، فإذا أنا تحته وهو فوقي، فقال لي: أقتلك أم أخلّي عنك؟ فقلت: بل خلّ عنّي. فنهض عنّي وهو يقول:

---

(١) أم غيلَان: شجر السمر وَهُوَ نوع من جنس السنط من الفصيلة القرنية وَيُسمى أَيْضا الطلح.

(٢) أ، ج، ر، ن: بصرني. م: أبصربي.

(٣) أ، ر، ن: في مسجد الرسول.

(٤) أ، ر، ن: عن.

(٥) ج، م، ي: ليلتيم.

(٦) م، ي: الحادثة.

عرضنا عليك النزل منّا تفضّلا فلا ترعوي جهلا كفعل الأشائم
وجئت بعدوان وظلم ودون ما تمنّيته في البيض حزّ الغلاصم[١]

فقلت في نفسي: يا عمرو؛ أنت فارس العرب! لَلموتُ أهون من الهرب من هذا الشيخ الضعيف، فدعتني نفسي إلى معاودته ثانية، وأنشأت أقول:

رويدك لا تعجل بُليت بصارم سليل المعالي هبرزيّ قماقم[٢]
لئن زلّ عمرو ثمّ زلّ[٣] عجيبة[٤] ولم يك يوما للبِراز[٥] بحاجمِ
طمعتَ[٦] لما منّتك نفسك تسلمن سقتك المنايا كأسها بالصرائمِ
فما لك بذل[٧] دون نفسك تسلمن هنالك أو تصبر لحزّ الغلاصمِ
فما دون ما تقواه للنفس مطمع سوى أن أحزّ[٨] الرأس منك بصارمِ

قال؛ ثمّ قلت: استأسر، ثكلتك أمّك، فدنا منّي وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثمّ جذبني جذبة مثلتُ تحته، فاستوى على صدري فقال: أقتلك أم أخلّي عنك؟ فقلت: بل خلّ عنّي. فنهض وهو يقول:

ببسم الله والرحمن فزنا قديما والرحيم به قهرنا
وهل تغني جَلادةُ ذي حفاظ إذا يوما لمعركة نزلنا
وهل شيء يقوم لذكر ربّي وقِدْما بالمسيح هناك عذنا
سأقسم كلّ ذي جِنّ وإنس إذا يوما لمعضلة حللنا

فقلت: استأسر؛ ثكلتك أمّك. فدنا منّي[٩] وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فملئت منه رعبا يا أمير المؤمنين، وكنّا لا نعرف مع اللّات والعزّى شيئا. ثمّ جذبني جذبة فصرت تحته، فقلت: خلّ عني. فقال: هيهات بعد ثلاث مرارٍ[١٠] ما أنا بفاعل[١١]، ثمّ قال: يا جارية؛

---

(١) الغلاصم: مفردها غلصمة، وهي لسان المزمار الموجودة عند نهاية اللسان متصلة بالحلق.
(٢) الهبرزي: الأسد، الهائج، المقدام. والقماقم: السيد الكثير الخير الواسع الفضل.
(٣) م، ي: زلّت.
(٤) أ، ر، ن: لئن زلّ عمرو زلة أعجبية.
(٥) أ، ر، ن: للفرار.
(٦) أ: طعمت. م، ي: طعمتك.
(٧) أ، ج، ر، ن: بدل.
(٨) ج، ي: أجز.
(٩) أ، ر، ن: + أيضا.
(١٠) ج، م، ي: مرات.
(١١) م، ي: فاعل.

ائتني بشفرة، فأتت بها، فجزّ ناصيتي، ثمّ نهض وهو يقول:

منّا على عمرو فعاد لحينه وثنّى فثنّينا فساء بما[1] فعل
وفي اسم ذي الآلاء عزٌّ ومنعةٌ ومحترَزٌ لو كان سامعه عقل

وكنّا يا أمير المؤمنين إذا جزّت[2] نواصينا استحينا[3] أن نرجع إلى أهلينا حتى تنبت. فرضيتُ أن أخدمه حولا، فلمّا حال الحول قال لي[4]: يا عمرو؛ إنّي أريد أن تنطلق معي إلى البرّيّة وما بي من وجل، وإنّي لواثق ببسم الله الرحمن الرحيم. فانطلقت معه حتى أتى واديا، فهتف بأهله ببسم الله الرحمن الرحيم، فلم يبق طائر في وكره إلّا طار، ثمّ هتف الثانية فلم يبق سبع في مربضه إلّا نهض، ثمّ هتف الثالثة فإذا هو بأسْوَد كالنخلة السحوق[5]، وإذا هو لابس شعرا، فرعبتُ، فقال الشيخ: لا ترعْ يا عمرو إذا نحن اصطرعنا، فتلا[6] عليه صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم، قال: فاصطرعا. فقلت: غلبه صاحبي باللّات والعزّى، فلطمني لطمة كاد يقلع رأسي، فقلت له: لستُ بعائد، فاصطرعا، فقلت: غلبه صاحبي ببسم الله الرحمن الرحيم، قال: فعلاه الشيخ، فبعجه كما يبعج الفرس، وشقّ بطنه، واستخرج منه كهيئة القنديل الأسود. فقال لي: يا عمرو؛ هذا غشّه وكفره!

قلت له: فداك أبي وأمّي؛ ما لك ولهؤلاء[7] القوم؟ فقال: يا عمرو؛ إنّ الجارية التي رأيتها[8] في الخباء هي الفارعة بنت المستورد[9]، وكان رجلا من الجنّ، وكان مؤاخيا لي، وكان على دين المسيح عليه السلام، وهؤلاء قومها يغزوني[10] كلّ[11] سنة منهم رجل، فينصرني الله عليه[12] ببسم الله الرحمن الرحيم.

فانطلقنا حتى أمعنّا في البرّيّة، قال: يا عمرو؛ قد رأيت ما كان منّي وأنا جائع فالتمِس لي

---

(١) ج، ي: وما. م: ما.
(٢) النسخ عدا ج: جزّ.
(٣) أ، ر، ي: استحيينا.
(٤) ج، م: - لي.
(٥) السحوق: ضرب من النخل الطويل.
(٦) أ، ر، ن: فقل.
(٧) ج، م، ي: ولهذا.
(٨) أ، ر، ن: رأيت.
(٩) ج، م، ومتن ي: المسور. ن: المستودد.
(١٠) ر، ن: يغزونني.
(١١) ج، م: في كل.
(١٢) أ، ن: عليهم.

شيء آكله، فالتمست فما وجدت له إلّا بيض النعام، فأتيته به وهو نائم، وقد توسّد إحدى يديه، وتحته سيفه[١] وهو سيف طوله سبعة أشبار، وعرضه أقل من شبرين، وهو الصمصامة، فاستخرجتُ سيفه من تحته، فضربته ضربة قطعته من الساقين، فقال لي[٢]: يا غدّار ما أغدرك. فلم أزل أضربه حتى قطّعته إربا إربا. فغضب عمر ﷺ وقال[٣]: وأنا أقول كما قال العبد الصالح: يا غدّار[٤]؛ ظفر بك رجل من المسلمين، فأنعَم عليك ثلاث مرات ووجدته نائمًا فقتلته. واللهِ لو كنتُ مؤاخذك في الإسلام بما فعلتَ في الجاهلية لقتلتك به.

ثمّ أنشأ عمر يقول:

إذا قتلت أخا في السلم تظلمه[٥] أفّ لما جئته في سالف الحقبِ
الحرّ يأنف مما أنت تفعله تبّا لما جئته في العجم والعربِ
لو كنت آخذ في الإسلام ما فعلت في الجاهلية أهلُ الشرك والصلبِ
إذن لنالتك من عذلي مشطّبة يدعى لذائقها بالويل والحربِ

ثمّ قال: ما كان من حديثه يا عمرو؟ قال: فأتيت الخيمة فاستقبلتني الجارية فقالت: يا عمرو؛ ما فعل الشيخ؟ قلت[٦]: قتله الحبشي[٧]، قالت: كذبتَ؛ بل[٨] قتلته أنت يا غدّار، ثمّ دخلت الخيمة فجعلت تبكيه وتقول[٩]:

عين جودي لفارسٍ مغوار واندبيه بواكفاتٍ غزارِ
سبعٌ وهو ذو وفاء وعهد ورئيس الفخار يوم الفخارِ
لهف نفسي على بقائك يا عمـ ـرو وأسلمته الحماة للأقدارِ
بعد ما جزّ ما به كنت تسمو في زبيد ومعشر الكفّارِ
ولعمري لو رُمْتَهُ أنت حقّا رمت منه كصارم بتّارِ
فجزاك المليك سوءا وهونا عشت منه بذلّة وصغارِ

---

(١) م، ي: سيف.
(٢) ج، م، ي: - لي.
(٣) م، ن، ي: قال.
(٤) ج، م، ي: - الصالح يا غدّار.
(٥) أ، ر، ن: تظلمة. م: مظلمة.
(٦) أ، ر، ن: فقلت.
(٧) ج، م: الجني.
(٨) ج، م، ي: - بل.
(٩) أ، ر، ن: وهي تقول.

قال: فدخلتُ الخيمة أريد قتلها فلم أرَ أحدا كأنّ الأرض ابتلعتها، فاقتلعتُ الخيمة، وسقتُ الماشية حتى انتهيت بها قومي بني زبيد.

دعاء مأثور لذنب مغفور

حدّثنا ببغداد سنة ثمان وستمائة صاحبنا الإمام سراج الدين عمر بن مكي بن علي بن محمد بن عبد الله الجوزي قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال: من أراد أن يغفر الله له فليدع بهذا الدعاء، وهو: "اللهمّ إنّي أسألك الهدى والتقى والعفّة والغنى، فأتنا سؤلنا، وارزقنا أمنيتنا". أو قال: "فأتني في الدنيا حسنة[١] وفي الآخرة حسنة برحمتك يا أرحم الراحمين". الشكّ من الراوي، لا يدري أيّهما قال النبيّ ﷺ، قال: فينبغي أن يجمع بينهما.

وحدّثنا ببغداد أيضا[٢] في التاريخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن الدبيثي لفظا. قال: ثنا أبو نصر يحيى بن هبة الله بن محمد البزاز بواسط قراءة منّي عليه، قال: سمعت أبا الكرم[٣] خميس بن علي الحافظ يقول: سمعت أبا محمد طلحة بن علي الرازي الصوفي يقول: رأيت النبيّ ﷺ ببغداد في مسجد عتاب، والمسجد غاصٌّ بأهله، وهو عليه السلام في المحراب، وعليه بُرد كحليّ، وهو متقلّد سيفا، وفي الجماعة أبو محمد التميمي وهو يقول له: يا رسول الله؛ ادعُ الله لنا[٤]، فبسط كفّيه وقال، وأنا أقول معه: اللهمّ إنّا نسألك[٥] حسن الاختيار في جميع الأقدار، ونعوذ بك من سوء الاختيار في جميع الأقدار.

ومما قلته وأنا مفرد بفلاة تيماء:

وليّ الله ليس له أنيس سوى الرحمن فهو له جليس
يذكّره فيذكره فيبكي وحيد الدهر جوهره[٦] نفيس

ولنا في المعارف من باب النسيب

طلع البدر في دجى الشعر وسقى الوردُ نرجسَ الحورِ

---

(١) ج، ي: - حسنة.
(٢) ج، م، ي: - أيضا.
(٣) أ، ر، ن: المكرم.
(٤) ج، ي: أدع لنا.
(٥) ج، م، ي: إني اسألك.
(٦) أ، ر، ن: جوهرة.

غادةٌ تاهت الحسان بها وزها نورها على القمرِ
هي أسنى من المهاة سنى صورةٌ لا تقاس بالصورِ
فلكُ النور دون أخمصها تاجها خارج عن الأَكُرِ
إن سرت في الضمير يجرحها ذلك الوهم كيف بالبصرِ
لعبة ذكرنا يذوّبها لَطُفَت عن مسارح النظرِ
طلب النعتُ أن يبيّنها فتعالت فعاد ذا حصرِ
وإذا رام أن يكيّفَها لم يزل ناكصا على الأثرِ
إن أراح المطيّ طالبها ما أراحوا مطيّة الفكرِ
روحنت كلّ من أشبّ بها نقلة عن مراتب البشرِ
غيرة أن يشاب رائقها بالذي في الحياض من كدرِ

* * *

روينا من حديث ابن إسحق عن الكلبي عن أبي صالح مولى أمّ هاني عن ابن عباس، قال: كانت العربُ على دينين: حلّة وحُمس. فالحمس قريش، وكلّ من ولدت من العرب وكنانة وخزاعة والأوس وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة وأزد شنوءة وجَرم وزبيد وبنو ذكوان من سليم وعمرو اللّات وثقيف وغطفان وعوف[1] وعدوان وعِلاف وقضاعة.

وكانت قريش إذا أنكحوا غريبا امرأةً منهم اشترطوا عليه أنّ كلّ من ولدت له[2] فهو أحمسي[3] على دينهم. وزوَّج الأدرم تيم بن غالب بن فهر بن مالك ابنته مجدانية[4] تيم بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، على أنّ ولده منها أحمسي على سنّة قريش. وفيها يقول لبيد بن ربيعة الكلابي:

سقى قومي بني مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلال

وتزوّج منصور بن عكرمة بن خصفة سُلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعصر بن سعد بن قيس بن غيلان، فولدت له هوازن، فمرض مرضا شديدا، فنذرت سُلمى لئن برئ لتحمسنّه، فلمّا برئ أحمسته. فلم تكن نساؤهم ينسجن ولا يغزلن الشَّعر ولا يسلين السمن إذا أحرموا.

(١) أ، ر، ن: والغوث.
(٢) ج، م، ي: - له.
(٣) ج، م، ي: أحمس.
(٤) أ، ر، ن: مجدابية. ج: مجد بن. ي: مجدابنة.

وكانت الحُمس إذا أحرموا لا يأقطون[1] الأقط، ولا يأكلون السمن ولا يسلونه، ولا يمخضون اللبن، ولا يأكلون الزبد، ولا يلبسون الوبَر ولا الشعر، ولا يستظلون به ما داموا حُرما، ولا يغزلن الشَّعر ولا الوبر ولا ينسجنه، وإنما يستظلّون بالأدم، ولا يأكلون شيئا من نبات الحرم. وكانوا يعظّمون الأشهر الحرم، ولا يخفرون فيها بذمّة، ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم. وكانوا إذا أحرم الرجلُ منهم في الجاهليّة وأوّل الإسلام؛ فإن كان من أهل المدر، يعني من أهل البيوت والقرى، نقب نقبا في ظهر بيته، فمنه يدخل ومنه يخرج، ولا يدخل من بابه.

وكانت الحمس تقول: لا تعظِّموا شيئا من الحِل، ولا تجاوزوا الحرم في الحج، فلا يهاب الناس حرمكم، فقصَّروا عن مناسك الحج والموقف من عرفة، وهو من الحِل، فلم يكونوا يقفون به، ولا يفيضون منه، وجعلوا موقفهم في طرف الحرم، من نَمِرَة، وكانوا يدفعون قبل[2] غروب الشمس.

وكانت الحمس إذا أحرمتْ وأرادت دخول بيتها تسوّرت من ظهور البيوت وأدبارها. ويحرّمون الدخول من أبواب البيوت، حتى بعث الله محمدا ﷺ فأحرم عام الحديبية، ودخل[3] بيته، وكان معه رجل من الأنصار، فوقف الأنصاريّ بالباب فقال له: ألا تدخل؟ فقال الأنصاري: أنا[4] أحمسي يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: وأنا أحمسي، ديني ودينك سواء. فدخل الأنصاري مع رسول الله ﷺ لمّا رآه دخل من بابه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[5].

وكانت "الحلّة" تطوف بالبيت، أوّل ما يطوف الرجل والمرأة في أوّل حجّة تحجّها عراة، فكانت المرأة تضع إحدى يديها على قُبُلِها والأخرى على دُبُرِها، ثمّ تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه وما بدا منه فلا أُحلّه

إلّا أن يستعيروا من الحمس ثيابا يطوفون بها. حتى أنّهم كانوا يقفون على باب المسجد فيقولون للحمس: من يعير معوزا، من يعير مصونا؟ فإن أعاره أحمسي ثوبَه طاف به، ولا

---

(١) أ، ر، ن: لا يأتقطون.

(٢) ج، م، ي: في.

(٣) أ، ر، ن: فدخل.

(٤) أ، ر، ن: إني.

(٥) [البقرة: ١٨٩]

يَرون أنّهم يطوفون بالثياب التي قارفوا فيها الذنوب.

* * *

حدّثنا محمد بن قاسم، ثنا أحمد بن محمد، ثنا محمد بن علي، ثنا محمد بن أحمد، ثنا ابن الخارجي، ثنا محمد بن يحيى، ثنا عبد الله بن المغيرة، ثنا عفّان[1] بن مسلم، ثنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يكمل عبد الإيمان بالله حتى يكون فيه خمس خصال: التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضا بقضاء الله، والصبر على بلاء الله. إنّه من أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

وحدّثنا عبد الواحد بن إسماعيل، حدّثني أبي، ثنا عمر بن عبد المجيد، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو نصر بن علي، ثنا أحمد بن عبد الله، ثنا نصر بن أحمد، ثنا أبو يعلى، ثنا أحمد بن كامل، ثنا أبو قلابة، ثنا الحسين بن حفص، ثنا سفيان الثوري، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ العبدَ لا يُكتب في المسلمين حتى يسلم الناس من يده ولسانه، ولا ينال درجة المؤمنين حتى يأمن جارُه بوائقه، ولا يعدّ من المتّقين حتى يدع ما لا بأس به حذار ما به البأس. أيّها الناس؛ إنّه من خاف البيات أدلج، ومن أدلج في المسير وصل، وإنما تعرفون عواقب أعمالكم، لو قد طُوِيت صحائفُ آجالكم. أيّها الناس؛ إنّ نيّة المؤمن خير من عمله، ونيّة الفاسق شرّ من عمله».

وسماعنا على قول كثيّر[2]

وقد حلفتْ جهدًا بما نحرتْ له قريش غداة المأزمين[3] وصلّتِ
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها كناذرةٍ نذرًا فأوفت وحلّتِ
فقلتُ لها يا عَزُّ كلّ مصيبةٍ إذا وطنت يوما لها النفس ذلّت

السماع في ذلك:

"المأزمان": المضيق الذي بين عالم الغيب والشهادة، هنالك تنحر النفوس عن

(١) ج، م: غفارة. ي: عفارة.

(٢) هو كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود (٤٠ - ١٠٥هـ) من خزاعة، شاعر متيّم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر، اشتهر بحبّه لعزّة فعُرف بها وعُرفت به وهي: عزة بنت حُميل، كناها كثيّر في شعره بأم عمرو. وسافر إلى مصر حيث دار عزّة بعد زواجها وفيها صديقه عبد العزيز بن مروان الذي وجد عنده المكانة ويسر العيش. توفي في الحجاز.

(٣) المأزمين: موضع النحر للحجاج دون منى.

أغراضها[١]، تنحرها حال[٢] الجمعيّة التي كنى عنها بقريش. "التقرّش": التقبّض.[٣] "وصلّت": دعت إلى مقامها، وذاتي هي الحالفة[٤]. و"قطع الحبل بيننا": انفصالها عن ظلمة هذا الهيكل الترابي لما تقاسي[٥] فيه من ذلّ الحجاب. ولولا قوّتها على الذلّ فيما يصيبها من المقام الأعزّ الأحمى لهلكت رأسا واحدا، ولكنّ الشيء لا يهلك عن حقيقته؛ فالذلّ لها ذاتيٌّ؛ فإنّ الإمكان افتقار وعجز محض؛ فالذلّ وصف لازم، وهو في غير ذلك المقام[٦] بالعرض.

وسماعنا على قول ابن الدمينة[٧]

ألا يا صَبا نجدٍ متى هجتَ من نجدِ ... لقد زادني مسراك وجدا على وجدِي
ءإن هتفتْ ورقاء في رونق الضحى ... على فننٍ غضِّ النبات من الرندِ
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن[٨] ... جليدا وأبديتَ الذي لم يكن يبدي
وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنا ... يُمَلُّ وأن النأي يشفي من الوجدِ
بكلٍّ تداوينا فلم يُشف ما بنا ... على أنّ قُرب الدار خير من البعدِ

السماع في ذلك: النفَس الطالع من المقام الأعلى كنى عنه بالصَّبا. والسؤال بالزمان لإحساسها[٩] به في عالم التركيب أثرًا لا عينا لعلوّها عن ذلك. وكلّما توالى السرى زادت المعارف، فتمكّن الشوقُ فتضاعف الوجد والبلوى. ثمّ قال: "ءإن هتفتْ" النفس الأبيّة العلويّة في زمان قوّة النور الأجلى صادحة "على فَنن" الاعتدال الأكمل، الذي نشأ الإنسان الكامل عليه في أوّل أمره، وجعله رَنْدًا[١٠] للدهن الذي به مادة بقاء الأنوار، وما فيه من المنافع، "بكيت" يقول: للنفس الجزئيّة "كما يبكي الوليد" من الولادة، لأنّها منها، فجاء بما يشير به من

---

(١) أ، ج، ن، ي: أعراضها.
(٢) أ، ر، ن: حالة.
(٣) أ، ر، ن: - التقرش: التقبض. ج: التقريش: النقيض.
(٤) م، ي: الحالقة.
(٥) ج، م: يقاسي.
(٦) أ، ر، ن: المكان.
(٧) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد، من بني عامر بن تيم الله، من خثعم، أبو السري، والدمينة أمّه. شاعر بدوي، من أرقّ الناس شعراً، قلّ أن يُرى مادحاً أو هاجياً، أكثر شعره الغزل والنسيب والفخر. وهو من شعراء العصر الأموي، اغتاله مصعب بن عمرو السلولي عام ١٣٠هـ وهو عائد من الحج، في تبالة (قرب بيشة للذاهب من الطائف) أو في سوق العبلاء (من أرض تبالة).
(٨) ج، ر، ن: يكن.
(٩) ج، م، ي: لإحساسه.
(١٠) الرَّنْدُ: شَجَرٌ طَيِّبُ الرائِحَةِ، والعُودُ، والآسُ، وشِبْهُ جُوالِقٍ صَغيرٍ من الخُوصِ. النسح عدا ج: زبدا.

الألفاظ إليها، وكيف يكون "جليدا" فرع دعاه أصله إليه فأبدى ما لديه.

"وقد زعموا" وهو حقّ "أنّ المحبّ إذا دنا" من عالم الملك "يملّ وأنّ النأي" البُعد[١] عنه يريح من الألم صحيح، فهذا إنباء عن أمر محقّق، فالتجلّي هناك لا يتكرّر، والنعيم به مثله فلا ملل، وقد تداوى المحبّون[٢] بهما، و"قرب دار" كلِّ محبّ حيث كان حبيبه "خير عنده من بُعدها"، وكنى عن النفس بالورقاء، كما كَنَتِ الحكماء عنها بهذا الاسم، وفيها يقول بعضهم القصيدة التي شُهرت بين العلماء[٣]:

هبطتْ إليك من المحلِّ الأرفع ... ورقاءُ ذات تعزُّزٍ وتمنّعِ
محجوبة عن كلّ مقلة ناظر ... وهي التي سفرتْ ولم تتبرقعِ
وصلت على كرهٍ إليك وربما ... كرهتْ فراقكَ وهي ذات تفجّعِ
أنِفتْ وما سكنتْ فلمّا واصلتْ ... أَلِفتْ مجاورة الخراب البلقعِ
وأظنّها نسِيتْ عهودا بالحمى ... ومنازلا بفراقها[٤] لم تقنعِ
حتى إذا نزلتْ بِهاءِ[٥] هبوطها ... عن ميم مركزها بذات الأجرعِ
علِقتْ بها ثاء الثقيل فأصبحتْ ... بين المنازل والطلول الخضّعِ
تبكي إذا ذكرتْ ديارا بالحمى ... بمدامع تهمي ولمّا تقطعِ
وتظلّ[٦] ساجمة على الدِّمَن التي ... درستْ بتكرار الرياح الأربعِ
حتى إذا قرب المسير من الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسعِ
إذ عاقها الشَّرَك[٧] الكثيف وصدّها ... نقص عن الأوج الفسيح المربعِ
هجعتْ وقد كشف الغطاء فأبصرتْ ... ما ليس يدرَك بالعيون الهجّعِ
وغدتْ مفارقة لكلّ مخلَّفٍ ... عنها حليف الترب غير مشيّعِ
فلأيّ شيء أهبطتْ من شاهق ... سامٍ إلى قعر الحضيض الأوضعِ
فهبوطها إن كان ضربةَ لازِبٍ ... فتكون سامعةً لما لم تسمعِ

---

(١) ج، م: البعيد.
(٢) م، ي: المجنون.
(٣) هذه القصيدة للرئيس ابن سيناء.
(٤) ج، م، ي: لفراقها.
(٥) النسخ عدا ج: لهاء.
(٦) أ، ر، ن: وتطل.
(٧) النسخ عدا ج: شَرك.

فتصير عارفة بكلّ خفيّة[1] في العالمين فخرقها لم يُرقعِ
إن كان أرسلها الإله لحكمةٍ خفيتْ عن اللّقِن اللبيبِ الأروعِ
فهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربتْ بعين المطلعِ
وغدتْ تغرّد فوق ذروةِ شاهق والعلم يرفع كلّ من لم يرفعِ
فكأنّها برق تألّق بالحمى ثمّ انطوى فكأنّه لم يلمعِ

* * *

وكتبت إلى صاحب لي ببلاد الروم اسمه إسحق بن محمد[2] من أصحاب السلطان ممن تخدمه الدولة وتظهر به السنّة

إسحق واسمع لوعظٍ من أخى ثقة ولا يغرّنك تقريبُ السلاطينِ
إنّ الملوك قد استغنوا بملكهم عنّا وعمّا بأيديهم من الدينِ
فاستغن بالله عن مُلك الملوك وعن سؤال مَن هو مسكين ابن مسكينِ
فالله يكفيك يا عيني ويا ولدي شرّ الملوك وأشرار الشياطينِ
بالحِجر بالبيت بالأركان أسأله باللوح[3] بالقلم الأعلى وبالنونِ
لا أبعدَ اللهُ دارا أنتَ ساكنها ولا أراك تبيع الدّين بالدون[4]
نفسي الفداء لذاك الشخص من رجلٍ قَرّت به العين في الدنيا وفي الدين
إن قلتُ صدَّقَني أو بتُّ سامَرَني ولا يزال يفاديني[5] ويسليني

ولنا من الرموز العُلويّة من الإشارات الغزليّة[6]

أيا روضة الوادي أجب ربّة الحمى وذات الثنايا الغرّ يا روضة الوادي
وظلِّل عليها من ظلالك ساعة قليلا إلى أن يستقرّ[7] بها النادي
وتنصب بالأجواز منك خيامها فما شئت من طلٍّ غذاء لمنآدِ
وما شئت من وَبْلٍ وما شئت من ندى سحاب على باناتها رائح غادي

---

(١) ج، م، ي: حقيقة.
(٢) هو إسحق بن محمد القونوي والد محمد بن إسحق القونوي مريد الشيخ الأكبر وأحد خلفائه.
(٣) أ، ر، ن: بالوحي.
(٤) هذا البيت والذي يليه لم يردا في ج، م، ي.
(٥) ج، م، ي: يناديني.
(٦) أ، ر، ن: بالإشارات الغزلية.
(٧) ج، م، ي: يستقل.

وما شئت من ظلّ ظليل ومن جَنى شهيّ لدى الجاني يميس بميّادِ[1]
ومِن ناشدٍ فيها زرودَ ورملَها ومن منشدٍ حاد ومن مرشد هادِ

ولنا من هذا الباب أيضا:

واحرَبا من كبدي واحرَبا واطرَبا من خَلَدي واطربا
في كبدي نار جوى محرقةٌ في خلَدي بدر دجى قد غربا
يا مسك يا بدر ويا غصن نقى ما أورقا ما أنورا ما أطيبا
يا مبسما أحببت منه الحببا ويا رضابا ذقتُ منه الضرَبا
يا قمرا في شفق من خفر بخدِّه لاح لنا منتقبا
لو أنّه يسفر من[2] برقعه كان عذابا فلهذا احتجبا
شمس ضحى في فلك طالعةٌ غصن نقى في روضة قد نصبا
ظَلْتُ لها من حذر مرتقبا والغصن أسقيه[3] سماءً صيّبا
إن طلعتْ كانت لعيني عجبا أو غربتْ كانت لحيني سببا
مذ عقد الحسن على مفرقها تاجا من التِّبر عشقت الذهبا
لو أنّ إبليس رأى من آدم نور محيّاها عليه ما أبَى
لو أنّ إدريس رأى ما رقم الـ ـحسن بخدّيها إذنْ ما كتبا
لو أنّ بلقيس رأت رفرفها لم يخطر العرشُ ولا الصرح ببا[4]
يا سرحة الوادي ويا بان الغضا أهدو لنا من نشركم مع الصبا
ممسّكا يفوح ريّاه لنا من زهر أهضامُك[5] أو زهر الربى
يا بانة الوادي أرينا فنَنا في لين أعطاف لها أو قُضبا
ريح صَبا تخبر عن عصرِ صِبا بحاجر أو بمنى أو بقبا
أو بالنقا فالمنحنى عند الحمى أو لعلع حيث[6] مراتع الظبا
لا عجب لا عجب لا عجبا من عربيّ يتهاوى العُربا
يفنى إذا ما صدحت قمرية بذكر من يهواه فيه طربا

(١) ج، م، ي: لمياد.
(٢) ج، م: عن.
(٣) م: سقاه. ي: أسقاه.
(٤) ببا: ببال.
(٥) الأهضام: مفردها هضْم وهو البخور.
(٦) م، ي: عند.

ولنا أيضا من[1] هذا الباب، وفيه تنبيه على قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[2] وكون الحقّ تعالى ما ذكر في القرآن من الأسماء التي هي أمّهاتٌ إلّا ثلاثة: الله، والرحمن، والرب. وما عداها فهي نعوت لله، وقد يقع الرحمن نعتا أيضا.

بذي سلم والدير من حاضري الحمى ... ظباء تريك الشمس في صور الدمى
فأرقبُ أفلاكا وأخدم بيعةً ... وأحرس روضا بالربيع منمنما
فوقتا أسمّى راعي الظبي بالفلا ... ووقتا أسمّى راهبا ومنجّما
تثلّث محبوبي وقد كان واحدا ... كما صيّروا الأقنام بالذات أقنما
فلا تنكرن يا صاح قولي غزالة ... تضيء لغزلان يطفن على الدُّمى
فللظبي أجيادا وللشمس أوجها ... وللدّمية البيضاء صدرا ومعصما
كما قد أعرنا للغصون ملابسا ... وللروض أخلاقا وللبرق مبسِما

طفت ليلة بالبيت[3] فأدركني التعب، فقلت: أعتب نفسي على البديهة من غير رويّة:

يا أيّها البيت العتيق تعالى ... نورٌ لكم بقلوبنا يتلالا
أشكو إليك مفاوزا قد جُبتها ... أرسلتُ فيها أدمعي إرسالا
أمسي وأصبح لا ألذُّ براحة ... أصِلُ البكورَ وأقطع الآصالا
هذي الركاب إليكم سارت بنا ... شوقا وما ترجو بذاك وصالا
إنّ النياق وإن أضرّ بها الوَجَى ... تسري وترقل في السُرى إرقالا
قطعت إليك سباسبا ورمالا ... وجدًا وما تشكو لذاك كلالا
ما تشتكي ألم الوجى، وأنا الذي ... أشكو الكلال، لقد أتيتُ محالا

ولنا في باب الأرواح واللطائف:

ناحت مطوّقةٌ فحنّ حزينُ ... وشجاه ترجيع لها وحنينُ
جرت الدموع من العيون تفجُّعا ... لحنينها فكأنّهنّ عيونُ
طارحتها ثكلى بفقد[4] وحيدها ... والثكل من فقد الوحيد يكونُ

---

(١) ج، ن: في.
(٢) [الإسراء: ١١٠]
(٣) أ، ر، ن: طفت بالبيت ليلة.
(٤) ج، م، ي: لفقد.

طارحتها والشجو يمشي بيننا ... ما إن تبين وإنّني لأبينُ
بي لاعج من حبِّ رملة عالجٍ ... حيث الخيام بها وحيث العِينُ
من كلّ فاتكةِ اللحاظ مريضةٍ ... أجفانها لِظُبَى اللحاظِ جفونُ
ما زلتُ أجرع دمعتي من غُلَّتي ... أخفي الهوى عن عاذلي وأصونُ
حتى إذا صاح الغراب ببينِهم ... فضح الفراق صبابة المحزون
وصلوا السرى قطعوا البرى فلعيسهم ... تحت المحامل رنّةٌ وأنينُ
عاينتُ أسباب المنية عندما ... أرْخوا أزمّتها وشُدَّ وَضِينُ
إنّ الفراق مع الغرام لقاتل ... صعب الغرام مع اللقاء يهونُ
ما لي عذول في هواها إنّها ... معشوقة حسناء حيث تكونُ

ولنا أيضا في هذا الباب:

بين النقا ولعلع ... ظباء ذات الأجرعِ
ترعى بها في خَمَرٍ ... خمائلا وترتعي[1]
ما طلعت أهِلّة ... بأفق ذاك المطلعِ
إلّا وددتُ أنّها ... من حذرٍ لم تطلعِ
ولا بدتْ لامعةٌ ... من برق ذاك اليرمَعِ
إلّا اشتهيتُ أنّها ... لِمَا بنا لم تلمعِ
يا دمعتي وانسكبي ... يا مقلتي لا تقلعي
يا زفرتي خذ صُعَدا[2] ... يا كبدي تصدّعِي
وأنت يا حادي اتّئد ... فالنار بين أضلعي
قد فنيتْ مما جرت ... خوف الفراق أدمعي
حتى إذا حلّ النوى ... لم تلفِ عينا تدمعِ
فارحل إلى وادي اللوى ... مربعهم ومصرعِي
إنّ به أحبّتي ... عند مياه الأجرعِ
ونادِهم مَن لفتى ... ذي لوعة مودّعِ
رمَتْ به أشجانه ... وسط خراب بلقعِ
يا قمرا تحت دجى ... خذ منه شيئا ودَعِ

(١) أ، ر، ن: ومربع. م: ومرتع.
(٢) م، ي: صاعدا.

وزوّديه نظرة من خلف ذاك البرقعِ
فإنّه يضعف عن دَرْك الجمال الأروعِ
أو علّليه بالمنى عساه يحيا ويعي
ما هو إلّا ميّت بين النقا ولعلعِ
فمتُّ يأسًا وأسى كما أنا في موضعي
ما صدقتْ ريح الصبا حين أتت بالخُدَعِ
قد تكذب الريح إذا تقول ما لم تسمعِ

ولنا أيضا في هذا الباب:

أنجد الشوق وأتهم العزاء[1] فأنا ما بين نجد وتهامْ
وهما ضِدّان لم يجتمعا فشتاتي[2] ما له الدهرَ نظامْ
ما صنيعي ما احتيالي دُلّني يا عذولي لا ترعني بالملامْ
زفراتٌ قد تعالت صعدا ودموع فوق خدّيَّ سجامْ
حنّت العيس إلى أوطانها من وجى السير حنين المستهامْ
ما حياتي بعدهم إلّا الفنا فعليها وعلى الصبر السلامْ

ولنا أيضا في هذا الباب:

لمعتْ لنا بالأبرقين بروق قصفت لها بين الضلوع رعودُ
وهمَتْ سحائبها بكلّ خميلةٍ وبكلّ ميّاد[3] عليك يميدُ
فجرتْ مذانِبها وفاح نسيمها وهفتْ مطوّقة وأورق عودُ
نصبوا القبابَ الحمر بين جداول مثل الأساود بينهنّ قعودُ
بيض أوانس كالشموس طوالع عين كريمات عقائل غيدُ

ولنا أيضا من هذا الباب:

عند الكثيب من جبال زرود صِيدٌ[4] وأُسْدٌ من لحاظ الغيدِ
صرعى وهم أبناء ملحمة الوغى أين الأسودُ من العيون السودِ

---

(١) ج، م، ي: الغرام.
(٢) أ، ر، ن، ي: فشتات.
(٣) أ، ر، ن: متّاد.
(٤) أ، ر، ن، ي: سيد.

فتكتْ بهم لحظاتهنَّ وحبّذا تلك الملاحظ من بنات الصيدِ

ذكر أبو الفرج بن الجوزي[١] رحمه الله، في كتاب "مثير الغرام الساكن[٢]" وأخبرنا به كتابة، قال: حُكي عن بعض السلف أنّه نوى الحجّ ومعه ثمانمائة درهم، وعرضتْ له ذات يوم حاجة، فبعث ولده إلى بعض جيرانه، فرجع الولد يبكي، فقال: ما لك؟ قال: دخلت على جارنا وعندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعموني. فذهب الرجل إلى جاره يعاتبه[٣] على ما فعل، فبكى الجار، وقال: قد[٤] ألجأتني إلى كشف حالي؛ إنّا منذ خمسة أيّام لم نطعم، فطبخنا ميتة فأكلنا، وعلمتُ أنّ ولدك يجد ما لا يحلّ له معه أكل الميتة[٥]! فتعجّب الرجل، وقال لنفسه: كيف النجاة وفي جوارك مثل هذا وأنت تتأهّب للحج[٦]؟ فرجع إلى بيته وأعطاه الثمانمائة درهم.

فلمّا كانت عشيّة عرفة رأى[٧] ذو النون المصري في منامه، وهو بعرفات، كأنّ قائلا يقول: يا ذا النون؛ ترى هذا الزحام على هذا الموقف؟ قال: نعم. قال: ما حج منهم إلّا رجل تخلّف عن الوقوف[٨] فحجّ بهمّته[٩]، فوهب الله ﷻ له ثواب[١٠] أهل الموقف. قال ذو النون: من هو؟ قيل له: رجل يسكن دمشق. فذهب ذو النون إلى دمشق، وبحث عنه حتى عرفه وسلّم عليه.

ومن شعر المتنبّي في حنين الإبل[١١]

أركائب الأحباب إنّ الأدمعا تَطِسُ الخدود كما تطسن[١٢]
فاعرفن من حملت عليكنّ النوى وامشين هونا في الأزمّة خضّعا

---

(١) أ، ر، ن: ذكر ابن الجوزي أبو الفرج.
(٢) أ، ر، م، ن: - الساكن.
(٣) ج، م، ي: فعاتبه.
(٤) ج، م، ي: - قد.
(٥) ج، م، ي: معه أكله.
(٦) أ، ر، ن: الحج.
(٧) ر، ن، ي: أري.
(٨) ج، م: الموقف.
(٩) أ، ر، ن: بهمّه.
(١٠) أ، ج، م، ي: - ثواب.
(١١) أ، ر، ن: ولمهيار الديلمي في حنين الإبل، هو للمتنبي.
(١٢) أ، ر، ن: تطيس. م، ي: يطيس.

ولهيار الديلمي في هذا الباب

إلى كم حبْسها تشكو[1] المضيقا أَثِرها ربما وجدتْ طريقا
أجِلْها تطلب القُصوى ودعها سُدًى يرمي[2] الغروبُ بها الشروقا

وله أيضا في هذا الباب:

يا سائق البكرات استبقِ فضلَتَها على الرّويد فظهر العقر معقورُ
حبسًا ولو ساعة تروى بها مُقلٌ هيمٌ وأنت عليها الدهر مشكورُ
فالعيسُ طائعةٌ والأرضُ واسعةٌ وإنما هو تقديم وتأخيرُ
تغلّسوا[3] من زرود وجه يومهم وحطّهم بظلال البان تهجيرُ

وله أيضا في هذا الباب:

مرّتْ بنعمان على طول المدى دعها فليس كلّ ماء موردا
لحاجة أمسُّ من حاجاتها تخطّأت أرزاقها تعمّدا
ترى وفي شروعها[4] ضراعة حرارة على الكبود أبردا
لا حملتْ ظهورها إن حملتْ رِجلا على الضيم تقرُّ أو يدا

استجلاب وصيّة حكيم

روينا من حديث ابن مروان قال: ثنا ابن أبي الدنيا قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: قال حكيم لحكيم: أوصني. قال[5]: اجعل الله همّك، واجعل الحزن على قدر ذنبك[6]، فكم من حزين وقف به حزنه على سرور الأبد، وكم من فرِحٍ نقله فرحه إلى طول الشقاء.

ومن[7] كلام إبراهيم بن أدهم في الكمد

روينا من حديث المالكي، عن إبراهيم بن سهلويه، عن ابن خُبَيق، قال: قال إبراهيم بن

---

(١) م، ي: يشكو.
(٢) ج، م، ي: ترمي.
(٣) تغلّسوا: وقعوا في داهية. ج، ن: تغسلوا.
(٤) ج: مشروبها. م، ي: مشروعها.
(٥) أ، ر، ن: فقال.
(٦) ج، م، ي: دينك.
(٧) أ، ر، ن: من.

أدهم: ما من العمل شيء أشدّ على أهله من طول الكمد، والكمد جرح لا يندمل دون الموت.

تقلّب الأحول، وتنوّع الأشكال

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُساءُ ويوم نُسَر

روينا من حديث الدينوري، عن إبراهيم الحربي، عن أبي نصر، عن يعقوب بن داءود، قال عُزِّيَ السائب بن الأقرع على ابنٍ له، فقال السائب: هكذا الدنيا تصبح لك مُسِرَّة، وتمسي عليك متنكّرة، ثمّ أنشأ يقول:

ألا قد أرى أن لا خلود وأنّه سينعقُ في داري غرابٌ ويحجلُ
ويقسِم ميراثي رجالٌ أعزّةٌ وتذهل عنّي الوالدات وتشغلُ

ومن خبر أسعد تُبّع الذي كسا الكعبة، وتوجّهه[1] إلى مكة، وما اتّفق له في نار اليمن

روينا من حديث ابن إسحق، قال: كان تبّعٌ وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها، فوجّه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن حتى إذا كان بين عسفان وأمَج[2]، أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر، فقالوا له[3]: أيّها الملك؛ ألا ندلّك على بيت مال داثِر أغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى. قالوا: بيت بمكة يعبده أهله، ويصلّون عنده. وإنما أراد الهذليّون هلاكه بذلك، لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده.

فلمّا أجمع لما قالوا: أرسل إلى حبرين كانا عنده، فسألهما عن ذلك، فقالا له[4]: ما أراد القوم إلّا هلاكك وهلاك جندك؛ ما نعلم بيتا لله اتّخذه في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك إليه لتَهلكنّ، ولنهلكن معك جميعا. قال: فماذا تأمراني أن أصنع؟ قالا: إذا قدمت عليه[5] تصنع عنده ما يصنع أهله؛ تطوف به وتعظّمه وتكرّمه وتحلق رأسك عنده، وتذلّل[6] حتى تخرج من عنده. قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما واللهِ إنّه لبيت أبينا إبراهيم،

---

(١) ج، م، ن، ي: وتوجّه.
(٢) عسفان وأمَج: موضعان بين مكة والمدينة.
(٣) ج، م، ي: - له.
(٤) ج، م، ي: - له.
(٥) أ، ر، ن: ... أن أصنع إذا قدمت عليه، قال.
(٦) أ، ر، ن: + له.

وإنّه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوا حوله، وبالدماء التي يهرقون عنده وهم نجسٌ أهل شرك. فعرف نصحهما وصدّق حديثهما، وقرّب النفر من هذيل، فقطّع أيديهم وأرجلهم.

ثمّ مضى حتى قدم مكة، فطاف بالبيت، ونحر عنده، وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيّام فيما يذكرون، ينحر بها للناس، ويطعم[1] أهلها، ويسقيهم العسل. وأُري في المنام أن يكسو البيت؛ فكساه الخصف، وهي ثياب غلاظ جدًّا. ثمّ أُرِي أن يكسوه أحسن من ذلك؛ فكساه المعافر[2]، ثمّ أُرِي[3] أنّه يكسوه أحسن من ذلك؛ فكساه المُلاء والوصائل[4]. وأوصى بالبيت وُلاته من جرهم، وأمرهم بتطهيره، وأن لا يقرّبوه دما ولا ميتة، ولا ميلغا[5]، وهي[6] المحايض. وجعل له بابا ومفتاحا، وقال تبّع في ذلك وفي مسيره شعرا:

وكسونا البيت الذي حرم ... الله ملاء معصّبا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا ... وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤمّ سهيلا ... قد رفعنا لواءنا معقودا

وفي ذلك تقول سبيعة بنت الأجب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نضر[7] بن معاوية بن بكر بن هوازن لابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي، تعظّم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها، فذكرت تُبّعا وما كان منه في تعظيم الكعبة:

أَبُنَيَّ لا تظلم بمكة لا ... الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بنيّ ... ولا يغرّنك الغرور[8]
أبنيّ من يظلم بمكة ... يلق أطراف الشرور
أبنيّ يضرب وجهه ... ويلح بخدّيه السعير
أبنيّ قد جرّبتها ... فوجدت ظالمها يبور

---

(١) ج، م، ي: ويعظم.
(٢) ثياب معافرية منسوبة إلى منطقة المعافر في محافظة تعز باليمن حاليا.
(٣) ج، م: رأى.
(٤) الوصائل: ثياب حمر مخططة يجاء بها من اليمن.
(٥) أ، ر، ن: ميلاثا.
(٦) أ، ر، ن، ي: فهي.
(٧) أ، ر، ن: نصر.
(٨) ج، م، ي: واحفظ محارمها ولا يغررك بالله الغرور

الله أمّنها وما بُنيت بعرصتها قصور
والله أمّن طيرها والعُصْم تأمن في ثبير[1]
ولقد غزاها تبّع وكسا بَنِيّتها الحرير
وأذلّ ربّي ملكه فيها فأوفى بالنذور
يمشي إليها حافيا بفنائها ألفا بعير
ويظلّ يطعم أهلها لحم المهاري والجزور
يسقيهم العسل المصفّى والرخيص من الشعير
والفيل أهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك في أقصى البلاد وفي الأعاجم والخزير
فاسمع[2] إذا حُدّثت واف ـهم كلّ[3] عاقبة الأمور

قال ابن إسحق: ثمّ خرج تُبّع متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه، فأبَوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن، وقيل: لمّا جاء يدخل اليمن حالت حمير بينه وبين الدخول، وقالوا[4]: لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا، فقال لهم تبّع: إنّه خير من دينكم، قالوا: فحاكِمْنا إلى النار، قال تبّع: نعم. وكان في اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه؛ تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقرّبون[5] به في دينهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلّديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار إليهم، فلمّا أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها، فذَمَرَهم[6] مَن حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها، فصبروا لها حتى غشيتهم، فأكلتِ الأوثان وما قرّبوا معها وما حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرَق جباههما لم تضرّهما، فأصفقت عند ذلك حمير على دينه. فمن هنالك[7] كان أصل اليهودية باليمن.

(١) العُصم: الوعول الجبلية. وثبير: جبل في مكة.
(٢) م، ي: واسمع.
(٣) النسخ عدا ج: - كل.
(٤) ج، ي: قالوا.
(٥) ج، م، ي: يتقرّب.
(٦) ذمَره: رمَه.
(٧) ج: فكان ذلك. م، ي: فعند ذلك.

فتنة إلهيّة أضلّ بها من شاء

أخبرني بمكة رجل ثقة من التجار، يقال له ابن الصوّاف[١] من أهل الإسكندرية، وكان عدلا صالحا، ثبْتَ الحديث فطِنا، ولا أزكّي على الله أحدا، قال لي: أخبرني[٢] بعض التجار أنّه أتّجر ببعض بلاد الهند، فعامَل[٣] رجلا من أهل ذلك البلد إلى أجل معلوم، فتوفّى التاجر الهندي قبل حلول الأجل بغتة، فأسف التاجر الغريب على تلاف ماله، فقصد دار الهندي ليشهد جنازته، باكيا على ما كان له قِبَله، فقال له بعض أهل البيت: ما شأنك تُكثر البكاء؟ فذكر ماله قِبَل الميّت، فقال له: لا بأس عليك تأخذ مالك موفّى، فقال: وكيف ذلك؟ فقال له: إنّ الميّت عندنا يحييه الله تعالى بعد ثلاثة أيّام[٤] من دفنِه، فيفتح دكانه إن كان صاحب دكان، ويذكر ما له وما عليه في جريدته، ويعطي للناس ما لهم قِبله من الحقوق، فإذا لم يبق[٥] عليه تبعة قام وأغلق[٦] دكانه، وسلّم المفاتيح[٧] للورثة، وانصرف من حيث جاء لا يتبعه أحد، فلا نراه بعد ذلك. قال التاجر: فتعجّبتُ لخبره وهان عليّ تلف المال لو تُلِف بمشاهدة هذه الأعجوبة.

قال: ثمّ إنّا تبعنا[٨] الجنازة حتى دفنّاه[٩]، وبقيت أترقّب، فلمّا كان بعد ثلاث نادى منادٍ في البلاد: معشر الناس؛ من كان له عند فلان الذي مات حقٌّ فليأت إلى دكانه، فقد قعد يعطي الناس حقوقهم.

قال: فأسرعت إلى الدكان فوجدت صاحبي بعينه لا أنكر منه شيئا، وجريدته في يده، ومن له شيء عنده قد حضر، فما زال[١٠] ينظر في الجريدة ويقول[١١]: أين فلان؟ فيجيبه، فيقول: كم تسألني؟ فيقول له: كذا، فيعطيه، إلى أن دعا باسمي فقال: كم تسألني؟ فقلت: كذا

---

(١) ج، ي: ابن صواف. م: ابن صراف.
(٢) أ، ر، ن: أخبر.
(٣) م، ي: فقابل.
(٤) أ، ر، ن: بعد ثلاث.
(٥) أ، ر، ن: تبق.
(٦) أ، ر، ن: فأغلق.
(٧) أ، ر، ن: المفتاح.
(٨) أ، ر، ن: اتبعنا.
(٩) ر، م، ن، ي: دفنّاها.
(١٠) أ، ر، ن: يزال.
(١١) م، ي: فيقول.

وكذا، فنظر في الجريدة، فقال: صدقت، فوفّاني حقّي وشكرني، واعتزلت أنظر[1] آخر أمره، إلامَ يئول. فلمّا جاء وقت العصر وتمكن، فرغ من شغله، وقفل الحانوت[2]، وانصرف الناس، وأخذ المفاتيح، وسلّمها[3] للورثة، وسلّم عليهم، وانصرف، فلم يتبعه أحد.

فانصرفتُ خلفه أسأله عن شأنه، فإنّي رأيت عجبا، فما دخل زقاقا إلّا وأنا خلفه أجهد نفسي في أثره، فلمّا ألححت عليه وقف وقال: يا هذا؛ ألم تأخذ حقّك؟ قلت: بلى. قال: فانصرِف. قلت له: أريد أن أتعرّف شأنك؛ فإنّي ما شككتُ في موتك ودفنك فكيف قصّتك؟ وأقسمتُ عليه أن يخبرني. فقال: نعم أخبرك. أمّا صاحبك التاجر الهندي، فقد انقلب إلى لعنة الله، وأمّا أنا فملَك على صورته أرسلني الله تعالى، ففعلت ما رأيت ليفتنهم، وقد أجرى الله لهم العادة في ذلك، فلستُ صاحبك، فانصرف -عافاك الله- حتى أنصرف.

قال التاجر: ثمّ التفتُّ فلم أره، وقد عرفت خبره، وكتمته في نفسي، وجبر الله عليّ مالي.

واقعة

حدّثنا صاحبنا عبد الله بن الأستاذ المورووري، قال: رأى بعض المريدين من أصحابنا في واقعته الشيخ أبا مدين، وقد[4] استوى في الهواء، ومعه أبو حامد الغزالي، فقال الشيخ[5]: يا أبا حامد؛ السرّ بالله ناظر، والروح يتلقّف منه الأوامر، والقلب للسكينة والساكن، والعقل حكم وحاكم، والنفس تحت قهر القاهر، والحقُّ[6] به ظهر الوجود، وهو الواحد المعبود. ثمّ قال: يا أبا حامد؛ إذا تلاشت المعاني بالمعاني فاقرأ السبع المثاني؛ فإنّك تراه كما لم يزل، وأنت كما لم تكن. فرأيت عند هذا الكلام قد خُصّ الشيخ بتجلٍّ إلهيّ، وأبو حامد معه مشارك.

فقال أبو حامد للشيخ: كيف مادة الله للسرّ؟ فقال له الشيخ: اسمع إن نظرت به وجدتهما معًا لم يفترقا ولم يجتمعا. ثمّ قال له: فالسرّ ما هو؟ فقال: هو خزانة النظر. قال:

---

(١) م، ي: - أنظر.

(٢) أ، ر، م، ي: التابوت.

(٣) ج، م، ي: وأسلمها.

(٤) أ، ر: قد.

(٥) أ، ر، ن: - الشيخ.

(٦) أ، ر، ن: + سبحانه.

والروح؟ قال: هو خزانة الأمر[١]، قال له: والقلب[٢]؟ قال: هو خزانة الفكر، قال: والعقل؟ قال[٣]: هو خزانة العدل والعلم[٤]، قال: والنفس؟ فقال: خزانة الأرض. ثمّ قال الشيخ: يا أبا حامد؛ على هذا صنعه، وكلّ متفرّق[٥] جمعه.

تذكرة

حدّثنا محمد بن قاسم، قال: سمعت عمر بن عبد المجيد يقول: تقدّم في العمل الصالح دهرك، واغتنم زمانك وعمرك، واعلم أنّ الآخرة مرآة الدنيا، فما عملت في هذه رأيته في هذه، فأنت اليوم تعمل وغدا ترى، فإن كنت عاقلا فابكِ على ما جرى، واذكر ما قدّمت فكأنّك قد وصلت. ثمّ أنشد:

ذكرت إساءتي فازددت حزنا ومثلي مَن تذكّر ثمّ ناحا
قطعت العمر عصيانا وجهلا وجانبتُ المروءة والصلاحا
سيبدي العرض منّي يوم حشري لأهل الجمع أحوالا قِباحا

وأنشدني أيضا:

معاصيك العظام عليك دينٌ ويوم الحشر تقضيها جميعا
فكن متجافيا عن كلّ ذنب فخير الناس من أمسى مطيعا

اجتماع سليمان بن عبد الملك مع أبي حازم

روينا من حديث المالكي، عن أبي غسّان عبد الله بن محمد، عن أبي سلمة يحيى بن المغيرة المخزومي، عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم، قال: دخل سليمان بن عبد الملك المدينة، فأقام بها ثلاثا، فقال: ما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب محمد ﷺ يحدّثنا؟ فقيل له: بلى ههنا رجل يقال له أبو حازم. فبعث إليه، فجاءه.

فقال له سليمان: يا أبا حازم؛ ما هذا الجفاء؟ فقال له أبو حازم: وأيّ جفاء رأيت منّي؟

---

(١) م، ي: النظر. وسقطت من ج.
(٢) النسخ عدا ج: القلب.
(٣) أ، ر، ن: - قال.
(٤) أ، ر، ن: والحلم.
(٥) أ، ر، ن، ي: مفترق.

قال له سليمان: أتاني وجوه أهل المدينة كلّهم ولم[1] تأتني! فقال له: أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما جرى بيني وبينك معرفة آتيك عليها. فقال سليمان: صدق الشيخ.

فقال سليمان: يا أبا حازم؛ ما لنا نكره الموت؟ فقال أبو حازم: لأنّكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: صدقت يا أبا حازم؛ فكيف[2] القدوم على الله[3]؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يَقدُم على أهله، وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه.

قال: فبكى سليمان وقال: ليت شعري؛ ما لنا عند الله يا أبا حازم؟ فقال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله ﷻ تعلم ما لك عند الله.

فقال: يا أبا حازم؛ أين نُصيب تلك المعرفة من كتاب الله ﷻ؟ قال أبو حازم: عند قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[4].

فقال سليمان: يا أبا حازم؛ فأين رحمة الله؟ قال أبو حازم: قريب من المحسنين.

قال سليمان: يا أبا حازم؛ مَن أعقل الناس؟ قال أبو حازم: من تعلّم الحكمة وعلّمها الناس؟

قال سليمان: يا أبا حازم؛ مَن[5] أحمق الناس؟ قال أبو حازم: من باع آخرته بدنيا غيره.

فقال سليمان: [6] ما أسمع الدعاء؟ قال أبو حازم: دعاء المخبتين إليه.

قال سليمان: فما أزكى الصدقة؟ فقال أبو حازم: جهد المقلّ.

فقال: يا أبا حازم؛ ما تقول فيما نحن فيه؟ فقال أبو حازم: أعفنا من[7] هذا.

فقال سليمان: نصيحة بلّغتها. قال أبو حازم: إنّ أناسا[8] أخذوا هذا الأمر من غير مشاورة من المؤمنين، ولا إجماع من رأيهم، فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا، ثمّ ارتحلوا عنها، فليت شعري ما قالوا وما قيل لهم؟

---

(١) م، ي: فلم.
(٢) ج، م، ي: كيف.
(٣) أ، ر، ن: - على الله.
(٤) [الانفطار: ١٣، ١٤]
(٥) أ، ر، ن: فقال سليمان: فمن.
(٦) أ، ر، ن: + يا أبا حازم.
(٧) النسخ عدا ج: عن.
(٨) أ، ر، ن: ناسا.

فقال بعض جلسائه: بئس ما قلت يا شيخ. فقال أبو حازم: كذبت؛ إنّ الله تبارك[1] وتعالى أخذ على العلماء ليبيننّه للناس ولا يكتمونه.

فقال سليمان: يا أبا حازم؛ كيف لنا أن نَصلح؟ قال: تدَعوا التكلّف وتمسّكوا بالمروءة.

قال سليمان: كيف الأخذ لذلك؟ قال أبو حازم: تأخذه من حقّه، وتضعه في أهله.

فقال له سليمان: اصحبنا يا أبا حازم؛ وتصيب منّا ونُصيب منك. فقال أبو حازم[2]: أعيذك من ذلك.

فقال سليمان: ولِمَ؟ قال: أخاف أن أركن إليكم شيئا قليلا فيذيقني الله منها[3] ضعف الحياة وضعف الممات.

قال سليمان: فأشر عليّ يا أبا حازم[4]؟ فقال أبو حازم: اتّق الله[5] أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث[6] أمرك.

قال سليمان: يا أبا حازم؛ ادعُ لنا بخير. فقال أبو حازم: اللهمّ إن كان سليمان وليّك فبشّره بخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوّك فخذ إلى الخير بناصيته.

فقال له سليمان: عِظ، فقال: قد أوجزت إن كنتُ وليّه، وإن كنت عدوّه؛ فما ينفعك أن أرمي عن قوس بغير وتر.

فقال سليمان: يا غلام؛ ائت بمائة دينار، ثمّ قال: خذها يا أبا حازم، فقال أبو حازم: لا حاجة لي بها[7]، إنّي أخاف أن يكون لما سمعت من كلامي أنّ موسى عليه السلام، لمّا هرب من فرعون، وورد ماء مدين، وجد عليه الجاريتين تذودان، قال: ما لكما عون؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[8] ولم يسأل الله أجرا على دِينه، فلمّا أعجل بالجاريتين الانصراف، أنكر ذلك أبوهما وقال: ما أعجلكما اليوم؟ قالتا: وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا، قال: فما سمعتماه يقول؟ قالتا:

---

(١) ج، م: - تبارك.

(٢) ج، م، ي: - أبو حازم.

(٣) أ، ر، ن: - منها.

(٤) ج، م، ي: قال سليمان: يا أبا حازم، فأشر علي.

(٥) أ، ر، م، ن: - الله.

(٦) أ، ر، ن: من حيث.

(٧) م، ي: - بها.

(٨) [القصص: ٢٣، ٢٤]

سمعناه يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال: ينبغي أن يكون هذا جائعا، تنطلق إحداكما فتقول له: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[1] قال: فجزع من ذلك موسى عليه السلام، وكان طريدا في فيافي الصحراء، فأقبل والجارية أمامه، فهبّت الريح فوصفها له، وكانت ذات[2] خلق، فلمّا بلغ الباب دخل، قال له شعيب -وإذا طعام موضوع- : أصِب يا فتى من هذا الطعام، قال موسى عليه السلام[3]: أعوذ بالله، قال شعيب: ولِمَ؟ قال موسى: لأنّا[4] من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا؟ قال شعيب عليه السلام: لا واللهِ، لكنّها[5] عادتي وعادة آبائي؛ نطعم الطعام ونُقري الضعيف. فجلس موسى فأكل. فإن كانت هذه الدنانير عِوضا لما سمعت من كلامي، فالآن أرى أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحبّ إليّ من أخذها؛ فكان سليمان أعجب بأبي حازم.

فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين؛ أيسرّك أن يكون الناس كلّهم مثله؟ قال الزهري: إنّه لجاري منذ ثلاثين سنة، ما كلّمته بكلمة قط. فقال له أبو حازم: صدقت؛ أنّك نسيت الله فنسيتني، ولو أحببتَ الله لأحببتني. قال الزهري: أتشتمني[6]؟ قال سليمان: بل أنت شتمت نفسك؛ أما علمت أنّ للجار على جاره حقّا.

فقال أبو حازم: إنّ بني إسرائيل لمّا كانوا على الصواب، وكانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفرّ بدينها من الأمراء، فاستغنتِ الأمراء عن العلماء، واجتمع القوم على المعصية، فشغلوا وانتكسوا، ولو كان[7] علماؤنا هؤلاء يصونون عِلمهم، لم تزل الأمراء تهابهم. قال الزهري: كأنّك إيّاي تريد وبي تُعرِّض، قال: هو ما تسمع.

وبالإسناد:

قال: وَفَد هشامُ المدينةَ، فأرسل إلى أبي حازم، فقال له: يا أبا حازم؛ عظني وأوجز! قال أبو حازم: اتّق الله، وازهد في الدنيا؛ فإنّ حلالها حساب وحرامها عذاب. قال: لقد أوجزت

---

(١) [القصص: ٢٥]

(٢) ج، م، ي: ذا.

(٣) ج، م: - عليه السلام.

(٤) ج، م، ي: لأنّنا.

(٥) أ، ر، ن: ولكنها.

(٦) ج، م، ي: صدقت، أتشتمني.

(٧) ج، م، ي: كانوا.

يا أبا حازم؛ ارفع[1] حوائجك إلى أمير المؤمنين، فقال[2] أبو حازم: هيهات هيهات، قد رفعت حوائجي إلى من (لا) تختزل الحوائج دونه؛ فما أعطاني منها قنعت، وما منعني منها رضيت. وقد نظرت في هذا الأمر فإذا هو نصفين: أحدهما لي والآخر لغيري؛ فأمّا ما كان لي فلو احتلتُ فيه بكلّ حيلة ما وصلتُ إليه قبل أوانه الذي قدّر لي فيه، وأمّا الذي لغيري فذاك[3] الذي لا أُطْمِع نفسي فيما مضى، ولا[4] أُطْمِعها فيما بقى، وكما مُنِعَ غيري رزقي، كذلك مُنِعتُ رزقَ غيري، فعلامَ أقتلُ نفسي!

* * *

حدّثنا محمد بن الفضل، ثنا محمد بن أبي منصور، أنبأ عبد القادر بن يوسف، أنبأ أبو الحسين بن الآبنوسي، أنا ابن شاهين، ثنا إسماعيل بن علي، حدّثني القاسم[5] بن الخطّابي، ثنا عبيد الله بن محمد العيشي، ثنا جعفر بن سليمان الضُّبَعي، قال: سمعت أبا يحيى مالك بن دينار يقول:

أتيتُ القبورَ فناديتها أين المعظّم والمحتقرْ
وأين المذِلّ[6] بسلطانه وأين العزيز إذا ما قدرْ
وأين الملبّي إذا ما دعي[7] وأين العزيز إذا ما افتخرْ

قال فهتف هاتف:

تفانَوا هناك فما مخبر وبادوا جميعا وباد الخبرْ
تروحُ وتغدو بنات[8] الثرى فتمحو محاسن تلك الصورْ
فيا سائلي عن أناس مضَوا أما لك فيما مضى معتبَرْ

* * *

أخبرني أحمد بن مسعود قال: وقّع بعض الخلفاء لبعض الأدباء بشيء، فتردّد إلى الديوان زمانا، فلم ينفّذ له صاحب الديوان ما وقّع له به، فكتب إلى الخليفة:

---

(١) أ، ر، ن: فقال له: يا أبا حازم ارفع.
(٢) أ، ر، ن: قال.
(٣) أ، ر، ن: فذلك.
(٤) أ، ر، ن: ولم.
(٥) أ، ر، ن: القاسم بن محمد.
(٦) ر، ي: المدل.
(٧) أ، ج، ر، ن: دعا.
(٨) ر، م، ي: نبات.

خليفة الله قد وقّعتَ لي كرما بذلك الرسم لكن مَن يتمّمه؟
وكلّ من جئته بالطرس ينبذه نبذ الحصاة كأنّ الطرس يؤلمه
فآه إن كان هذا قد علمتَ به وآه إن كان هذا لستَ تعلمه

قال[1]: فغضب الخليفة على صاحب ديوانه وعزله، ونفّذ توقيعه، وضاعف له.

* * *

روينا من حديث الهاشمي بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّها الناس؛ لا تُعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تعاقبوا ظالما فيبطل فضلكم، ولا تراءوا الناس فيحبط عملكم، ولا تمنعوا الموجود فيقلّ خيركم.

أيّها الناس؛ إنّ الأشياء ثلاثة: أمرٌ استبان رشده فاتّبعوه، وأمر استبان غيّه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فردّوه إلى الله.

أيّها الناس؛ ألا أنبّئكم بأمرين خفيفٌ مؤنتهما عظيمٌ أجرهما، لم يُلقَ الله بمثلهما: الصمت وحسن الخلق».

مَن حج من خلفاء بني أميّة

حج معاوية بن أبي سفيان بالناس سنة خمسين، وحج عبد الملك بن مروان سنة خمس وسبعين، وحج الوليد بن عبد الملك سنة إحدى وتسعين.

ومن وقائع بعض الفقراء

ما حدّثني به[2] عبد الله بن الأستاذ المورواري، قال[3]: قال لي[4] بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا طالب وأبا حامد وأبا يزيد وجمعًا من الصوفية، فقال بعضهم لأبي مدين: قل لنا في التوحيد، فقال: التوحيد أصلٌ وهو مع كلّ دقيقة، والوجود سترٌ[5] وهو ظلّ الحقيقة، والتوحيد أحصى كلّ شيء عددا، وهو الباقي أزلا وأبدا، الكافي لمن هو حسبه، فمن وفّقه عمر به قلبه، هو المُظهر للأشياء، وبحياته كانت الحياة.

---

(١) أ، ر، ن: - قال.
(٢) النسخ عدا ج: - به.
(٣) م، ي: - قال.
(٤) م، ي: - لي.
(٥) ج، ي: سر.

فالتوحيد ثمرة المعرفة، ولا يُنال إلّا بقلب الأخلاق والصفة؛ فمن انقلبتْ صفته كان المحمود[١]، ومن وقفت همّته عمّا سواه نال المقصود[٢]. فالعارف به له يظهر[٣] أسراره، وإلى حضرة سيّده تمتدّ أفكاره، يلاحظ الجمال العليّ، وينزّه ذات المالك الوفي.

فالتوحيد حياة القلوب، ومظهر الأشياء وساتر العيوب، ستر به مخلوقاته فبطن، وأظهر به قدرته فيهم سبحانه فظهر، فللعارف[٤] أسرار بها يقتدي، وله أنوار بها يهتدي، وأنواره من نور سيّده ملأت وجوده، وأشرقت أسراره فكاشفت معبوده. صفتْ همّته فباشر المعاني، وتنزّهت صفاته فظلّ فانيا، فبالتوحيد العارفون يقولون ويسمعون، فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون.

وروينا من حديث الخطّابي قال: أنبأ ابن الأعرابي، قال: أنبأ بكر بن فرقد، ثنا يحيى بن سعيد القطان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن طلحة بن عبيد الله، قال: إنّ أقل لعيب الرجل أن يجلس في داره[٥].

حدّثنا محمد بن قاسم، قال: قيل لحاتم الأصم: كيف أصبحتَ؟ قال: كيف يصبح مَن أجله قريب وأمله بعيد، والموت أمامه والقبر مسكنه، وهو مع ذلك مطالَب بتسع خلال، قلت: وما هنّ؟ قال: أصبحتُ واللهُ سبحانه يطالبني بالفرض، والنبيّ ﷺ بالسنّة، والعيال بالنفقة، والنفس بالقوت، والوالدان بالبِرّ، والملَكان بصدق اللسان، والقبر بالجسم، والدود باللحم، ومنكَر ونكير بالحجّة، فهؤلاء غرمائي، وهذه ديوني، فكيف يجب أن يكون من يصبح كلّ يوم على هذه الصفة، وقد غلب تقصيري عن الوفاء.

داويتُ قلبي بالهموم فما اشتفى ... وعتبتُ طرفي بالدموع فما اكتفى
ووقفتُ أندب في منازل وصلكم ... حزنا على زمن المودّة والصفا

---

(١) أ، ر، ن: المحمول.

(٢) أ، ر، ن، ي: الوصول.

(٣) ج، م، ي: تظهر.

(٤) ج، م، ن، ي: للعارف.

(٥) العبارة غير واضحة، ووجدنا في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد: "إنّ أقل العيب على الرجل جلوسه في داره" ورواية أخرى: "إن أقل العيب على المرء أن يجلس في داره".

مثل

هو "أحمق من هَبَنَّقَة"، وله حكايات في هذا الفنّ عجيبة، فممّا بلغ من حمقه، أنّه ضلّ له بعيرٌ يوما، فجعل ينادي: من وجد بعيري فهو له، فقيل له: فلِمَ تنشده؟ قال: فأين حلاوة الوجدان! يقول الراجز:

أَنْشُدُ والباغي يحبُّ الوجدان

ومن أخباره: أنّه اختصمت إليه في رجلٍ قبيلتان: الطفاوة وبنو راسب، فادّعى هؤلاء فيه، وادّعى هؤلاء فيه[1]، فقالوا: قد رضينا بأوّل طالع علينا حَكما، فطلع عليهم هبَنّقة، فلمّا رأوه قالوا: انظروا بالله مَن طلع علينا، فلمّا دنا قصّوا عليه قصّتهم، فقال هبنّقة: الحكم في هذا بيّنٌ: اذهبوا به إلى نهر البصرة، فألقوه فيه، فإن كان من بني راسب رسب، وإن كان طفاويا طفا، فقال الرجل: لا أريد أن أكون من أحد[2] هذين الحيّين، ولا حاجة لي[3] إلى الديوان.

وممّا يقرب من هذا الحكم ما اتّفق في بلدنا بإشبيلية، كان عندنا رجل من سفلة الناس يقال له: جمعة، يبيع الخبز، وكان يتحاكم إليه أطرافُ الناس، فجاء إليه رجلان يوما، فقال أحدهما[4]: يا جمعة؛ إنّ هذا الرجل زنى بامرأتي، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قال: زعم أنّه رأى امرأتي في نومه فنكحها! (فقال:) كذلك كان؟ قال الخصم: نعم، فقال جمعة: وجب الحدّ، اذهبوا به إلى الشمس؛ فإذا امتدّ ظلّه في الأرض فاجلدوا ظلّه مائة جلدة، فقال الرجل: وما عليه في ذلك؟ فقال له جمعة: وما على امرأتك في ذلك إذا نكح خيالها في دماغه، ما لك عندي حكم غير ذلك.

واختصم إليه مرّة أخرى في شبيه هذه الواقعة؛ رجل طبّاخ، يطلب حقّ إدامه من رجل آخر، فقال جمعة[5]: كيف ترتّب لك ما تدّعيه على هذا الرجل؟ فقال: إنّي رجل طبّاخ، أبيع في الدكان ما أطبخه، فجاء هذا الرجل وبيده قرصة من خبز، فجعل يأخذ اللقمة بعد اللقمة[6] ويعرضها على بخار القدر الصاعد ويأكل حتى فرغ[7]، فطلبتُ منه حقّ بخار القِدر.

---

(١) أ، ر، ن: - وادّعى هؤلاء فيه. ج: وادّعى هؤلاء وهؤلاء فيه.

(٢) ج، م، ي: - أحد.

(٣) م، ي: - لي.

(٤) من ج فقط.

(٥) ج: فقال له. م، ي: - فقال جمعة.

(٦) ج، م: - بعد اللقمة.

(٧) ج، م، ي: فرغت.

فقال جمعة: وجب، يا هذا أعندك[1] قطعة فضة؟ قال: نعم، فأخرج المدعى عليه قطعة فضة، فقال جمعة للطباخ: اصغ بإذنك، ورمى قطعة الفضة على حجر صلد، فسمع لها طنين، فقال: يا طبّاخ؛ خذ هذا الطنين في حقّ بخارك، ورُدّ قطعة[2] الفضة لخصمك، فقال الطبّاخ: فما نقصه شيء. فقال جمعة: ولا أخذَ من قِدرك شيئا.

وافتخر الحسن[3] عليه السلام يوما في مجلس معاوية في كلام جرى أضربنا عن ذِكره، لأنّا قد عزمنا ألّا نذكر ما شجر بين الصحابة من قبيح القول والفعل، لما يحصل في القلوب الضعيفة من ذلك. فقال الحسن: أنا ابن ماء السماء وعروق الثرى، وأنا[4] ابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثاقب، والشرف الفائق، والقديم السابق، أنا[5] ابن من رِضاه رضى الرحمن، وسخطه سخط الرحمن، ثمّ ردّ وجهه للخصم فقال له: هل لك أب كأبي أو قديم كقديمي؟ فإن تقل: لا، تُغلب، وإن تقل[6]: نعم، تكذِب. فقال الخصم: لا؛ تصديقا لقولك. فقال الحسن عليه السلام:

الحقُّ أبلج لا يزيغ سبيله والحقُّ يعرفه ذوو الألباب

وقال معاوية يوما، وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بأكرم الناس أبًا وأمّا، وعمًّا وعمّة، وخالا وخالة، وجدّا وجدّة؟ فقام مالك بن عجلان وأومأ إلى الحسن بن علي عليهما السلام فقال: ها هو ذا؛ أبوه عليّ بن أبي طالب، وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعمّه جعفر الطيار، وعمّته أمّ هاني بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدّته خديجة بنت خويلد. فسكت القوم، ونهض الحسن. فقام رجل من بني سهم، فأنّب ابن عجلان[7] على مقالته، فقال ابن عجلان: ما قلتُ إلّا حقّا، وما أحد من الناس يطلب مرضات مخلوق بمعصية الخالق إلّا لم يعط أمنيته في دنياه، وختم له بالشقاء في

(١) أ، ر، م، ن: عندك.
(٢) ج، م، ي: القطعة.
(٣) ج، م: الحسين.
(٤) أ، ر، ن: - أنا.
(٥) أ، ر، ن: - أنا.
(٦) ج، ي: قلت.
(٧) أ، ر، ن: العجلان.

آخرته؛ بنو هاشم أنضَرُكم عودا، وأوراكم زندا، أكذلك[1] يا معاوية؟ قال: اللهمّ نعم.

ورووينا من حديث ابن عباس قال: قدمتُ على معاوية وقد قعد على سريره، وجمع بنو أميّة ووفود العرب عنده، فدخلتُ وسلّمتُ وقعدتُ، فقال: يا ابن عباس؛ مَن الناس؟ فقلت: نحن، قال: فإذا غبتم؟ قلت: فلا أحد، قال: فكأنّك ترى أنّي قعدت هذا المقعد بكم؟ قلت: نعم، فبمن قعدت؟ قال: من كان مثل[2] حرب بن أميّة؟ يعني جدّه، قلت: مَن كفأ عليه إناؤه وأجاره بُرداه! أراد بذلك ابن عباس، ما اتّفق لحرب بن أميّة جدّ معاوية مع عبد المطلب لمّا استجار به حرب حين أراد قتله الزبير بن عبد المطلب من أجل التميمي، وذلك أنّ حرب بن أميّة لم يلق أحدا من رؤساء قريش في عقبةٍ ولا مضيقٍ إلّا تقدّمه حرب حتى يجوزه، فلقيه يوما رجل من بني تميم في عقبة، فتقدّمه التميمي، فقال حرب: أنا حرب بن أميّة، فلم يلتفت التميمي وجازه فقال: موعدك مكة، فخافه التميمي، ثمّ أراد التميمي دخول مكة فقال: من يجيرني من حرب بن أميّة، فقيل له: عبد المطلب، فقال: عبد المطلب أقلّ قدرا من أن يجير على حرب بن أميّة. فأتى ليلا دار الزبير بن عبد المطلب، فدقّ بابه، فقال الزبير لعبده: قد جاءنا رجلٌ إمّا طالب حاجة، وإمّا طالب قِرى، وإمّا مستجير، وقد أجبناه إلى ما يريد، ثمّ خرج الزبير إليه، فقال التميمي:

لاقيت حربا في الثنيّة مقبلا ... والصبح أبلج ضوءُه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليريعني[3] ... وسما عليّ سموّ ليث ضاري
فتركته[4] كالكلب ينبح ظلّه ... وأتيتُ قوم معالم وفخارِ
ليثا هزبرا يُستجار بعزّه ... رحب المباءة[5] مكرما للجارِ
ولقد حلفت بمكة وبزمزم ... والبيت ذي الأحجار والأستارِ
أنّ الزبير لَمَانِعي من خوفه ... ما كبّر الحُجّاج في الأمصارِ

فقدّمه الزبير، وأجاره، ودخل به المسجد، فرآه حرب، فقام إليه فلطمه، فحمل عليه الزبير بالسيف، فولّى حربٌ يعدو هاربا حتى دخل دار عبد المطلب، فقال: أجرني من الزبير، فألقى عليه عبد المطلب جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس، فبقي تحتها ساعة، ثمّ قال

(١) النسخ عدا ج: كذلك.
(٢) ج، م، ي: بمثل.
(٣) أ، ر، ن: ليروعني. ج: بقبيله.
(٤) ج، ي: وتركته.
(٥) ج: المياه. أ، ر، ن: المناة.

له: اخرج، فقال: وكيف أخرج[1] وعلى الباب تسعة من ولدك قد احتبوا السيوف؟ فألقى عليه رداء كان كساه إيّاه سيف بن ذي يزن له طرّتان خضراوان، فخرج عليهم، فعلموا أنّه قد أجاره، فتفرّقوا عنه.

وروينا من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تفتخروا[2] بآبائكم في الجاهلية، فوالذي نفسي بيده لما يدحرِج الجعل برجله خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية».

أخذها[3] هذا القطب المطهّر من وعّاظ العجم، وكان بليغا في اللسان الفارسي، فوعظ الناس يوما، فقام إليه بعض الناس فقال: أيّها الواعظ[4]؛ أنت خير أم الكلب؟ قال: فأطرق الواعظ[5] ساعة واستعبَر[6]، وكان صالحا، فقال: يا أخي؛ أما أنّي إن فزت من النار ودخلت الجنّة فأنا خير من الكلب، وإن كان غير ذلك فالكلب خير منّي. أخبرني بهذه الحكاية تلميذه صاحبنا مجد الدين أبو إبراهيم إسحق بن محمد بن يوسف القونوي، أسعده الله بطاعته.

وكان الحسن بن أبي الحسن البصري يقول: يا ابن آدم؛ لِمَ تفتخر، وإنما خرجت من سبيل بولين نطفة مشجت بأقذار!

وقال[7] بعض الحكماء من الصالحين لرجل آخر يفتخر: أيفتخر مَن أوّله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو فيما بينهما وعاء عذرة؟

وأنشدنا ابن البطين لعلي بن أبي طالب القيرواني، ويقال هي لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

الناس من[8] جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأمّ حوّاءُ
فإن يكن لهم من أصلهم نسبٌ يفاخرون به فالطين[9] والماء

---

(١) م، ي: - أخرج.
(٢) ج، م، ي: لا تفخروا.
(٣) أ، ر، ن: أحد.
(٤) أ، ر، ن: + أو كما قال.
(٥) ج، م، ي: - الواعظ.
(٦) استعبر: جرت دمعته.
(٧) ج، م، ي: قال.
(٨) أ، ر، ن: في.
(٩) أ، ر، ن: والطين.

ما الفخر[1] إلّا لأهل العلم أنّهم على الهدى لمن استهدى أدلّاءُ
وقَدْرُ كلّ امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء

وكان أبي[2] كثيرا ما ينشد:

الحمد لله ليس الرزق بالطلب ولا العطايا على فهمٍ ولا أدب
إن قدّر الله شيئا كنتُ نائله وليس ينفعني حرصي ولا نصبي

وخطب بعض الخلفاء، وقد خطر له حسن الظنّ بالله تعالى، فقال: الحمد لله الذي أنقذني من ناره بخلافته.

ومن حسن كلام الحجاج، إن كان ينفعه ذلك

قال الحجّاج يوما؛ يقولون[3]: مات الحجاج مات الحجاج[4]، مَه، ما أرجو الخير كلّه إلّا بعد الموت، واللهِ ما رضي الله البقاء إلّا لأهون الخلق عليه إبليس، إذ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[5]. أطْمَعَ الحجاج في ربّه حسن ظنّه به واتّساع عفوه وكرمه.

وما قاله الآخر:

تعاظمني ذنبي فلمّا قرنته بعفوك ربّي كان عفوك أعظما

وقول[6] الآخر:

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه

وحديث السجلّات؛ وهو الرجل الذي ذكره رسول الله ﷺ أنّه ينشر له يوم القيامة تسعة وتسعون سجلّا مدّ البصر، ليس فيها خير، فإذا رجل لم يعمل خيرا قط إلّا كلمة التوحيد، فألقاه الله له في كفّة، والسجلّات في كفّة، فثقلت كلمة التوحيد، وطاشت السجلات، فدخل الجنّة، وهذا بلا شكّ أعظم ذنوبا من الحجّاج، فكيف لا يطمع الحجّاج

(١) أ، ر، ن: ما الفضل.
(٢) أ، ر، ن: + رحمه الله.
(٣) ج، م، ي: - يقولون.
(٤) ج، م: مات الحجاج.
(٥) [الحجر: ٣٦ - ٣٨]
(٦) ج، م، ي: وقال.

وكان من الذين خلطوا؟

وروينا من حديث أنس بن مالك قال: دخلنا على قوم من الأنصار وفيهم فتى عليل، فلم نخرج من عنده حتى قضى نحبه، فإذا عجوز عند رأسه، فالتفتَ إليها بعض القوم فقال: استسلمي لأمر الله واحتسبي، قالت: أمات ابني؟ قال: نعم، قالت: أحقّ ما تقوله[1]؟ قلنا: نعم. فمدّت يدها إلى السماء وقالت: اللهمّ إنّك تعلم أنّي أسلمتُ لك، وهاجرتُ إلى نبيّك محمد صلوات الله عليه وسلامه رجاء أن تعينني[2] عند كلّ شدّة، فلا تحمّلني هذه المصيبة اليوم. قال: فكشف ابنها الذي سجّيناه عن وجهه، وما برحنا حتى طعم وشرب، وطعمنا معه[3].

في الكتاب الأوّل يقول الله تعالى: يا ابن آدم؛ أحدث لك سفرا أحدث لك رزقا.

قال الكميت:

ولن يريح[4] هموم النفس إن حضرتْ حاجات مثلك إلّا الرحل[5] والجمل

وجد في بعض خزائن ملوك فارس لوحٌ من حجارة مكتوب[6] عليه: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإنّ موسى عليه السلام خرج يقتبس نارا فنودي بالنبوّة.

روينا من حديث الأصمعي قال: حججتُ مرّة فإذا أعرابي قد كوّر عمامته على رأسه، وقد تنكّب قوسا، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيّها الناس؛ إنما الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم.

أمّا بعد؛ فإنّه لن يستقبل أحدٌ يوما من عمره إلّا بفراقِ آخر من أجله، فاستعجلوا لأنفسكم لما تقدمون عليه، لا لما تظعنون عنه، وراقبوا من ترجعون إليه؛ فإنّه لا قويّ أقوى من خالق، ولا ضعيف أضعف من مخلوق، ولا مهرب من الله إلّا إليه، وكيف يهرب من يتقلّب في يدي طالبه! ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ

(١) أ، ر، ن: تقولون.
(٢) ج، م: يعيني.
(٣) ج، ي: وشربنا معه.
(٤) ج، م، ي: تريح.
(٥) أ، ر، ن: الرجل.
(٦) أ، ر، ن: .

فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1].

وروينا من حديث ابن ودعان، حدّثنا الحسن بن محمد الصيرفي، أنا أبو بكر محمد بن القاسم، ثنا إسماعيل بن إسحق، ثنا نصر بن علي، عن الأصمعي، عن أبي عمرو، عن عيسى بن عمر، عن معاوية أنّه قال: سمعت رسول الله[2] ﷺ يقول[3] في خطبة أحد العيدين: «الدنيا دار بلاء ومنزل قُلعة وعناء، نُزعت[4] عنها نفوس السعداء، وانتزعت[5] بالكره من أيدي الأشقياء، وأسعدُ الناس بها أرغبهم عنها، وأشقاهم بها أرغبهم فيها، هي الغاشّة لمن انتصحها، والمُغوية لمن أطاعها، والخاتِرة[6] لمن انقاد لها، والفائز من أعرض عنها، والهالك من هوى فيها. طوبى لعبد اتّقى فيها ربّه، وناصح نفسه، وقدّم توبته، وأخّر شهوته، من قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة فيصبح في بطن موحشة غبراء، مدلهمّة ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنة[7]، ولا ينقص من سيّئة[8]، ثمّ ينشر فيحشر؛ إمّا إلى جنّة يدوم نعيمها، أو نار لا ينفكّ عذابها».

لمّا مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز جزع أبوه عليه جزعا شديدا، فقال ذات يوم لمن حضر: هل من منشد شعرا يعزّيني به، أو واعظ يخفّف عنّي فأتسلّى به؟ فقال رجل من أهل الشام: يا أمير المؤمنين؛ كلّ خليل مفارق خليله، بأن يموت أو بأن يذهب إلى مكان. فتبسّم عمر وقال: مصيبتي فيك زادتني مصيبة.

وفي الكتاب الأوّل أنّ الله تعالى يقول: يا عبدي؛ إن رضيتَ حكمي واليْتُكَ، وإن اتّقيتني قرّبتكَ، وإن استحييتَ منّي اكرمتكَ، وإن توكّلتَ عليّ صدقا كفيتك، وإن ظلمتَ نفسك بمعصيتي عاقبتكَ، أنت بيدك جرحت[9] فؤادك لما بلغت من المعصية مرادك، أما علمت أنّك

(١) [آل عمران: ١٨٥]
(٢) أ، ر، ن: سمعت النبي.
(٣) أ، ر، ن: - النبي.
(٤) أ، ر، ن: قد نزعت.
(٥) أ، ر، ن: أو انتزعت.
(٦) الخاترة: الغادرة.
(٧) م، ي: حسنته.
(٨) م، ي: عن سيّئته.
(٩) أ، ر، ن: خرجت.

لمّا نزعتَ لباس التقوى عرّضتَ نفسك للمحن والبلوى؟

ومن كلام علي بن أبي طالب ﷺ[1]

الدنيا دار صدق لمن صدقها[2]، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها. مسجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومتجر أوليائه، يكسبون[3] فيها الرحمة، ويرجون[4] فيها الجنّة، فمن ذا يذمّها وقد آذنتْ ببينها[5]، ونادت بفراقها، ونعتْ نفسها، وشوّقت بسرورها إلى السرور، وببلائها إلى البلاء، تخويفا وتحذيرا، وترغيبا وترهيبا؟ فيا أيّها الذامّ للدنيا، والمفتتن بغرورها، متى غرّتك؛ أبمصارع[6] آبائك من البلا؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم علّلتَ[7] بكفّيك وكم مرّضتَ بيديك؟ تبتغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطبّاء، وتلتمس لهم الدواء، لم تنفعهم بطلبتك، ولم تشفعهم بشفاعتك، ولم تستشفهم باستشفائك، بطبّك[8] مثّلت لهم الدنيا بمصرعهم مصرعك ومضجعك حيث لا ينفعك بكاؤك، ولا يغني عنك أحبّاؤك.

ثمّ التفت إلى قبور هناك فقال: يا أهل الثروة والعزّ؛ الأزواج قد نُكحت، والأموال قد قسّمت، والدور قد سكنت، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ ثمّ قال لمن حضر: والله لو أذن لهم لأجابوك بأنّ خير الزاد التقوى. ثمّ أنشد:

ما أحسن الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع الله من نالها
من لم يواسِ الناس من فضلها ... عرض للإدبار إقبالها

روينا من حديث الخطّابي، قال: حدّثنا الخُلْدي عن موسى بن هارون، عن هديّة بن خالد، عن حزم القطعي، قال: سمعتُ الحسن يقول: المداراة نصف العقل، وأنا أقول: هو العقل كلّه.

---

(١) أ، ر، ن: صلوات الله عليه.
(٢) ج، م، ي: - لمن صدقها.
(٣) في النسخ: يكسبوا.
(٤) أ، ر، ن: ويربحوا. ج، م، ي: ويرجوا.
(٥) ج: بنيها. م: بينها. ي: بنبيها. وغير واضحة في ن.
(٦) ج، م: بمصارع.
(٧) ج، م، ي: تملكت.
(٨) مرتبكة في النسخ ج، م، ي.

وقال محمد بن الحنفية: ليس بحكيم مَن لم يعاشر بالمعروف مَن لا يجد مِن معاشرته بدّا حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا.

وروينا من حديث الخطّابي، قال: أنا محمد بن هاشم، عن الدَّبَري، عن عبد الرزاق، عن ثابت بن رافع، قال: أخبرني شيخ من أهل صنعاء، يقال له أبو عبد الله، قال سمعت وهب بن منبّه يقول: إنّي وجدت في حكمة آل داءود: حقّ على العالم ألّا يشتغل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يصادقونه عن عيوبه وينصحونه في نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذّاتها فيما يحلّ ويُحمل؛ فإنّ هذه الساعة عون لهذه الساعات، واستجمام للقلوب، وفضل وبُلغة، وعلى العاقل أن يكون عارفا بزمانه، ممسكا للسانه، مقبلا على شأنه.

وأنشدنا محمد الكتّاني[1] لبعضهم:

عليك بالقصد لا تطلب مكاثرة ... فالقصد أفضل شيء أنت طالبُه
واقنع بحالك لا تحسد أخا نشبٍ ... فعن قليل يردّ المال واهبُه
فالمرء يفرح بالدنيا وبهجتها ... ولا يفكّر[2] ما كانت عواقبُه
حتى إذا ذهبتْ عنه وفارَقها ... تبيّن الغبن فاشتدّت مصائبُه
وصار يهوي بأن لو كان ذا عدم ... ولم يكن عظمت فيها مكاسبُه

وأنشدنا أيضا لبعضهم:

يا من تخلّفَ عن محلّ نجاته ... متشاغلا باللهو والعصيانِ
كفّر بحزنك في مقامك ما مضى ... واندب فهذا موقف الأحزانِ
واذر الدموع على الخدود بحسرة ... لتنال عفو الواحد المنّانِ

روينا من حديث محمد بن سلامة، قال أنبأ أبو مسلم الكاتب[3]، قال: أنبأ ابن دريد، أنا عبد الرحمن والرياشي[4] وأبو حاتم، عن الأصمعي، قال: رأيت أعرابيّا وقد وضع يده على

---

(١) أ، ر: الكناني.
(٢) ر، ن: تفكر.
(٣) ج، م، ي: أبو موسى الكاتب.
(٤) ج، م، ي: الرياشي.

باب[1] الكعبة وهو يقول: يا ربّ؛ سائلك ببابك، مضت أيّامه وبقيت آثامه، وانقطعت شهوته وبقيت تبعته، فارضَ عنه واعف عنه[2]، فإنما يُعفى عن الجاني، ويثاب المحسن، وأنت أفضلُ مَن دعوت، وأكرم من رجوت.

ولنا من اللطائف والإشارات العلوية

غادروني بالأثيل والنقا ... أسكب الدمع وأشكو الحُرَقا
بأبي من ذبتُ فيه كمدا ... بأبي من متُّ منه[3] فَرَقا
حمرةُ الخَجلة في وجنته ... وَضَحُ الصبح يناغي الشفقا
قوَّض الصبر وطنّب الأسى ... وأنا ما بين هذين لَقا
من لِبِثّي مَن لحزني دُلّني ... مَن لوجدي مَن لصبٍّ عشقا
كلّما صنتُ تباريح الهوى ... فضح الدمع الجوى والأرقا
فإذا قلتُ هبوا لي نظرة ... قيل ما تُمْنَعُ إلّا شفقا
ما عسى تغنيك منّا نظرة ... هي إلّا لمح برقٍ برقا
لست أنسى إذ حدا الحادي بهم ... يطلب البين ويبغي الأبرَقا
نعقتْ أغربةُ البين بهم ... لا رعى الله غرابا نعقا
ما غرابُ البين إلّا جَمَلٌ ... سار بالأحباب نصًّا عنقا[4]

وروينا[5] من حديث أبي داءود سليمان بن الأشعث قال: مات رسول الله ﷺ عن مائة ألف صاحب كلّهم روى عنه الحديث[6].

روينا من حديث ابن باكويه، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن عيسى القُرشي، ثنا أبو الأشهب السائح قال: بينا أنا في الطواف إذا أنا[7] بجويرية قد تعلّقت بأستار الكعبة وهي تقول: يا وحشتي بعد الأنس، ويا ذلّتي بعد العزّ، ويا فقري بعد الغنى. فقلت لها: ما لك:

---

(١) ج، م، ي: - باب.
(٢) ج، م، ي: فارض عني واعف عني.
(٣) أ، ر، م، ن: فيه.
(٤) أ، ر، م، ن ومتن ي: يقطع البيداء قصا عنقا.
(٥) أ، ر، ن: روينا.
(٦) ج، م، ي: حديث.
(٧) ج، م، ي: إذ نحن.

أذهب لك مال؟ أو أصبت بمصيبة[1]؟ قالت: لا، ولكن كان لي قلب فقدته! قلت: وهذه مصيبة؟ قالت: وأيّ مصيبة أعظم من فقد القلوبِ وانقطاعها عن المحبوب! فقلت لها: إنّ حسن صوتك قد عطّل على سامعيه الطواف! قالت[2]: يا شيخ؛ البيت بيتك أم بيته؟ قلت: بل بيته، قالت: فالحرم حرمك أم حرمه؟ قلت: حرمه، قالت: فدعنا نتدلّل عليه على قدر ما استزارنا إليه[3].

ثمّ قالت: بحبّك لي إلّا ما رددتَ عليّ قلبي! فقلت لها: من أين تعلمين أنّه يحبّك؟ قالت: بالعناية القديمة؛ جيّشَ من أجلي الجيوش، وأنفق الأموال، وأخرجني من بلاد الشرك؛ فأدخلني في التوحيد، وعرّفني نفسي بعد جهلي إيّاه؛ فهل هذه إلّا لعناية[4]؟

قلت: كيف حبّك له؟ قالت: أعظم شيء وأجلّه. قلت: وتعرفين الحبّ؟ قالت: فإذا جهلت الحبّ فأيّ شيء أعرف! قلت: فكيف هو؟ قالت: هو[5] أرقّ من الشراب، قلت: وأيّ شيء هو؟ قالت: عجنتْ طينته بالحلاوة، وخمرتْ في إناء الجلالة، حلو المجتنى ما أقصر، فإذا أفرط عاد خبلا قاتلا وفسادا معضِلا، وهو شجرة غرسُها كريه ومجتناها لذيذ، ثمّ ولّت وأنشأت تقول:

وذي قلق لا يعرف الصبر والعزا ... له مقلة عبرا أضرّ بها البكا
وجسم نحيل من شجى لاعج الهوى ... فمن ذا يداوي المستهام من الضنى
ولاسيما والحبّ صعب مرامه ... إذا عطفتْ منه العواطف بالفنا

ولنا من باب الإشارات العلويّة

ألا يا حمامات الأراكة والبان ... ترفّقن لا تضعفن[6] بالشجو أشجاني
ترفّقن لا تُظهرن بالنوح والبُكا ... خفيّ صباباتي ومكنون أحزاني
أطارحها عند الأصيل وبالضحى ... بحنّةِ مشتاق وأنّةِ هيمانِ
تناوحتِ الأرواح في غيضة الغضا ... فمالت بأفنان عليَّ فأفناني
وجاءت من الشوق المبرّح والجوى ... ومِن طُرف البلوى إليَّ بأفنانِ

---

(١) م، ي: مصيبة.
(٢) أ، ر، ن: فقالت.
(٣) ج: ما استزادنا عليه. م: ما استردنا عليه. ي: ما استرادنا عليه.
(٤) ج، م، ي: العناية.
(٥) أ، ر، ن: - هو.
(٦) النسخ عدا ج وهامش ي (وعدا الديوان): قد زدتنّ.

فمن لي بجمع والمحصّب من منى ومَن لي بذات الأثل مَن لي بنعمانِ
تطوف بقلبي ساعة بعد ساعة بوجدٍ وتبريح وتلثم أركاني
وكم عهدت أن لا تحولَ وأقسمتْ وليس لمخضوبٍ وفاءٌ بأيمانِ
ومن أعجب الأشياء ظبي مبرقع يشير بعنّاب[1] ويومي بأجفانِ
ومرعاه ما بين الترائب والحشا فياعجبا من روضة وسط نيرانِ
لقد صار قلبي قابلا كلّ صورة فمرعى لغزلان ودَيْرٌ لرهبانِ
وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائف وألواحُ توراة ومصحفُ قرآنِ
أدين بدين الحبّ أنى توجهتْ ركائبه فالدين ديني وإيماني
لنا أسوة في بشر هند وأختها وقيس وليلى ثمّ ميٍّ وغيلانِ

ولنا أيضا في هذا الباب أيضا:

أطارح كلّ هاتفة بأيك على فنٍن بأفنان الشجون
فتبكي إلفها من غير دمع ودمع الحزن[2] يَهْمُل من جفوني
أقول لها وقد سمحت جفوني بأدمعها تخبّر عن شئوني
أَعِندَكِ[3] بالذي أهواه عِلْمٌ وهل قالوا[4] بأفياءِ الغصون

روينا[5] من حديث ابن الأشعث، قال: ثنا عبد الله بن مسلمة، عن عبد العزيز بن محمد، عن محمد بن طحلاء[6]، عن محصن بن علي، عن عوف بن الحارث، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله[7] ﷺ: «من توضّأ فأحسن وضوءه، ثمّ راح فوجد الناس قد صلّوا، أعطاه الله[8] مثل أجر مَن صلّاها وحضرها، لا ينقص ذلك شيئا من أجرهم».

---

(١) أ، ر، ن، ي: بمخضوب.
(٢) م، ي: العين.
(٣) أ، ر، ن، ي: أعيذك.
(٤) قالوا: من المقيل والقيلولة وهي الاستراحة منتصف النهار.
(٥) أ، ر، ن: وروينا.
(٦) ج، م: طلحة.
(٧) أ، ر، م، ي: قال النبي.
(٨) أ، ر، ن: الله ﷻ.

ومن باب الترغيب في اتّباع السنّة

روينا من حديث أبي داءود، عن عبيد الله بن سعد[١]، ثنا عمّي عن إسحق[٢]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: «أنّ النبيّ ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون فجاءه، فقال: يا عثمان؛ أرغبتَ عن سنّتي؟ فقال: لا واللهِ يا رسول الله، ولكن سنّتك أطلب. قال: فإنّي أنام وأصلّي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، اتّق الله يا عثمان: وإنّ لأهلك عليك حقّا، وإنّ لضيفك عليك حقّا، وإنّ لنفسك عليك حقّا؛ فصم وأفطر، وصلّ ونم».

حديث بناء قريش الكعبةَ

روينا من حديث الأزرقي، قال: حدّثني جدّي، ثنا مسلم بن خالد الزنجي، عن ابن أبي نجيح، عن أبيه، قال: جلس رجالٌ من قريش في المسجد الحرام، فيهم حويطب بن عبد العزّى، ومخرمة بن نوفل، فتذاكروا بنيان قريشٍ الكعبةَ، وما هاجهم على ذلك، وذكروا كيف بناؤها قبل ذلك؟ قالوا:

كانت الكعبة مبنيّة بِرَضْم[٣] يابس ليس بمدَر، وكان بابها بالأرض، ولم يكن لها سقف، وإنما تدلّى الكسوة على الجَدر من خارج، وتُربط من أعلى الجدر من بطنها[٤]، وكان في بطن الكعبة عن يمين مَن دخلها جُبٌّ، يكون فيه ما يُهدى للكعبة من مال وغير[٥] ذلك، وإنّ الله تعالى لمّا سرقتْ جُرْهُمْ من ذلك المال مرارا بعث الله حيّة تحرسه، فلم تزل حارسة لما في الكعبة، وكان فيها قرنا كبش إبراهيم عليه السلام، الذي فدى الله به ولده من الذبح. فاتّفق أنّ امرأة ذهبت تجمّر الكعبة، فطارت من مجمرتها شرارة فاحترقت[٦] كسوتها، فأضعفت النارُ حجارتَها، وجاء سيل عظيم، فدخل البيت، وصدّع[٧] حيطانه، ففزعت قريش، وهابوا هدمها، وخشوا إن مسّوها أن ينزل الله عليهم عذابا من عنده.

---

(١) أ، ي: عبد الله بن سعد.

(٢) أ، ر، ن: ثنا أبي عن ابن إسحق.

(٣) الرضم: صخر عظام ملقى بعضه على بعض.

(٤) ج، م، ي: + بصخور عظام.

(٥) ج، م، ي: أو غير.

(٦) ج، م، ي: فأحرقت.

(٧) النسخ عدا ج: فصدع.

ثمّ إنّهم أجمعوا رأيهم على هدمها[1]، والذي حرّضهم على ذلك، وحثّهم عليه، أنّ سفينة للروم انكسرت بالشعيبة، ساحل مكة قِبَل جدّة، وكان في تلك السفينة روميّ يحسن البناء والنجارة، يسمّى: ياقوم، فأخذت قريش خشب تلك السفينة، فكأنّ[2] وجود الصانع والآلات والخشب[3] حثّهم على ذلك.

فأجمعوا وتعاونوا وترافدوا وربّعوا قبائل قريش أرباعا، ثمّ اقترعوا عند هُبل في بطن الكعبة على جوانبها؛ فطار قدح بني عبد مناف وبني زهرة على الوجه الذي فيه الباب، وهو الشرقي، وطار قدح بني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزّى وبني عدي بن كعب على الشقّ الذي يلي الحِجر، وهو الشقّ الشامي، وطار قدح بني سهم وبني جمح وبني عامر بن لؤي على ظهر الكعبة، وهو الشقّ الغربي، وطار قدح بني تيم[4] وبني مخزوم وقبائل من قريش ضمّوا معهم على الشقّ اليماني، الذي يلي الصفا وأجياد، فنقلوا الحجارة، ورسول الله ﷺ يومئذ[5] غلام لم ينزل عليه الوحي ينقل معهم الحجارة على رقبته. فبينا هو ينقلها إذ[6] انكشفت نَمِرَة[7] كانت عليه، فنودي: يا محمد؛ عورتك، وذلك أوّل ما نودي، والله أعلم، فما رؤيت لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك، وأدرك رسول الله ﷺ الفزع حين نودي، فأخذه العباس بن عبد المطلب فضمّه إليه، وقال: لو جعلتَ بعض نمرتك على عاتقك تقيك الحجارة، قال: ما أصابني هذا إلّا من التعرّي، فشدّ رسول الله ﷺ إزاره، وجعل ينقل معهم، وكانوا ينقلون بأنفسهم تبرّرا وتبرّكا بالكعبة.

فلمّا اجتمع لهم ما يريدون من الحجارة والخشب وما يحتاجون إليه، غدوا على هدمها، فخرجت لهم الحيّة التي كانت في بطنها تحرسها، سوداء الظهر، بيضاء البطن، رأسها مثل رأس الجدي، تمنعهم كلّما أرادوا هدمها، فلمّا رأوا ذلك اعتزلوا عند مقام إبراهيم، وهو يومئذ في مكانه الذي هو فيه اليوم، فقال لهم الوليد بن المغيرة: يا قوم؛ ألستم تريدون بهدمها الإصلاح؟ قالوا: بلى، قال: فإنّ الله لا يهلك المصلحين. ولكن لا تُدخِلوا في عمارة بيت ربّكم

---

(١) أ، ر، ن: + وبنائها.
(٢) أ، ر، ن: وكأن.
(٣) أ، ر، ن: وآلات الخشب.
(٤) ج: تميم.
(٥) ج، م، ي: - يومئذ.
(٦) النسخ عدا ج: إذا.
(٧) نمرة: بُردة فيها خطوط سود وبيض.

إلّا من طيّب[1] أموالكم؛ لا تدخلوا فيه مالا من رِبا، ولا مالا من ميسر، ولا مالا من مهر بغي، وجنّبوه الخبيث من أموالكم؛ فإنّ الله لا يقبل إلّا طيّبا.

ففعلوا، ثمّ وقفوا عند المقام، فقاموا يدعون ربّهم، ويقولون: اللهمّ إن كان لك في هدمه رضا فأتمّه، واشغل عنّا هذا الثعبان. فأقبل طائر من جوّ السماء كهيئة العُقاب، ظهره أسود، وبطنه أبيض، ورجلاه صفراوان، والحيّة على جدار البيت فاغرةً فاها، فأخذها برأسها ثمّ طار بها حتى أدخلها أجياد الصغير. فقال الزبير بن عبد المطلب:

عجبت لمّا تصوّبت العقابُ ... إلى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشيش ... وأحيانا يكون لها وثابُ
إذا قمنا إلى التأسيس شدّتْ ... تهيّبنا البناء وقد تهابُ
فلمّا أن خشينا الرُّجز[2] جاءت ... عُقاب تتلئبُّ[3] لها انصبابُ
فضمّتها إليها ثمّ خلّت ... لنا البنيان ليس لها حجابُ
فقمنا حاشدين إلى بناء ... لنا منه القواعد والترابُ
غداة نرفع التأسيس منه ... وليس على مساوينا[4] ثيابُ
أعزّ به المليك بني لؤيٍّ ... فليس لأصله منهم ذَهابُ
وقد حشدتْ هناك بنو عديٍّ ... ومُرّة قد تقدّمها كلابُ
فبوَّأنا المليكُ بذاك عزّا ... وعند الله يُلتمس الثوابُ

فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله قد رضي عملكم، وقبل نفقتكم، فاهدموه[5]، فهابت قريش هدمه[6]، فقالوا: من يبدأ فيهدمه؟ فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم فأهدمه؛ فإنّي شيخ كبير، فإن أصابني أمر كان قد دنا أجلي. فعلا البيت، وفي يده عتلة يهدم بها، فتزعزع تحت رجله حجر، فقال: اللهمّ لم ترع، إنما أردنا الإصلاح. ثمّ جعل يهدمها حجرا حجرا بالعتلة، فهدم يومه ذلك. فقالت قريش: نخاف[7] أن ينزل به العذاب إذا أمسى، فلمّا أمسى لم يرَ بأسا، فأصبح الوليد غاديا على عمله، فهدمت قريش معه حتى بلغوا الأساس الأوّل

(١) ج، م، ي: أطيب.
(٢) الرُّجز: العذاب.
(٣) المُتْلَئِبُّ: الذي يميل من الأرض المرتفعة إلى الأرض المنخفضة. أ، م، ي: سليب. ج: أرسلت و. ر، ن: سلب.
(٤) أ، ر، ن: مسوينا.
(٥) ج، م، ي: فاهدموها.
(٦) ج، م: هدمها.
(٧) ج، م، ن: يخاف.

الذي وضعته الملائكة، وهو الذي رفع عليه إبراهيم القواعد من البيت، وهي حجارة كبار كالإبل الخلف، يحرّك الحجر منها فترتج جوانبها، قد تشبّك بعضها ببعض، فأدخل الوليد عتلته بين حجرين، فانفلقت منه فلقة، فأخذها أبو وهب بن عمرو بن عائذ[١] بن عمران بن مخزوم، فنزّت من يده حتى عادت في مكانها، وطارت من تحتها برقة كادت تخطف أبصارهم، ورجفت مكة بأسرها. فلمّا رأوا ذلك أمسكوا عن أن ينظروا ما تحت ذلك.

فلمّا جمعوا ما أخرجوا من النفقة، قلّت النفقة عن أن تبلغ بهم عمارة البيت كلّه، فتشاوروا في ذلك، فأجمعوا[٢] رأيهم على أن يقصروا عن القواعد، ويحجزوا ما يقوون عليه من بناء البيت، ويتركوا بقيّته في الحِجر عليه جدار مدار يطوف الناس من ورائه. ففعلوا ذلك، وبنوا في بطن الكعبة أساسا يبنون عليه من شقّ الحِجر، وتركوا من ورائه[٣] من البيت في الحِجر ستة أذرع وشبرا[٤]، فبنوا على ذلك.

فلمّا وضعوا أيديهم في بنائها، قالوا: ارفعوا بابها من الأرض، واكبسوها حتى لا تدخلها[٥] السيول، ولا تُرقى إلّا بسلّم، ولا يدخلها إلّا من أردتم. ففعلوا ذلك، وبنوها بساف من حجارة، وساف من خشب بين الحجارة، حتى انتهوا إلى موضع الركن، فاختلفوا في وضعه، وكثر الكلام فيه، وتنافسوا في ذلك، فقالت بنو عبد مناف وزهرة: هو في الشقّ الذي وقع لنا، وقالت تيم ومخزوم: هو في الشقّ الذي وقع لنا، وقالت[٦] سائر القبائل: لم يكن الركن مما[٧] استهمنا عليه، فقال أبو أميّة بن المغيرة: يا قوم؛ إنما أردنا البرّ، ولم نرد الشرّ، ولا تحاسدوا ولا تنافسوا، فإنّكم إذا اختلفتم تشتّت أمركم، وطمع فيكم غيركم، ولكن حكّموا بينكم أوّل من يطلع عليكم من هذا الفج، قالوا: رضينا وسلّمنا.

فطلع رسول الله ﷺ، فقالوا: هذا الأمين، قد[٨] رضينا به؛ فحكّموه. فبسط رداءه، ثمّ وضع فيه الركن، فدعا من كلّ رُبع رجلا، فأخذوا بأطراف الثوب، وكان في بني[٩] عبد مناف

(١) ج، م، ي: - بن عائذ.
(٢) أ، ر، ن: فأجمع.
(٣) ج، م، ي: - من ورائه.
(٤) النسخ عدا ج: وشبر.
(٥) ج، م، ي: يدخلها.
(٦) جميع النسخ: وقال.
(٧) م، ي: ممن.
(٨) ج، م، ي: وقد.
(٩) ج، م، ي: - بني.

عتبة بن ربيعة، وكان في الربع الثاني أبو زمعة الأسود، وكان أسنّ القوم، وكان في[1] الربع الثالث العاص بن وائل، وفي الربع الرابع أبو حذيفة بن المغيرة، فرفع القوم الركن، وقام النبيّ ﷺ على الجدر، ثمّ وضعه هو عليه السلام بيده، وذهب رجل من أهل نجد ليناول النبيّ ﷺ حجرا يشدّ به الركن، فقال العباس بن عبد المطلب: لا، فناول العباس النبي ﷺ حجرا فشدّ به الركن، فغضب النجديّ حيث نُحّي، فقال النجديّ: واعجبا لقوم أهل شرف وعقل وسنّ وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سنّا، وأقلّهم مالا، فرأسّوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم، كأنّهم خدم له، أما واللهِ ليفوتنّهم سبقا، وليقسمنّ عليهم حظوظا وجدودا. فيقال[2] أنّ ذلك النجدي كان إبليس لعنه الله.

ثمّ بنوا، حتى بنوا أربعة أذرع، ثمّ كبسوها، وبنوا حتى بلغ ارتفاع البيت ثمانية عشر ذراعا، زادوا تسعة أذرع على بناء إبراهيم، وجعلوا سقفها مسطّحا، وأقاموا سقفه على ستّ[3] دعائم في صَفّين، وبنوا درجة من خشب في بطنها في الركن الشامي، يُصعد بها إلى سطح البيت، وزوّقوا البيت، وصوّروا فيه[4] الأنبياء والشجر والملائكة، وجعلوا لها بابا واحدا، وكسوها حبَرات يمانية[5].

روينا من حديث الخطّابي قال: أخبرني أبو الطيّب، طبطب الورّاق، عن محمد بن يوسف النحوي قال[6]: حدّثني بعض مشائخنا، قال: ركبت في سفينة ومعنا شاب من العلويّة، فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما، فقلنا له: يا هذا؛ قد جُمعنا وإيّاك منذ سبع لا نراك تخالطنا، ولا نراك تكلّمنا، فأنشأ يقول:

قليل الهمّ لا ولد يموت ... ولا أمر يحاذر أن يفوتُ
قضى وطر الصبا فأفاد علما ... فغايته التفرّد والسكوتُ

واقعة لبعض الفقراء

أخبرني صاحبي أبو محمد عبد الله ابن الأستاذ المورووري قال: رأى بعض الفقراء في

---

(١) أ، ر، ن، ي: من.
(٢) ج، م، ي: - فيقال.
(٣) ج، م، ي: ستة.
(٤) ج، م، ي: - فيه.
(٥) الحبَرات: أثواب من قطن أو كتّان مخطّط كانت تُصنع باليمن. ج: الحبرات اليمانية. م: أحبرات ثمانية. ي: أجرات يمانية.
(٦) أ، ر، ن: - قال.

واقعته[1] أبا مدين وأبا حامد الغزالي، فسأل أبو حامد الشيخ أبا مدين[2] عن سرّ محبّته ومعرفته[3]، فقال له أبو مدين: المحبّة مركبي، والمعرفة مذهبي، والتوحيد وصولي. للمحبّة سرٌّ لا يكشف، وإدراكات لا يعبَّر عنها ولا يوصف. سرّها خفي[4]، ومنبعها وفي، وأصلها الجود العلي، فهو للخواص سنّة مسنونة، دلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[5]. فالمعرفة يا أخي فخري، وهي قاعدة سرّي وأمري، ثمرتها التوحيد، ومنها وفيها يكون المزيد. فالتوحيد[6] أصل، وما عداه فرع، وهو غاية المقامات، ونهاية الأحوال، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[7]؟

ثمّ سأله عن تنزيهه، فقال: نزّهتُ الحقّ بما نزّه به قدسه، وحمدتُه حمد من حمد به[8] نفسه، ومجّدته تمجيد من كان معناه وحسّه، فهو المحرّك للظواهر، ومعلن العلانية ومسرّ السرائر، فسرّه لِسرّي لاح، وتُحَفُه تغمرني في المساء والصباح، إن نظرته[9] وجدته معي، وإن تحقّقته كان بصري وسمعي[10]، فهو الممدّ لوجودي، ومقلّب قلبي وناصر وجودي، فحياتي بحياته ظاهرة، وصفاتي لصفاته مظهِرة، وخُلقي بأخلاقه متخلّقة، أمدّني بتوحيده، وملأ ظاهري وباطني بجلاله وتمجيده.

ثمّ قال: يا واحد يا أحد، يا فرد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، جمّل ناظري بالنظر إليك غدا.

* * *

وحدّثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا أبو سعد البغدادي، عن أبي العباس الظهراني، وأبو عمرو بن مندة، قالا: حدّثنا ابن يوه[11]، عن أبي الحسن اللنباني[12]، عن أبي بكر القرشي،

---

(١) م، ي: واقعة.
(٢) أ، ر، ن: للشيخ أبي مدين. م، ي: الشيخ أبي مدين.
(٣) ج، م، ي: معرفته ومحبّته.
(٤) ج، م، ي: - خفي.
(٥) [المائدة: ٥٤]
(٦) أ، ر، ن: والتوحيد.
(٧) [يونس: ٣٢]
(٨) أ، ر، ن: بنفسه.
(٩) أ، ر، ن: + به.
(١٠) أ، ر، ن: ومسمعي.
(١١) ابن يوه: الحسن بن محمد بن أحمد بن يوسف بن يوه.
(١٢) أ، ر، ن: اللبناني.

عن أبي حاتم الرازي، عن أحمد بن عبد الله بن عياض، عن عبد الرحمن بن كامل، عن علوان بن داءود، عن علي بن زيد، قال: قال طاووس:

بينا أنا بمكة إذ بعث إليّ الحجاج بن يوسف فأجلسني إلى جنبه، وأتكأني على وسادة، إذ سمع ملبّيا يلبّي حول البيت رافعا يديه فقال: عليّ بالرجل، فأُتي به، فقال: ممّن الرجل؟ قال: من المسلمين، قال: ليس عن الإسلام سألت، قال: فعمّ سألت؟ قال: سألتك عن البلد، قال: من أهل اليمن؟ قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ يريد أخاه، قال: تركته عظيما جسيما لبّاسا ركّابا خرّاجا ولّاجا. قال: ليس عن هذا سألتك. قال: فعمّ سألت؟ قال: سألتك عن سيرته. قال: تركته ظلوما غشوما، مطيعا للمخلوق، عاصيا للخالق. فقال له الحجاج: ما حملك على أن تتكلّم بهذا وأنت تعلم مكانته منّي؟ قال الرجل: أتراه بمكانه منك أعزّ منّي بمكانه من الله ﷻ، وأنا وافِد بيته، ومصدّق نبيّه، وقاضي دينه؟

فسكت الحجاج، وقام الرجل من غير أن يؤذَن له. قال طاووس: فقمت في إثره وقلت: الرجل حكيم. فأتى البيت وتعلّق[1] بأستاره ثمّ قال: اللهمّ بك أعوذ، وبك ألوذ، اللهمّ اجعل لي في اللّهف[2] إلى جودك والرضى بضمانك[3] مندوحة عن منع الباخلين، وغنى عمّا في أيدي المستأثرين. اللهمّ فرجك القريب ومعروفك القديم وعادتك الحسنة. ثمّ ذهب في الناس، فرأيته عشيّة عرفة وهو يقول: اللهمّ إن كنتَ لم تقبل حجي وتعبي ونصبي، فلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول منّي. ثمّ ذهب في الناس، فرأيته غداة جمعٍ يقول: واسوأتاه منك، واللهِ وإن عفوت. يردّد ذلك.

وحدّثنا أبو الحسين بن الصائغ بسبتة قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن رزق، وكان صاحب رواية وعِلم، يقول: مررت يوما في سياحتي بجبل، فرأيت رجلا ساجدا يتضرّع ويبكي، فقلت: هذا رجل سائح متبتّل إلى الله تعالى، أدنو منه فأسمع ما يقول في سجوده. فدنوت منه بلطف، فسمعته يقول: اللهمّ كما صنتَ وجهي عن السجود لغيرك، صن يدي عن مدِّها إلى غيرك. قال ابن رزق: فلزمتُ هذا الدعاء، فرأيت له بركة.

وبالإسناد قال ابن رزق: مررتُ بمسجد بفلاة من الأرض في سياحتي، فدخلت لأركع

---

(١) أ، ر، ن: فتعلق.

(٢) ج، م، ي: الكهف.

(٣) م، ي: لضمانك.

فيه ركعتين، فوجدت فيه قلبي، فأقمت فيه عامين.

خبر سلمان الفارسي وإسلامه

روينا من حديث أحمد بن عبد الله قال: حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وثنا أيضا أبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، قالا: ثنا مسروق بن المرزبان الكندي، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، حدّثنا محمد بن إسحق، ثنا عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، قال: حدّثني سلمان من فيه، قال: كنت رجلا فارسيّا من أهل أصبهان، من قرية يقال لها "جي"، وكان أبي دهقانا في قريته، وكنت من أحبّ الخلق إليه، فما زال حبّه إيّاي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية، وكنت قد اجتهدت في[1] المجوسيّة حتى كنت قطن النار[2] أوقدها، لا أتركها تخبو ساعة، اجتهادا في ديني.

وكان لأبي ضيعة في عمله، وكان يعالج بنيانا[3] له في داره، فدعاني فقال: أي بنيّ؛ إنّه قد شغلني بنياني كما ترى، فانطلِق إلى ضيعتي هذه، ولا تحتبس عليّ، فإنّك إن احتبست عليّ كنتَ أهمّ إليّ من ضيعتي، ومن كلّ شيء، وشغلتني عن كلّ شيء من أمري. قال: فخرجتُ أريد الضيعة التي بعثني إليها، فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم وهم يصلّون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إيّاي في بيته. فلمّا سمعتُ أصواتهم، دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون. فلمّا رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبتُ في أمرهم، فقلت[4]: هذا واللهِ خير من الدين الذي نحن عليه. فواللهِ ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركتُ ضيعة أبي فلم آتها، ثمّ قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

قال: ثمّ رجعتُ إلى أبي، وقد بعث في طلبي، فشغلته عن عمله كلّه، فلمّا جئته قال: يا بنيّ؛ أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال؛ قلت: يا أبتِ؛ مررت بناس يصلّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيتُ من دينهم، فواللهِ ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بنيّ، ليس في ذلك الدين خير، بل دينك ودين آبائك خير. قال؛ قلت: كلّا والله إنّه

---

(١) ج، م، ي: مع.

(٢) قطن النار: القيّم على نار المجوس.

(٣) ج، ي: بيتا.

(٤) ج، ر، ن: وقلت.

لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل[1] في رجلي قيدا، ثمّ حبسني في بيتي.

قال: وبعثتُ إلى النصارى، فقلت: إذا[2] قدم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني. قال: فقدِم عليهم ركب من الشام تجّار من النصارى. قال: فأخبروني. قال؛ قلت: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني. فلمّا أرادوا الرجعة إلى بلادهم أعلموني بهم. قال: فألقيت الحديد من رجلي، ثمّ خرجت معهم حتى قدمت الشام. قلت: مَن أفضل هذا الدين علما؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. قال: فجئته فقلت له: إنّي قد رغبت في هذا الدين، وأكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلّم منك، وأصلّي معك. قال: فافعل وادخل[3]، فدخلت معه. قال: فكان رجلَ سوء؛ يأمرهم بالصدقة، ويرغّبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئا منها[4] كنَزَه لنفسه، ولم يعطِ المساكين منها شيئا. قال: فما لبث أن مات فعرّفتُ النصارى بأمره، فقالوا لي: وما عِلمك بذلك؟ قلت: أنا أدلّكم على كنزه. قال: فأريتهم موضعه. قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وفضّة وورِقا. فلمّا أن رأوها قالوا: لا واللهِ لا ندفنه، فصلبوه[5]، ثمّ رجموه بالحجارة.

ثمّ جاءوا برجل آخر، قال: فجعلوه مكانه. قال: فما رأيت رجلا لا يصلّي الخمس أرى أنّه أفضل منه؛ ولا[6] أزهد في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أدأب ليلا ونهارا منه[7]. قال: فأحببته حبّا لم أحبّ شيئا كان مثله. فأقمت معه زمانا، ثمّ حضرته الوفاة. قال؛ فقلت[8]: يا فلان؛ إنّي قد كنت معك، وأحببتك حبّا لم أحبّ شيئا كان قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصيني، وإلى من تأمرني؟ قال: أي بنيّ؛ واللهِ ما أعلم أحدا اليوم على ما كنت عليه، لقد هلك الناس، وبدّلوا كثيرا مما كانوا عليه إلّا رجلا بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحقْ به.

قال: فلمّا غيّب لحقتُ بصاحب الموصل. فقلت: يا فلان؛ إنّ فلانا أوصاني عند موته

---

(١) ج، م، ي: وجعل.
(٢) ج، ي: إن.
(٣) أ، ر، ن: فادخل.
(٤) ج، م، ي: - منها.
(٥) ج، م، ي: وصلبوه.
(٦) أ، ر، ن، ي: - ولا.
(٧) ج، م، ي: - منه.
(٨) ج، م، ي: قلت.

أن ألحق بك، وأخبرني أنّك على أمره. فقال: أقم عندي. قال: فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه. قال: فلم يلبث أن مات. فلمّا حضرته الوفاة قلت له: يا فلان؛ إنّ فلانا أوصاني إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ قال: أي[1] واللهِ إنّي[2] ما أعلم رجلا على ما كنت عليه إلّا رجلا بنصيبين، وهو فلان، فالحقْ به.

فلمّا مات وغيّب، لحقتُ بصاحب نصيبين، فجئته وأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي، فقال: أقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه، فأقمت معه، (فكان) خير رجل، فواللهِ ما لبث أن نزل به الموت. فلمّا حضر، قال قلت: يا فلان؛ إنّ فلانا كان أوصاني إلى فلان، وأوصاني فلان إليك، فإلى من توصي بي وما تأمرني؟ قال: أي بنيّ؛ ما أجد أحدا بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلّا رجل بعمورية من أرض الروم، فإنّه على مِثل أمرنا، فإن أحببت فأتِه؛ فإنّه على أمرنا.

قال: فلمّا مات وغيّب، لحقت بصاحب[3] عمورية، وأخبرته خبري. فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرِهم. قال: ثمّ اكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنيمة. قال: ثمّ نزل به أمر الله تعالى، فلمّا حضرته الوفاة قلت له: يا فلان؛ إنّي كنت مع فلان فأوصاني إلى فلان، ثمّ أوصاني فلان إلى فلان، ثمّ أوصاني فلان إليك، فإلى من توصيني وتأمرني؟ قال: أي بنيّ؛ واللهِ ما أعلمُ أصبحَ على ما كنّا عليه أحدٌ من الناس آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلّك زمان نبيّ هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرضٍ بين حرّتين بها نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهديّة، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوّة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثمّ مات وغيِّب. ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث.

ثمّ مرّ بي نفر من كلب، تجار، فقلت: تحملونني إلى أرض العرب وأعطيكم بقري هذه وغنيمتي هذه؟ قال: فأعطيتهم إيّاها، وحملوني معهم حتى إذا قدِموا بي[4] وادي القرى، ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون

---

(١) ج، م، ي: - أي.

(٢) أ، ر، ن: - إني.

(٣) أ، ر، ن: - بصاحب.

(٤) أ، ر، ن: حتى إذا قدّموني.

البلد الذي وصف لي صاحبي، فبينا أنا كذلك؛ إذ قدِم ابن عمّ له من المدينة من بني قريظة، فابتاعني منه[1]، فحملني إلى المدينة، فواللهِ ما هو إلّا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها.

وبعث الله رسوله، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثمّ هاجر إلى المدينة، فواللهِ إنّي لفي رأس عذق لسيّدي، أعمل فيها بعض عمله، وسيّدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عمّ له، فوقف عليه فقال: يا فلان؛ قاتل الله بني قيلة[2]، واللهِ إنّهم الآن مجتمعون بقبا على رجل قدِم عليهم من مكة اليوم، يزعم أنّه نبيّ!

قال: فلمّا سمعتها أخذتني العُرواء[3]، حتى ظننتُ أنّي ساقط على سيّدي، قال: فنزلتُ عن النخلة، وجعلت أقول لابن عمّه ذلك: ما تقول؟ فغضب سيّدي فلطمني لطمة شديدة، ثمّ قال: ما لك ولهذا؟ أقبِل على عملك. قال؛ قلت: لا شيء، أردت أن أستثبته عمّا قال؟

وكان عندي شيء قد جمعته، فلمّا أمسيت أخذته، ثمّ ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقبا، فدخلت عليه فقلت له: بلغني[4] أنّك رجل صالح، معك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء عندي للصدقة، فرأيتكم أحقُّ به من غيركم، ثمّ قرّبته إليه، فقال رسول الله ﷺ: كُلوا، وأمسك يده ولم يأكل، قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثمّ انصرفتُ عنه، فجمعتُ شيئا لمّا[5] تحوّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجئته، فقلت له: إنّي رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هديّة أكرمتُك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: قلت في نفسي: هاتان ثنتان.

قال: ثمّ جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد، قد تبع جنازة رجل من أصحابه، عليه شملتان، فسلّمت عليه، ثمّ استدبرته أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي، فلمّا رآني[6] رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أنّي أستثبتُ في شيء وُصِف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرتُ إلى الخاتم فعرفته، فانكببتُ عليه أقبّله وأبكي. فقال رسول

---

(١) م، ي: - منه.

(٢) قيلة: أم الأوس والخزرج.

(٣) العرواء: الرعدة. وفي أ، ر، ن: العراء.

(٤) أ، ر، ن: إنه بلغني.

(٥) أ، ر، ن: ثمّ.

(٦) أ، ر، ن: رأى.

الله ﷺ: تحوّل، فتحوّلتُ، وجلستُ[1] بين يديه، فقصصتُ عليه حديثي كما حدّثتك يا ابن عباس، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثمّ قال لي رسول الله ﷺ: كاتِب يا سلمان. فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة، أحييها بالفقير[2]، وبأربعين أوقيّة ذهب[3]. فقال رسول الله ﷺ: أعينوا أخاكم، فأعانوني بالنخل؛ الرجل بثلاثين، والرجل بخمسة عشر، والرجل بعشر[4]، والرجل بقدر ما عنده، حتى جمعوا ثلاثمائة ودية[5]. فقال لي[6] رسول الله ﷺ: اذهب يا سلمان ففقِّر لها[7]، فإذا فرغت أكون أنا أضعها بيدي، قال: ففقّرت لها، وأعانني أصحابه، حتى إذا فرغتُ جئته فأخبرته[8]. فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرّب له الودي، ويضعه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغنا. فوالذي نفس سلمان بيده، ما مات منها ودية واحدة.

فأدّيت النخل، وبقي عليّ المال. فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، فقال رسول الله ﷺ: ما فعل الفارسي المكاتب؟ قال: فدعيت له، قال: خذ هذه، فأدّها بما عليك يا سلمان، قلت: ما تقع هذه يا رسول الله مما عليّ؟ قال: خذها فإنّ الله سيؤدّي بها عنك، فأخذتها فوزنت لهم منها -والذي نفس سلمان[9] بيده- أربعين أوقية، فأوفيتهم حقّهم، وعتِق سلمان، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حُرّا، ثمّ لم يفتني مشهد.[10]

وصيّة إلهيّة

روينا من حديث ابن مروان، عن عبيد بن شريك، عن أبي صالح الفرّاء، عن سالم بن ميمون الخوّاص، عن مُكرَم بن يوسف العابد، قال: أوحى الله إلى نبيّ من الأنبياء أن قف

---

(١) أ، ر، ن: فجلست.
(٢) الفقير: البئر تغرس فيها الفسيلة.
(٣) النسخ عدا ج: - ذهب.
(٤) ج، م، ي: - والرجل بعشر.
(٥) الودية: النخلة الصغيرة.
(٦) ج، م، ي: - لي.
(٧) جميع النسخ: ففقّرها.
(٨) النسخ عدا ج: فأخرجته.
(٩) ج، ي: والذي نفسي.
(١٠) هناك تعريفات لمعنى الفقير والودية كما يلي: الفقير: مخرج الماء من القناة. فقّرت للودية تفقيرا وهو أن تحفر حفرة حول الفسيلة إذا غرست.

على المدائن والحصون، فأبلغهم عنّي حرفين؛ قل[1] لهم: لا يأكلون إلّا حلالا، ولا يتكلّمون إلّا بالحقّ.

كان الحسن بن صالح كثيرا ما ينشد:

إذا أنت لم تزرع وأبصرتَ حاصدا ندمتَ على التفريط في زمن البذرِ
فما لك يوم الحشر شيء سوى الذي تزوّدتَه يوم الحساب[2] إلى الحشرِ

ولنا من قصيدة قريب من هذا:

سيحصد عبد الله ما كان حارثا فطوبى لعبد كان لله يحرثُ

روينا من حديث المالكي، عن معاذ بن المثنى، عن يحيى بن معين، عن أبي معاوية، عن هشام، قال: قيل للحسن: لِمَ لا تغسل قميصك؟ فقال[3]: الأمر أسرع من ذلك.

وقدم هند بن عوف من سفر، فمهّدتْ له امرأته فراشا، فنام عليه، وكانت له ساعة يصلّي فيها من الليل، فنام عنها، فلمّا أصبح حلف أن لا ينام على فراش أبدا.

روينا من حديث الدينوري، عن عباس بن محمد الدوري، عن يحيى بن معين، عن جرير، عن طلق بن معاوية وهو جدّ حفص بن غياث: الغفلة سيّئة الكريم.

سأل رجل عمران بن مسلم القصير[4]، فأعطاه وبكى، فقيل له: وما يبكيك، وقد قضيتَ حاجتَه؟ قال: بكيتُ[5] حيث أحوجته إلى مسألتي. روينا هذا من حديث إبراهيم الحربي، عن أبي الحسن الباهلي، قال: حدّثني بعض أهل العلم، وذكره.

كتاب طاووس إلى عمر بن عبد العزيز

روينا[6] من حديث ابن مروان، عن أحمد بن عباد التميمي، عن سليمان بن أبي شيخ، عن أحمد بن محمد القرشي[7]، قال؛ قال عمر بن عبد العزيز: ما وعظني أحدٌ أحسن مما وعظني به طاووس، كتب إليّ: استعِن بأهل الخير يكن عملك خيرا كلّه، ولا تستعِن بأهل

---

(١) ج، م، ي: وقل.
(٢) أ، ر، ن: الحسان.
(٣) ج، م، ي: قال.
(٤) ج، م، ي: - القصير.
(٥) النسخ عدا ج: - بكيت.
(٦) ر، ي: رويناه.
(٧) م، ي: محمد بن أحمد. وسقطت هذه الرواية في ج.

الشرّ فيكون عملك شرّا كلّه.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، قال: ثنا قاسم بن هاشم، ثنا عصمة بن سليمان، ثنا فضيل بن جعفر، قال: خرج الحسن من دار ابن هبيرة، فإذا هو بالقرّاء على الباب، فقال[١]: ما أجلسكم[٢] هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء! أما واللهِ ما مخالطتهم مخالطة الأبرار، تفرّقوا، فرّق الله بين أرواحكم وأجسامكم، خصفتم نعالكم، وشمّرتم ثيابكم، وجززتم[٣] رءوسكم، فضحتم القرّاء، فضحكم الله، أما واللهِ لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنّكم رغبتم فيما عندهم فزهِدوا فيما عندكم، فأبعد الله مَن أبعد.

خبر أساف ونائلة

روينا من حديث ابن إسحق، أنّ جرهم لمّا طغت في الحرم، دخل رجل منهم بامرأةٍ منهم[٤] الكعبة، ففجر بها، ويقال: بل قبّلها، فمسخا حجرين. اسم الرجل: أساف بن بغاء، واسم المرأة: نائلة بنت ذئب. فأُخرجا من الكعبة، فنُصب أحدهما على الصفا[٥]، والآخر على المروة. وإنما نُصبا هنالك[٦] ليعتبر بهما الناس، وينزجروا[٧] عن[٨] مثل ما ارتكبا، لما يرون من الحال التي صارا[٩] إليه. فلم يزل الأمر يدرس ويتقادم حتى صارا يُمسحان؛ يتمسّح بهما من وقف على الصفا والمروة.

فلمّا كان عمرو بن لحي أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتمسّح بهما، وقال: إنّهما كانا معبودين لمن قبلكم. فلمّا كان قصي بن كلاب حوّلهما من الصفا والمروة، فجعل أحدهما ملصقا بالكعبة، وجعل الآخر في موضع زمزم، وكان يطرح بينهما ما يهدى للكعبة، وكان يسمّى ذلك الموضع الحطيم، وكان ينحر عندهما ويذبح، ولم تكن تدنو منهما امرأة طامث[١٠]. وفي ذلك يقول بشر

---

(١) ج، م، ي: قال.
(٢) ج، م، ي: قال ما أحبسكم.
(٣) ج، م، ي: وحزرتم.
(٤) ج، م، ي: - منهم.
(٥) ج، م، ي: + علما.
(٦) ج، م، ي: هناك.
(٧) أ، ر، ن: ويزدجروا.
(٨) م، ي: على.
(٩) ر، م، ن: صار.
(١٠) طامث: حائض. ج، م، ي: ظلمت.

بن أبي حازم الأسدي، أسد خزيمة:

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك[1] من أسافِ

فكان الطائف إذا طاف بالبيت، يبدأ بأساف ويستلمه[2]، فإذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها. فكانا كذلك حتى كسرهما رسول الله ﷺ مع الأصنام يوم فتح مكة. دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح، وإنّ[3] بها ثلاثمائة وستون صنما حول الكعبة منها ما[4] قد شدّ بالرصاص، فطاف على راحلته وهو يقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[5] ويشير إليها بقضيب في يده على بُعد لا يمسّها به، فما منها صنم أشار إلى وجهه إلّا وقع على دُبُرِه، ولا أشار إلى دبره إلّا وقع على وجهه، حتى وقعتْ كلّها، فلمّا صلّى الظهر أمر بها فجمعتْ، ثمّ أحرقت بالنار وكُسِّرت. وفي ذلك يقول فضالة بن عمير بن الملوّح الليثي في ذِكر يوم الفتح:

لو ما رأيت محمدا وجنوده بالفتح يوم تكسّر الأصنام
لرأيت نور الله أصبح بيّنا[6] والشرك يغشى وجهه الإظلام

وقيل: بل كان الرجل أساف بن عمرو، والمرأة نائلة ابنة سهيل، فلمّا كسرا يوم الفتح مع الأصنام، خرج من أحدهما امرأة سوداء شمطاء تخمش وجهها، عريانة ناشرة الشعر، تدعو بالويل، فقيل لرسول الله ﷺ في ذلك. فقال: تلك نائلة أيست أن تُعبد ببلادكم أبدا. ويقال إنّ إبليس رنّ ثلاث رنّات: رنّة حين لُعِن فتغيّرت صورته عن زيّ الملائكة، ورنّة حين رأى رسول الله ﷺ قائما بمكة يصلّي، ورنّة حين افتتح رسول الله ﷺ مكة، فاجتمعت إليه ذرّيته، فقال إبليس: آيسوا أن تردّوا أمّة محمد على الشرك بعد يومهم هذا أبدا، ولكن افشوا فيهم النوح والشعر.

ومن محاسن المكاتبة

ما كتب به عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه:

---

(١) عوارك: حُيَّض.
(٢) أ، ر، ن: فيستلمه.
(٣) ج: وكان. م، ي: فكان.
(٤) ج، م، ي: - ما.
(٥) [الإسراء: ٨١]
(٦) ج، ي: بيننا.

أمّا بعد؛ فقد عاقني الشكّ عن عزيمة الرأي؛ ابتدأتَني بلطف من غير خبرة، ثمّ أعقبتَني جفاء من غير ذنب، فأطمَعني أوّلك في إخائك، وآيسني آخِرُك من وفائك، فلا أنا في غير الرجا مجمع لك اطراحا، ولا في غد انتظره[1] منك على ثقة. فسبحان من لو شاء كشف إيضاح الرأي فيك؛ فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا عن اختلاف.

الولاية حلوة الرضاع مرّة الفطام

لمّا ولي الحجاج المدينة، وجار فيها، وفَدَ وفْدُ المدينة وفيهم عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عبد الملك بن مروان، فأثنى الوفد على الحجاج، وعيسى ساكت، فلمّا قاموا[2] ثبت عيسى حتى خلا له وجه عبد الملك، فقام فجلس بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ من أنا؟ قال: عيسى بن طلحة بن عبيد الله، قال: فمن أنت؟ قال: عبد الملك بن مروان، قال: فجِهلتنا أم[3] تغيّرتَ بعدنا؟ قال: وما ذاك؟ قال: ولّيت علينا الحجاج بن يوسف يسير فينا بالباطل، ويحملنا على[4] أن نثني عليه بغير الحقّ، واللهِ لئن أعدته علينا لنعصينّك، وإن قاتلتنا وغلبتنا وأسأت إلينا قطّعت أرحامنا، ولئن قوينا عليك لنغصبنّك ملكك. فقال له عبد الملك: انصرف والزم بيتك، ولا تذكرن من هذا شيئا. قال: وقام إلى منزله، وأصبح الحجاج غاديا إلى عيسى بن طلحة، فقال: جزاك الله عن خلوتك بأمير المؤمنين خيرا؛ فقد أبدلني بكم خيرا، وأبدلكم بي غيري، ولّاني العراق.

وحدّثنا أبو الربيع الكناني، عن أبي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن[5] بن محمد، قال: حج الشبلي، فلمّا وصل إلى مكة جعل يقول:

أبطحاء[6] مكة هذا الذي أراه عيانا وهذا أنا

ثمّ غشي عليه فأفاق وهو يقول:

هذه دارهم وأنت محبّ ما بقاء الدموع في الآماق

---

(١) ج: بنصرة. م، ي: ننظره.

(٢) م، ي: أقاموا. وهذه الرواية سقطت من ج.

(٣) أ، ر، ن: أو.

(٤) م، ي: - على.

(٥) أ، ر، ن: - عن عبد الرحمن.

(٦) النسخ عدا ج: أبطحان.

وقال الآخر[1]:

إذا هزّنا الشوق اضطربنا لهزّهِ[2] على شعب الرحل اضطراب الأراقمِ
فمن صبوات تستقيم بمائل ومن أريحيات تهبّ بنائمِ
وأستشرف الأعلام حين[3] يدلّني على طيبها مرّ الرياح النوائمِ[4]
وما أنسِم الأرواح إلّا لأنّها تمرّ على تلك الربى والمعالمِ

ولنا من باب المعاني الغزليّة

رأى البرق شرقيّا فحنّ إلى الشـــــرقِ ولـو لاح غـربيّـا لحـنّ إلى الـغـربِ
فـــإنّ غـــرامي بالـــبريـــق ولمحـــه ولـيـس غـرامي بالأمـاكـن والـتُّرْبِ
روت لي الصـــبا عنهم حديثا معنعنا عن البثّ عن وجدي عن الحزن عن كربِي
عن السكر عن عقلي عن الشوق عن جوى عن الدمع عن جفني عن النار عن قلبي
بـأنّ الذي تهـواه بـين ضـــلـوعـكم تقلّبـه الأنفـاس جنبـا إلى جنـبِ
فـقـلـت لـهـا[5] بـلّـغ إلـيـه بـأنّـه هو الموقـد النـار التي داخـل القلـب
فـإن شـــاء إطفـاء[6] فوصـــل مخلّد وإن شـاء إحراقا[7] فلا ذنب للصـبِّ

ولنا في هذا المعنى من قصيدة:

قل للذي مسكنه أضلعي ومن له في القلب إضمارُ
ما خفتَ إذ أضرمتَ نار الأسى في أضلعي تحرقك النارُ

سلّمنا الأمر إليه فقلنا:

أيّها العذب التجنّي والجنى أيّها البدر سناء وسنا
نحن حكّمناك في أنفسنا فاحكم إن شئت علينا أو لنا

---

(١) هو الشريف الرضي.
(٢) ج، م: بهزه.
(٣) أ، ر، ن: حتى.
(٤) الصواب كما ورد في ديوانه: الهواجم.
(٥) ج: له. م، ي: لهم.
(٦) ج: كان إطفاءً.
(٧) ج: كان إحراق.

ذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التي واخى بينهم ﷺ

روينا من حديث محمد بن إسحق المطلبي قال: واخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار. قال رسول الله ﷺ: "تآخوا[1] في الله أخوين" ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: "هذا أخي" فكان رسول الله ﷺ وعليٌّ بن أبي طالب[2] أخوين. وكان حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين. وكان معاذ بن جبل وجعفر بن أبي طالب أخوين. وكان أبو بكر الصدّيق وخارجة بن أبي زهير أخوين. وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين[3]. وكان أبو عبيدة بن[4] الجرّاح، واسمه عامر بن عبد الله، وسعد بن معاذ أخوين. وكان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين. وكان الزبير بن العوّام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين. ويقال: بل الزبير وعبد الله بن مسعود أخوين. وكان عثمان بن عفّان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين. وكان طلحة بن عبيد الله وكعب بن عدي أخوين. وكان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأُبي بن كعب أخوين. وكان مصعب بن عمير بن هاشم وأبو أيّوب خالد بن زيد أخوين. وكان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعباد بن بشر بن وقش أخوين. وكان عمّار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين. ويقال: بل ثابت بن قيس بن شمّاس[5] خطيب النبيّ ﷺ وعمّار بن ياسر أخوين. وكان أبو ذر واسمه بُرير[6]، وقيل: جُندب بن جُنادة الغفاري، والمنذر بن عمرو أخوين. وكان حاطب بن أبي بلتعة وعُويم بن ساعدة أخوين. وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء عويمر بن ثعلبة أخوين، ويقال: عويمر بن عامر، ويقال: عويمر بن زيد، فالخلاف في أبيه. وكان بلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي أخوين. قال ابن إسحق: فهؤلاء مَن سُمّي لنا ممن كان عليه السلام آخى بينهم من أصحابه.

---

(١) ج، م، ي: تواخوا.

(٢) ج، م، ي: - بن أبي طالب.

(٣) أ، ر، ن: - وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين.

(٤) أ، ر، ن: + بن عبد الله.

(٥) النسخ عدا ج: الشماس.

(٦) أ، ر، ن: بريد. ج، م، ي: يزيد.

ذكر[1] خراب البلاد في آخر الزمان

روينا من حديث الميّانِشي، أسنده إلى حذيفة، قال حذيفة: قال لي[2] رسول الله ﷺ: وذكر الحديث بطوله، وقد أوردناه في الكتاب، وفيه أنّ "مصر آمنة من الخراب حتى تخرب البصرة. ثمّ ذكر رسول الله ﷺ أنّ خراب البصرة من العراق، وخراب مصر من جفاف النيل، وخراب مكة من الحبشة، وخراب المدينة من الجوع[3]، وخراب اليمن من الجراد، وخراب الأيلة من الحصار، وخراب فارس من الصعاليك، وخراب الصعاليك من الديلم، وخراب الديلم من الأرمن، وخراب الأرمن من الخزر، وخراب الخزر من الترك، وخراب الترك من الصواعق، وخراب السند من الهند، وخراب الهند من الصين، وخراب الصين من الرمل، وخراب الحبشة من الرجفة، وخراب الزوراء[4] من السفياني، وخراب الروحاء[5] من الخسف، وخراب العراق من القحط".

وحدّثني عبد الواحد بن إسماعيل بن إبراهيم العسقلاني الكناني قال: حدّثني أبي، قال: قرأت في كتاب ابن عصمة في القِران العاشر من المثلّثة الترابيّة الموافقة لسنة خمسمائة وأحد وستين من الهجرة: تكون فيه أمور هائلة في الإقليم الثالث والرابع بتقدير العزيز العليم الذي أودع علم ذلك في جري الكواكب وحركات الأفلاك، كما أودع السحاب المطر والأرض النبات، وسائر الأسباب الإلهية الموضوعات مسبّباتها.

فمن ذلك ظهور ملك الشرق، فيعظم أمره، ويشتدّ في الآفاق خبره، ويعلو شأنه، إلى أن يصعد جناحاه إلى الغرب والقبلة، ويكون مؤيّدا منصورا في جميع أموره، وذلك في أوّل القِران؛ وهو قِران زحل والمشتري في برج الجدي في الثلث الآخر[6] منه. ويستولي هذا الملك المذكور على مملكة مصر، ويضعفها، ويسقيها بكأس الحمام، وينقصها، ويهلك أعوانها ومَن يقول بقولها، وذلك من أوّل القِران إلى رُبعه. ويهلك الله به[7] السودان هلاكا لا يرجى

---

(١) أ، ر، ن: - ذكر.

(٢) ج، م: - لي.

(٣) ج، م، ي: السيل.

(٤) الزوراء: الجزء الشرقي من بغداد.

(٥) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب.

(٦) ج، ي: الأخير.

(٧) م، ن: - به.

جبرانه إلى أن يعودون ذمّة تحت يديه، ويقوى على[1] بني الأصفر[2]، ويكسرهم ثلاث مرات، ويفتح بنو الأصفر على أيّامهم[3] قرية بلبيس، ويهلك بها خلق كثير. فإذا كان الربع الثاني من القِران ظهر منه قضب، ويتفرّق ملكه على ثلاث فرق، فيجوز كلّ منهم مكانا مّا يجوزه برجاله وعساكره، ويكون أحد الأثلاث قويّا، والثلثان فيهما ضعف، ويبقى المُلك في عقبهم إلى نصف القِران.

ثمّ ينتقل كيوان[4] إلى الدبران، وهو الثلث[5] الثالث من القِران، وفي[6] ذلك الزمان يتحرّك صاحب المغرب[7] في جيوش كثيرة وعساكر غزيرة، وينزلون شرقا وغربا، وتعمر مدينة يقال لها شبرة أو صبرة، ويأملون[8] بنيان القيروان، فيبلغ الروم ذلك، فيتحرّكون في الأساطيل العظيمة، فيفتحون سواحل البحر، ويخاف على الجزيرتين والإسكندرية.

فإذا أنزل الله حركة كيوان وجسده في البرج الغربي، حرّك[9] سبحانه عند ذلك جيوش المغرب، فينزلون قريبا من الحجر الأبيض، فيقسمون جيوشهم على ثلاث فرق: فرقة تقصد الصعيد الأعلى، وفرقة تأخذ الطريق الوسطى، وفرقة تأخذ على طريق البحر فيجتمعون بأسرهم على نيل مصر، ويكون النيل سبعة من اثني عشر حتى تغور بحيرة طبريّة، وتجفّ العيون في جميع الأقاليم، وتغور المياه في قرار الأرض، ويُعدم القوت، وتسيّب البلاد، ويجوز[10] كلّ واحد موضعه، ويفيض اللسان الأعوج في جميع الأقاليم، وتحرق مصر ثالثة، ويستباح جميع[11] ما فيها، وتستباح[12] دماء أهل الذمّة وأموالهم، ويملك أكثرهم، ويخرّب الصعيد والريفان، ويكون أمر الخلق في ضلال من بعد أن تستباح أموالهم وتضعف أحوالهم، ويموت كثير منهم.

---

(١) أ، ر، ن: - على.
(٢) بنو الأصفر: الروم.
(٣) م، ن: أيام.
(٤) ج، م، ي: كوكبان.
(٥) أ، ر، ن: الربع.
(٦) ج، م، ي: ففي.
(٧) ج، م: الغرب. ي: العرب.
(٨) م، ي: وتأملون.
(٩) ج، م، ي: وحرّك.
(١٠) أ، ر، ن: ويحور.
(١١) ج، م، ي: - جميع.
(١٢) ج، م، ي: ويستباح.

والويل لمن يقيم في إقليم مصر إذا أنزل الله كيوان ببرج[1] السرطان، وذلك في الربع الأخير من القِران، فإذا نزل يتحرّك بنو الأصفر بقوّة عظيمة في الأساطيل، ويفتحون مدينة الإسكندرية من بين البابين، ويدخلون فيها إلى أن يبلغوا إلى سوق الريحان، فيقتلون خلقا كثيرا، وتنقلع بنو الأصفر من الشام جميعه حتى السواحل. ويكون سبب خروجهم يظهر عليهم رجل من الشرق بغتة لا يعلمون بخروجه، وتنضاف إليه[2] عساكر من الترك، يفتحون[3] بيت المقدس والشام جميعه، ويقيمون بها دون الحول، فعند ذلك يتحرّك ملك الخزر، يقال له: ذو العرف؛ يخرج بعساكر برّا وبحرا، فيقصد بعضهم إلى الدروب وبعضهم إلى الشام وبعضهم إلى الإسكندرية وجزائر البحر. وتقع بينه وبين الترك خمس وقعات إلى أن تجري دماؤهم كالنهر، وفي عقب ذلك تنتصر جيوش المغرب[4] بقوّة عظيمة، مائة ألف أو أكثر، وتعود دفعة ثانية إلى مصر، ويضربون خيامهم بين عسقلان وطبرية.

ثمّ يخرج السفياني من الترك بعساكر عظيمة، فيقتلهم حتى لا يبقي منهم أحدا، ويوجّه السفياني جيشين: جيشا إلى الكوفة فيقتل حتى لا يبقى منهم أحد أصلا، وأمّا الجيش الآخر فيأتي إلى مدينة يثرب، فيستبيحها ثلاثة أيّام، ثمّ يرحل يطلب مكة، فيخسف به في البيداء فلا يسلم منهم أحد سوى[5] رجلين؛ أحدهما من جهينة، فهو الذي يأتيه بالخبر، ثمّ يخرج المهدي، فيقتل السفياني ذبحا تحت شجرة بخارج دمشق، ويبايع بين الركن والمقام، فيملأ الأرض قسطا وعدلا، ثمّ يغزو القسطنطينية بعساكر في جملتهم سبعون ألفا من ولد إسحق؛ فيكبّرون عليها فينهدم ثلثها، ثمّ يكبّرون ثانية فينهدم الثلث الثاني، ثمّ يكبّرون ثالثة فينهدم سورها كلّها، فيدخلونها فيكسبون فيها أموالا عظاما.

ثمّ يخرج الدجال فيلبث[6] أربعين يوما؛ يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيّامه كأيّامكم. فينزل عيسى عليه السلام بين مهرودتين، عند المنارة البيضاء، بشرقي دمشق، فيصلّي العصر بالناس، ويطلب الدجال فيقتله بباب لُد. ويخرج يأجوج ومأجوج -وقد ذكرنا حديثهم في هذا الكتاب- فينحصر عيسى في جبل الطور، في القلعة التي بناها الملك المعظّم ابن الملك

(١) ج، ي: برج. م: في برج.
(٢) ج، م، ي: إليهم.
(٣) ج، م، ي: يقتحمون.
(٤) ج، ي: الغرب.
(٥) أ، ر، ن: فلا يسلم منه سوى.
(٦) أ، ر: فيعيث. ن: فيعيش.

العادل، بنيان عيسى[1] لعيسى، وأرجو أن يدعو لبانيها، فلا يزال محصورا بها، داعيا في هلاك يأجوج ومأجوج، فيموتون موت رجل واحد بداء النغف كما ذكرناه. ثمّ يخرج عيسى عليه السلام وتخرج الأرض خيرها وبركتها، فيتزوّج، ويولَد له، ثمّ يموت فيدفن بالمدينة، بين النبيّ ﷺ وأبي بكر الصدّيق[2]، ويرسل الله ريحا ليّنة من تحت العرش، تأخذ المؤمنين من تحت آباطهم فيموتون، فيبقى شرار الخلق، عليهم تقوم الساعة.

* * *

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى

ما حدّثنا به عبد الله بن الأستاذ، قال: رأى بعض المريدين في الواقعة الشيخ أبا مدين جالسا في روضة من نور، وأشياخ الصوفيّة قد أحدقوا به، وأحدقتْ بالجميع صور لم أرَ أحسن منها ولا أجمل، وعليهم من نفائس الجواهر واللآلئ ما لا أستطيع وصفه، ولا أحسن العبارة عن نعته، وعلى رأس أبي مدين ثلاثة ألوية من نور مركوزة؛ واحد عن يمينه مكتوب عليه: حسبي الله، وواحد على رأسه، وهو أعلاها، مكتوب عليه: الله، والآخر على يساره مكتوب فيه: لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

فقال أبو حامد لأبي مدين: يا شيخ؛ تكلّم لنا على هذه الأسماء المكتوبة في هذه الألوية، فقال الشيخ: أمّا هذا الاسم الذي هو "الله"، فهو الاسم الأعظم الذي هو رأس الأسماء، وإليه يرجع كلّ معنى، وهو المنزَّه المتبوع الذي به ظهرت المخلوقات، وعليه أُسّست الأرضون والسماوات، وعنه صدرت الأسماء والصفات. فالمصنوعات بأسرها، من العرش إلى الثرى، تشهد بأنّه موجدها. وما من ذرّة في الأرض ولا في السماء ولا رطب ولا يابس إلّا وهو معها.

فقال له أبو حامد: فما معنى "حسبي الله"؟ فقال: هو أمن وأمان من أن تعدو عليه النيران، فمن تخلّق به سلِم وصفا، وكان ممن وفا حين وفا.

فقال: وما معنى "لا حول ولا قوّة إلّا بالله"؟ فقال له: هو التبرّي من باطن الأحوال، وردّها إلى ظاهر الأقوال والأفعال، ثمّ ردّها إلى ذي الكرم والجلال. فهذه وما عداها راجعة إلى الاسم الذي هو مبدؤها ومنتهاها، فهو الاسم الذي حنّ به بعض كلّ شيء لبعض، وهو نور السماوات والأرض، فإذا تجلّى من نوره لمعة، "كان الله ولا شيء معه".

---

(١) عيسى (الأول): هو اسم الملك المعظم ابن الملك العادل.

(٢) أ، ر، ن: بالمدينة بالروضة بين أبي بكر والنبي عليهما السلام.

ثمّ قال له: قل لنا في التوحيد شيئا. فقال: التوحيد سرّي ووطني، ومستقرّي ومسكني[1]، هو مبدئي ومنتهائي، وهو الأساس لبنائي، خصّني الله منه بفضائل، وأكرمني منه بدلائل، إن نزعتُ إلى سبب من الأسباب، نوديتُ: اذكر ربّك لا تذكر الأسباب[2]. فالتوحيد يجلي كلّ ظلمة، وهو يرفع لكلّ ذي همّة، هو القطب الذي عليه المدار، وبه أشرق الوجود واستنار.

ثمّ قال أبو حامد: ما هي مادة الله في الوجود؟ فقال له[3]: مادة الله في الوجود تسري، وعلى ما سبقت به المقادير تجري، قد سترها الغيب، فهي منزّهة عن النقص والعيب، فقد أخفاها سبحانه عن الكائن والبائن، وجفّ القلم بما هو كائن، فسترها عن خلقه من وجوه الرحمة والعطف، وتغيّبها عنهم من كمال الجود واللطف.

ولنا من باب الرموز والإشارات العلويّة

قالت: عجبت لصبٍّ من محاسنِه ... يختال ما بين أزهار بستانِ
فقلت: لا تعجبي ممّا ترين فقد ... أبصرت نفسك في مرآة إنسانِ

ولنا من باب اللطائف الروحانيّة[4] الربانيّة:

بأُثَيْلات النقا سِرب قَطا ... ضرب الحسن عليه طُنُبا
وبأجواز الفلا من إضم ... نِعَمٌ ترعى[5] لديها وظِبا
يا خليليّ قفا واستنطقا ... رَسْم دارٍ بعدهم قد خربا
واندبا قلب فتى فارَقهم ... يوم بانوا وابْكِيا وانتحِبا
علّه يخبر حيث يمّموا ... أَلجرعاء الحمى أم لِقُبا
رحلوا العيس ولم أشعر بهم ... أَلِسَهْوٍ كان أم طرفٍ نَبا[6]
لم يكن ذاك ولا هذا وما ... كان إلّا وَلَهٌ قد غلبا
يا همومًا شرَدتْ وافترقتْ ... خلفهم تطلبهم أيدي سبا

---

(١) ج، م، ي: وسكني.
(٢) أ، ر، ن: السبب.
(٣) ج، م، ي: - له.
(٤) ج، م، ي: - الروحانية.
(٥) أ، ن: يرعى.
(٦) أ، ر، ن: نها.

أيّ ريحٍ نسمتْ ناديتها ... يا شمالُ يا جنوبٌ يا صَبا
هل لديكم خبر ممّا[1] بنا ... قد لقينا من نَواهم نصبا
أسندتْ ريح الصبا أخبارها[2] ... عن نبات الشِّيح عن زهر الربى
إنّ من أمرضه داء الهوى ... فليعلَّل بأحاديث الصِّبا
ثمّ قالت: يا شمال خبِّري ... مثل ما خبَّرته أو أعجبا
ثمّ أنتِ يا جنوب حدِّثي ... مثل ما حدَّثتِه أو أعذبا
قالت الشمأل عندي فرج ... شاركتْ فيه الشمال الأزْيبا
كلُّ سوء في هواهم حَسُنا ... وعذابٌ برضاهم عذُبا
فإلامَ وعلامَ ولِمَ ... تشتكي[3] البثَّ وتشكو الوصبا
وإذا ما وعدوكم ما ترى ... برقه إلّا بريقا خُلّبا
رَقَمَ الغيمُ على رُدْنِ الغَما[4] ... من سنا البرق طِرازا مُذهَبا
فجرتْ أدمعها منها على ... صحن خدّيها فأذكتْ لهبا
وردة نابتة[5] من أدمعٍ ... نرجس يمطر غيثا عجبا
ومتى رُمتُ جناها أرسلتْ ... عطف صدغيها عليها عقربا
تشرق الشمس إذا ما ابتسمتْ ... ربِّ ما أنور ذاك الحَبَبا
يطلع الليل إذا ما أسدلت[6] ... فاحِمًا جَثْلًا أثيثًا غيهبا
يتجارى النحل مهما تفلتْ[7] ... ربِّ ما أعذب ذاك الشنبا
وإذا مالت أرتنا فَننا ... أو رنتْ سلّتْ من اللحظِ ظُبَى
كم تناغي بالنقا من حاجر ... يا سليل العربيَّ العُرُبا
أنا إلّا عربيّ ولذا ... أعشق البيض وأهوى العَربا
لا أبالي شرّق الوجد بنا ... حيثما كانت به أو غرّبا
كلّ ما قلتُ: ألا قالوا: أما ... وإذا ما قلت: هل قالوا: أبى

---

(١) م، ي: عما.
(٢) ج، ي: أخبارهم.
(٣) ج، م: يشتكي.
(٤) الغما: الغمام.
(٥) أ، ر، ن، ي: قد نبتت.
(٦) النسخ عدا ج: سدلت.
(٧) أ، ر، ن: ثفلت.

ومتى ما أنجدوا أو أتهموا أقطع البِيد أحثّ الطلبا
سامريّ الوقت قلبي كلّما أبصر الأثار يبغي المذهبا
وإذا هم غرّبوا[1] أو شرّقوا كان ذا القرنين يقفوا السببا
كم دعونا لِوصال رغبًا كم دعونا من فراقٍ[2] رهبا
يا بني الزوراء هذا قمر عندكم لاح وعندي غرَبا
حرَبي والله منه حرَبي كم أنادي خلفه وا حرَبا
لهف نفسي لهف نفسي لفتى كلّما غنّى حمام غُيّبا

حدّثنا محمد بن علي ابن أخت المَقُوقي[3]، ثنا أحمد بن محمد، ثنا محمد بن علي، ثنا محمد البزاز[4]، ثنا عبد الله بن قاسم[5]، حدّثنا محمد بن القاسم، عن أبيه، عن علي بن حرب، عن أسباط بن محمد، عن هشام بن حسّان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كلّ مؤنة فيها، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها، ومن حاول أمرا بمعصية الله كان أبعد له ممّا رجا وأقرب ممّا اتّقى، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم ذامّا، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرّهم، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه».

وحدّثنا علي بن عبد الله بن عبد الرحمن، ثنا أحمد بن محمد، ثنا محمد بن علي، ثنا طاهر بن محمد، ثنا عبد الله بن قاسم[6]، ثنا أحمد بن كامل، ثنا أبو قلابة، ثنا بشر بن عمر، ثنا شعبة، عن الحكم، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله عبدا تكلّم فغنم، أو سكت فسلِم، إنّ اللسان أملك شيء للإنسان. ألا وإنّ كلام العبد كلّه عليه إلّا ذكر الله أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو إصلاحا بين مؤمنين. فقال له معاذ بن جبل: يا رسول الله؛ أنؤاخذ بما نتكلّم به؟ قال: وهل يكبّ الناسُ على مناخرهم في النار إلّا حصائد

(١) ج، م: وإذا ما غرّبوا.
(٢) م، ي: كم دعونا لفراق.
(٣) م، ي: المقري.
(٤) ج، م، ي: محمد بن نزار.
(٥) أ، ر، ن: القاسم.
(٦) أ، ر، ن: القاسم.

ألسنتهم؟» فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه، وليحرص على[1] ما انطوى عليه جنانه، وليحسن عملَه، وليقصّر أملَه. ثمّ لم تمض أيّام[2] حتى نزلت هذه الآية: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[3].

عناية أزليّة

روينا من حديث أبي عبد الرحمن، قال: سمعت نملة[4] بن عبد الله الطوسي، قال: سمعت علّوس الدينوري، قال: سمعت المزني، قال: كنت مجاورا بمكة فخطر لي خاطر في الخروج إلى المدينة، فخرجت، فبينا أنا بين المسجدين أمشي، فإذا أنا[5] بشاب مطروح ينزع، فشهق شهقة كانت فيها نفسه؛ فكفّنته في أطمار، ودفنته، ورجعت.

وبه قال الخوّاص: كنت بمكة، فبينا أنا أطوف بالبيت نوديتُ في سرّي: سِرْ[6] إلى بلاد الروم. فقلت: يا عجبا؛ أكون ببيت الله الحرام، فأتركه، وأمضي إلى بلاد الروم! ثمّ هممت بالطواف، فلم أستطع. فسرت إلى بلاد الروم، فلمّا دخلتها، سمعت الناس يقولون: إنّ بنت الملك قد صُرِعت، وقد عُرِضت على كلّ الأطباء فما عرفوا لها دواء. فقلت: احملوني إليها، فأنا غلام الطبيب[7].

فُحِملت، فلمّا دخلت عليها، قالت: مرحبا يا خوّاص، فقلت: ما لكِ؟ قالت: كنتُ على ديننا حتى البارحة، فإنّي نمتُ فرأيت في المنام عرش ربّي بارزا، فانتبهتُ كما ترى؛ لا ينطق لساني إلّا بقول لا إله إلّا الله محمد رسول الله، فلمّا رأوني هكذا نسبوني إلى الجنون[8]. فقلت: لعلّ الله ﷻ يخلّصك منهم، فمن أين عرفت اسمي؟ قالت: نوديتُ: سنبعث لك من تُسلمين على يديه، وأُلهمتُ ذكرك. فهممتُ بالنهوض، فقالت: إلى أين؟ قلت: إلى[9] مكة.

---

(١) النسخ عدا ج: - على.
(٢) ج، م، ي: يمض أياما.
(٣) [النساء: ١١٤]
(٤) ج، م، ي: - نملة.
(٥) ج، م: - أنا.
(٦) ج: امض. م، ي: - سر.
(٧) ج، م، ي: طبيب.
(٨) ج، م، ي: نسبوا إلي الجنون.
(٩) النسخ عدا ج: - إلى.

فقالت[1]: ها هي مكة. فنظرتُ، فإذا مكة. فسرتُ قليلا، فإذا أنا بالبيت.

ومن باب سماع العارفين قوله[2]:

قفا ودِّعا نجدا ومن حلّ بالحمى وقل لنجد عندنا أن تودِّعا[3]
وليست عشيّات الحمى برواجع عليك[4] ولكن خلّ عينيك تدمعا
وأذكر أيّام الحمى ثمّ أنثني على كبدي من خشية أن تصدّعا[5]

تفسيره[6]: يقول لعقله ونفسه: "ودِّعا" الرفيق الأعلى والأرواح العلى التي محلّها "الحمى" الإلهي الأحمى، على أنّه لا تصحّ[7] مفارقته بالكلّيّة للدقائق[8] التي بينهما وبينه. "وليست عشيّات الحمى برواجع" أي الأنوار التي تغشي، حمَتها الألطاف الخفيّة عنها، فهي بحجابها في عالم الأكوان تذكر أيّامها بالحمى الإلهي، فتنعطف على كبدها، إشارة إلى عنصر الحياة التي سرتْ مادته في جميع الموجودات، وتصدُّعه تفرُّقه.

ولنا نظم في هذا الباب:

وزاحمني عند استلامي أوانس أتين إلى التطواف معتجراتِ[9]
حسرن عَنَ انوار[10] الشموس وقلن تورَّع[11] فموت النفس في
فكم قد قتلنا بالمحصّب من منى نفوسا أبيّات لدى الجمراتِ
وفي سرحة الوادي وأعلام رامة وجمعٍ وعند النفر من عرفاتِ
ألم تدر أنّ الحسن يسلب من له عفاف فيُدعى سالب الحسناتِ
فموعدنا بعد الطواف بزمزم لدى القبّة الوسطى لدى الصخراتِ
هنالك من قد شفّه الوجد يشتفي بما شاءه من نسوة عطِراتِ

---

(١) ج، م، ي: قالت.
(٢) هو يزيد بن الطثرية (ت: ١٢٦هـ).
(٣) النسخ عدا ج: يودّعا.
(٤) ج، م، ي: إليك.
(٥) ج، م، ي: يصدّعا.
(٦) أ، ر، ن: - تفسيره.
(٧) ج، م، ي: لا يصح.
(٨) ج، م، ي: الرقائق.
(٩) أ، ر، ن: منتقبات.
(١٠) ج، ي: امثال.
(١١) ج، م: تودع.

إذا خفن أسدلنَ الشعور فهنّ من غدائرها في أَلحُف الظلمات

ولنا من المفاريد في باب الفخر قولنا:

في كلِّ عصرٍ واحدٌ يسمو به وأنا لباقي العصر ذاك الواحدُ

خبر الفيل وأصحابه وما أظهر الله في ذلك من البيّنات على تعظيم الحرم

روينا من حديث أبي الوليد وابن هشام وابن إسحق، وبعضهم يزيد على بعض[1]، ويقدّم شيئا على شيء، والسياق لابن إسحق، غير أنّي قد أُدخِل في أثناء حديثه الزيادات في أماكنها.

ولمّا بنى أبرهةُ الكنيسةَ التي سمّاها: القلّيس، وكتب إلى النجاشي بأنّه عزم على أن يصرف حاجّ العرب إليه، ويتركوا مكة. وما قال في هدم الكعبة شيئا، غضب رجل من النساة، أحد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، فجاء إلى الكنيسة المذكورة، فقعد فيها. قال ابن هشام: يعني أحدَث فيها.

ثمّ خرج الكناني فلحق بأرضه، فبلغ ذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟ فقيل له صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجّ إليه العرب بمكة، لمّا بلغه قولك: أصرف إليها حج العرب؛ غضب فجاء فأحدث فيها، أي أنّها ليست لذلك بأهل. فغضب لذلك أبرهة، وحلف ليسيرنّ إلى البيت حتى يهدمه. ثمّ أمر الحبشة فتهيّأت وتجهّزت، ثمّ سار وخرج بالفيل معه.

وسمعت بذلك العرب، فأعظموه، وفُظِعوا[2] به، ورأوا أنّ جهاده حقّ عليهم، حين سمعوا أنّه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام.

فخرج إليه رجل من أشراف اليمن وملوكهم، يقال له ذو نفر، فدعا قومه، ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله، وما يريد من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك. ثمّ عرض له فقاتله، فهُزم ذو نفر، فأتي به أسيرا. فلمّا أراد أبرهة قتله، قال له ذو نفر: لا تقتلني؛ فإنّه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي. فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلا حليما ورِعا ذا دين في النصرانيّة.

ومضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج إليه، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له

---

(١) م، ي: بعضهم.

(٢) ج: ودوعوا. م، ي: فدعوا.

نفيل بن حبيب الخثعمي بن أكلب بن ربيعة بن عفرس في قبيلتي[1] خثعم شهران وناهس[2]، وهما أبناء عفرس بن خلف بن أقتل، وهو خثعم، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله[3]، فهزمه أبرهة، وأُخِذ له نفيل أسيرا فأُتي به، فلمّا همّ بقتله قال له نفيل: لا تقتلني فأنّي دليلك بأرض العرب، وهاتان يدان[4] لك على قبيلتي[5] خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة. فخلّى سبيله.

وخرج به معه يدلّه، حتى إذا مرّ بالطائف، خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، في رجال ثقيف. فقالوا له[6]: أيّها الملك؛ إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، وليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد، يعنون اللّات، إنّما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلّك عليه. فتجاوز عنهم، وبعثوا معه أبا رغال يدلّه على الطريق إلى مكة.

وفي ثقيف يقول ضرار بن الخطاب الفهري لمّا فعلتْ هذا:

وفرّت ثقيف إلى لاتِها بمنقلب الخائب الخاسر

فخرج أبرهة، ومعه أبو رغال، حتى أنزله بالمغمّس، فلمّا أنزله به مات أبو رغال، فرجمتْ قبره العرب، فهو قبره الذي يرجم بالمغمّس، وهو الذي يقول فيه جرير بن الخطفاء:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

فلمّا نزل أبرهة بالمغمّس[7]، بعث رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود، على خيل له حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهل تهامة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيّدها. فهمّت قريش وكنانة وخزاعة وهذيل ومَن كان في الحرم بقتاله، ثمّ عرفوا أنّه لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

وبعث أبرهة حُناطة الحميري إلى مكة، وقال له: سل عن سيّد هذا البلد وشريفهم، ثمّ

---

(١) أ، ر، ن: قبيلي.
(٢) م، ن: وناهش.
(٣) م، ي: فقاتلهم.
(٤) أ، ر، ن: يداي.
(٥) أ، ر، ن: قبيلي.
(٦) ج، م، ي: - له.
(٧) أ، ر، ن: المغمس.

قل له[1]: إنّ الملك يقول لكم: إنّي لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرّضوا لي بحرب ولا قتال، فلا حاجة لي بدمائكم. فإن هو لم يرِد حربي فأتني به. فلمّا دخل حناطة مكة، سأل عن سيّد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم. فجاءه، فقال له: ما أمره به أبرهة. فقال عبد المطلب: واللهِ ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه، وإن يخلّ بينه وبينه، فواللهِ ما عندنا دفعٌ عنه. فقال حناطة: فانطلق معي إليه، فإنّه قد أمرني أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل[2] عن ذي نفر، وكان له صديقا، حتى دخل عليه وهو في محبسه[3]، فقال: يا ذا نفر؛ هل عندك[4] غنى فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غنى رجل أسير بين يدي ملك ينتظر أن يقتله بكرة وعشيّة؟ ما عندي غنى في شيء ممّا نزل بك، إلّا أنّ[5] أنيسا سائس الفيل صديق لي[6]، فسأُرسل إليه، فأوصيه بك، وأعظم عليه حقّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك أن تكلّمه[7] بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي.

فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إنّ عبد المطلب سيّد قريش، وصاحب عِير مكة وعينها، يطعم الناس بالسهل والجبل، والوحوش في رءوس الجبال، وقد أصاب له الملِك مائتي بعير، فاستأذِن له عليه، وانفعه عنده بما استطعت. قال: أفعل. فكلّم أنيسُ أبرهةَ، فقال له: أيّها الملك؛ سيّد قريش ببابك، يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة وغيرها، وهو يطعم الناسَ بالسهل، والوحوشَ في رءوس الجبال، فأذنْ له عليك، فيكلّمك في حاجته. قال: فأذِنَ له أبرهة.

وكان عبد المطلب أوسمَ الناس وأعظمَهم وأجملَهم[8]. فلمّا رآه أبرهة، أجلّه وأكرمه عن أن يُجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة أن يجلسه معه على سرير ملكه، فنزل أبرهة عن سريره

---

(١) ج، م، ي: - له.
(٢) م، ي: فسأله.
(٣) ج، م، ي: مجلسه.
(٤) أ، ر، ن: عندكم.
(٥) ج، م، ي: - أنّ.
(٦) ج، م، ي: له.
(٧) م، ي: يكلمك.
(٨) أ، ر، م، ن، ي: وأعظمه وأجمله.

فجلس على بساطه، وأجلسه معه عليه إلى جنبه، ثمّ قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك؟ فقال له الترجمان: إنّ[1] الملك يقول لك ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن يردّ عليّ الملك مائتي بعير أصابها لي. فلمّا قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه: قل له قد كنتَ أعجبتني حين رأيتك، ثمّ قد زهدتُ فيك حين كلّمتني؛ أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك، وقد جئتُ لهدمه، لا تكلّمني فيه! قال عبد المطلب: إنّي أنا رَبُّ إبلي، وإنّ للبيت ربّا سيمنعه. قال: ما كان ليمتنع منّي. قال: أنت وذاك.

قال ابن إسحق: وقد كان ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين[2] بعث إليه حناطة الحميري يعمر بن نفاثة بن عدي بن الدُّئِل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة، وهو سيّد بني بكر، وخويلد بن واثلة الهذلي وهو يومئذ سيّد هذيل، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، فردّ أبرهة على عبد المطلب الإبل التي كان أصاب. فلمّا انصرفوا عنه، انصرف عبد المطلب إلى قريش، فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرّز في شَعَف الجبال[3]، تخوّفا عليهم (من) معرَّة الحبش[4].

ثمّ قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام نفر معه من قريش، يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب[5] الكعبة:

يا ربّ إنّ المرء يمـ ـنع رحله فامنع حلالكْ
لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم عدوا محالك
فلئن فعلت فربّما أو لا فأمر ما بدا لك

وقال الواقدي:

إن كنت تاركهم وقبـ ـلتنا فأمر ما بدا لك
ولئن فعلت فإنّه أمر تتمّ به فعالك

ثمّ قال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي:

لا همّ أخذ الأسود بن مقصود الآخذ الهجمة فيها التقليد

---

(١) ج، م، ي: - إن.
(٢) ج، م، ي: حيث.
(٣) شَعَف الجبال: رءوسها.
(٤) أ، ر: الجيش.
(٥) م، ي: - باب.

بين حراء وثبير والبيد[1] يحبسها وهي أولات التطريد
فضمّها إلى طماطم سود أخفره يا رب وأنت محمود

ثمّ أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال، فتحرّزوا فيها، ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها.

فلمّا أصبح أبرهة، تهيّأ لدخول مكة، وهيّأ فيله وعبّأ جيشه، وكان اسم الفيل محمود، وأبرهة مجمع لهدم[2] الكعبة ثمّ الانصراف إلى اليمن. فلمّا وجهوا الفيل إلى مكة أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي حتى قام إلى جنب الفيل، ثمّ أخذ بأذنه فقال له[3]: ابرك محمودا، أو ارجع راشدا من حيث جئت؛ فإنّك في بلد الله الحرام. ثمّ أرسل أذنه، فبرك الفيل. وخرج نفيل يشتدّ حتى أصعد في الجبل. وضربوا الفيل ليقوم فأبى، فضربوا في رأسه بالطبرزين[4] فأبى، فأدخلوا محاجن[5] لهم في مراقه[6] فبزغوه بها ليقوم فأبى، فوجّهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول، ووجّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، ووجّهوه إلى مكة فبرك.

فأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كلّ طير منها ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، أمثال الحمص والعدس، ولا يصيب منهم أحدا إلّا هلك، وليس كلّهم أصابت، وخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي جاءوا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن. فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمه:

أين المفرّ والإله طالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وقال نفيل أيضا حين ولّوا وعاينوا ما نزل بهم:

ألا حيّيتِ عنّا يا ردينا نعمناكم مع الإصباح عينا
ردينة لو رأيت ولن تريه لدى جنب المحصّب ما رأينا

---

(١) أ، ر، ن: فالبيد.
(٢) ج، م، ي: بهدم.
(٣) ج، م، ي: - له.
(٤) الطبرزين: آلة معقفة من حديد.
(٥) المحجن: عصا معقفة الرأس كالصولجان.
(٦) المراق، بتشديد القاف: المواضع التي ترقّ جلودها من الجسم.

إذَنْ لعذرتِنا وحمدت أمري ولن[1] تأسي على ما فات بينا
حمدتُ الله إذ عاينتُ طيرا وخفتُ حجارة تلقى علينا
وكلّ القوم يسأل عن نفيل كأنّ عليّ للحبشان دَيْنا

وقال عبد المطلب:

قلتُ والأشرم تردّى خيله إنّ ذا الأشرم غرٌّ بالحرمْ
كاده تبّع فيمن جنّدت حمير والحيّ من آل قدمْ[2]
فانثنى عنه وفي أوداجه جارح أمسك منه بالكظمْ
نحن[3] أهل الله في بلدته لم يزل ذاك على عهد ابرَهمْ
نعبد الله وفينا شيمة صلة القربى وإيفاء الذممْ
إنّ للبيت لربّا مانعا من يرده بأثام يصطلمْ

وقال أيضا:

وكنت إذا أتى باغٍ نسلّم[4] ونرجو أن يكون[5] لنا كذلكْ
فولّوا لم ينالوا غير خزي وكان الحين مهلكهم هنالكْ
ولم أسمع بأرْجَسِ من رجال أرادوا بانتهاكهم حرامكْ

يريد: "أرادوا العزّ" فلمّا لم يتّزن، حُذف لدلالة المعنى عليه. وقد رويناه "بانتهاكهم حلالك[6]"، فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق، ويهلكون على كلّ منهل، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة، كلّما سقطت منه أنملة، تبعتها[7] مِدّة تمثّ[8] قيحا ودما[9]، حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون.

قال ابن إسحق: حدّثني يعقوب بن عتبة أنّه حُدِّث أنّ أوّل ما رؤيت الحصبة والجدري

(١) النسخ عدا ج: ولم.
(٢) أ، ر: قدم.
(٣) م، ي: ونحن.
(٤) أ، ر، ن: بسلم.
(٥) أ، ر، ن: تكون.
(٦) ج، م، ي: حرامك.
(٧) أ، ر، ن: اتبعتها.
(٨) تمثّ: ترشح.
(٩) في النسخ: قيح ودم.

بأرض العرب ذلك العام، وأنّه أوّل ما رئي به مرائر شجر الحرمل والحنظل والعُشَر، ذلك العام.

قال أبو الوليد فيما حدّث: أنّه أوّل ما كانت بمكة حمام اليمام، حمام مكة الحرميّة، ذلك الزمان، يقال[1]: إنّها من نسل الطير التي رمت أصحاب الفيل حين خرجت من بحر جدّة.

ولمّا ردّ الله الحبشة عن مكة، وأصابهم ما أصابهم من النقمة، عظّمت العرب قريشا. وقالوا: أهل الله، قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوّهم؟ وجعلوا يقولون في ذلك الأشعار، ويذكرون فيها ما جرى.

فمن ذلك ما قال عبد الله بن الزبعري بن عدي بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي:

تتكلّموا عن بطن مكة أنّها كانت قديما لا يُرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالي حرمت إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ولسوف يُنبي الجاهلين عليهما
ستون ألفا لم يئوبوا أرضهم ولم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس[2] صيفي بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر[3] بن مرّة بن مالك بن الأوس الأنصاري ثم الخطمي:

ومن صنعه يوم فيل الحبوش[4] إذ كلّما بعثوه رزمْ
محاجنهم تحت أقرابه وقد شرموا أنفه فانخرمْ
وقد جعلوا سوطهم معولا إذا يمّموه قفاه كلمْ
فولّى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم مَن كان ثمْ
فأرسل من فوقهم حاصبا يلفّهم[5] مثل لفّ القزمْ
يحضّ[6] على الصبر أخيارهم فقد ثأجوا كثواج الغنمْ

---

(١) ج، ي: وقال.
(٢) ج، م، ي: - أبو قيس.
(٣) أ، ر، ن: عامرة.
(٤) أ، ج، ر، ن: الجيوش.
(٥) أ، ر، ن: تلفّهم.
(٦) ج، ي: نجر.

وقال أيضا:

فقوموا فصلّوا ربّكم فتمسّحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشبِ
فعندكم منه بلاء ومصدق غداة أبي يكسوم هادي الكتائبِ
كتيبته بالسهل تمشي ورحله على القاذفات في رءوس المناقبِ
فلمّا أتاكم نصر ذي العرش ردّهم جنود المليك بين ساف وحاصبِ
فولّوا سراعا هاربين ولم يؤب إلى أهله بالجيش[1] غير عصائبِ

وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ وجيش أبي يكسوم إذ ملأوا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

وقال أميّة بن أبي الصلت بن أبي ربيعة: كذا قال ابن هشام، وقال ابن إسحق، وأبو الوليد، قال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي، وهو جاهلي يذكر الحنيفيّة، وساق الشعر من حديث ابن هشام:

إنّ آيات ربّنا باقياتٍ ما يماري فيهنّ إلّا الكفورُ
خلق الليل والنهار فكلٌّ مستنير حسابه مقدورُ
ثمّ يجلو النهار ربّ رحيم بمهاة[2] شعاعها منشورُ
حبس الفيل بالمغمّس حتّى ظلّ يحبو كأنّه معقورُ
لازما حلقه[3] الجران كما قطّر من رأس كبكب[4] محدور
حوله من ملوك كندة أبطا ل ملاويث[5] في الحرب صقور
خلّفوه ثمّ ابدعرّوا جميعا كلّهم عظم ساقه[6] مكسور
كلّ دين يوم القيامة عند الله إلّا دين الحنيفة بور

وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وهو من حديث أبي الوليد وابن إسحق، رحمهما الله:

---

(١) أ، ر، ن: ملجيش.
(٢) المهاة: الشمس.
(٣) ج، ن: خلقه.
(٤) كبكب: جبل بعرفة.
(٥) ملاويث: أشراف.
(٦) م، ي: ساقهم.

أنت حبست الفيل بالمغمّسْ حبستَه كأنّه مكردَسْ
من بعد ما همّ بشرٍّ محلس[1] بمحبس تزهق فيه الأنفسْ
وقت ثياب ربّنا لم تدنس يا واهب الحيّ الجميع الأحمسْ
وما لهم من طارف[2] ومنفس وجاره مثل الجواري الكنّسْ
أنت لنا في كلّ أمر مضرس وفي هنات أخذت بالأنفسْ

وقال الفرزدق، واسمه همام بن غالب أحد بني مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح سليمان بن عبد الملك، ويذكر الحجاج والفيل:

فلمّا طغى الحجاج حين طغى به غنى قال إنّي مرتقٍ في السلالمِ
فكان كما قال ابن نوح سأرتقي إلى جبل من خشية الماء عاصمِ
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارمِ
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم هباء وكانوا مطرخمي الطراخمِ
نصرت كنصر البيت إذ ساق فيله إليه عظيم المشركين الأعاجمِ

وقال عبد الله بن قيس الرقيّات أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة الأشرم والفيل:

كاده الأشرم الذي جاء بالليـ ـل فولّى وجيشه مهزومُ
واستهلّت عليهم الطير بالجنـ ـدل حتى كأنّه مرجومُ
ذاك مَن يغزُه من الناس يرجع وهو فلّ من الجيوش ذميمُ

قول ابن عمر ﷺ لحنين في استلام الركن

روينا من حديث ابن الوليد، عن جدّه، عن يحيى بن[3] سليم، عن إسماعيل بن كثير، عن مجاهد، قال: كنّا مع عبد الله بن عمر في الطواف، فنظر إلى رجل يطوف كالبدوي لا يستلم الركن ولا يكبّر ولا يذكر الله، فقال له ابن عمر: أيّ شيء تصنع ههنا؟ قال: أطوف. فقال ابن عمر: مثل الجمل تخبط ولا تستلم[4] ولا تكبّر ولا تذكر الله؟ ثمّ قال له: ما اسمك؟ قال: حنين. قال: فكان ابن عمر إذا رأى الرجل لا يستلم الركن، قال: أحنينيّ هو!

(١) ج، ي: مجلس. ن: محبس.
(٢) ن، ي: طارق.
(٣) ج، م، ي: - بن.
(٤) م، ي: تستلم الركن.

قلت: ورأيت أنا في مجاورتي رجلا من المجاورين يسكن برباط خاتون بباب السدّة يقال له: إسماعيل الموصلي، يطوف بالبيت كثيرا، مثل طواف حنين هذا، وربما يستدبر البيت أحيانا في طوافه، فسألت عن صنعته، فقيل لي: كان يبيع الفقع[1].

فاتّفق أن خطر لي أبيات، فذكرتها موعظة وتنبيها واعتذارا عنه:

يطوف بالبيت من يدين به ... لكنّه خارج عن البشرِ
كأنّه في طوافه جملٌ ... يخبط لا يلتوي على الحجرِ
مثل حنين وقد رآه فتىً ... من أعلم الناس من بني عمرِ
فقال هذا الذي أقول به ... في حقّ هذا الأنيس فازدجرِ
لكنّني قد وجدت معذرة ... كان عليها في سالف العمُرِ
كان له فُقَعٌ يطوف به ... ومن أتى عادة فقد يحرِ

ولنا من باب اللطائف والإشارات:

يا حادي العيس لا تعجل بها وقِفا ... فإنّني زمن في إثرها غادي
قف بالمطايا وشمّر من أزِمّتها ... بالله بالوجد بالتبريح يا حادي
نفسي تريد ولكن لا تساعدها ... رجلي[2] فمن لي بإشفاق وإسعادِ
ما يفعل الصَّنِع النحرير في شُغُلٍ ... آلاته أذنت فيه بإفسادِ
عرّج ففي أيمن الوادي خيامهم ... لله درّك ما تحويه يا وادي
جمعت قوما هُمُ نفسي وهم نفسي ... وهم سواد سويدا خُلّب اكبادي
لا درّ درّ الهوى إن لم أمت كمدا ... بحاجر أو بسلع أو بأجيادِ

ولنا من هذا الباب:

يذكّرني حال الشبيبةِ والشرخِ ... حديثٌ لنا بين الحديثةِ والكرخِ
فقلت لنفسي بعد خمسين حجّة ... وقد صرت من طول التفكر كالفرخِ
تذكّرني أكناف سلع وحاجر ... وتذكر لي حال الشبيبةِ والشرخِ
وسَوْقي المطايا مُنْجِدا ثمّ مُتْهِما ... وقدْحِي لها نار العِفار مع المرخِ

روينا من حديث ابن مروان، عن محمد بن عبد العزيز، قال: ثنا المضّاء بن الجارود،

---

(١) الفقع: نبت يطلع من الأرض فيظهر أبيض.

(٢) ج: كفي. ر، ن، ي: رجل.

عن محمد بن عبد الله القرشي، عن أبيه، قال؛ قال: أبو الدرداء: ما من رجل من المسلمين إذا أصبح إلّا اجتمع هواه وعلمه؛ فإن كان هواه تابعا لعلمه فيومه صالح، وإن كان علمه[1] تابعا لهواه فيومه يوم شرّ.

ولنا من باب[2] الإشارات العلويّة

بان العزاءُ وبان الصبر إذ بانوا ... بانوا وهم في سواد القلب سكّانُ
سألتهم عن مقيل الركب قيل لنا ... مقيلهم حيث فاح الشِّيحُ والبانُ
فقلت للريح سيري والحقي[3] بهم ... فإنّهم في ظلال الأيك قطّانُ
وبلّغيهم سلاما من أخى شجن ... في قلبه من فراق القوم أشجانُ

قول النبيّ ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»

يريد إسماعيل وأباه عبد الله. فأمّا إسماعيل فما ذكر الله من قصّة إبراهيم في رؤياه في ذبح ولده على اختلافٍ بين إسحق وإسماعيل، وما فداه الله به، على أنّه يحتمل إذا صحّ قول النبيّ عليه السلام أنّه ابن الذبيحين، أنّه يريد إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام. فإنّ وزن فعيل يكون للفاعل ويكون للمفعول. فذبيح، بمعنى ذابح وهو إبراهيم، ومذبوح وهو إسماعيل. وقد يصحّ نسب البنوّة للعمّ كما تنسب للأب، على أن يكون الذبيح إسحق. قال تعالى في قول بني يعقوب ليعقوب: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾[4]. وكان إسماعيل عمّ يعقوب، لم يكن أباه، وإنما أبوه إسحق.

فأمّا ما كان من خبر عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ، فهو ما رويناه من حديث ابن إسحق، قال ابن إسحق: كان عبد المطلب بن هاشم، قد لقي من قريش شدّة عند حفر زمزم، فلمّا نصره الله عليهم نذَر لئن وُلد له عشرة أولاد ذكور، ثمّ بلغوا معه حتى يمنعوه، لينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة. فلمّا توافى بنوه عشرة، وعرف أنّهم سيمنعوه[5] جمَعهم، ثمّ أخبرهم بنذرِه، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف تصنع؟ فقال: ليأخذ كلّ رجلٍ منكم قدحا، ثمّ يكتب فيه اسمه، ثمّ ائتوني. ففعلوا، ثمّ أتوه، فدخل بهم على هُبَل في

(١) ج: ... وعمله؛ فإن كان هواه تابعا لعمله فيومه صالح، وإن كان عمله.
(٢) ج، م، ي: - باب.
(٣) ج، م: والحقين.
(٤) [البقرة: ١٣٣]
(٥) أ، ر، ن: سيمنعونه.

جوف الكعبة، فقال لصاحب القداح: اضرب على بَنيّ هؤلاء بقداحهم[1] هذه، وأخبره بنذره الذي نذر. فأعطاه كلُّ رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه، فلمّا أخذ صاحب القداحِ القداحَ ليضرب بها، قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله، ثمّ ضرب صاحب القداح، فخرج القداح[2] على عبد الله، وكان أحبَّ ولدِ عبد المطلب إليه. فأخذ الشفرة، ثمّ أقبل به[3] إلى أساف ونائلة ليذبحه.

فقامت إليه قريش من أنديتها، وقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه. قالت له قريش وبنوه: واللهِ لا تذبحه أبدا حتى نعذر[4] فيه، لئن فعلتَ هذا، لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا.

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عبد الله ابن أخت القوم: واللهِ لا تذبحه أبدا حتى نعذر فيه؛ فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلِق إلى الحجاز؛ فإنّ بها[5] عرّافة لها تابع، فسَلها، ثمّ أنت على رأس أمرك؛ إن أمرتك بذبحه ذبحته[6]، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرجٌ قبِلته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوها بخيبر، فركبوا حتى جاءوها، فقصَّ عليها عبد المطلب خبره، والقصّة كما جرت. فقالت لهم: ارجعوا عنّي اليوم حتى يأتيني[7] تابعي فأسأله. فرجعوا من عندها، وعبد المطلب يدعو الله، ثمّ غدوا عليها، فقالت لهم: قد[8] جاءني الخبر: كم الديّة فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل. قالت: ارجعوا إلى بلادكم، ثمّ قرّبوا صاحبكم، وقرّبوا عشرا من الإبل، ثمّ اضربوا عليها وعليه بالقِداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربّكم، وإن خرجت على الإبل، فانحروها عنه، فقد رضي ربّكم، ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدِموا مكة. فلمّا أجمعوا لذلك الأمر، قام جانبًا عبد المطلب يدعو الله، ثمّ

---

(١) أ، ر، ن: وبقداحهم.
(٢) ج، م، ي: القدح.
(٣) ج، م، ي: - به.
(٤) ج، ي: يعذر. م: تعذر.
(٥) أ، ر، ن: به.
(٦) أ، ر، ن: - ذبحته.
(٧) أ، ر، ن: يأتي.
(٨) ج، م، ي: - قد.

قرّبوا عبد الله، وعشرا من الإبل، ثمّ ضربوا فخرج القِداح[1] على عبد الله، فزادوا عشرا من الإبل، فلم يزالوا[2] يضربون عليها وعلى عبد الله، فتخرج[3] على عبد الله، فيزيدون عشرا عشرا[4]، حتى بلغت مائة، فلمّا بلغت مائة[5] ضربوا فخرج[6] القداح[7] على الإبل، فقالت قريش ومَن حضر: قد[8] انتهى، رضي ربّك يا عبد المطلب. فزعموا أنّ عبد المطلب قال: لا واللهِ حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل ثلاثا، كلّ ذلك يخرج القداح[9] على الإبل، فنُحرت، ثمّ تُركت لا يُصدّ عنها إنسان ولا يُمنع[10]. وانصرف عبد المطلب مسرورا آخذا بيد عبد الله.

فمرّ به على امرأة من بني أسد بن عبد العزّى، وهي أخت ورقة بن نوفل، فنظرت إليه وهي عند الكعبة، فقالت له وهي تنظر في وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي. قالت: هل لك مثل الإبل التي نُحرت عليك، وتقع عليّ الآن؟ قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع فراقه الآن، وانصرَف. فأتى به عبد المطلب إلى[11] وهب بن عبد مناف سيّد بني زهرة يومئذ، فزوّجه ابنته[12] آمنة بنت وهب، فدخل عليها حين أملكها مكانه، فوقع عليها، فحملتْ برسول الله ﷺ. ثمّ خرج من عندها، فأتى أخت ورقة التي عرضتْ عليه نفسها، فقال لها: ما لكِ لا تعرضين عليّ ما كنت عرضتِ؟ قالت له: فارقَك النور الذي كنتُ رأيته في وجهك، فليس لي بك اليوم حاجة.

وفي رواية إسحق بن يسار، من حديث ابن إسحق عنه: أنّه حدّث أو أخبر أنّ عبد الله إنّما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل في طين له، وبه أثر من الطين،

---

(١) أ، ر، ن: القدح.
(٢) أ، ر، ن: فما زالوا.
(٣) أ، ر، ن: فيخرج.
(٤) ج، م، ي: - عشرا.
(٥) ج، م، ي: - فلما بلغت مائة، + ثمّ.
(٦) م، ي: فخرجت.
(٧) أ، ر، ن: القدح.
(٨) ج، م، ي: - قد.
(٩) أ، ر، ن، ي: القدح.
(١٠) أ، ر، ن: تمنع.
(١١) أ، ر، ن: - إلى.
(١٢) ج، م، ي: - ابنته.

فدعاها إلى نفسها، فأبطأت عليه لما رأت عليه[1] من أثر الطين، فخرج[2] فغسل ما كان به من الطين، ثمّ خرج عامدا إلى آمنة، فمرّ بها، فدعته إلى نفسها، فأبى عليها، ودخل على آمنة، فأصابها، فحملت بمحمد رسول الله ﷺ. ثمّ مرّ بامرأته تلك، فقال لها: هل لك؟ قالت: لا؛ مررتَ بي وبين عينيك غرّة، ودعوتك فأبيتَ، ودخلت على آمنة فذهبتْ بها:

تخيّرك الله من آدم فما زلت منحدرا ترتقي

ﷺ، فقيل لآمنة: إنّك حملتِ بسيّد هذه الأمّة، يقول لها الملَك: فإذا وقع على[3] الأرض، فقولي: أعيذه بالواحد، من شرّ كلّ حاسدٍ وقائم وقاعد، من نافث وعاقد[4] يأخذ بالمراصد، في طرق الموارد، وسمّيه محمدا.

* * *

وروينا من حديث ابن جهضم، عن محمد بن القاسم، عن محمد بن عبيد، عن محمد بن صالح، قال: بينا أنا في الطواف، نظرت إلى أعرابيّ[5] متعلّق بأستار الكعبة، وقد شخص ببصره نحو السماء، وهو يقول: يا من وفَد العباد إليه، ذهبت أيّامي وضعفت قوّتي، وقد فررتُ إلى بيتك المعظّم المكرّم بذنوب كثيرة، لا تسعها الأرض ولا تغسلها البحار، مستجيرا بعفوك منها، وحططتُ رحلي بفنائك، وأنفقتُ مالي في رضاك. فما الذي يكون من جزائك يا مولاي؟

ثمّ أقبل على الناس بوجهه، فقال: معاشر الناس؛ ادعوا لمن وكزته الخطايا، وغمرته[6] البلايا، ارحموا أسيرَ ضرٍّ، وغريب[7] فاقة، سألتكم[8] بالذي قد عمّتكم الرغبة إليه، إلّا سألتم الله ﷻ أن يهب لي جرمي، ويغفر لي ذنوبي. ثمّ عاد فتعلّق بأستار الكعبة، وقال: إلهي وسيّدي؛ عظيم الذنب مكروب، وعن صالح الأعمال مطرود، وقد أصبحت ذا فاقة إلى رحمتك.

---

(١) ج، م، ي: - عليه.
(٢) ج، م، ي: - فخرج.
(٣) أ، ر، ن: إلى.
(٤) ج، م، ي: - من نافث وعاقد.
(٥) ج: أعرابيا. م، ي: بأعرابي.
(٦) أ، ر، ن: وعمرته.
(٧) ج، ي: غريب.
(٨) ج، م، ي: سائلكم.

قال محمد بن صالح: ثمّ رأيته بعرفات، وقد وضع يساره على أمّ رأسه، وهو يصرخ ويبكي ويشهق، ويقول: إلهي وسيّدي ومولاي؛ أضحكتَ الأرض بالزهرة، وأمطرتَ السماء بالرحمة، والذي أعطيت الموحّدين إنّ نفسي لواثقة لي ولهم[1] منك، وكيف لا يكون كذلك؛ وأنت حبيب من تحبّب إليك، وقرّة عين من لاذ بك وانقطع إليك. حقّا حقّا[2] أقول: لقد أمرت بمكارم الأخلاق، فاجعل وفودي إليك عتق رقبتي من النار.

وممّن دعا فهتف بإجابته

ما كتب إلينا عبد الرحمن، عن أحمد بن ظفر، عن أحمد بن الحسن، عن هلال بن محمد، عن عمر بن أحمد، عن عبيد الله، عن زكريا، عن الأصمعي، عن سفيان بن عيينة، قال: سمعت أعرابيّا متعلّقا بأستار الكعبة، وهو يقول: السائل سائل انقضت أيّامه وبقيت آثامه، وانقضت شهواته وبقيت تبعاته، ولكلّ ضيف قِرى، فاجعل قِراي الجنة.

ثمّ كتب: وحدّثنا أحمد، عن الحسن، عن عبد العزيز بن جعفر، عن حمزة بن محمد، عن محمد بن عيسى المدائني، قال: تعلّق شابّ بأستار الكعبة، وقال: إلهي؛ لا لك شريك فيؤتى، ولا وزير فيُرشى، إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد، وإن عصيتك فبجهلي ولك الحُجّة عليّ، فبإثبات حجّتك عليّ، وانقطاع حجّتي لديك، إلّا غفرت لي. فسمع هاتفا يقول: الفتى عتيق من النار.

موعظة نبويّة

حدّثنا محمد بن قاسم، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن علي، عن أحمد بن محمد، عن علي بن القاسم، عن الشيباني، عن ابن زهير، عن موسى بن معاذ، عن يحيى بن عبد الحميد، عن قيس بن الربيع، عن الحرّ بن الصباح، عن خليفة بن الحصين، عن قيس بن عاصم، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا قيس؛ إنّ مع العزّ ذلّا، وإنّ مع الحياة موتا، وإنّ مع الدنيا آخرة، وإنّ لكلّ شيء حسيبا وعلى كلّ شيء رقيبا، وإنّ لكلّ حسنة ثوابا وإنّ[3] لكلّ سيّئة عقابا، وإنّ لكلّ أجل كتابا. إنّه لا بدّ -يا قيس- من قرين يدفن معك وهو حيّ، وتُدفن معه وأنت ميّت؛ فإن كان كريما أكرمك، وإن كان لئيما أسلمك، ثمّ لا يحشر إلّا معك، ولا تُبعث إلّا معه، ولا

(١) ج، م، ي: - ولهم.
(٢) ر، م: - حقا.
(٣) أن ر، ن: - إنّ.

تُسأل إلّا عنه، فلا تجعله إلّا صالحا؛ فإنّه إن كان صالحا لم تأنس إلّا به، وإن كان فاحشا لم تستوحش إلّا منه؛ ألا[1] وهو فعلك».

شعر في معناه:

تزوّد قرينا من فعالك إنما قرين الفتى في القبر ما كان يعملُ
فإن[2] كنت مشغولا بشيء فلا تكن بغير الذي يرضى به الله تشغلُ
فلن يصحب الإنسان من بعد موته إلى قبره إلّا الذي كان يفعلُ
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله يقيم قليلا عندهم ثمّ يرحلُ

وقال الآخر في القبر:

القبر بيت كريه سوف تسكنه ماذا عملت ليوم القبر يا ساهي

ولأبي العتاهية من قصيدة:

يا بيت بيت الرجا يا بيت منقطعي يا بيت بيت الردى يا بيت وحشته

وقرأت[3] على قبرٍ بسلا[4] مكتوب:

ولقد وقفتُ كما وقفت ولكم نظرتُ فما اعتبرتُ
حصِّل لنفسك منزلا قبل الحصول كما[5] حصلتُ

ورؤي على قبرٍ مكتوب:

أنا في القبر وحدي[6] قد تبرّا الأهل منّي
أسلموني لذنوبي خِبتُ إن لم تعف عنّي

وسماعنا على قول ابن حيّوس[7] حيث يقول:

أسكّان نعمان الأراك تيقّنوا بأنّكما في ربع قلبي سكّانُ

---

(١) أ، ر، ن: - ألا.
(٢) ج، م، ي: وإن.
(٣) ج، م، ي: ورأيت.
(٤) سلا: مدينة في المغرب على شاطئ المحيط.
(٥) ج، م، ي: لما.
(٦) أ، ر، ن: وحيد.
(٧) هو محمد بن سلطان بن محمد بن حيّوس الغنوي الأمير أبو الفتيان مصطفى الدولة، شاعر الشام، ولد ونشأ بدمشق، له ديوان (ت: ٤٧٣هـ).

ودوموا على حسن الوداد فإنّني بُليت بأقوام إذا حفظوا خانوا
سلوا الليل عنّي مذ تناءت دياركم هل اكتحلتْ بالنوم لي فيه أجفانُ
وهل جرّدت أسياف برق دياركم فكان لها إلّا جفوني أجفانُ

السماع الروحاني في ذلك:

"سكّان نعمان الأراك[1]" همم العارفون في نعيم حضرة المشاهدة، ومحلّها قلوبهم، تقول[2] لطيفته الربّانية لهذه الهمم: "دوموا" فإنّي دفعت إلى نفوسٍ أخذ عليها العهد الإلهي في الميثاق الأوّل "فخانوا". ثمّ أخذ يصف نفسه بالقيّوميّة، تخلّقا إلهيّا، أي قد غلب عليّ التجرّد من عالم التركيب الذي هو محلّ النوم، إلى العالم الأنزه الأقدس الذي لا نوم فيه، ميراثا نبويّا من أنّه لا ينام قلبه ﷺ. ثمّ أخذ يخاطب الهمم: إنّ لمعان سيوفها إذا برقت من منازلها منازل الأحبّة، فغمد هاتيك[3] السيوف أجفاني، أي لا أنام، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾[4].

وسماعنا على مهيار[5] حيث يقول:

مَن ناظرٌ لي بين سلع وقبا كيف أضاء البرق أم كيف خبا
نبّهني وميضه ولم تنم عيني ولكن ردّ عقلا غربا
قرّت له بنات قلبي خافقا واستبردته أضلعي ملتهبا
يا لبعيد من منىً ناديته[6] يوهمني الصدق بريقا[7] كذبا
ولنسيم سحرٍ بحاجرٍ ردّت به عهد الصِّبا ريح الصَّبا
آليّة ما فتح العطّار عن أعبق منه نفَسا وأطيبا
سل من يدلّ الناشدين بالغضا على الطريد ويردّ السلبا
أراجع لي والمنى هلهلة وطالع نجم زمان غربا
وطوفة بين القباب بمنى لا خائفا عتبا ولا مرتقبا

السماع الروحاني للعارف في ذلك:

---

(١) أ، ر، ن: - الأراك.
(٢) أ، ج، ر، ن: يقول.
(٣) النسخ عدا ج: فغمدها تلك.
(٤) [النور: ٤٣]
(٥) هو مهيار الديلمي.
(٦) أ، ر، ن: دنا به. م: نادته. ي: ناديه.
(٧) أ، ر، ن: بريق.

"من ناظر لي" بين المقامات المحمدية، "كيف لمع برق" المعرفة "أم كيف خبا" مطويّا في غيم الكون؟ أيقظني لمعانه على أنّ عيني ما نامت عنه، ولكن كان العقل منصرفا إلى عالم التدبير، فردّه إلى العالم المدبّر، فسكنت[١] له همم القلوب بعد طيرانها خضعانا كسلسلة على صفوان، "واستبردت" ببرد[٢] السرور عطفات الجنوح، ما كان حاميا بنور التنزّلات الإلهية. فلمّا ألاح له اللعينُ[٣] من خلف حلقة الرصد مثالَ النور المنزل ليقبله منه، عرفه بالحفظ الإلهي، فقال: "يوهمني الصدق بريق كذبا"، ثمّ رجع ينادي أيضا بالبعد من عالم الأنفاس في البرزخ المشترك بين النور والظلمة، دلّه عليه وعلى عصر شبابه ريح الصَّبا، شروق نفَس[٤] التنفّس من نفس الرحمة[٥]، بما هو أطيب من المسك عرفا ونشرا. ثمّ قال: "سل من يدلّ الناشدين" قلوبهم بمقام الاشتياق "على الطريد"، عن الباب الأعزّ، ويردّ قلبا[٦] أُخذ منه على غرّة[٧]. ثمّ قال: "أراجع لي" ذلك السلب؟ "والمنى" قد يكون أماني، وهل يطلع لي[٨] نجمُ سعدٍ غرَبا؟ أي صار في الحجاب. وهل أراني طائفا متردّدا بين القباب الساترة شموسا؟ "لا خائفا عتبا" يقول[٩]: لِم وأما، "ولا مرتقبا" وعدا لحصول الاتّصال وانتظام الشمل بالأحباب.

ومما نظمنا في هذا الباب قولنا:

بأبي الغصون المائسات عواطفا العاطفات على الخدودِ سوالفا
المرسلات من الشعور غدائرا الليّنات معاقدا ومعاطفا
الساحبات من الدلال ذلاذلا اللابسات من الجمال مطارفا
الباخلات بحسنهنّ صيانة الواهبات متالدا ومطارفا
المونقات مضاحكا ومباسما الطيّبات مقبّلا ومراشفا
الناعمات مجرّدا والكاعبا ت منهَّدا والمهديات طرائفا

---

(١) أ، ر، ن: فسكت.
(٢) ج، م، ي: برد.
(٣) ج، م، ي: للعين.
(٤) أ، ر: شمس.
(٥) ج، م: الرحمن.
(٦) ج، م، ي: قلبه.
(٧) أ، ر، ن: غرّة به.
(٨) ج، م، ي: - لي.
(٩) أ، ر، ن: بقول.

الخالبات بكلّ سحر معجِب عند الحديث مسامعا ولطائفا
الساترات من الحياء محاسنا تَسبي بها القلب التقيَّ الخائفا
المبديات من الثغور لآلئا تشفي[1] بِريقتها ضعيفا تالفا
الراميات من العيون رواشقا قلبا خبيرا بالحروب مثاقفا
المطلعات من الجيوب أهلّة لا يُلْفَيَنَّ مع التمام كواسفا
المنشئات من الدموع سحائبا المسمعات من الزفير قواصفا
يا صاحبيَّ؛ بمهجتي خُمصانة أسدتْ إليّ أياديا وعوارفا
نظمتْ نظام الشمل فهي نظامنا عربيّة عجماء تلهي العارفا
مهما رنت سلّتْ عليك صوارما ويريك مبسمها بريقا خاطفا
يا صاحبيَّ؛ قفا بأكناف الحمى من حاجر يا صاحبيّ قفا قفا
حتى أسائل أين سارت عيسهم فقد اقتحمتُ مَعاطبا[2] ومخاوفا
وقطعتُ أبغي رسم دار قد عفا من أجلهنّ مهالكا ومتالفا
ومعالما ومجاهلا بشِملّةٍ تشكو الوجى وسباسبا وتنائفا
مطويّة الأقرابِ أذهب سيرُها بحثيثه منها قوى وسدائفا
حتى وقفت بها برملة حاجر فرأيت نوقا بالأثيل خوالفا
يقتادها قمر عليه مهابة فطويتُ من حذر عليه شراسفا[3]
قمر تعرّض في الطواف فلم أكن بسواه عند طوافه بي[4] طائفا
يمحو بفاضل بُردِه آثاره فتحار لو كنت الدليل القائفا

ولنا من هذا الباب أيضا:

ثلاث بدور ما يُزَنّ بريبة خرجن إلى التنعيم معتجراتِ
حسرن عَنَ امثال الشموس إضاءة ولَبَّيْنَ بالإهلال معتمراتِ
وأقبلن يمشين الرويدا كمثل ما تمشي القطا في ألحُفِ[5] الحبَراتِ

ولنا من هذا الباب أيضا:

---

(١) أ، ر، م، ن: يشفي.
(٢) أ، ر، ن: معاطفا.
(٣) الشراسف (جمع شرسوف): طرفُ الضِّلَع اللّيّن المشرفُ على البَطْن.
(٤) أ، ر، ن: لي.
(٥) أ، ر، ن: أبرد.

قف بالمنازل واندب الأطلالا وسل الربوع الدارسات سؤالا
أين الأحبّة أين سارت عيسهم هاتيك تقطع في اليباب ألالا
مثل الحدائق في السراب تراهم الآل يعظم في العيون الآلا
ساروا يريدون العذيب ليشربوا ماءً به مثل الحياة زلالا
فقفوتُ أسأل عنهم ريح الصَّبا هل خيّموا أو استظلّوا الضالا
قالت تركت على زرودَ قبابهم والعيس تشكو من سراه كلالا
قد أسدلوا فوق القباب مَصاونا يسترنَ من حرّ الهجير جَمالا
فانهض إليهم طالبا آثارهم وارقل بعيسك نحوهم إرقالا
فإذا وقفت على معالم حاجر وقطعت أغوارا بها وجبالا
قربت منازلهم ولاحت نارهم نارا قَدَ اشعلتِ الهوى إشعالا[1]
فأنخ بها لا يُرهبنّك أُسدها فالاشتياق[2] يريكها أشبالا

ومن وقائع بعض[3] الفقراء إلى الله تعالى، ما حدّثنا به عبد الله بن الأستاذ المورورى قال: رأى بعضُ الفقراء في واقعته الشيخ أبا مدين، ومعه ثلاثة من الصوفية، فيهم أبو حامد، وهم جلوس، فقدّم لهم صحفة فيها ثريد[4]، فأكلوا، ثمّ حمدوا وأثنوا.

ثمّ قال[5] أبو حامد: يا أبا مدين؛ نحبّ غذاء الأرواح! فقال لهم: سلوا عمّا شئتم. فقالوا له: نسألك عن حقيقة سرّك. فقال لهم: سرّي مسرور بأسرار، تستمدّ[6] من البحار الإلهيّة الأبديّة الأزليّة التي لا ينبغي كشفها، ولا يجوز بثّها لغير أهلها؛ إذ العبارة والإشارة تعجز عن دركها، وأبت الغيرة إلّا سترها، هي البحار المحيطة بالوجود، لا يلِجها إلّا من هو في وطنه مفقود، وفي عالم الحقيقة بسرّه موجود، يتقلّب بالحياة الأبديّة، وينطق بالعلوم الأزليّة، فهو بجسمه ظاهر، وبسرّ حقيقته ظافر، يطير في عالم الملكوت، ويسرح في عالم الجبروت، تخلّق بالأسماء والصفات، وفني عنها بمشاهدة الذات، هناك قراري ووطني، وقرّة عيني ومسكني، به دام فرحي، وهو علانيّتي وسرّي، هو الممدّ لوجودي، ومالكي ومعبودي، أظهر في

(١) أ، ر، ن: نار قد اشتعلت هوى إشعالا.
(٢) النسخ عدا ي: الاشتياق.
(٣) أن ر، ن: - بعض.
(٤) أ، ر، ن: شهد.
(٥) أ، ر، ن: قال له.
(٦) م، ي: يستمد.

وجودي قدرته، ورتّب في بدائع صنعه حكمته، فهو الباطن الظاهر، الملك[1] القاهر.

فمن راقب همّته عن ملاحظة نفسه، لم يلتفت إلى غده وأمسه، وإنما هو ابن وقته. فالحقّ سبحانه يجري عليه أفعاله، وهو راض بها[2] مسرورا، إذ لم يكن شيئا مذكورا. فمن نزّه أقواله وأفعاله، فقد صفّى همّته وأحواله، فمن كان نطقه به يصول، ومن كان هو دليله فقد نال الوصول، ومن حقّق نظره؛ به يسمع وبه يقول، يسمع[3] عنه، ويسأل به منه؛ إذ الوجود كلّه فاني، والباقي فيه[4] المعاني، به كلّ شيء يعرف[5]، ولولاه لم يُفهم ولم يوصف، فهو المُظهر سبحانه للأكوان، ومُسِرّ[6] السرائر ومُظهِر الإعلان؛ فرحمته لخلقه عامّة، ونعمه لهم شاملة تامّة، فهم فيها يغدون ويروحون، وبإسباغها عليهم ظاهرة وباطنة يتنعّمون، فكلّ الأشياء[7] بجملتها تشهد[8] له بالوحدانيّة، وتقرّ له بالحدوث والعبوديّة، هو سبحانه منطِّقها بكرمه ومجده، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[9].

وأنشدنا من كتاب ابن زنجويه:

أيا عجبا كيف يُعصى الإلـ ـه أم كيف يجحده الجاحدُ
ولله في كلّ تحريكة وتسكينة عَلَمٌ شاهدُ
وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحدُ

ذِكر ما قيل على لسان الحرمين وحكم الجُدّي بينهما[10]

حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا حسن[11] بن علي، ثنا الحسن بن خلف بن هبة بن قاسم الشامي، ثنا الحسن بن أحمد بن فراس، ثنا أبي عن أبيه إبراهيم بن فراس، عن أبي محمد إسحق بن نافع الخزاعي، عن إبراهيم بن عبد الرحمن المكي، عن محمد بن العباس المكي، قال:

---

(١) أ، ر، ن: المالك.
(٢) ج، م، ي: به.
(٣) ج، م، ي: وسمع.
(٤) أ، ر، ن: والباقية هي.
(٥) النسخ عدا ج: عرف.
(٦) ج، م، ي: وسر.
(٧) ج، م، ي: شيء.
(٨) ج، م، ي: يشهد.
(٩) [الإسراء: ٤٤]
(١٠) ج، م: - وحكم الجدي في ذلك.
(١١) ج، م، ي: الحسن.

أخبرني بعض مشائخي[1] المكّيين أنّ داءود بن عيسى بن موسى، لمّا ولي مكة[2] والمدينة، أقام[3] بمكة، وولّى ابنه سليمان المدينة، فأقام بمكة عشرين شهرا، فكتب إليه أهل المدينة، وقال الزبير بن أبي بكر: كتب إليه يحيى بن مسكين بن أيوب بن مخراق، يسأله التحوّل إليهم، ويعلمونه أنّ مُقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة. وأهدوا إليه في ذلك شعرا.

قال شاعرهم يقول فيه:

أداءود قد فزتَ بالمكرمات ... وبالعدل في بلد المصطفى
وصرتَ ثمالا لأهل الحجاز ... وسرتَ بسيرة أهل التقى
وأنت المهذّب من هاشم ... وفي منصب العزّ والمرتجى
وأنت الرضى للذي نابَهم ... وفي كلّ حال ونجل[4] الرضى
وبالفيء أغنيتَ أهل الحَصاص ... فعدلك فينا هو المنتهى
ومكة ليست بدار المقام ... فهاجر كهجرة من قد مضى
مقامك عشرون شهرا بها[5] ... كثير[6] لهم عند أهل الحِجى
فصم ببلاد الرسول التي ... بها الله خصّ نبيّ الهدى
ولا ينفيتّك[7] عن قربه ... مشير مشورته بالهوى
فقبر النبيّ وآثارُه ... أحقّ بقربك من ذي طوى

قال: فلمّا ورد الكتابُ والأبياتُ على داءود بن عيسى، أرسل إلى رجالٍ من أهل مكة، فقرأ عليهم الكتاب، فأجابه رجل منهم، يقال له عيسى بن عبد العزيز السعلبوس، بقصيدة يردّ عليه، ويذكر فيها فضل مكة، وما خصّها الله تعالى به من الكرامة والفضيلة، ويذكر المشاعر والمناقب، فقال:

أداءود أنت الإمام الرضى ... وأنت ابن عمّ نبيّ الهدى
وأنت المهذّب من كلّ عيب ... كبيرا ومن قبله في[8] الصِّبا

(١) أ، ر، ن: مشائخ.
(٢) النسخ عدا ج: بمكة.
(٣) ج، م، ي: وأقام.
(٤) النسخ عدا ج: وابن.
(٥) م، ي: كذا.
(٦) النسخ عدا ج: كثيرا.
(٧) أ، ر، ن: يبقيتّك.
(٨) م، ي: في زمان.

وأنت المؤمّل من هاشم ... وأنت ابن قومٍ كرامٍ تقى
وأنت غياث لأهل الخَصاص ... تسدّ خصاصتهم بالغنى
أتاك كتاب حسودٍ جحود ... أسا في مقالته واعتدى
يخيّر يثرب في شعره ... على حرم الله حيث ابتنى
فإن كان يصدق فيما يقول ... فلا يسجدنّ إلى ما هنا
وأيّ بلاد تفوق امّها ... ومكة مكة أمّ القرى
وربّي دحى الأرض من تحتها ... ويثرب لا شكّ فيما دحى
وبيت المهيمن فينا مقيم ... يصلّى إليه برغم العدا
ومسجدنا بيّنٌ فضله ... على غيره ليس في ذا مرا
صلاة المصلّي تعدّ له ... مئين ألوفا صلاةً وفا
كذاك أتى في حديث النبيّ ... وما قال حقّ به يُقتدى
وأعمالكم كلّ يوم وفود ... إلينا شوارع مثل القطا
فيرفع منها إلهي الذي ... يشاء ويترك ما لا يشا
ونحن تحجّ إلينا العباد ... فيرمون شعثا بوتر الحصى
ويأتون من كلّ فجٍ عميق ... على أيْنُق ضمّر كالقنا
ليقضوا مناسكهم عندنا ... فمنهم سعاة ومنهم مِعَى
فكم من ملبٍّ بصوت حزين ... ترى[1] صوته في الهوى قد علا
وآخر يذكر ربّ العباد ... ويثني عليه بحسن الثنا
فكلّهمُ أشعثٌ أغبرٌ ... يؤمّ المعرّف أقصى المدى
فظلّوا به يومهم كلّه ... وقوفا يضجّون حتى[2] المسا
حفاةً ضحاةً قياما لهم ... عجيج يناجون ربّ السما
رجاء وخوفا لما قدّموا ... وكلٌّ[3] يسائل دفع البلا
يقولون يا ربّنا اغفر لنا ... بعفوك والصفح عمّن أسا
فلمّا دنا الليل من يومهم ... وولّى النهار أجدّوا البكا
وسار الحجيج لهم رجّةٌ ... فَلّوا بجمعٍ بعيد العشا

(١) ج، م، ي: يرى.
(٢) ج، م، ي: عند.
(٣) ج، م، ي: وكلّا.

فباتوا جميعا[1] فلمّا بدا عمود الصباح وولّى الدجى
دعوا ساعة ثمّ شدّوا النسوع على قُلص ثمّ أمّوا مِنى
فمن بين من قد قضى نسكه وآخر يبدا بسفك الدما
وآخر يهوي إلى مكة ليسعى ويدعوه فيمن دعا
وآخر يرمل حول الطواف وآخر ماض يؤمّ الصفا
فآبوا بأفضل ممّا رجوا وما طلبوا من جزيل العطا
وحج الملائكة المكرمون إلى أرضنا قبل فيما مضى
وآدم قد حج من بعدهم ومن بعده أحمد المصطفى
وحج إلينا خليل الإله وهجّر بالرمي فيمن رمى
فهذا لعمري لنا رفعة حبانا بهذا شديد القوى
ومنّا النبيّ نبيّ الهدى وفينا تنبّأ ومنّا ابتدا
ومنّا أبو بكر ابن الكرام ومنّا أبو حفصٍ المرتجى
وعثمان منّا فمن مثله إذا عدّد الناسُ أهلَ التقى
ومنّا عليٌّ ومنّا الزبير وطلحة منّا وفينا انتشا
ومنّا ابن عباس ذو المكرمات نسيب النبيّ وحلف الندا
ومنّا قريش وآباؤها فنحن إلى فخرنا المنتهى
ومنّا الذين بهم تفخرون فلا تفخرون علينا بنا
ففخر أولاءِ لنا رفعة وفينا من الفخر ما قد كفى
وزمزم والحِجر فينا فهل لكم مكرمات كما قد لنا
وزمزم طعم وشرب لمن أراد الطعام وفيه الشفا
وزمزم تنفي هموم الصدور وزمزم من كلّ سقم دوا
ومن جاء زمزم من جائع إذا ما تضلّع منها اكتفى[2]
وليست كزمزم في أرضكم كما ليس نحن وأنتم سوا
وفينا سقاية عمّ الرسول ومنها النبيّ امتلا وارتوى
وفينا المقام فأكرم به وفينا المحصّب والمختبى
وفينا الحجون ففاخر به وفينا كداء وفينا كدى

(١) النسخ عدا ج: بجمع.
(٢) أ، ر، ن: النقا.

وفينا الأباطح والمروتان فبخ بخ[1] فمن مثلنا يا فتى
وفينا المشاعر منشا النبيّ وأجياد والركن والمتّكا
وثور فهل عندكم مثل ثور وفينا ثبير وفينا حرا
وفينا اختباء نبيّ الإله ومعه أبو بكر المرتضى
فكم بين أحد إذا جاء فخر وبين القبيسي فيما ترى
وبلدتنا حرم لم تزل محرّمة الصيد فيما خلا
ويثرب كانت حلالا فلا تكذّب[2] فكم بين هذا وذا
فحرّمها بعد ذاك النبيّ فمن أجل ذلك جا ذا كذا
ولو قتل الوحش في يثرب لما فدي الوحش حتى اللقا
ولو قتلت عندنا نملة أُخذتم بها أو تؤدّوا الفدا
ولولا زيارة قبر النبيّ لكنتم كسائر من قد ترا
وليس النبيّ بها ثاويا ولكنّه في جنان العلا
فإن قلت قولا خلاف الذي أقول فقد قلت قول الخطا
فلا تفحشنّ علينا المقال ولا تنطقنّ بقول الخنى
ولا تفخرنّ بما لا يكون ولا ما يشينك[3] عند الملا
ولا تَهْجُ بالشعر أرض الحرام وكفّ لسانك عن ذي طوى
وإلّا فجاءك[4] ما لا تريد من الشتم في أرضكم[5] والأذى
فقد يمكن القول في أرضكم بسبّ العقيق ووادي قبا

فأجابهما رجل من بني عجل[6] ناسك كان مقيما بجدّة مرابطا هناك فحكم بينهما، فقال:

إنّي قضيت على الذين تماريا في فضل مكة والمدينة فاسألوا
فلسوف أخبركم بحقٍّ فافهموا فالحكم حينا قد يجور ويعدلُ
فأنا الفتى العجليّ جدّة مسكني وخزانة الحرم التي[7] لا تجهلُ

---

(١) ج، م، ي: فبخ فبخ.
(٢) ج: تكذبن. ن، ي: يكذبن.
(٣) أ، ر، ن: وما لا يشينك.
(٤) ج، م، ي: لجاءك.
(٥) النسخ عدا ج: أصلكم.
(٦) بنو عجل: بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وكانت منازلهم من اليمامة إلى البصرة.
(٧) النسخ عدا ج: الذي.

وبها الجهاد مع الرباط وإنّها لَبِها الوقيعة لا محالة تنزلُ
من آل حام في أواخر دهرها وشهيدها بشهيد بدر يعدلُ
شهداؤنا قد فضّلوا بسعادة وبها السرور لمن يموت ويُقتلُ
يا أيّها المدنيّ أرضك فضلها فوق البلاد وفضل مكة أفضلُ
أرض بها البيت المحرّم قبلة للعالمين له المساجد تعدلُ
حرمٌ حرام أرضها وصيودها والصيد في كلّ البلاد محلّلُ
وبها المشاعر والمناسك كلّها وإلى فضيلتها البريّة ترحلُ
وبها المقام وحوض زمزم مترعا والحِجر والركن الذي لا يجهلُ
والمسجد العالي الممجّد والصفا والمشعران ومن يطوف ويرملُ
هل في البلاد محلّة معروفة مثل المعرَّف[1] أو محَلٌّ يُحْلِلُ
أو مِثل جمعٍ في المواطن كلّها أو مثل خيفِ منىً بأرض منزلُ
تلكم مواضع لا يُرى بخرابها[2] إلّا الدعاء ومحرِم ومحلّلُ
شرفا لمن وافى المعرّف ضيفُه شرفا له ولأرضه إذ ينزلُ
وبمكة الحسنات يُضعف أجرها وبها المسيء عن الخطيئة يُسألُ
يجزى المسيء على الخطيئة مثلها وتضاعف الحسنات منه وتُقبلُ
ما ينبغي لك أن تفاخر يا فتى أرضا بها وُلِد النبيّ المرسلُ
بالشِّعب دون الردم مسقط رأسه وبها نشا صلّى عليه المرسِلُ
وبها أقام وجاءه وحيُ السما وسرى به الملك الرفيع المنزلُ
ونبوّة الرحمن فيها أنزلت والدين فيها قبل دينك أوّلُ
هل بالمدينة هاشميّ ساكن أو من قريش ناشئ أو مكهلُ
إلّا ومكة أرضه وقراره لكنّهم عنها نَبَوا فتحوّلوا
فلذاك هاجر نحوكم لمّا أتى إنّ المدينة هجرة فتحمّلوا
فأَجرتمو وقريتمو ونصرتمو خيرَ البريّة حقّكم أن تفعلوا
فضل المدينة بيّن ولأهلها فضل قديم نوره يتهلّلُ
من لم يقل إنّ الفضيلة فيكم قلنا كذبت وقول ذلك أرذلُ
لا خير فيمن ليس يعرف فضلكم من كان يجهله فلسنا نجهلُ

---

(١) المعرّف: عرفة.

(٢) ج: بجنابها. م، ي: محرابها.

في أرضكم قبر النبيّ وبيته والمنبر العالي الرفيع الأطولُ
وبها قبور السابقين بفضلهم عمر وصاحبه الرفيق الأفضلُ
والعترة الميمونة اللاتي بها سبقتْ فضيلة كلّ من يتفضّلُ
آل النبيّ بنو عليّ إنّهم أمسوا ضياء للبريّة يشملُ
يا من تبصّ إلى المدينة عينُه فيك الصغار وصعر[1] خدّك أسفلُ
إنّا لنهواها ونهوى أهلها ووادها حقّ على من يعقلُ
قل للمدينيّ الذي يزدار دا ءود الأميرَ ويستحثّ ويعجلُ
قد جاءكم داءود بعد كتابكم قد كان حبلك في أميرك يُفتلُ
فاطلب أميرك واستزره ولا تقع في بلدة عظمتْ فوعظك أفضلُ
ساق الإله لبطن مكة دِيمة تروى بها وعلى المدينة تسبلُ

* * *

قلت: أذكر الجبلَ الأمينَ الذي هو أبو قبيس، وكان أوّلا اسمه الأمين؛ فإنّه أودع الله فيه[2] الحجر الأسود إلى زمن إبراهيم عليه السلام. فلمّا[3] بنى البيت ناداه الجبل: لك عندي وديعة مخبوءة من زمن الطوفان، فأعطاه الحجر الأسود. وإنما حدث له اسم "أبو قبيس" برجل بنى فيه دارا يسمّى أبو قبيس، فسمّي به الجبل، وكان اسمه الأمين[4]، فغلب عليه اسم أبي قبيس[5]. وأذكر سواد الحجر وصلابته وتعظيمه وتقبيله، وفضل ما جاء فيه من كونه يمين الله، والسجود عليه، وغير ذلك. وعددها أحد عشر بيتا:

وبالجبل الأمين يمين ربّي قَدَ اودعه به الروحُ الأمينُ
إلى أن جاء إبراهيم يبني مكان البيت ناداه الأمينُ
لديّ وديعة خبئت زمانا مطهّرة يقال لها اليمينُ
فخذها يا خليل الله تربح فهذا السوق والثمن الثمينُ
وكبّر واستلم واسجد وقبّل ليشرف عند سجدتك الجبينُ
وقل هذي اليمين[6] يمين ربّي وإنّي الوالهُ الدنف الحزينُ

---

(١) أ، ج، م، ي: وصغر.
(٢) أ، ر، ن: - فيه.
(٣) النسخ عدا ج: لمّا.
(٤) النسخ عدا ج: أمين.
(٥) النسخ عدا ج: أبو قبيس.
(٦) أ، ر، ن: هذا يمين. م، ي: هذا اليمين.

تنادَى[1] من طباق القُرب عبدي أتاك الجدّ والعزّ المكينُ
ولبّتك المشاعر والمساعي وقال بفضلك البلد الأمينُ
ألا يا أيّها الحجر المعلّى تغيّر وجهك الغضّ المصونُ
سوادك من سويدا كلّ قلب ويبسك من قساوتها يكونُ
يهون عليّ فيك سواد عيني إذا بخلت بأسودها العيونُ

ولنا أيضا في الحجر ومبايعته بالتقبيل، ونبّهتُ فيها على رتبة المعرفة والعارف[2]:

يمينُ المؤمن الركنُ اليماني أبايعه لأحظى بالأماني
يمين ما لها حجب تعالت عن الحجّاب[3] والحجب المثاني[4]
أمنتُ بلثمها من كلّ سوء يسيّرني إلى دار الهوانِ
فأنعم بالكثيب وساكنيه على مرأى من الحور الحسانِ[5]
تنادي من أريكتها تأمّل جمالا ما له في الحسن ثانِ
فليس الزهد في الأكوان شيئا لأنّ الكون من سرّ العيانِ
فلا ألوي ولا أرعيه سمعي فأُحجب بالمغانِ عن المعاني

ولنا في الفرق بين داخل الكعبة وخارجها وما يتعلّق من المعرفة بذلك:

ما داخل البيت مثل خارجه يعمّه داخلا برحمتهِ
وخارج البيت إن نوى جهة منه له ما نوى بهمّتهِ
ما يبتدي من سرّه علم إلّا لمن يعترف بنعمتهِ
فاز بما في الغيوب من عجب مَن فاز من بيته بحرمتهِ

وَوُجِد بالمدينة ورقة طمست كتابتها إلّا أربعة أبيات، وهي:

دع الأتراك والعَربا وكن في حزب[6] من غلبا
فقد قال الذين مضوا إلى رجبٍ ترى العجبا
بمكة أصبحتْ فتنٌ تجرّ الويل والحربا

(١) ج، م، ي: ينادى.
(٢) ج، م، ن، ي: والمعارف.
(٣) أ، ر، ن: الحجبات.
(٤) ج، ي: المباني. م: المناني.
(٥) أ، ر، ن، ي: الجنان.
(٦) أ، ر، ن: حرب.

فإن تعطب فوا أسفا وإن تسلم فواعجبا

وأنشدني محمد بن أبي بكر لأبي النضر الأسدي في الوطن:

أحبّ بلاد الله ما بين ضارج[1] إلى قفوان[2] إن تسحّ سحابها
بلاد بها نيطتْ عليّ تمائمي وأوّل أرض مسّ جلدي ترابها

ومن ذلك قول حبيب بن أوس:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأوّل منزلِ
نقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبّ إلّا للحبيب الأوّلِ

شرح[3]:

"أوّل منزل": حضرة الميثاق الأوّل حيث كان الصفا الذي لم يَشُبْهُ كدر، فكلمّا انتقلوا في الأطوار الوجودية، تحنّ نفوس العارفين إلى أوّليّتها العليا[4]، ومكانتها الزلفى، وسدرتها المنتهى.

ومن سماعهم على قول إبراهيم بن صول:

باتت تشوّقني بِرَجْعِ حنينها وأزيدها شوقا برجعِ حنيني
نِضوَين مغتربين بين مهامهٍ[5] طويا الضلوعَ على هوى مكنونِ
لو سوئلت عنّا القلوص لأخبرتْ عن مستقرِّ صبابةِ المحزون

تفسيره[6]:

حنينُ النفس للروح، وحنينه لها "نِضوين" من عالم اللطف، "مغتربين" وجودهم في عالم الأبدان، "بين مهامه" مقامات التبرّي، "طويا الضلوع" عطف الهمم على الحبّ الخفي "لو سوئلت" الخواطر عن[7] محلّ رقّة العشق، "لأخبرت[8]" بما هما عليه من الجوى والتلهّف.

---

(١) ضارج: موضع باليمن. أ، ر، ن: ضارح.
(٢) ن، ي: فقوان.
(٣) أ، ر، ن: - شرح.
(٤) النسخ عدا ج: العلى.
(٥) ر، ن: مهامة.
(٦) أ، ر، ن: - تفسيره.
(٧) ج، م، ي: على.
(٨) أ، ر، ن: - لأخبرت.

نصيحة عليم ومقالة حكيم

روينا من حديث الدينوري عن يوسف بن عبد الله، عن عثمان بن السمرقندي[1]، عن عوف، عن الحسن، أنّه قال: من استتر عن طلب العلم بالحياء لبس الجهل سربالا، فقطّعوا سرابيل الحياء، فإنّه مَن رقّ وجهه رقّ علمه.

ومن حديثه أيضا، عن محمد بن يونس، عن محمد بن الحارث، عن المدائني، قال: قال بعض الحكماء: لا تقل فيما لا تعلم، تجهل فيما تعلم.

قال الدينوري: أنشدنا محمد بن صالح:

اصبر لكلّ مصيبة وتجلّدِ ... واعلم بأنّ المرء غير مخلّدِ
واصبر كما صبر الكرام فإنّها ... نُوَبٌ تنوب اليوم تُكشف في غدِ
وإذا ذكرت مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبيّ محمدِ

ومن باب حنين الإبل وسيرها قول الأديب مهيار الديلمي

تمدّ بالآذان والمناخرِ ... لحاجر كيف لها بحاجرِ
تغرّها عنه أحاديث الصبا ... ولامِعات في السحاب الباكرِ
أرضٌ بها السابغ من ربيعها ... أو شوقها المكنون في الضمائرِ
وحيث دبّتْ وربَت[2] فصالها[3] ... وبركت تفحص بالكراكرِ
فهل لها وهل لمن تحمله ... من عائف تحمله أو زاجرِ
فإنّها من حبّها نجدا ترى ... في عشب الغور شفار الجازرِ
يا ليت شعري والمنى تعلّةٌ ... هل بمنى لعهدنا من ذاكرِ
وفي الضيوفِ الغرباءِ عندكم ... قلب يضاج ما له من ناصرِ
إمّا قِرى البادي الكريم أو ... فردّوه إلى أربابه بالحاضرِ

ومن هذا الباب:[4]

نفّرها[5] عن وِردها بحاجر ... شوقٌ يعوق الماء في الحناجرِ

---

(١) أ، ر، ن: الشمر. م، ي: السمر.

(٢) ج، م، ي: دنت ورنت. أ، ر، ن: دبت وريت. والترجيح من الموسوعة الشعرية.

(٣) ج، ي: بعالها. م: بغالها. أ، ر، ن: نعالها. والترجيح من الموسوعة الشعرية.

(٤) لنفس الشاعر مهيار الديلمي.

(٥) أ، ر، م، ن، ي: يغرها. ج: بعزها. والترجيح من الموسوعة الشعرية.

وردّها على الطوى سواغبا ذلّ الغريب وحنين الذاكرِ
مغرورة الأعين من أحبابها بخالب[1] الإيماض غير ماطرِ

ومن هذا الباب:[2]

أولى لها أن يرعوي[3] نَفارها وأن يقرّ بالحمى قرارها
ترعى وتروى ما ضفا وما صفا وللرعاة بعدها أسارها[4]
حتى تروح ضخمة جنوبُها بخصبها شاكرة أوبارُها
وكيف لا وماء سلع ماؤها مقلوّة[5] والعلمان دارُها

ومن هذا الباب:[6]

دعوها ترِد بعد خمس شروعا وارخوا أزمّتها والنسوعا
وقولوا دعاء لها لا عُقِرتْ ولا امتدّ دهرك إلّا ربيعا
حملن نشاوى بكأس الغرام كلٌّ غدا لأخيه رضيعا
فأُحيوا فرادى ولكنّهم على صيحة البين ماتوا جميعا
حموا راحة البين أجفانهم ولفّوا على الزفرات الضلوعا
أسكّان رامة هل من قِرىً فقد دفع الليل ضيفا[7] قنوعا
كفاه من الزاد أن تمهدوا له نظرا وحديثا وسيعا

ومن هذا الباب:[8]

حبَّ[9] إليها بالغضا مرتبعا وبالنخيل موردا ومشرعا
وبأثيلات النقا ظلائلا[10] تفرشها كراكرا وأذرعا
مُنى لها لو جعل الدهر لها أن تأمن الطارد والمزعزعا

---

(١) أ، ر، ن: تخالب. م: يخالب.
(٢) ج، م، ي: لنفس الشاعر..
(٣) ج، ي: ترعوي.
(٤) أ، م، ن، ي: أشارها.
(٥) ج، م، ي: معلوة.
(٦) ج، م، ي: لنفس الشاعر..
(٧) أ، ر، ن: ضيقا.
(٨) ج، م، ي: لنفس الشاعر.
(٩) أ، ر، ن، م: خُبّ.
(١٠) الظلائل: شبه حفرة في بطن مسيل ماء فينقطع السيل ويبقى ذلك الماء فيها.

عزّت فما زال بها جور النوى ... والبِيد حتى أذعنت أن تخضعا
الله[1] يا سائقها فإنّها ... جرعة حتف أن تجوز الأجرعا
أَسِلْ بها الوادي رفيقا إنما ... تسيل[2] منها أنفسا وأدمُعا

ومن هذا الباب:[3]

رعت من تبالة جعدا لفيفا ... وسبطا يرفّ عليها رفيفا
وساق لها فارس الانتجاع ... من حيث حنّت نميرا وريفا
وحنّت لأيّامها بالبطاح ... فمدّت وراء ضليف ضليفا
تراود أيديها في الرويد ... ويأبى لها الشوق إلّا الوجيفا[4]
فهل في الخيام على المأزمين ... قلبٌ يكون عليها عطوفا
وهل بانُ سلعٍ على العهد منه ... يحلو ثمارا ويدنو قطوفا

ومن هذا الباب:[5]

دَرَّ لها خِلفُ الغمام فسقى ... ومدّ مِن ظلٍّ عليها ما وقى
تغنّ[6] بالجرعاء يا سائقها ... فإن ونتْ شيئا فرِدها[7] الأبرقا
واغنَ عن السياط في أرجوزة ... بحاجر ترى السهام المُرَّقا
وكلّما تزجرها حُداتها ... رعى الحمى ربُّ الغمام وسقى
حواملا منها هموما ثقلتْ ... وأنفُسا لم تبق[8] إلّا رمقا
تحملنا وإنّ منّا قصبا ... وإن دمين أذرعا وأسوقا
دام عليها الليل حتى أصبحت ... تحسب فجر ذات عرق شفقا
ورواميات لا يؤدّين دما ... ولا يبالين أسال أم رقى
وقفن صفّا فرأين شركا ... من القلوب فرمين طلقا
عرّج على الوادي فقل عن كبدي ... للبان ما شئت الجوى والحرقا

---

(١) ج، م: بالله.
(٢) ج، م، ي: يسيل.
(٣) ج، م، ي: لنفس الشاعر.
(٤) الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل سريعا. ر، ن، ي: الوحيفا.
(٥) ج، م، ي: لنفس الشاعر.
(٦) ج: فغرّ. م، ي: فغنّ.
(٧) أ، ر، ن: فزدها.
(٨) ج، م، ي: يبق.

واحجر على عينيك حفظا أن ترى غصنين منه دَنَوَا فاعتنقا
فطالما استظللته مصطحبا سلافة العيش به مغتبقا

ومن باب الشكوى:[1]

ومن عجبٍ أنّي أحنّ إليهمُ وأسأل شوقا عنهم وهُمُ معي
وتبكيهم[2] عيني وهم في سوادها وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

ومن نظمنا فيما يستحسن من صفات النساء، قولنا:

هي الغادة الخود النجيداه والرداح خَدَلَّجة ممكورة ثَغْرُها أُقاحْ
وهركولة رعبوبة ثمّ بضّة وهيفاء أُملود يمايسه[3] الرياحْ
برهرهة ممسودة ثمّ طَفلة وعطبولة تزهو إذا ذكر الملاحْ
هي الرُّود والعطبول بهنانة ترى لها خفرا فهي النوّار من السفاحْ
وغانيةٌ عيطاءُ غيدا خريدةٌ كعوبٌ من الأعراب خمصانة الوشاحْ
مهفهفة شنباء معسولة اللمى مقبّلها عذب فقبِّل ولا جناحْ

شرحه[4]:

الغادة، والأملود، والرود، والطَّفلة (بفتح الطاء) كلّها: الناعمة. والخود: الحسنة الخلق. والخدلّجة: الممتلئة الذراعين والساقين. والممكورة: المطويّة الخلق[5]. والنجيداه: التامة[6] القصب. والرداح: الثقيلة العجز والساقين. والأملودة: المطويّة الخلق. والأقاح: نبات أبيض شبّه الأسنان به[7] لبياضه. والهركولة: العظيمة الوركين. والرعبوبة: البيضاء الناعمة. والبضّة: الرقيقة الجلد. والهيفاء: الضامرة البطن. ويمايسه: أي يمايله[8]، ماس الغصن إذا أماله الريح فمال. والبرهرهة: الناعمة. والممسودة: الممشوقة، وهي الطريّة[9] اللحم. والعطبولة والعطبول:

(١) هذا النص ورد في ج، م، ي بعد "وصية نبوية نافعة" (بعد ٣ صفحات تقريبا).
(٢) ج: وتطلبهم. م، ي: ومسكنهم.
(٣) النسخ عدا ج: تمايسه.
(٤) أ، ر، ن: - شرحه.
(٥) ج، م، ي: - والخدلّجة: الممتلئة الذراعين والساقين. والممكورة: المطويّة الخلق.
(٦) النسخ عدا ج: تامة.
(٧) ج، م، ي: - به.
(٨) أ، ر، ن: وقوله تمايسه تمايله.
(٩) النسخ عدا ج: الضريبة.

الطويلة العنق. والبهنانة: الطيّبة الريح، وقوله: "ترى لها خفرا" أي حياء، والخفِرة: الحييّة. والنوار: النَّفور من الريبة، ومنه النور سمّي نورا لأنّه ينفّر الظلمة. والسفاح: الزنا، يقول: إنّها تنفر من مواضع الريب. و"الغانية" ذات الزوج ثمّ تمدح به المرأة، لأنّها تستغني بجمالها وحسنها. والعيطاء: الطويلة. والغيدا: التي في عنقها ميل عند الالتفات، وهي مما يستحسن، يصفها بلين العنق. والخريدة: مثل الخفِرة وهي الحييّة. والكعوب والناهد: التي صار نهدها كالكعب. والعَروب: ذات الحسن، فقوله: "من الأعراب": من الحسان. والخمصانة: الضامرة، وهي عكس المفاضة التي هي المسترخية البطن، قال امرؤ القيس:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

الترائب: عظام الصدر. والسجنجل: المرآة.

وخمصانة[1] الوشاح: يعني لطيفة الخصر. والمهفهفة:[2] ضامرة البطن. والشنباء: التي لأسنانها بريق من صفائها ونقائها. والشنب: بريق الأسنان. والظَّلْم: الذي يُرى كالماء يجري في صفاء الأسنان. وقوله[3]: معسولة اللمى، وعذب المقبّل، باب واحد، يريد أنّ ريقها حلو[4] كالعسل.

وممّا نظمناه فيما[5] يستقبح من صفاتهنّ قولنا في ذلك:

هي العفضاجُ بُهْصَلَةٌ شريمُ وبُحْتِرَةٌ ومومِسةٌ نئومُ
ورصعاءُ هي الرشحاءُ أيضا وكِرْوَاءُ ودِفْلِسُ لا
وضَهْياءُ ولخناءُ عجوز فمنظرها ومخبرها ذميمُ

قوله: "هي العفضاجُ": المسترخية البطن. و"البُهصلة": القصيرة. وكذلك "البُحترة"، و"الشريم" هي التي يَتوصّل إليها من يريدها. و"المومِسة": الفاجرة. و"الرصعاء والرشحاء": الزلّاء. و"الكِرواء": الدقيقة الساقين. و"الدفلس": الحمقاء. و"الضهياء": التي لا تحيض. و"اللخناء": المنتنة الريح.

---

(١) أ، ر، ن: وقوله خمصانة.
(٢) أ، ر، ن: وقوله مهفهفة. م، ن: أي.
(٣) ج، م، ي: - قوله.
(٤) ج، م، ي: - حلو.
(٥) ج، م، ي: مما.

ومن نظمنا فيما يستحسن من صفات الرجال قولنا:

جوادٌ خِضمٌ أريحيٌّ حُلاحل هضوم وصنديد همامٌ سُمَيدعُ
أريبٌ سَرِيٌّ لوذعيٌّ ومِدْرَهٌ مُنَجَّدٌ جحجاح ذكيٌّ ومِصقعُ
نهيكٌ كميٌّ صِمَّةٌ ذمرُ بُهْمَةٌ غشمشمُ شهمٌ باسلٌ لا يروَّعُ
إذا ذَكر الأبطال في حومة الوغى هو الفحل إلّا أنّه لا يُزعزعُ

شرحه[1]:

جواد: أي سخيٌّ. والخِضم: الكثير العطيّة. والهضوم: الكثير الإنفاق. والأريحيُّ: الذي يرتاح للعطاء. والحُلاحل: السيد الوقور. الصنديد: الرئيس العظيم، وكذلك الهمام والسميدع والجحجاح والسري والأريب: العاقل. واللوذعي: الذكي القلب. والمِدره: رأس القوم ولسانهم. والمنجَّد: الذي جرّب الأمور، وكذلك المحنّك والمصقع. البليغ: الفصيح. والنهيك: الشجاع، وكذلك البطل. والكمي والذمر والصمة والبُهمة والباسل والغشمشم: الذي لا يردّه شيء عمّا يريده. والشهم: الحديد القلب.

ومن نظمنا فيما يذمّ من صفات الرجال قولنا:

هَدانٌ نخيبٌ خَبّاءُ لِحَزٌّ بَرَمٌ وعِتْرِيفُ مَجْعٌ مائقٌ ثمّ أَمْيَلُ
عَبامٌ وزُمّيلٌ وكِفْلٌ[2] ولعْمَطٌ وهِلباجةٌ غِمر وفَدْمٌ وزُمَّلُ
وفي خُلقه لو تبتليه شراسة ورعديدُ مأفونٌ وخِبٌّ وأعزَلُ

شرحه[3]:

الهَدان: الضعيف. وكذلك الزُّمَّل والزميل. والنخيب والرعديد: الجبان. الخبّاء: مقصور الهبوب. والكِفل[4] والأميَل: الذي لا يثبت على الخيل. واللحِز: البخيل. والبَرَم: اللئيم. والعتريف: الخبيث الفاجر[5]. والمجع والفدْم: البعيد الفهم. والمائق: المدلّه العقل. وقد يكون من العشق. والعَبام: الثقيل الجاهل. واللعمط: الحريص الشره[6]. والغِمر: الذي لم يجرّب

(١) أ، ر، ن: قوله.
(٢) في النسخ: وكِلف.
(٣) أ، ر، ن، ي: - شرحه.
(٤) ج، م، ي: الكلف.
(٥) ج، م، ي: - الفاجر.
(٦) ج، م، ي: - الشره.

الأمور[1]. والشراسة: سوء الخلق، والرجل شرس. والمأفون: الضعيف العقل والرأي. والخِبّ: الماكر[2] المخادع. والأعزل: الذي لا سلاح معه.

ولنا نظم ما تسمّى به زوجة الرجل[3]:

إذا قمت أدعو في اللبانة زوجتي ... أنادي بأسماء لها في صحيفتي
حليلتي[4] عِرسي حتّتي وظعينتي ... ربَضِي وبيتي ظلّتي[5] وقعيدتي

ولنا في اللطائف الروحانيّة والإشارات العلويّة الربّانيّة

حملن على اليعملات الخدورا ... وأودعن فيها الدُّمى والبدورا
وواعدن قلبيَ أن يرجعوا ... وهل تَعِدُ الخودُ إلّا غرورا
وحيّتْ بعُنّابها للوداع ... فأذرتْ دموعا تُهيج[6] السعيرا
فلمّا تولّتْ وقد يمّمت ... تريد الخورنق ثمّ السَّدِيرا
دعوت ثُبورا على إثرهم ... فردّتْ وقالت أتدعو ثبورا
فلا تدعونّ بها واحدا ... ولكنّما ادعو ثبورا كثيرا
ألا يا حمام الأراك قليلا ... فما زادك البين إلّا هديرا
ونوحك يا أيّها ذا الحمام ... يثير المشوق يهيج الغيورا
يذيب الفؤاد يذود الرقاد ... يضاعف أشواقنا والزفيرا
يحوم الحِمام لنوح الحَمام ... فنسأل منه البقاء يسيرا
عسى نفحة من صَبا حاجر ... تسوق إلينا سحابا مطيرا
تروّي بها أنفسًا قد ظمئن ... فما ازداد سُحبك إلّا نفورا
فيا راعي النجم كن لي نديما ... ويا ساهر البرق كن لي سميرا
ويا راقد الليل هُنّئته ... فقبل الممات عمرتَ القبورا
فلو كنت تهوى الفتاة العروب ... لنلت النعيم بها والسرورا
تعاطي الحسان خُمور الخِمار ... تناجي الشموس تناغي البدورا

---

(١) ج، م، ي: - والغمر: الذي لم يجرب الأمور.
(٢) ج، م، ي: - الماكر.
(٣) ورد هذا النص في ج، م، ي بعد باب الشكوى (بعد ٣ صفحات تقريبا).
(٤) ج، م، ي: خليليّ.
(٥) أ، ر، ن: طلّتي.
(٦) أ، ر، ن: تهجّ.

وصيّة نبويّة نافعة

حدّثنا عبد الواحد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمر بن عبد المجيد، عن أحمد بن محمد، عن أبي نصر بن علي، عن محمد بن أحمد، عن ابن الحسين الحافظ، عن ابن درستويه، عن علي بن عبد العزيز، عن أبي عبيد القاسم بن سلام، عن عبد الله بن المبارك، عن محمد بن أبي عدي، عن عبد الله بن مرّة، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، وصِلوا الذي بينكم وبين ربّكم تُسعدوا، وأكثروا الصدقة تُرزقوا، وأمروا بالمعروف تخصبوا[1]، وانهوا عن المنكر تُنصروا. أيّها الناس: إنّ أكيسكم أكثركم للموت ذكرا، وأحزمكم أحسنكم له استعدادا. ألا وإنّ من علامات العقلِ التجافي عن دار[2] الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزوّد لسكنى القبور، والتأهّب ليوم النشور».

وممّا يُكتب على القبر

كنّا على ظهرها والدهر في مهلٍ ... والعيش يجمعنا والدار والوطنُ
ففرّق الدهر بالتصريف أُلفتنا ... واليوم يجمعنا في بطنها الكفنُ

ومن ذلك[3]:

أصبحوا بعد اجتماع فِرقا ... وكذا كلُّ جميع مفترِقْ
ضحكوا والدهر منهم ساكت ... ثمّ أبكاهم دمًا حين نطقْ

ومن ذلك:

أقول وقد فاضت دموعي جمّة ... أرى الأرض تبقى والأخلّاء تذهبُ
أخلّاي لو غير الحِمام أصابكم ... عَتبتُ ولكن ما على الموت مَعتبُ[4]

ومن ذلك:

عشت دهرا في نعيم ... وسرور واغتباطِ
ثمّ صار القبر بيتي ... وثرى الأرض بساطي

ومن ذلك:

---

(١) م، ي: تحصنوا. أ، ن: تحصبوا.
(٢) م، ي: داعي.
(٣) هذا النص من أ، ر، ن فقط.
(٤) النسخ عدا ج: يعتب.

أيّها الواقف بالقبـ ـر عشاء وسحرْ
إنّ في القبر عظاما بالياتٍ وعِبرْ

حدّثنا محمد بن إسماعيل، عن الحمّال بن علي، عن ابن دينار، عن إسماعيل بن محمد، عن عبد العزيز بن أحمد، عن عبد الله بن محمد، عن أبي سعيد الثقفي، عن ذي النون، قال: بينا أنا أطوف بالبيت ليلًا، وقد نامت العيون، وإذا بشخص قد حاذى باب الكعبة وهو يقول: ربّ؛ عبدك المسكين الطريد الشريد، أسألك بالعُصبة التي مننتَ عليهم، ومننتَ عليّ برؤيتهم، إلّا أعطيتني ما أعطيتهم، وسقيتني ما أسقيتهم بكأس حبّك، وكشفت عن قلبي أغطية الجهالة والحجب، حتى تطير روحي بأجنحة الشوق إليك، وأناجيك[1] في رياض بهائك. ثمّ بكى حتى سمعتُ لدموعه وقعا على الحصى. ثمّ ضحك قهقهة ومضى. فتبعته، وأنا أقول: إمّا مجنون أو عارف.

فخرج من المسجد، وأخذ ناحية خرابات مكة، فالتفتَ فرآني، فقال: ارجع يا ذا النون؛ أما لك شغل؟ قلت: مَنِ القوم الذي سألت بحرمتهم؟ قال: قوم ساروا إلى الله سير من نصبَ المحبوب بين يديه، وتجرّدوا تجرّد من أخذته الزبّانية بحَقْوِه[2]، وأُجّجت النار من أجله، وقامت عليه قيامة الشقاء، وهو مطلوب.

وحدّثنا أبو محمد بن يحيى، عن أبي منصور[3]، عن شجاع بن فارس، عن هنّاد، عن محمد بن علي، عن أحمد بن محمد، عن صالح بن محمد، عن حمزة الرقّي، عن علي بن يعقوب، عن محمد بن الحسين، عن ابن الشيظمي، قال: حججتُ في سنة جدبة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ بصرتُ بجارية من أحسن الناس وجها، وهي تتعلّق بأستار الكعبة، تقول:

إلهي وسيّدي؛ ها[4] أنا أمتك الغريبة، وسائلتك الفقيرة، حيث لا يخفى عليك مكاني، ولا يستتر عنك سوء حالي، قد هتكتِ الحاجةُ حجابي، وكشفتِ الفاقةُ نقابي، فكشفتُ لها وجها رقيقا[5] عند الذلّ، ذليلا[6] عند المسألة، طال -وعزّتك- ما حجبه ماء الغنى، وصانه

(١) أ، ر، ن: فأناجيك.
(٢) ج، م، ي: بحقويه.
(٣) ج، م، ي: عن ابن منصور.
(٤) أ، ر، ن: - ها.
(٥) ج، م، ي: - رقيقا.
(٦) م، ي: دليلا.

ستر الحياء، قد جمدت عنّي أكفّ المرزوقين، وضاقت بي صدور المخلوقين؛ فَمَن حرمني لم أَلُمْهُ، ومَن وصلني وكلته إلى مكافأتك. فدنوتُ منها، وقلتُ لها: من أنتِ، وممن أنتِ؟ فقالت: إليك عنّي، مَن قلّ ماله وذهبتْ رجاله، كيف يكون حاله؟ ثمّ أنشدتْ:

بعض بنات الرجال أبرزها الد ... هر كما قد ترى وأحوجها
أبرزها من جليل[1] نعمتها ... وابتزّها ملكها وأخرجها
وطالما كانت العيون إذا ... ما خرجت[2] تستشفّ هودجها
إن كان قد ساءها وأحزنها ... فطالما سرّها وأبهجها
الحمد لله رُبّ معسرة ... قد ضمن الله أن يفرّجها

قال: فسألت عنها، فأُخبرت أنّها من ولد الحسين بن علي صلوات الله عليهم.

وأنشدنا أبو الربيع بن خليل لأبي الفرج بن الجوزي الإمام:

يا رفيقيّ قفا لي[3] فانظرا ... إنّ عيني لدموعي لا ترى
هل خبتْ نارهم أو أُوقِدت ... أو جرى واديهم أو أقفرا
إنّ قلبي فاته شرب الحمى ... فهو لا ينفعه أن يمطرا
آه من طيب ليال سلفت ... كان كلّ الدهر فيه سحرا
أترى يرجع لي دهر مضى ... أترى ينفعني قولي ترى

وأنشدنا أيضا له[4]:

إلى كم أسائل هذي[5] المغاني ... لقد نطقتْ لو فهمت المعاني
أما[6] لك شغل بما أنت فيه ... من الوجد عن ذكر ماضي الزمانِ
وكيف ووجدي لذلك كان ... أُعاني بتذكاره ما أعاني
قفوا بي أحيّي كثيب النقا ... فإنّ الكثيب لمن تعلمانِ

(١) م، ي: أبرزها خليل. ن: أبرزها من خليل.
(٢) ج: ما برزت. م، ي: ما بدت.
(٣) ج: بي. م، ي: - لي.
(٤) ورد هذا النص في ج، م، ي بعد القصيدة التالية مباشرة.
(٥) أ، ر، ن: هذا.
(٦) ج: فيا لك. م، ي: فما لك.

بكيتُ لمرّ زمان مضى فعيني السماك أو المرزمانِ[1]
أيُنسى لرامة عهد الحمى دعاني فوجدي به قد دعاني

وأنشدنا أيضا له:

هل عند ربع عفا خبر من الخبر من أين يُعلم قفرٌ دارسُ الأثرِ
وقفت نسأل وردا إذ وردت به وما شفيت عليل الصدر في الصدَرِ[2]
دع ماء عينك واحلل من مزادته[3] فإنما خلقتْ للدمع والسهرِ
خلّفت قلبك في الأضعان إذ نزلت بالمأزمين زمان النفْر بالنفَرِ
ورحتَ تطلب في أرض العراق ضحى ما ضاع عند منى فاعجب لذا الحورِ
لمّا طرقنا النقا كان الفؤاد معي فضلّ عنّيَ بين الضال والسمرِ
يا أرجُل العيس تهنيك الرمال فما[4] أغدو بوجدي غدا إلّا على الأثرِ
عجبتُ من أرقٍ في الحيّ أزعجني فجاد جفني قبل الغيم بالمطرِ
قصائدي بدويّاتٍ وقد نزلتْ ريف العراق فنالت رقّة الحضرِ
طبع الرضى وعلم المرتضى جمعا معًا لشعري[5] وفحواه إلى عمرِ

وأنشدنا أيضا له:

إذا جزت بالغور عرّج يمينا فقد تخذ[6] الشوق عنّا يمينا
وسلّم على بانة الواديين فإن سمعتْ أوشكتْ أن تبينا
ومِلْ نحو غصن بأرض النقا وما يشبه الأيك تلك الغصونا
وصِحْ في مغانيهم أين هم وهيهات أمّوا طريقا شطونا
ورَوِّ ثرى أرضهم بالدموع وخلِّ الضلوع على ما طوينا
أراك يشوقك وادي الأراك أللدار تبكي أم الساكنينا
سقى الله مربعنا بالحمى وإن كان أورث داء دفينا
وعاذِلةٌ فوق داء المحبّ رويدا رويدا بنا قد بلينا

(١) السماكان: نجمان نيّران أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل. والمرزمان: نجمان مع الشِّعريّين وهما من نجوم المطر.
(٢) ج، م، ي: - هذا البيت.
(٣) م، ي: مرادته.
(٤) في النسخ: - فما.
(٥) ج: في لفظ شعري. م، ي: لشعري.
(٦) ج، م، ي: تجد.

لمن تعذلين أما تعذرين فلو قد نفعتِ دفعت الأمينا
إذا غلب الحبّ ضاع العتاب تعبتِ وأتعبتِ لو تعلمينا

حكى بعض السادة[١]، قال: خرجتُ حاجّا إلى بيت الله الحرام[٢]، فإذا أنا بسعدون المجنون قد تعلّق بأستار الكعبة، يدعو ويتضرّع، ويقول: مَن أوْلى بالتقصير منّي وقد خلقتني ضعيفا، ومن أوْلى بالعفو منك وأنت مولاي. قال: فدنوت منه فإذا عليه جبّة من صوف مرقّعة بالأدَم[٣]، وإذا على كمّه الأيمن مكتوب:

عصيتَ مولاك يا سعيدُ ما هكذا تفعل[٤] العبيدُ
فراقبِ الله واخشَ منه فعنده الوعد والوعيدُ[٥]

وعلى كمّه الأيسر مكتوب:

يا من يرى باطن اعتقادي ومنتهى الأمر في فؤادي
أصلِح فساد الأمور منّي ولا تدع موضع الفسادِ

فقلت له: يا سعدون؛ أنّى لك هذه الحكمة والناس يزعمون أنّك مجنون! فولّى وهو يقول:

زعم الناس أنّني مجنونُ كيف أصحو ولي فؤاد مصونُ
ألِفَ الحزنَ والبكا في الدياجي فهو بالله مشغف محزونُ

ثمّ غاب عنّي.

حدّثنا أحمد بن محمد كتابةً، ثنا محمد بن علي، ثنا علي بن محمد، ثنا علي بن الطيّب، ثنا ابن الهادي، ثنا أحمد بن سلام، ثنا أحمد بن منيع، ثنا أبو معاوية، عن سليمان بن إبراهيم، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا خير في العيش إلّا لعالِم ناطق، أو مستمِع واع. أيّها الناس: إنّكم في زمان هُدنة، وإنّ السير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار كيف يُبليان كلّ جديد، ويُقرّبان كلّ بعيد، ويأتيان بكلّ موعود! فقال له بعض أصحابه: يا نبيّ الله؛ وما الهدنة؟ قال: دار بلاء وانقطاع، فإذا التبستْ عليكم الأمور كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن؛ فإنّه شافع مشفّع، وشاهد مصدّق،

(١) ج، م: السادات.
(٢) أ، ر، ن: تعالى.
(٣) الأدَم (جمع أديم): الجلد المدبوغ.
(٤) أ، ر، ن: يفعل.
(٥) النسخ عدا ج: يا عبد سوء غدا الوعيد.

فَمن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومَن جعله خلفه ساقه إلى النار، هو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل».

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى، ما حدّثنا به عبد الله بن الأستاذ، قال: رأى في واقعته بعض أصحابنا الشيخَ أبا مدين، وبعض الصوفيّة، فسأله[1] عن همّته، فقال له: همّتي به متعلّقة، وحقيقتي بنور جلاله مشرقة، حضرته موضع أنسي، وملاحظة جماله عمرتْ حسّي. فالمحسوسات متحرّكة بأمر الآمِر، والأمر صادر عن حكم القادر، فأحكامه سبحانه جارية على وِفق سابقته في خلقه، وعلى حكم ما قدّره في الأزل، لا تتغيّر ولا تتبدّل[2]؛ فكلّ ناطق به نطق، وكلّ سامع به سمع، وكلّ بصير به أبصر، وكلّ باطش به بطش؛ فكلّ الحركات والسكنات له شاهدة، وما أمره فيها إلّا واحدة؛ فاختراعه للوجود من العدمِ تذكرة وبيان، ورحمة منه وفضل وامتنان، و﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[3]؟

ثمّ قال: اسمع؛ ليس الإنسان إلّا أن يصفّي[4] قلبه، ويعلّق خاطره ويحضر لبّه، فيعثر على قول سيّد البشر ﷺ: «من عرف نفسه عرف ربّه». فهذه أقصى درجات السرّ والعلن، وإليه الإشارة[5] بالنداء من جانب الطور الأيمن. فإذا صحّت هذه المعرفة وصلتَ إلى المعروف، وإذا نظرتَ إلى غير هذا كنتَ المحيَّر المتلوف.

فهذه فروع تُعْرِب لك عن أصولها، وجملٌ تنزل بك على فصولها، وتقرع سمعك بأطنابها. ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[6]؛ فإتيان البيوت من أبوابها واجب، والخلق حول البيت محجوب وغائب. فمن شأنه سبحانه ظهور الأسباب، وكلّ ما سِواه -جلّت قدرته- حجاب. فكلّ من كُشف له هذا الغطاء، فقد أجزل له في العطاء.

ثمّ قال أبو مدين: يا من هو سرّي، ويا من هو جهري، ويا من به نفعي، ويا من به ضرّي، ويا من به أقيم، ويا من به أسري، فامنن عليّ[7] بقرب تلمّ به فقري.

---

(١) أ، ر، م، ن: يسأله.
(٢) ج، ن: لا يتغير ولا يتبدل.
(٣) [الرحمن: ٦٠].
(٤) أ، ر، ن: يصفو. ج، م، ي: يصغي.
(٥) م، ي: الإشارات.
(٦) [البقرة: ١٨٩].
(٧) النسخ عدا ج: - عليّ.

دعاء من بعض من يحتجب عن الأبصار

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا محمد بن ناصر، أنبأ ابن المبارك[١] بن عبد الجبار، أنبأ محمد بن علي بن الفتح، أنبأ ابن أخي ميمي، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي، ثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدّثني صالح المرّي، عن عبد العزيز بن أبي روّاد، أنّه كان خلف مقام إبراهيم عليه السلام جالسا تجاه الكعبة[٢]، فسمع داعيا يدعو بأربع كلمات، فحفظها إعجابا بها، والتفت أن يرى أحدا فلم ير أحدا، وهي[٣]: اللهمّ فرّغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما خلقته لي[٤]، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذّبني وأنا أستغفرك.[٥]

خبر الذئب الذي شهد برسالة محمد ﷺ

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم، ثنا أبو عروبة الحرّاني ثنا يزيد بن محمد، عن أبيه، عن معقل بن عبيد الله، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب، عن أبي سعيد الخدري، عن النبيّ ﷺ. قال: «بينا أعرابيّ في بعض نواحي المدينة في غنم له، عدا الذئب عليه، فأخذ شاةً من غنمه، فأدركه الأعرابي، فاستنقذها منه وهجهجه[٦]، فعاود[٧] الذئب يمشي، ثمّ أقعى مستثفرا بذنَبِه[٨]، فقال: أخذت منّي رزقًا رزقنيه الله، قال: واعجبا من ذئب مُقْعٍ مستثفر بذنَبِه يخاطبني! فقال[٩]: واللهِ إنّك لتترك أعجب من ذلك، فقال[١٠]: وما أعجب من ذلك. فقال (الذئب): رسول الله ﷺ في النخلات بين الحرّتين يحدّثُ الناس عن نبأ ما قد سبق وما يكون بعد ذلك.

قال: فنعَق الأعرابي بغنمه حتى ألجأها إلى بعض المدينة، ثمّ مشى إلى النبيّ ﷺ حتى ضرب عليه بابه، فلمّا صلّى النبيّ ﷺ قال: أين الأعرابي صاحب الغنم؟ فقام الأعرابي، فقال

---

(١) أ، ر، ن: أبو المبارك.
(٢) أ، ر، ن: الكعبة المعظمة.
(٣) أ، ر، ن، ي: - وهي. م: وهو هذا.
(٤) أ، ر، ن: ولا تشغلني بما تكلفت لي به.
(٥) انتهى السمر.
(٦) هجهجه: صاح به وزجره.
(٧) ج، م، ي: فعدا.
(٨) استثفر بذنبه: أدخل ذنبه بين فخذيه.
(٩) ج: قال. م، ي: - فقال.
(١٠) ج، م، ي: قال.

له النبيّ ﷺ: حدِّث الناس ما سمعت وما رأيت. فحدّث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وسمع به، فقال النبيّ ﷺ عند ذلك: صدق الأعرابي، آيات تكون قبل الساعة! والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله، فيخبره[1] نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده».

دحيُ[2] اللهِ الأرضَ من تحت الكعبة

روينا من حديث أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقي، عن جدّه، ثنا سعيد بن سالم، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء عن ابن عباس، أنّه قال: لمّا كان العرش على الماء، قبل أن يخلق الله السماوات والأرض، بعث الله ريحا هفافة، فصفقتِ الماءَ، فأبرزت عن حشَفة[3] في موضع البيت، كأنّها قبّة، فدحا اللهُ الأرض من تحتها فمادت، ثمّ مادت، فأوتدها الله بالجبال، فكان أوّل جبل وُضع فيها أبو قبيس، فلذلك سمّيت مكة أمّ القرى.

حسن عفو واعتراف

روينا من حديث يوسف بن عبد الله، عن عثمان بن الهيثم، عن عوف، قال: شتم رجلٌ الحسنَ، وأربى عليه، فقال: أمّا أنت فقد أبقيت شيئا، وما يعلم الله أكثر.

وأنشد المبرّد لبعض الشعراء:

لن يدرك المجدَ أقوامٌ ذوو كرم ... حتى يذلّوا وإن عزّوا لأقوامِ
ويُشتموا فترى الألوان مشرقة ... لا صفح ذلٍّ ولكن صفح أحلامِ

في تقلّب الأحوال وما تأتي[4] به الأيام والليال

فيومٌ علينا ويوم لنا ... ويومٌ نُساء ويوم نُسَر

روينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن أبي زيد النميري عن أبي عبيدة أنّه أنشده[5] لبعض الشعراء:

---

(١) ج، ر: فيخبر.
(٢) أ، ج، ر، ن: دحا. م، ي: دحى.
(٣) حشَفة: يُقَال للجزيرة فِي الْبَحْر لَا يَعْلُوها المَاء حَشَفَةٌ وَجَمعهَا حِشافٌ إذا كَانَت صَغِيرَة مُسْتَديرة.
(٤) ج، م، ي: يأتي.
(٥) م، ي: أنشد.

وليس الرزق عن طلبٍ حثيثٍ ولكن ألقِ دلوكَ في الدلّاءِ
تجيء بملئها طورا، وطورا تجيء بحمأة وقليل ماءِ

حكمة لقمانيّة فيها النجاة

روينا من حديث إبراهيم الحربي، عن أبي حذيفة، عن سفيان، قال: سُئل لقمان الحكيم: أيّ عملك[1] أوثق في نفسك؟ قال: تَركي ما لا يعنيني. وقد ورد بذلك الشرع: «مِن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

همّةٌ عليّة ويدٌ علويّة

روينا من حديث أحمد بن محمد الواسطي، عن ابن حبيق، عن خلف بن تميم، قال: التقى إبراهيم بن أدهم وشقيق[2] بمكة، فقال إبراهيم لشقيق: ما بدء أمرك الذي بلّغك هذا؟ فقال: سرتُ في بعض الفلوات، فرأيت طيرا مكسور الجناحين في فلاة من الأرض، فقلت أنظر من أين[3] يُرزق هذا! فقعدتُ بجذائه، فإذا أنا بطير قد أقبل في منقاره جرادة، فوضعها في منقار الطير المكسور الجناحين. فقلت لنفسي: يا نفسي؛ الذي قيّض هذا الطير الصحيح لهذا الطير المكسور الجناحين، في فلاة من الأرض، هو قادر أن يرزقني حيثما كنت. فتركتُ التكسّبَ واشتغلتُ بالعبادة. فقال إبراهيم: يا شقيق؛ ولمَ لا تكون أنت الطير الصحيح الذي أطعم العليل حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت من النبيّ ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى». ومن علامة المؤمن أن يطلب أعالي الدرجتين في أموره كلّها حتى يبلغ منازل الأبرار. قال: فأخذ بيد إبراهيم فقبّلها، وقال له: أنت أستاذنا يا أبا إسحق.

أمثال منظومة ومنثورة كاللآلئ

كان رسول الله ﷺ يتمثّل بهذا البيت، ويكسِره عن وزنه:

كفى الإسلام والشيب بالمرء ناهيا

رويناه[4] من حديث النضر بن عبد الله، عن سليمان بن حرب، عن حمّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، أنّ رسول الله ﷺ ذكره. والشعر لعبيد بن الحسحاس، وكان

---

(١) ج، م، ي: عمل.
(٢) هو الصوفي الشهير شقيق البلخي.
(٣) أ، ر، ن: حيث.
(٤) ج، ر: روينا.

يتمثّل به أبو حصين:

هريرة ودِّع إن تجهّزت غاديا[1] كفى الشيب والإسلام للمرء[2] ناهيا

روينا ذلك من حديث الحارث، عن أحمد بن عبد الله بن يونس، عن ابن شهاب، عن أبي حصين. وكان بكار بن مالك يقول: في هذه الآية: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[3] أنّه الشيب، ثمّ ينشد:

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير

روينا ذلك[4] من حديث إسماعيل بن إسحق، عن محمد بن أبي بكر المقدمي، عن حصين بن نمير، عن بكار بن مالك.

مثَل

ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

هذا البيت لطَرفة بن العبد، وصدره: "ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلا".

مثَل

"وعند جهينة الخبر اليقين"

هو رجل من جهينة، لا يسلم من جيش السفياني الذي يخسف به بين مكة والمدينة إلّا هذا الجهني.

مثَل

"حسن في كلّ عين مَن تود". ويقال: "القَرْنَبِي[5] في عين أمّها حسنة". ويقال: "أطمع من أشعب[6]". ويقال: "أحذر من غراب". ويقال: "أشغل من ذات النِّحْيَين[7]". ويقال: "الصيفِ ضيّعتِ اللبن". ويقال: "أقبح من عاشق مفلس". ويقال: "أقبحُ من كلّ قبيحٍ صوفيٌّ

---

(١) ج، م، ي: غازيا.

(٢) ج، م: بالمرء.

(٣) [فاطر: ٣٧]

(٤) م، ي: روينا مثل ذلك.

(٥) القرنبي: دويبة شبه الحنفساء.

(٦) أشعب: هو شخص ولد يوم مقتل عثمان، وكان مثالا في الطمع حتى أنه إذا حضر جنازة ظن أن الميت أوصى له بشيء. فصار مثلا في الطمع.

(٧) النحيُ: الزق الذي يُجعل فيه السمن خاصة.

شحيح". ويقال: "أوفى من السموأل[١]". و"أخطبُ من قسّ[٢]". و"أفصح من سحبان[٣]"، و"أعيا من باقل[٤]"، و"أبخل من مادر[٥]". و"أشأم من قُدار" يعني عاقر ناقة صالح. ويقال: "أكرم من حاتم[٦]، ومن معن بن زائدة[٧]". و"أذكى من إياس[٨]". و"أحلم من الأحنف[٩]"،

---

(١) السَّمَوأل بن حيَّان بن عَادِياء اليَهُودي. كان من وفائه أن امرأ القَيْس لما أراد الخُرُوجَ إلى قيصر اسْتَوْدَعَ السموألَ دُرُوعاً وأَحَيْحَةَ بن الجُلاَح أيضاً دورعا، فلما مات امرؤ القيس غَزَاه ملك من ملوك الشام، فتحرز منه السموأل، فأخذ الملك ابناً له، وكان خارجاً من الحِصْنِ، فصاح الملك بالسموأل، فأشرف عليه، فَقَالَ: هذا ابنُك في يَدَيَّ، وقد علمت أن امرأ القيس ابن عمي ومن عشيرتي، وأنا أحقُّ بميراثه؛ فإن دفَعْتَ إلي الدروع وإلاَ ذَبَحْتُ ابنك، فَقَالَ: أجِّلْني، فأجّله، فَجَمعَ أهلَ بيته ونساءه، فشاوَرَهم، فكُلٌّ أشار عليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه، فلما أصبح أشْرَفَ عليه وقَالَ: ليس إلى دَفْعِ الدروع سبيل، فاصنع ما أنت صانع، فذبَحَ الملكُ ابنه وهو مُشْرِف ينظر إليه، ثم انصرف الملك بالخيبة، فوافى السموألُ بالدروع الموسمَ فدفعها إلى ورثة امرئ القيس. [مجمع الأمثال (٢/ ٣٧٤)]

(٢) هو قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُهَير بن إياد بن نِزَار، الإيادي، وكان من حكماء العرب، وأَعْقَلَ من سُمِع به منهم، وهو أوّل من كَتَب "من فلان إلى فلان" وأوّل من أَقَرَّ بالبعث من غير علم، وأوّل من قال "أما بعد" وأوّل من قال "البيّنة على مَنْ ادَّعَى واليمينُ عَلَى من أنكر" وقد عُمِّر مائةً وثمانين سنة. [مجمع الأمثال ١١١].

(٣) سَحْبَانِ وَائِلٍ: هو رجل من باهلَةَ، وكان من خطبائها وشعرائها، وهو الذي يقول:

لَقَدْ عَلِمَ الحيُّ اليَمانُونَ أنَّنِي إذا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أني خَطِيبُهَا

مجمع الأمثال ٢٤٩.

(٤) هو رجل من إياد، قال أبو عبيدة: باقل رجل من ربيعة، بلغ من عِيِّه أنه اشترى ظبياً بأحدَ عشَرَ درهماً، فمر بقوم فقالوا له: بكم اشتريت الظبي؟ فمد يده ودلعَ لسانه يريد أحد عشر، فَشَرَدَ الظبي وكان تحت إبطه. [مجمع الأمثال (٢/ ٤٣)]

(٥) هو رجل من بني هِلال بن عامر بن صَعْصَعة، وبلغ من بُخْله أنه سقي إبله فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسَلَح فيه ومَدَر الحوضَ به، فسمى مادراً لذلك، واسمه مُخَارق. [مجمع الأمثال ١١١].

(٦) هُوَ حَاتِم بن عبد الله الطَّائِي وَكَانَ ينْحَر كل يَوْم فَلَمَّا رأى أَبوهُ إهلاكه المَال وهب لَهُ فرسا وفلواً وَجَارِيَة وألحقه بمواشيه فَبينا هُوَ فِيهَا إِذْ مر بِهِ ركب فِيهِ بشر بن أبي خازم والحطيئة يُرِيدَان النُّعْمَان بن الْمُنْذر فَقَالَا لَهُ هَل من قرى قَالَ أتسألان عَن الْقرى وأنتما تريان الْإِبِل وَالْغنم فأنزلهما وَنحر لكل وَاحِد مِنْهُمَا جزوراً فَقَالَا إِنَّمَا تكفينا شَاة قَالَ أردْت أَن يحدث كل وَاحِد مِنْكُمَا بِمَا رأى قَالَا من أَنْت قَالَ حَاتِم ابْن عبد الله بن سعد فَقَالَ بشر تالله مَا رَأَيْت غُلَاما قطّ أندى كفا وَلَا أقرب عطفا وَلَا أحضر عرفا مِنْك. [جمهرة الأمثال ٣٣٦].

(٧) مَعْنَ بن زائدة الشيباني، وكان من أَجْواد العرب، وفيه قالوا: حَدِّثْ عَنْ مَعْنٍ وَلاَ حَرَج. [مجمع الأمثال ٢٠٧]

(٨) هُوَ إِيَاس بن مُعَاوِيَة وَكَانَ تولى قَضَاء الْبَصْرَة لعمر بن عبد الْعَزِيز وَكَانَ أزكن النَّاس رأى أثر اعتلاف بعير فَقَالَ هَذَا بعير أَعور فَسئلَ عَن ذَلِك فَقَالَ رَأَيْت أَثَره من جَانب. وَسمع من بعد نباح كلاب فَقَالَ فِيهَا كلب مربوط على شَفير بِئْر فنظروا فَإِذا الْأَمر كَذَلِك فَسئلَ عَنهُ فَقَالَ سَمِعت لنباحه دوياً فِي مَكَان وَاحِد والزكن الظَّن وَقيل الْعلم وَقيل التَّشْبِيه يُقَال زكن علهم تزكيناً إِذا شبه عَلَيْهِم. [جمهرة الأمثال ٥٠٧].

(٩) هو الأَحْنَفُ بن قَيْس.. من بني تميم، وكان في رجله حَنَفٌ، وهو الميلُ إلى إنْسِيّها ... وكان حليما موصوفا بذلك، حكيما معترفا له به ... وقال: ما أحب أنّ لي بنصيبي من الذلّ حُمْرَ النَّعم، فقيل له: أنت أعز العرب، فقال: إن الناس يَرَوْنَ الحلم ذلّا. وكان يقول: رُبَّ غَيْظ قد تَجَرَّعته مخافة ما هو أشدّ منه. وكان يقول: كثرة المزاح تَذْهَبُ بالهيبة، ومَنْ أكثر مِنْ شيء عُرف به. والسؤدد كرم الأخلاق وحسن الفعل. وقال: ثلاث ما أقولهن إلّا ليعتبر مُعْتبر: لا أَخْلُفُ جليسي بغير ما أحضر به، ولا أُدْخِلُ نفسي فيما لا مَدْخَلَ لي فيه، ولا آتي السلطان أو يرسلَ إليَّ. وقال له رجل: يا أبا بحر، دُلَّني على مَحْمَدة بغير مَرْزئة، قال: الْخُلُق السَّجِيح، والكف عن القبيح، واعلم أن أَدْوَأ الداء اللسان الْبذِي والخُلُقُ الرَّدِي. [مجمع الأمثال ٢١٩].

و"أجود من الريح والغمام". ويقال: "لو صحّ منك الهوى أُرشدتَ للحيلِ". ويقال: "ولا خير في حبٍّ يدبَّر بالعقل". ويقال: "الحبّ أملك للنفوس من العقول". ويقال: "كُلِ البقل ولا تسأل[1] عن المَبْقَلة".

نظمه أبو بكر التويتمي، وأنشدني إيّاه بمكة:

كُلِ البقل من حيث تؤتى به ولا تسألن عن المبْقَلهْ

وأنشدني أيضا لنفسه:

إنّ الفقير هو الفقيه وإنّه الراء رُدّتْ فالتقى طرفاها

وقيل:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل[2]

وقيل:

أرى الطريق قريبا حين أسلكه إلى الحبيب، بعيدا حين أنصرفُ

وقيل:

إذا لم يكن في الحبّ سخط ولا رضىً فأين حلاوات الرسائل والكتبِ

وقال آخر:

كأنّما الطير منهم فوق أرؤسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

ويقال: "كلا طرفي قصد الأمور ذميم"، نظمته فقلت:

جرى مثَلٌ دلّ السماع مع الحجى عليه على مرّ الزمان قديمُ
توسّطْ إذا ما شئت أمرا فإنّه كلا طرفي قصد الأمور ذميمُ

أردت بالسماع قول الشارع: «خير الأمور أوساطها»، وما ورد في القرآن من ذلك.

حكمة أديب ونصيحة لبيب

إيّاكم وصحبة الملوك؛ فإنّك إن لازمتهم مَلّوك، وإن تركتهم أذلّوك، يستعظمون في الثواب ردّ الجواب، ويستصغرون في العقاب ضرب الرقاب. قال الحكيم: مثَلُ السلطان مثلُ النار، لا يُنتفع به إلّا على بُعد.

---

(١) ج، ن، ي: تسألن.

(٢) الشطر الثاني من ج فقط.

خبر البيت المعمور

اختلف[1] الناس فيه، فقيل: هو في السماء السادسة، وقيل: في السماء السابعة. وقال ابن عباس: "البيوت أربعة عشر بيتا، لو سقط الأعلى منها لسقط على[2] الذي تحته. وكذلك كلّ بيت منها في السبع السماوات والسبع الأرضين. وأنّ الله خلق لها خلقا يطوفون بها على صورنا، حتى أنّ فيهم ابن عباس مثلي. وهذا البيت المعمور، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملَك، لا يعودون إليه[3] أبدا". روينا ذلك في الحديث الصحيح.

وذكر شيخنا أبو زيد السهيلي الضرير المالقي، في "الروض الأنف" له، في شأن هؤلاء السبعين ألف ملك الذين[4] يدخلون البيت المعمور، في حديثٍ رويناه عنه، يبلغ به النبيّ ﷺ: «أنّ جبريل عليه السلام ينغمس كلّ يوم في نهر الحياة غمسة، ثمّ ينتفض فيقطر من انتفاضه من ذلك الماء سبعون[5] ألف قطرة، يخلق الله من كلّ قطرة ملَكا، فهم الذين يدخلون البيت المعمور كلّ يوم».

روينا من حديث أبي الوليد، قال: حدّثنا علي بن هارون بن مسلم[6] العجلي، عن أبيه، ثنا قاسم بن عبد الرحمن الأنصاري، حدّثني محمد بن علي بن الحسين، قال: كنت مع والدي علي بن الحسين عليهم السلام، فبينا هو يطوف بالبيت، وأنا وراءه، إذ جاءه رجل شرجع[7] من الرجال يقول: طويل، فوضع يده على ظهر أبي، فالتفت أبي إليه، فقال الرجل: السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ﷺ، أريد أن أسألك؟ فسكت أبي، فردّ عليه السلام، فقال الرجل: يا ابن بنت رسول الله؛ أريد أن أسألك؟ وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه، فدخل الحِجر، فقام تحت الميزاب، فقمت أنا والرجل خلفه، فصلّى ركعتي أسبوعه، ثمّ استوى قاعدا. فالتفت إليّ فقمت فجلست إلى جنبه. فقال: يا محمد؛ أين[8] هذا السائل؟

---

(١) النسخ عدا م: واختلف.
(٢) أ، ر: - على.
(٣) ج، م، ي: فيه.
(٤) ا، ر، ن: الذي.
(٥) النسخ عدا ج: سبعين.
(٦) ج، م، ي: - بن مسلم.
(٧) شرجع: طويل. النسخ عدا ج: شرجم.
(٨) النسخ عدا ج: فأين.

فأومأت إلى الرجل، فجاء فجلس بين يدي أبي.

فقال له أبي: عمّ تسأل؟ قال: أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت، لِمَ كان؟ وأنّى كان؟ وحيث كان؟ وكيف كان؟ قال[1] له أبي: نعم؛ من أين أنت؟ قال: من أهل الشام. قال: أين مسكنك؟ قال: في بيت المقدس. قال: فهل قرأت الكتابين؟ يعني التوراة والإنجيل، قال الرجل: نعم. قال أبي: يا أخا أهل الشام؛ احفظ، ولا ترو عنّي إلّا حقّا:

أمّا بدء هذا الطواف بهذا البيت، فإنّ الله تعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] فقالت الملائكة: أي ربّ؛ أخليفة من غيرنا، ممن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون؟ أي ربّ اجعلْ ذلك الخليفة منّا؛ فنحن لا نفسد فيها، ولا نسفك الدماء، ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، ونطيعك ولا نعصيك. قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. قال: فظنّت الملائكة أنما قالوا ردّ على ربّهم، وإنّه قد غضب من قولهم، فلاذوا بالعرش، ورفعوا رءوسهم، وأشاروا بالأصابع يتضرّعون ويبكون إشفاقا لغضبه. فطافوا بالعرش ثلاث ساعات، فنظر الله إليهم، فنزلت الرحمة عليهم.

فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتا على أربع أساطين من زبرجد، وغشّاهنّ بياقوتة حمراء، وسمّي البيت الضراح. ثمّ قال الله ﷻ للملائكة: طوفوا بهذا البيت، ودعوا العرش. قال: فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش وصار أهون عليهم، وهو البيت المعمور الذي ذكره الله ﷻ يدخله كلّ يوم وليلة سبعون ألف ملَك لا يعودون فيه أبدا.

ثمّ إنّ الله تعالى بعث ملائكته، فقال: ابنوا لي بيتا في الأرض بمثاله وقدْره. فأمر الله من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور. فقال الرجل: صدقت يا ابن بنت رسول الله ﷺ؛ هكذا كان. فهذا البيت الذي[3] هو خامس خمسة عشر بيتا، أعني الكعبة: سبعة فوقه وسبعة تحته، وما نزل ملك قط من السماء إلى الأرض لأمر إلّا استأذن ربّه في الطواف ببيته، فيهبط مُهلّا.

---

(١) ر، ن: فقال.

(٢) [البقرة: ٣٠]

(٣) أ، ر، ن: - الذي.

إفصاحٌ معجز بوعظٍ موجز

روينا من حديث إبراهيم الحربي، حدّثنا داءود بن رشيد، قال: دخل ابن السمّاك على هارون الرشيد[1]، فقال: عِظني وأوجز، قال: ما أعجب يا أمير المؤمنين ما نحن فيه، كيف غلب علينا حبّ الدنيا، وأعجب ما نصير إليه غفلتنا عنه، عجبت[2] لصغير حقير إلى فناء يصير، غلب على كثير طويل دائم غير زائل.

دعاء عبدٍ مدلٍّ لربّ ﷻ

روينا من حديث عبد الله بن مسلم، قال: حدّثنا الرياشي، قال: ثنا الأصمعي، قال: رأيت أعرابيّا عند الملتزم، فقال: اللهمّ لك عليّ حقوق فتصدّق بها عليّ، وللناس عليّ تبعات فتحمّلها عنّي، وقد أوجبتَ لكلّ ضيف قِرى وأنا ضيفك، فاجعل قِراي الليلة الجنّة.

نُطق بكلمة صدق

روينا من حديث إبراهيم بن حبيب، قال حدّثنا الحمّاني، عن عقبة بن الوليد، قال: كانت امرأة من التابعين تقول: سبحانك ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه.

بكاءٌ مفرّط غير مفرط

روينا من حديث العباس بن الفضل، حدّثنا داءود بن رشيد قال؛ قال بشر بن الحارث: مررت برجل من العبّاد بالبصرة، وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أبكي على ما فرّطت من عمري، وعلى يوم مضى من أجلي لم يحسن فيه عملي.

موعظة اضطرار عند شدّ الإسار[3]

روينا من حديث أحمد بن عبدان، قال: ثنا محمد بن منصور البغدادي قال: دخلت على عبد الله بن طاهر، وهو في سكرات الموت، فقلت: السلام عليك أيّها الأمير، فقال: لا تسمّني أميرا، وسمّني أسيرا، ثمّ أنشأ يقول:

بادِر فقد أسمعك الصوت إن لم تبادر فهو الفوت

---

(١) النسخ عدا ج: - الرشيد.

(٢) ج، م، ي: عجيب.

(٣) الإسار: ما يقيّد به الأسير.

من لم تزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

لكلّ مقام مقال

أخبرني أحمد بن مسعود بن شدّاد المقري بالموصل، قال: كان لي صاحب يقال له عليّ الدهّان، يمرّ بي كلّ ليلة بعد مضيّ هزيع من الليل، وأنا بهذه المنظرة. وكان على شاطئ دجلة، فيناديني[1]: يا زكي؛ فأقول: لبّيك. فيقول: ما أحسن ما قال:

بالله يا ركب الحجاز تحمّلوا منّي تحيّة مغرم مشتاقِ
وقفوا على شطّ الفرات وخبّروا إنّي قتيلُ محاجر الأحداقِ

قال ابن مسعود: فلم يلبث أن مات، فرأيته في المنام[2]، فقلت له: يا عليّ؛ ما أحسن ما كنت تأتيني في حياتك كلّ ليلة، فتنشدني، قال: وأنشدته البيتين. فتبسّم، وقال: يا زكي؛ لو سمعتني كيف أنشدهما اليوم؟ فقلت[3]: وكيف تنشدهما اليوم، رحمك الله؟ فقال:

بالله يا ركب الحجاز تحمّلوا منّي تحيّة مغرم مشتاقِ
وقفوا على شطّ الفرات وخبّروا إنّي رهينُ جنادل وطباقِ

حالة تلحق الرجال بالنساء، حالة سواء[4]

روينا من حديث أحمد بن محمد المزني[5]، عن محمد بن كثير، عن سفيان، عن طلحة، عن الشعبي، في رجل أوصى لأرامل بني فلان، قال: الرجال والنساء فيه سواء. ثمّ قال سفيان الثوري:

تلك الأرامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

خليفة عدل قضى واجب حقّ وفضل

رحّب رسول الله ﷺ بابنة نبيّ كان قبله يقال له: خالد بن سنان، قال لها حين علم بها: «مرحبا بابنة نبيّ أضاعه قومه»، ثمّ قصّ خبره. وكان رسول الله ﷺ يقول: «إذا أتاكم كريمةُ[6]

---

(١) ج، م، ي: فينادي.
(٢) أ، ر، ن: النوم.
(٣) أ، ر، ن: قال فقلت له.
(٤) أ، ر، ن: سَوء.
(٥) أ، ر، ن: اليزني. م: البرني.
(٦) ج، م، ي: كريم.

قوم فأكرموه». ولا كريم أكرم من آل محمد. كلّهم كبير، ليس فيهم صغير.

روينا من حديث عمران، حدّثنا عيسى، ثنا ضمرة، قال: قال عمر بن عبد العزيز لبعض ولد الحسين بن علي بن أبي طالب: لا تقف على بابي ساعة واحدة إلّا ساعةً تعلم أنّي فيها جالس، فيؤذَن لك عليّ وقت تأتي، فافعل، فإنّي أستحي من الله أن تقف على بابي فلا يؤذن لك.

أنشدت لبعضهم[1]:

إن زارني فبضله، أو زرته فلفضله، فالفضل في الحالين له

نظم هذا الشاعر قول القائل: إن زرتنا فبفضلك، أو زرناك فلفضلك. فلك الفضل زائرا ومزورا.

ما ذكر من بعض صفات عمر بن الخطاب ﷺ

روينا من حديث محمد بن الحسين السكري، قال: قال العتبي، عن أبيه، قال معاوية لصعصة بن صوحان[2]: صِف لي عمر بن الخطاب. فقال: كان عالما برعيّته، عادلا في نفسه، قليل الكبر، قبولا للعذر، سهل الحجاب، مفتوح الباب، متحرّي الصواب، بعيدا من الإساءة، رفيقا بالضعيف، غير صخّاب، كثير الصمت، بعيدا من العيب[3]. قال أحمد بن ملاعب: قال علي بن عبد الله، قال سفيان بن عيينة: كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عمرو بن العاص، وهو على مصر: كن لرعيّتك كما تحبّ أن يكون لك أميرك[4].

وحدّثنا أبو بكر بن خلف اللخمي أستاذنا، قال: لمّا مرض رسول الله ﷺ عاده أبو بكر الصدّيق ﷺ فشفي رسول الله ﷺ، ومرض أبو بكر فعاده رسول الله ﷺ فشفي حين عاده، كما كان مرض حين عاده، فقال الصدّيق ﷺ في ذلك:

مرض الحبيبُ فعُدته فمرضتُ من حذري عليه
شفي الحبيب فعادني فشفيتُ من نظري إليه

---

(١) بيت للإمام الشافعي.
(٢) هو جد الفرزدق.
(٣) ج، م، ي: العتب.
(٤) أ، ر، ن: آمرك.

وأنشدني أبو بكر محمد بن عيسى الأديب الكاتب، لجدّه ذي الوزارتين أبي بكر بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر الحكيم. وكان قد استدعي إلى مراكش، وخلف ابنا له صغيرا كان يحبّه، لم يكن له غيره، فقال في الحالة:

ولي واحد مثل فرخ القطاة صغير[1] تخلّفت قلبي لديهْ
نأت عنه داري فيا وحشتي لذاك الشخيص وذاك الوجيهْ
تذكّرني وتذكّرته فيبكي عليّ وأبكي عليهْ
وقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إليّ ومنّي إليهْ

تأسيس في حقّ الجليس

روينا من حديث محمد بن الفرج عن حجاج[2]، عن ابن جريج[3]، عن مجاهد، قال: جلست إلى ابن عمر رضي الله عنه وهو يصلّي، فخفّف ثمّ سلّم وانفتَل[4] إليّ[5]، ثمّ قال: إنّ حقّا عليّ أو سنّةً إذا جلس الرجل إلى الرجل وهو يصلّي التطوّع، أن يخفّف وينفتل[6] إليه.

لا يدرك الناس ما قدّمت من حسَنٍ ولا يفوتك فيما قدّموا شرفُ

هذا البيت ذكره ابن قتيبة لكعب بن الأشرف في قتيبة بن مسلم.[7]

خبر الطائر الطائف

ذكر الأزرقي في كتاب مكة، قال: جاء طائر أشفّ من الكعيت[8] شيئا، لونه لون الحبرة[9] بريشة حمراء وريشة سوداء، دقيق الساقين طويلهما، له عنق طويل، دقيق المنقار طويله كأنّه من طير البحر، يوم السبت لسبع وعشرين من ذي القعدة، سنة ست وعشرين

---

(١) النسخ عدا ج: صغيرا.
(٢) ج، م، ي: بن الفرج الحجاج.
(٣) النسخ عدا ج: جريج.
(٤) انفتل من الصلاة: انصرف عنها.
(٥) ج، م، ي: - إليّ.
(٦) أ، ر، ن: فينفتل.
(٧) انتهى السمر.
(٨) الكعيت: طَائِر من جنس البلبل صَغِير الحجم جم النشاط لَا يكف عَن الْحَرَكَة طول الْيَوْم وَهُوَ من أحسن الطُّيُور فِي الْعَالم تغريدا رَأسه ورقبته وَأَعْلَى صَدره سود يُوجد فِي مصر والسودان وَيكثر بالمناطق الَّتِي تُوجد بهَا الحدائق والبساتين. وارتبكت النسخ في رسم الكلمة كما يلي: أ، ن: الكعيب. ج، م: الكعبة. ر، ي: الكعب.
(٩) الحبرة: الصفرة.

ومائتين[١]، حين طلعت الشمس، والناس إذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم، من ناحية أجياد الصغير، حتى وقع في المسجد الحرام قريبا من مصباح زمزم، مقابل الركن والحجر[٢] الأسود، ساعة طويلة. قال: ثمّ طار حتى صدم الكعبة في نحو من وسطها، بين الركن اليماني والركن الأسود، وهي إلى الركن الأسود أقرب. ثمّ وقع على منكبِ رجل في الطواف، عند الركن الأسود من الحاج، ثمّ من أهل خراسان محرِم ملبّي وهو على منكبه الأيمن. فطاف الرجل أسابيع[٣]، والناس يدنون منه وينظرون[٤] إليه، وهو ساكن غير مستوحش منهم. والرجل الذي عليه الطير يمشي في الطواف في وسط الناس، وهم ينظرون إليه ويتعجّبون. وعينا الرجل تدمعان على خدّيه ولحيته.

قال أبو الوليد الأزرقي: فأخبرني[٥] محمد بن[٦] عبد الله بن ربيعة، قال: رأيته على منكبه الأيمن، والناس يدنون منه ينظرون إليه، فلا[٧] ينفر منهم ولا يطير. فطفت أسابيع ثلاثة. كلّ ذلك أخرج من الطواف، فأركع خلف المقام ثمّ أعود، وهو على[٨] منكب الرجل. قال: ثمّ جاء إنسان من أهل الطواف، فوضع يده عليه، فلم يطِر. وطاف به بعد ذلك، ثمّ طار هو من قِبل نفسه حتى وقع على[٩] يمين المقام ساعة طويلة، وهو يمدّ عنقه ويقبضها إلى جناحه، والناس مستكفّون له، ينظرون إليه عند المقام، إذ أقبل فتى من الحجبة، فضرب بيده فيه، فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف مقام إبراهيم، فصاح الطير في[١٠] يده أشدّ الصياح وأوحشه، لا يشبه صوته بأصوات الطير. ففزع منه، فأرسله من يده، فطار حتى وقع بين يدي دار الندوة خارجا من الظلال في الأرض، قريبا من الأسطوانة الحمراء، واجتمع الناس ينظرون إليه، وهو مستأنس في ذلك كلّه، غير مستوحش من الناس، ثمّ طار هو

(١) هذا التاريخ يقابل السبت ١٧ سبتمبر ٨٤١م.
(٢) النسخ عدا ج: - والحجر.
(٣) أسابيع: جمع أسبوع، والأسبوع سبعة أشواط.
(٤) أ، ر، ن: ينظرون.
(٥) ج، م، ي: فأخبر.
(٦) م، ي: بن أبي.
(٧) ج، م، ي: ولا.
(٨) ج، م، ي: في.
(٩) أ، ر، ن: عن.
(١٠) ج، م، ي: من.

من قِبل نفسه، فخرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان[١].

خبر الطائر المغيث[٢]

حدّثنا عبد الكريم بن حاتم بن وحشي بمكة سنة ستمائة، قال: خرج من عندنا رجل من المجاورين يريد مصر، فركب بحر عيذاب، فطاب لهم[٣] الريح بالليل[٤]، فنام كلُّ من في المركب إلّا الذي يدبّره، فأراد الرجل الحاجة، فقعد في مقدّم[٥] المركب يقضي حاجته، فزلق قدمه، فأخذه البحر، وغطّته الأمواج، والرائس ينظر إليه، والمركب قد سار عنه بمسافة غيّبته عن عين الرائس، والرائس لا يتكلّم مخافة أن يشوّش على الناس، ولا ينفعه ذلك، فلم ينشب أن رأى طائرا قد قبض عليه، فأخرجه من الماء، وطار به حتى ألقاه في المركب، وقعد الطائر على جامور الصاري ساعة، ثمّ إنّ الطائر مدّ منقاره من موضعه حتى ألصقه بأذن الرجل ثمّ قبض منقاره وطار[٦].

فلمّا كان من الغد، حسّن الرائس ظنّه بذلك الرجل، وبادر إلى كرامته، ففطِن له الرجل فقال له: يا أخي؛ لست واللهِ ممن[٧] تظن، وإنما كان ما رأيت من أمر الله، علمي وعلمك فيه سواء، ما شعرتُ بنفسي إلّا وقد أخذتني الأمواج، وأيقنتُ بالتلف، فسلّمتُ الأمر لله، وقلت: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[٨]. فإذا بذلك الطائر قد فعل ما رأيتَ. فقال له الرائس: فرأيته مدّ منقاره إليك، فهل كلّمك؟ قال الرجل: نعم، وذلك أنّي فكّرت في نفسي؛ ما هو هذا الطائر! فألصق منقاره بأذني، وقال لي: يا هذا؛ أنا[٩] ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١٠].

---

(١) قعيقعان: جبل بمكة.

(٢) النسخ عدا ج: خبر طائر مغيث. وقد وردت هذه القصة في السفر ١٩ من الفتوحات المكية وفيها أنّها حدثت عام ٥٩٩هـ.

(٣) ج، م، ي: - لهم.

(٤) ج، م، ي: في الليل.

(٥) أ، ر، ن: مؤخّر.

(٦) النسخ عدا ج: ثم قبضه وطار.

(٧) م، ي: مما.

(٨) [يس: ٣٨].

(٩) أ، ر، ن: وقال لي: هذا أنا.

(١٠) [فصلت: ١٢].

حكمة

روينا من حديث أبي إسماعيل، عن أبي حذيفة، عن الثوري، قال: بلغني عن ابن مسعود، أنّه قال: الدنيا كلّها غموم، فما كان فيها من سرور فهو ريح.

ومن حديث إسماعيل أيضا، عن نعيم، عن ابن المبارك، عن وهب[1]، قال: من أراد الدنيا فليتهيّأ للذلّ.

موعظة بهلول المجنون

حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا محمد بن أبي منصور، ثنا أبو الغنائم ابن النرسي، أنا محمد بن علي بن عبد الرحمن، ثنا زيد بن حاجب، أخبرنا محمد بن هارون، ثنا علي بن الحسن بن أحيد، ثنا علي بن إبراهيم الكرخي الحافظ، ثنا محمد بن الحسن الحلواني، ثنا أحمد بن عبد الله القزويني، عن الفضل بن الربيع، قال: حججت مع هارون الرشيد، فمررنا بالكوفة، فإذا بهلول المجنون يهذي. فقلت: اسكت؛ فقد أقبل أمير المؤمنين. فسكتَ فلمّا[2] حاذاه الهودج، قال: يا أمير المؤمنين؛ حدّثني أيمن بن نائل، ثنا قدامة بن عبد الله العامري، قال: رأيت النبيّ ﷺ بمنى، على جمل، وتحته رحل رثّ، فلم يكن ثَمَّ طردٌ ولا ضربٌ ولا إليكْ إليكْ. قلت: يا أمير المؤمنين؛ إنّه بهلول المجنون. قال: قد عرفته. قل يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين:

هب أنّك قد ملكت الأرض طرًّا ودان لك العباد فكان ماذا
أليس غدا مصيرك جوف قبر ويحثو التُّرب هذا ثمّ هذا

قال: أجدتَ يا بهلول. أفغيره؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين: من رزقه الله جمالا ومالا، فعفَّ في جماله، وواسى في ماله؛ كُتب في ديوان الأبرار. قال: فظنّ أنّه يريد شيئا. قال: فإنّا قد أمرنا بقضاء دَينك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين؛ لا تقضِ دَينا بدَين، أردد الحقّ إلى أهله، واقض دَين نفسك من نفسك. قال: إنّا قد أمرنا أن يُجْرَى عليك. قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين؛ لا يعطيك وينساني، أجري على الذي أجرى عليك. لا حاجة لي في جرايتك.

ومن شعر الشريف الرضي في وداع الحاج

أيّها الرائح المعِدّ تحمّل حاجةً للمعذّب المشتاقِ

---

(١) أ، ر، ن: وهيب.

(٢) ج، م، ي: حتى.

أقر منّي السلام أهل المصلّى فبلاغ السلام بعض التلاقي
وإذا ما مررت بالخيفِ فاشهد إنّ قلبي إليه بالأشواقِ
وإذا ما سُئلت عنّي فقل نِضـ ـو هوى ما أظنّه اليوم باقي
ضاع قلبي فانشده لي بين جمع ومنى عند بعض تلك الحداقِ
وابكِ عنّي فإنّني كنت من قبـ ـل أعيرُ الدموع للعشّاقِ

ومن شعر مهيار الديلمي في الشوق:

يا لهوى لمّا أطقت حمله يوم النخيل سامني ما لم أطقْ
فارقتُ حولا أهل نجد والهوى ذاك الهوى وحُرَقي تلك الحُرَقْ
فقل لمن ظنّ البعاد سلوة لا تنتحلْ بطعم شيء لم تَذُقْ
آه لقلب شقّ عنه أضلعي من الحمى تخالُجُ البرقِ الشفقْ
ثار به الشوق فهبّ فهفا تطلّعا ثمّ نزا ثمّ مَرقْ

ومن شعر أبي غالب بن بشران في ذلك:

ولمّا أثاروا العيس للبين بيّنتْ غرامي لمن حولي دموعٌ وأنفاسُ
فقلت لهم لا بأس بي فتعجّبوا وقالوا الذي أبديته كلّه بأسُ
تعوَّضْ بأُنسِ الصبر عن وحشة الأسى فقد فارق الأحباب من ذلك الناسُ

ومن الشعر الذي يصرفه الصالح إذا سمعه إلى الجنان والحور والولدان:

قف بالحطيم ترى الغزال المحرِما طاف الحجيج وصار يطلب زمزما
قَمَرٌ تعرّض في الطواف كأنّه بدرٌ تطلّع في السماء وأنجما
ناديتُه بمدامع لو أنّها شربت[1] لشرّاب لكانت مغنما
يا طالبا بالحجّ رحمة ربّه أرضيتَ بالحرمين تقتل مسلما

ومن قائع بعض الفقراء، ما قرأ علينا عبد الله بن الأستاذ العارف[2]، قال: قال لي بعض الفقراء ببجاية[3]: رأيت في واقعتي الحقّ تعالى، وهو يقول لأبي مدين: مادة سرّك بسناي

(١) أ، ر، ن: شربٌ.
(٢) ج، م، ي: - العارف.
(٣) ج، م، ي: - ببجاية.

ونوري، وغذاء روحك برؤيتي وسروري، وقلبك موضع عظمتي وجبروتي[1]. هي أحوالٌ منّي اقتبستَها، ولي رددتها. فأنت لي وليّ صِرف[2]. يا أبا مدين؛ جاوز نظر الناظرين نظرُك، وتعلّق بي فكرُك؛ فلمّا قدّرتني قدري كنتُ سمعَك وبصرَك. وعرّفتُك بي فعرفتني، ونزّهت سرّك عمّا سواي فنزّهتني؛ فأنت ظاهر وباطن بي ولي. فقال أبو مدين: سبحانك سبحانك، اللهمّ دام[3] فضلك، وعجزتِ الأوهام عن وصف وصفِك، وامتلأتِ الأسرار أنسا بذكرك؛ فثنائي ثناؤك، وأمري أمرك. فواصِل اللهمّ نوري بنورك، فلا يُقتبس الفضل منك إلّا بك.

خبر اللّات والعزّى

روينا من حديث أبي الوليد، عن جدّه، عن سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس، أنّ رجلا ممن مضى، كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحاج إذا مرّوا؛ فيلتّ[4] سويقهم[5]. وكان ذا غنم، فسمّيت صخرة اللّات[6]. فلمّا فقده الناس، قال لهم عمرو: إنّ ربّكم كان اللّات، فدخل في جوف الصخرة.

وكانت العزّى ثلاث شجرات بنخلة. وكان أوّل من دعا إلى عبادتها[7] عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب. وقال لهم عمرو: إنّ ربّكم يتصيّف باللّات لبرد الطائف، ويشتُو بالعزّى لحرّ تهامة. وكان في كلّ واحدة شيطان يُعبد.

فلمّا بعث الله محمدا ﷺ بَعث بعد فتح مكة خالد بن الوليد إلى العزّى يهدمها، فخرج خالد[8] في ثلاثين فارسا[9] من أصحابه إلى العزّى حتى انتهى إليها فهدمها. ثمّ رجع إلى النبيّ ﷺ فقال: أهدمت؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: هل رأيت شيئا؟ قال: لا. قال: فإنّك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها. فخرج خالد بن الوليد وهو متغيّظ، فلمّا انتهى إليها جرّد سيفه، فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ناشرة شعرها، فجعل السادن يصيح بها، قال خالد: وأخذني

---

(١) أ، ر، ن: وحبوري.
(٢) أ، ر، ن: صرفا.
(٣) ج، م، ي: أدم.
(٤) ج، م، ي: يلت.
(٥) السويق: دقيق القمح أو الشعير أو الذرة. يلت السويق: يعجنه بالسمن فيحلّيه.
(٦) اللات: الذي يلت السويق. أ، ر، ن: + فمات.
(٧) عبادتها: يقصد اللات والعزى. ج، م، ي: عبادتها.
(٨) ج، م، ي: - خالد.
(٩) ج، م، ي: فرسا.

اقشعرار في ظهري، فجعل السادن يصيح بها، ويقول:

أعُزّاي شدّي شدّة لا تكذّبي أعُزّاي ألقي بالقناع وشمّري

أعُزّاي إن لم تقتلي[1] المرء خالدا فبوئي بذنب عاجل وتنصّري

فأقبل خالد بن الوليد بالسيف إليها، وهو يقول:

كفرانك اليوم ولا سبحانك إنّي رأيت الله قد أهانك

قال: فضربها باثنتين. ثمّ رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره. فقال: نعم تلك العزّى، وقد أيسَت أن تُعبد في بلادكم أبدا. ثمّ قال خالد رضي الله عنه: الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله، وأنقذنا بك من الهلكة. لقد كنت أرى أبي يأتي إلى العزّى بخير ماله من الإبل والغنم، فيذبحها للعزّى، ويقيم عندها ثلاثا، ثمّ ينصرف إلينا مسرورا، فنظرتُ إلى ما مات عليه أبي، وإلى ذلك[2] الرأي الذي كان يعاش في فضله، وكيف خدع حتى صار يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضرّ ولا ينفع. فقال رسول الله ﷺ: إنّ هذا الأمر إلى الله، فمن يسّره للهدى تيسّر له، ومن يسّره للضلالة كان لها. وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان. وكان سادنها أفلح بن النضر السُّلَمي من بني سليم.

حكى سعيد بن عمرو الهذلي أنّ أفلح سادنها، لمّا حضرته الوفاة، دخل عليه أبو لهب، يعوده وهو حزين، فقال له[3]: ما لي أراك حزينا؟ قال: أخاف أن تضيع العزّى من بعدي. فقال له أبو لهب: لا تحزن، فأنا أقوم عليها بعدك. فجعل أبو لهب يقول لكلّ من[4] لقي: إن تظهر العزّى كنتُ قد اتّخذتُ عندها يدا، وأن يظهر محمد على العزّى، وما أراه يظهر[5]، فابن أخي. فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[6].

وجاء حسان بن ثابت الأنصاري إلى رسول الله ﷺ وهو في المسجد، فقال: يا رسول الله؛ ائذن لي أن أقول، فإنّي لا أقول إلّا حقّا، فقال: قل: فأنشأ يقول:

شهدتُ بإذن الله أنّ محمدا رسولُ الذي فوق السماوات مِن عَلُ

---

(١) النسخ عدا ج: تقتل.

(٢) م، ي: ذاك.

(٣) ج، م: - له.

(٤) ج، م، ي: بقى.

(٥) ج: إلا يظهر.

(٦) [المسد: ١]

فقال النبيّ ﷺ: وأنا أشهد. فقال حسان:

وأنّ أبا يحيى ويحيى كليهما له عملٌ في دينه متقبَّلُ

فقال النبيّ عليه السلام: وأنا أشهد. فقال حسان:

وأنّ الذي عادى اليهودَ ابن مريمَ رسولٌ أتى من عند ذي العرش مرسَلُ

فقال النبيّ عليه السلام: وأنا أشهد. فقال حسان:

وأنّ أخا الأحقاف إذ يعذِلونه[1] يجاهد في ذات الإله ويعدِلُ

فقال النبيّ عليه السلام: وأنا أشهد. فقال حسان:

وأنّ التي بالجزع من بطن نخلةٍ ومَن دانَها فلٌّ عن الحقّ معزلُ

فقال رسول الله ﷺ: وأنا أشهد.

قال سفيان: يعني العُزّى. رويناه من حديث أبي الوليد، عن جدّه سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن من حدّثه، وذكره. وكان سدنةُ العزّى بنو شيبان من بني سُليم، حلفاء بني هاشم، وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظّمها. فكانوا إذا فرغوا من حجّهم وطوافهم بالكعبة، لم يحلُّوا حتى يأتوا العزّى، فيطوفون بها ويحلّون عندها، ويعكفون عندها يوما.

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا محمد بن ناصر، أنا الحسن بن أحمد، أنا الأزهري، ثنا أبو الطيّب بن حمدان، ثنا إسماعيل، ثنا عباس، ثنا عبيد بن إسحق العطّار، ثنا محمد بن مبشّر القيسي، عن عبيد الله بن[2] الحسن، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب، قال: يجتمع في كلّ يوم عرفة، بعرفات، جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام. فيقول جبريل: ما شاء الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله. فيردّ عليه ميكائيل: ما شاء الله، كلّ نعمة من الله. فيردّ عليهما إسرافيل: ما شاء الله، الخير كلّه بيد الله. فيردّ عليهم الخضر: ما شاء الله، لا يدفع السوء إلّا الله. ثمّ يفترقون، فلا يجتمعون إلى قابل في مثل ذلك اليوم.

موعظة

ألا يا عسكر الأحياء هذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى وهم منتظروا الكبرى

---

(١) النسخ عدا ج: يعدلونه.

(٢) ج، ي: - بن.

يحثّون على الزاد ولا زاد سوى التقوى
يقولون لكم جدّوا فهذا آخر الدنيا

ما من يوم إلّا والأرض تنادي بخمس كلمات: يا ابن آدم؛ تمشي على ظهري ثمّ مصيرك إلى بطني. يا ابن آدم؛ تفرح على ظهري وتحزن في بطني. يا ابن آدم؛ تذنب على ظهري ثمّ تعذّب في بطني. يا ابن آدم؛ تضحك على ظهري ثمّ تبكي في بطني. يا ابن آدم؛ تأكل الحرام على ظهري ثمّ يأكلك[١] الدود في بطني.

وقال عبد الرحمن: بلغنا أنّ الرجل إذا وُضع في قبره، فعُذِّبَ وأصابه[٢] ما يكره، نادته[٣] جيرانه من الموتى: أيّها المخلّف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه؛ أما كان لك فينا معتبَر؟ أما كان لك في تقدّمنا إيّاك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنّا[٤] في المهلة؟ فهلّا استذكرت هذا[٥] واعتبرت بمن غُيّب من أهلك في بطن الأرض مَن غرّته الدنيا قبلك؟

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا محمد بن أبي منصور، عن أبي طاهر بن الصقر، عن هبة الله بن إبراهيم الصوّاف، عن الحسن بن إسماعيل[٦] الضرّاب، عن أحمد بن مروان، عن أحمد بن محمد البغدادي، عن عبد المنعم، عن أبيه، عن وهب بن منبّه، قال: أصيب على قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، مكتوب في حجر:

إلهي جهولا[٧]! أمله يموت من جا أجلهْ
ومن دنا من حتفهِ لم تُغْنِ عنه حِيَلُهْ
وكيف يبقى آخِرٌ قد مات عنه أوّلهْ

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا محمد بن أبي منصور، عن علي بن الحسين بن أيوب، وثنا عبد الرحمن بن علي، قال: أنبأنا محمد بن أبي منصور، وعلي بن[٨] عمر، قالا: أنبأنا علي بن الحسين، أنبأنا أبو علي بن شاذان، أنبأنا إبراهيم بن محمد المزكي، ثنا محمد بن إسحق بن خزيمة،

---

(١) م، ي: تأكلك.
(٢) أ، ر، ن: أو أصابه.
(٣) أ، ر، ن: ناداه.
(٤) أ، ر، ن: + وأنت.
(٥) ج، م، ي: - هذا.
(٦) ج، م، ي: إبراهيم.
(٧) هامش ي: غرّ جهولا.
(٨) أ، ر، ن: + أبي.

ثنا محمد بن أحمد بن زيد[١]، وقال يونس بن زيد[٢]: أنبأنا عمرو بن عاصم، ثنا الحسن بن رزين، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، قال: لا أعلمه إلّا مرفوعا إلى النبيّ ﷺ. قال: يلتقي الخضر وإلياس في كلّ عام في الموسم، فيحلُق كلّ واحد منهما رأس صاحبه، ويتفرّقان[٣] عن هؤلاء الكلمات: باسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلّا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلّا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قال: وقال ابن عباس: من قالهنّ حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات، آمنه الله من الغرق والحرق والسرق، قال[٤]: وأحسبه قال: ومن الشيطان ومن السلطان ومن الحيّة والعقرب.

خبر الأربعين الرجبيّين[٥] والأبدال

اعلم أنّ لله أربعين رجلا في خلقه ينظر إليهم، فيأخذهم عن حركاتهم فيقعدهم، لا يستطيعون حراكا شهر رجب كلّه، من أوّله إلى آخره، وما عندهم خبر من حالهم، ولا مما يرد عليهم غير ما عرّفهم الحقّ به في تلك الأخذة، وذلك في كلّ سنة. فإذا انقضى الشهر لم يبق عند واحد منهم[٦] خبر في[٧] حال غير ما كان عرفه، ولا يبقى له كشف ولا اطّلاع، ولا نداء من ذلك العالم، ولا شيء، إلى أن يستهلّ رجب، فيرجع عليهم ذلك الحال. فلا يزال بهم إلى انقضاء الشهر، فيرون من العجائب في تلك الحال، ومن الكوائن ما شاء الله. غير أنّ بعضهم قد تبقى[٨] معه في طول السنة علامة مقصورة على إدراك أمر مّا لا غير.

وقد اجتمعنا برجل منهم[٩] في شهر رجب وهو محبوس في بيته، حبسته هذه الحالة[١٠]

---

(١) أ، ر، ن: زندا. ج، ي: ريدا.
(٢) أ، ر، ن: + لم يقل زندا.
(٣) ج، م، ي: ويتفرقا.
(٤) ج، م، ي: - قال.
(٥) في النسخ: والرجبيين.
(٦) ج، م، ي: - منهم.
(٧) ج، م: من.
(٨) ج، ي: يبقى.
(٩) ج، م، ي: - منهم.
(١٠) أ، ر، ن: الحال.

بدنيسير[١]، وهو بائع للجزر والخضر من العامّة، غير أنّي سألته عن[٢] حالته، فأخبرني بكيفيّتها على ما كان[٣] علمي فيها. وكان يخبر بعجائب، فسألته: هل تبقى لك علامة في شيء، فقال: نعم، لي علامة من الله في الرافضة خاصة. أراهم في صور الكلاب، لا يسترون عنّي أبدا، وقد رجع منهم على يده جماعة مستورون، لا يعرفونهم أهل السنّة، إلّا أنّهم منهم عدول، فدخلوا عليه، فأعرض عنهم، وأخبرهم بأمرهم، فرجعوا وتابوا، وشهدوا على أنفسهم بما[٤] أخبر عنهم، مما ليس عند أحد منهم خبر.

وحدّثنا محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن عن عبد الله بن علي عن الحسن بن أحمد بن طلحة، عن محمد بن عبد الله الحنائي، عن عثمان بن أحمد الدقّاق، عن إسحق بن إبراهيم الختلي، عن عثمان بن سعيد الأنطاكي، عن علي بن الهيثم المصيصي، عن عبد الحميد بن بحر، عن سلام الطويل، عن داءود بن يحيى، عن مولى عون الطفاوي، عن رجل كان مرابطا في بيت المقدس وبعسقلان، قال: رأيت رجلا وأنا بوادي الأردن، قائمًا يصلّي، وسحابة تظلّه[٥] من الشمس، فلمّا صلّى سلّمت عليه، وقلت له[٦]: من أنت؟ فقال: إلياس النبيّ. فقلت: أدع لي، فقال: يا برّ يا رحيم، يا حيّ يا قيّوم، يا حنّان يا منّان، يا هيا شراهيا، فذهب عنّي ما كان أصابني من هيبته. فسألته: هل يوحى إليه اليوم؟ قال: منذ بُعث محمد عليه الصلاة والسلام، فلا. قلت: كم من الأنبياء أحياء[٧]؟ قال: أنا والخضر وإدريس وعيسى. قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم، في كلّ عام بعرفات. قلت: فكم الأبدال؟ قال: هم ستون رجلا: خمسون ما بين عريش مصر[٨] إلى شاطئ الفرات، ورجلان بالمصيصة، ورجل بأنطاكية، وسبعة في سائر الأمصار. بهم تُسقون الغيث، وبهم تُنصرون على العدو، وبهم يقيم الله أمر الدنيا[٩]، حتى إذا أراد أن يهلك، يعني الدنيا، أماتهم جميعا.

---

(١) رسمها في النسخ: دنيصر. وهي بلدة قرب ناردين ونصيبين.

(٢) أ، ر، ن: في.

(٣) أ، ر، ن: ما كان في.

(٤) ر، م، ي: ما.

(٥) م، ي: تظلله.

(٦) ج، م، ي: فقلت.

(٧) أ، ر، ن: في الحياة.

(٨) ج، م، ي: ما بين العريش.

(٩) ج، م، ي: الدين.

قلت: لا ينقص الأبدال عن[1] سبعة نفر، ويزيدون إلى ما شاء الله، ليس لهم حدٌّ معروف في الزيادة، واقتصار إلياس على الستين، إنما ذكر الموجودين منهم[2] في ذلك الزمان الذي سئل فيه لا غير. وفصّل له تفريقهم في مساكنهم، وأبان له أنّ فيهم من هو لازم موضعا مّا، ومن هو سائح، والله أعلم بخلقه.[3]

ولهيار الديلمي في حنين الإبل وسيرها

يا سائق الأضعان أر ... ود بعض ما تعسّفُ
فإنّ بين سوقها ... أفئدة تُختطفُ
يا زمني على الغضى ... ما أنت إلّا الأسفُ
لهفي عليك ماضيا ... لو ردّك التلهّفُ

وله أيضا في هذا الباب:

إذا فاتها روض الحمى وجنوبه ... كفاها النسيمُ البابليُّ وطيبهُ
فدعها تلسُّ العيشَ طوعَ قلوبها ... فأمرَعُ[4] ما ترعاه ما تستطيبُهُ
وإنّ الثمادَ البَرْضَ[5] في عزِّ قومها ... لأنقَعُ من جمّ يُذَلُّ غريبُهُ
يلوم على نجد ضنينٌ بدمعه ... إذا فارق الأحبابَ جفّتْ غُروبُهُ
وما الخلُّ إلّا مَن فؤادي فؤاده ... لأهل الغضى أو مَن حبيبي حبيبهُ

وله أيضا من هذا الباب:

هل السائق الغضبان يملك أمره ... فما كلّ سير اليعملاتِ وحيدُ
رويدا بأخفاف[6] المطيّ فإنما ... تُداس جباهٌ تحتها وخدودُ

روينا من حديث المالكي، قال: أنشدني ابن قتيبة:

وكم من ماجد أضحى عديما[7] ... له عقل وليس له زمانُ

---

(١) أ، ر، ن: أبدا عن.
(٢) ج، م، ي: - منهم.
(٣) انتهى السمر.
(٤) المريع: الكلأ، الخصب.
(٥) الثماد: الحفرة يكون فيها الماء القليل. البرض: القليل.
(٦) ر، م: بأحقاف.
(٧) ج، م، ي: هذا الشطر غير واضح في هذه النسخ.

كفى بالمرء عيّا أن تراه له وجه وليس له لسانُ
وما حُسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسنَ البيانُ

وقال أيضا: أنشدني الحسن بن علي، أنشدنا محمود[1]:

ما أفضح الموت للدنيا وزينتها جدّا وما أفضح الدنيا لأهليها
لا ترجعنّ إلى الدنيا بلائمة فعذرها لك بادٍ في مساويها
لم يبق من عيبها شيء لصاحبها إلّا وقد بيّنته في معانيها
تفني البنين وتفني الأهل دائبة وتستليم إلى من لا يعاديها
فما يزيدهم قتلَ الذي قتلت ولا العداوةَ إلّا رغبة فيها

وقال أيضا: أنشدني محمد بن فضالة لغيره فيمن انقطع إلى الله ﷻ:

فهم بين أهل الأرض في الأرض قد أووا إلى كنفٍ رحبٍ مصونون في سترِ
أئمّة حقٍّ يشرحون سبيله بألسنة صينت عن اللغو والهجرِ

خبر حسان وعمرو ابني أبي كرب تبّان أسعد تبّع الذي كسا الكعبة

قال ابن إسحق: سار حسان بن أسعد بأهل اليمن، يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم، حتى إذا كان ببعض أرض العراق بالبحرين، كرهت حمير وقبائل اليمن السير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهليهم. فكلّموا أخا له يقال له: عمرو، فقالوا له: اقتل أخاك حسان ونملّكك علينا، وترجع بنا إلى بلادنا، فأجابهم. فاجتمعوا على ذلك إلّا ذا[2] رعين الحميري، فإنّه نهاه عن ذلك، فلم يقبل منه، فقال ذو رعين:

ألا من يشتري سهرًا بنومِ سعيدٌ من يبيت قرير عينِ
فأمّا[3] حميرٌ غدرتْ وخانتْ فمعذرة الإله لذي رعينِ

قال ابن إسحق: ثمّ كتبها[4] في رقعة، وختم عليها، ثمّ أتى بها عمرا، فقال له: ضع لي هذا الكتاب عندك، ففعل. ثمّ وثب عمرو على أخيه فقتله. فسمّوه موثبان، لوثوبه على أخيه،

(١) هو محمود الوراق.
(٢) ج، ي: ذو.
(٣) ج، م، ي: وأمّا.
(٤) أ، ر، ن: كتبها.

ورجع بمن معه إلى اليمن. فقال رجل من حمير[١]:

لاهِ عينا[٢] الذي رأى مثل حسّا ن قتيلا في سالف الأحقابِ
قتلتهُ مقاول خشية الجيش غداة قالوا لباب لبابِ
ميّتكم خيرنا وحيّكم ربٌّ علينا وكلّكم أربابِ

قال ابن إسحق: فلمّا نزل عمرو بن تبّان اليمن، مُنع منه النوم، وسلّط عليه السهر. فلمّا جهده[٣] ذلك، سأل الأطبّاء والعرّافين والحزاة من الكهّان عمّا به: فقال له قائل منهم: إنّه واللهِ ما قَتل رجل قطّ أخاه أو ذا رحِمه بغيا على مثل ما قتلتَ أخاك عليه، إلّا ذهب عنه[٤] نومه، وسلّط عليه السهر. فلمّا قيل له ذلك: جعل يقتل كلَّ من أمرَ بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن، حتى خلص إلى ذي رعين، فقال له ذو رعين: إنّ لي عندك براءة، قال[٥]: وما هي؟ قال: الكتاب الذي دفعته. فأخرجه فإذا فيه البيتان. فتركه[٦]، ورأى أنّه قد نصحه، وهلك عمرو.

"لباب لباب" بلغة حمير معناه[٧]: لا بأس، ويروى "لياب" بالياء بنقطتين من تحت[٨]، والمَقاول: الملوك، و"لاهِ"، بمعنى لله. حكي عن سيبويه أنّه قال: يقولون: لاه أبوك بمعنى لله أبوك، ويحذفون لام الإضافة، واللام الأخرى.

وممّن عمل ليوم العقَبة، ما حدّثنا به يونس بن يحيى، ثنا محمد بن ناصر، ثنا أحمد بن الحسن بن خيرون، قال: قرأ علي بن شاذان، أنّ أحمد بن كامل أخبره، ثنا محمد بن يونس، عن الأصمعي، عن شبيب[٩] بن شيبة، قال: كنّا بطريق مكة وبين أيدينا غداؤنا في يومٍ صائف، وإذا بأعرابيّ معه زنجيّة، يقول لنا: أفيكم من يكتب لي كتابا؟ قلنا له: أصب من غدائنا، فإذا فرغنا كتبنا لك ما سألت. قال: إنّي صائم، فتعجّبنا[١٠] من صومه في تلك البرّيّة!

---

(١) ج، م، ي: - فقال رجل من حمير.
(٢) ج، م، ي: عين.
(٣) ج، م، ي: جهد.
(٤) أ، ر، ن: - عنه.
(٥) أ، ر، ن: فقال.
(٦) ج، م، ي: وتركه.
(٧) ج، م، ي: - معناه.
(٨) النسخ عدا ج: بنقطتين تحتها.
(٩) ج، م، ي: شيبة.
(١٠) أ، ر، ن: فعجبنا.

فلمّا فرغنا من غدائنا دعوناه، فقلنا له: ما تريد؟ فقال: أيّها الرجل؛ إنّ الدنيا قد كانت ولم أكن فيها، وستكون ولا أكون فيها، وإنّي أريد[1] أن أعتق جاريتي هذه لوجه الله ﷻ ثمّ ليوم العقبة. ثمّ قال: تدري ما يوم العقبة؟ قوله ﷻ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ. فَكُّ رَقَبَةٍ﴾[2]. اكتب ما أقول لك، ولا تزِد عليّ حرفا: هذه فلانة خادمة فلان، قد أعتقَها لوجه الله ﷻ ثمّ ليوم العقبة. قال شبيب: فقدمتُ البصرة، وأتيتُ بغداد، فحدّثت بهذا الحديث المهدي. فأعتق المهدي مائة نسمة على عهدة الأعرابي.

ومن وقائع أصحاب الكشوف، ما حدّثنا به عبد الله بن الأستاذ المورواري قال: رأى بعض الفقراء ببجاية[3] في واقعته صورة حقٍّ يقول للشيخ أبي مدين رحمه الله:

يا شيخ قرّبتك منّي حتّى كأنّك إنّي
وناديت سرّك، إيّاك أعني بمعنى معناك، فكنت منّي[4]

فجاوبه الشيخ:

سبحانك سبحانك، أدنيتني منك، فأفنيتني عنّي
بحقّ حقّك يا حقّ، بوجودك صِلني فأنت مناي يا غاية المتمنّي

ثمّ قال[5]: سمعت الحقّ ناداه: بي قل، وعليّ دُل، فأنا الكلّ.

وصيّة

رويناها من حديث الدينوري، عن جعفر بن محمد، عن عيسى بن سليمان عن ضمرة، قال؛ يقال: ثلاثٌ من لم تكن فيه لم يجد طعم الإيمان: علم[6] يحجزه عن جهل الجاهل، وورع يحجزه[7] عن المحارم، وخُلق يعاشر به الناس.

---

(١) أ، ر، ن: أردت.
(٢) [البلد: ١١ - ١٣]
(٣) م، ي: - ببجاية.
(٤) اختلفت النسخ في هذا البيت كما يلي:
أ، ر، ن: وناديت سرك فقلت إياي تعني تمعنى معناك فكنت مني
م: وناديت سرك إياك تفني تمعنى بمعناك فكنت مني
ي: وناديت سرك إياك تعني تمعنى معناك فكنت مني
(٥) أ، ر، ن: قال: ثمّ.
(٦) أ، ر، ن: حلم.
(٧) م، ي: يحجره.

موعظة

من روايتنا عن ابن مروان، عن إبراهيم بن نصر، عن الزيادي، عن الأصمعي، قال: دخلتُ بعض الخيام، فإذا أنا بجارية، واللهِ ما أحسبها أتت عليها عشر سنين، وهي تقول:

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألحدوكا
وكيف أذوق لذيذ الكرى وأنت بيمناك قد وسّدوكا

دعاء حسن

ومن روايتنا، عن ابن مروان، عن أحمد بن علي، عن الأصمعي، عن أبيه، قال: سمعتُ أعرابيّة تقول داعية لله ﷻ: اللهمّ متّعنا بخيارنا، وأعِنّا على أشرارنا، واجعل الأموال في سمحائنا.

وبه قال: حدّثنا النضر بن عبد الله، قال: أخبرنا الأصمعي، قال: سمعت أعرابيّا عند الملتزم، يقول: اللهمّ أعنّي على الموت وكُربته، وعلى القبر وغُربته[1]، وعلى الميزان وخفّته، وعلى الصراط وزلّته، وعلى يوم القيامة وروعته.

قلت: وسمعت بعض المذكِّرين يقول في خطبته: اذكروا ألم الموت وسكرته، وعذاب القبر وظلمته، وهول المحشر وبغتته، والسؤال وغلظته، والميزان وخفّته، والصراط وزلّته، والقصاص وحسرته.

أعرابيّة المحتد عربيّة المشهد

حدّثنا بشأنها عبد الرحمن كتابة. قال: أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنا ابن العلّاف، أنا عبد الملك بن بشران، ثنا أحمد بن إبراهيم الكندي، عن جعفر بن محمد الخرائطي، ثنا ابن الجنيد، ثنا محمد بن الحسين، عن الصلت بن حكيم، حدّثني ابن السمّاك، عن امرأة من أهل البادية، قال: سمعتها تقول يوما: لو تطالعتْ[2] قلوبُ المؤمنين بفكرها، إلى ما ادُّخر لها في حجب الغيوب من خير الآخرة، لم يطب[3] لهم عيش، ولا تقرّ[4] لهم في الدنيا عين.

---

(١) أ، ر، ن: وغمّته.
(٢) ج، ي: تطلعت.
(٣) أ، ر، ن: يصف.
(٤) أ، ر، ن: ولم يقرّ.

خبر ابن قارب مع هاتفه

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، ثنا أبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا بشر بن حجر الشامي، ثنا علي بن منصور الأنباري، عن عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، عن محمد بن كعب القرظي، قال: بينا عمر بن الخطاب ﷺ قاعد في المسجد، إذ مرّ رجل في مؤخّر المسجد، فقال رجل: يا أمير المؤمنين؛ أتعرف هذا المار؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا سَواد بن قارِب، وهو رجل من أهل اليمن له فيهم شرفٌ وموضِع، وهو الذي أتاه رَئِيُّهُ[1] بظهور رسول الله ﷺ! فقال عمر: عليّ به، فدعي به. قال: أنت[2] سَواد بن قارب؟ قال: نعم، قال: أنت[3] الذي أتاك رَئِيُّك بظهور رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فأنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضبَ سواد بن قارب، وقال: يا أمير المؤمنين؛ ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت. فقال عمر ﷺ: يا سبحان الله؛ واللهِ[4] ما كنّا عليه من الشرك، أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك؛ أخبرني بإتيانك رَئِيُّك بظهور رسول الله ﷺ. فقال: نعم يا أمير المؤمنين؛ بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، إذ أتاني رئِيّي فضربني برجله وقال: قم يا سواد بن قارب، وافهم واعقل إن كنتَ تعقل؛ إنّه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثمّ أنشأ يقول:

عجبتُ للجنّ وتحساسها وشدِّها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما خَيِّروا الجنّ كأنجاسها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشم واسْمُ بعينيك إلى راسها

قال: فلم أرفع بقوله رأسا، وقلت: دعني أنم فإنّي أمسيت ناعسا[5]. قال: فلمّا أن كان الليلة الثانية، أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب؛ قم وافهم واعقل إن كنت تعقل، إنّه بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته؟ ثمّ أنشأ يقول:

عجبت للجنّ وتطلابها وشدِّها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما صادِقوا الجنّ ككُذّابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ليس قُداماها كأذنابها

---

(١) الرَّئِي: جنّي يُرى فيُحبّ ويؤلف.
(٢) ج، م، ي: - أنت.
(٣) أ، ر، ن: فأنت.
(٤) ج، م، ي: - والله.
(٥) ج: - قال: فلم أرفع بقوله رأسا، وقلت: دعني أنم فإنّي أمسيت ناعسا. ي: - كل ما يتعلق بالليلة الثانية.

قال: فلم أرفع بقوله رأسا. فلمّا أن كانت الليلة الثالثة، أتاني فضربني برجله، وقال: ألم أقل لك يا سواد بن قارب؛ افهم واعقل إن كنت تعقل، إنّه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثمّ أنشأ الجنّي يقول:

عجبت للجنّ وأخبارها وشدّها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكة تبغي الهدى ما مؤمِنوا الجنِّ ككفّارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم بين رواييها وأحجارها

قال[1]: فوقع في نفسي حبّ الإسلام، ورغبتُ فيه. فلمّا أصبحتُ شددت على راحلتي، وانطلقت متوجّها إلى مكة، فلمّا كنت ببعض الطريق، أُخبرت أنّ النبيّ ﷺ قد هاجر إلى المدينة، فأتيتُ المدينة، فسألت عن النبيّ ﷺ فقيل[2] في المسجد، فانتهيت إلى المسجد[3] فعقلتُ ناقتي، وإذا رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلتُ: اسمع مقالتي يا رسول الله، فقال: أبو بكر[4] أدنه أدنه، فلم يزل بي حتى صرتُ بين يديه، فقال: هات فأخبرني بأتيان رئِيّك فقلت:

أتاني رئِيّي[5] بعد هدءٍ ورقدةٍ ولم يكُ فيما قد بلوت بكاذبِ
ثلاث ليال قوله كلّ ليلة أتاك[6] رسولٌ من لؤيّ بن غالبِ
فشمّرتُ من ذيل الإزار ووسطتْ بي الذعلب الوجناء بين السباسبِ[7]
فأشهد أنّ الله لا ربّ غيره وأنّك مأمور[8] على كلّ غائبِ
وأنّك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايبِ
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى وإن كان فيما جاء شَيب الذوائبِ
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سِواك بمغنٍ عن سَواد بن قاربِ

قال: فسُرَّ رسول الله ﷺ وأصحابه بقصّتي وإسلامي. فوثب إليه عمر فالتزمه، وقال: قد كنتُ أحبّ أن أسمع هذا منك.

---

(١) أ، ر، ن: - قال.
(٢) أ، ر، ن: فقيل لي.
(٣) ج، م، ي: - فانتهيت إلى المسجد.
(٤) ج، م، ي: يا أبا بكر.
(٥) أ، ر، ن: بجنّ. ج، م، ي: بجنّي.
(٦) ج، ي: أتانا.
(٧) الذعلب: الناقة السريعة. السباسب: المفاوز
(٨) ج، م، ي: مأمون.

الذعلب والذعلبة: الناقة السريعة.

نصيحة الجرهمي لعمرو بن لحي

روينا من حديث أبي الوليد أنّ عمرو بن لحي، لمّا غير دين إبراهيم عليه السلام، وكان أمره بمكة[1] عند العرب مطاعا، وما شرع لهم من دينٍ متّبَعا؛ سيّب السوائب، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي، وبحر البَحِيرة، ونصب الأصنام حول الكعبة، وجاء بِـ"هُبَل" من "هِيت" من أرض الجزيرة، فنصبه في بطن الكعبة. وكان بمكة رجل من جرهم على دين إبراهيم وإسماعيل، وكان شاعرا، فقال لعمرو بن لحي حين غيّر دين الحنيفيّة:

يا عمرو لا تظلم بمكة إنّها بلد حرامْ
سائل بِعادٍ أين هم وكذاك مخترم[2] الأنامْ
وبني العمالقة الذين لهم بها كان السوامْ

فزعموا أنّ عمرو بن لحي أخرج ذلك الجرهمي من مكة[3] فنزل بإضم، من أعراض المدينة[4]، مدينة النبيّ ﷺ نحو الشام. فقال الجرهمي وتشوّق إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً وأهلي بها[5] بالمأزمين حلولُ
وهل أرينّ العيس تنفخ في الثرى لها بمنى والمأزمين ذميلُ[6]
منازل كنّا أهلها لم يحل بنا زمانٌ بها فيما أراه يحولُ
مضى أوّلونا راضيين بشأنهم جميعا وغالتني بمكة غولُ

تفسير ما ذكرنا من البَحيرة والسائبة والوصيلة والحام:

البحيرة فيما ذكر المفسّرون: الناقة كانت في الجاهلية، إذا نتجتْ خمسة أبطن، وكان آخرها ذكرا، بحروا أذنها أي شقّوها، ولم يذبحوها ولم يركبوها، ولم تُطرد من ماء، ولا تمنع من مرعى، ولم يركبها أحد. وقال الكلبي: كانت إذا نتجت خمسة أبطن، فكان الخامس ذكرا، أكله الرجال دون النساء. وإن كان أنثى بحروا أذنها أي شقّوها[7]، وتُرِكت لا يُشرب لها لبن ولا

(١) ج، م، ي: - بمكة.
(٢) أ، ر، ن، ي: محترم.
(٣) ج، م، ي: - من مكة.
(٤) م، ي: بأعراض المدينة.
(٥) أ، ر، ن: معا.
(٦) الذَّميل: السير اللين.
(٧) ج، ي: بحروا أذنها وشقوها.

تُركب. وإن كانت ميتة اشترك فيها الرجال والنساء. يقال بحرت أذن الناقة[1]، إذا شققت منها واسعا. والناقة بحيرة ومبحورة[2].

وأمّا السائبة، فقيل: هو ما كان أحدهم يفعله إذا مرِض، فينذر إن شفي أن يسيّب ناقته. فإذا فعل ذلك لم تمنع من ماء ولا كلأ، وقد يسيّبون غير الناقة، وكانوا إذا سيّبوا العبد لم يكن عليه ولاء. وقيل: إذا كانت الناقة، إذا تتابعت اثنتا عشرة أنثى، ليس فيها ذكر، سُيّبت، فلم تُركب ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها، فما نتجتْ بعد ذلك من أنثى، شُقّت أذنها وخلّيت مع أمها، فهي البَحيرة بنت السائبة.

والوَصِيلة من الغنم، إذا ولدت الشاة سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكرا ذبحوه وكان لحمه للرجال دون النساء، وإن كان أنثى لم يذبحوها، وإن كان ذكرا وأنثى قالوا وصلتْ أخاها ولم يذبحوها. قال ابن عباس: ولم يشرب من لبنها غير الذكور خاصة. وإن كان ميتة أكلها الرجال والنساء، وتلا: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾[3] الآية. وقيل: إنّ الوصيلةَ الشاةُ تنتج عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس فيها ذكر. فيقولون: وصلتْ، فما ولدت بعد ذلك فهو للذكور دون الإناث، إلّا أن يموت منها شيء، فيشترك في أكله الذكور والإناث.

وأمّا الحامي، فهو البعير ينتج من ظهره عشرة أبطن ذكورا وإناثا، فيقولون: قد حمى ظهره، ويخلّى فلا يُركب. وقيل: هو الفحل ينتج من ظهره عشر إناث متتابعات، ليس بينهنّ ذَكر. فيقولون: قد حمى ظهره، فلا يُركب ولا يُجز ولا يُنتفع به لغير الضِّراب. وقال ابن عباس: هو البعير الذي يركب أولاد أولاده.

موعظة نبويّة[4]

قال رسول الله ﷺ: «اتّقوا الله حقّ تقاته، واسعَوا في مرضاته، وأيقِنوا من الدنيا بالفناء، ومن الآخرة بالبقاء، واعملوا لما بعد الموت. فكأنّكم بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل، ألا وإنّ مَن في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، وإنّ الضيف مرتحِل، والعارية مردودة، ألا وإنّ الدنيا عرَض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، والآخرة وعدٌ صادق يحكم فيها ملك قادر، فرحم الله امرءا نظر لنفسه، ومهّد لرمسه، ما دام رسنه مُرخى، وحبله على غاربه مُلقى، قبل أن ينفد

---

(١) ج، م، ي: اللبن.

(٢) ج، م، ي: بحيرة مبحورة.

(٣) [الأنعام: ١٣٩]

(٤) تكررت هذه الموعظة قبل المثل السائر الوارد بعد صفحتين في جميع النسخ.

أجله، وينقطع عمله».

لِعفوك يا مولى الموالي تشوُّفي فكن لي وليّا في مقامي وموقفي
فها أنا بالباب المعظّم قدرُهُ مقِلّ من التقوى كثير التخوّفِ
فَجُد لي بعفو منك يستر زلّتي فما زلتَ ذا فضل كثير التعطّفِ

وممن ابتلي بعهدٍ فوفى موسى المصطفى

ثنا محمد بن قاسم، ثنا عمر بن عبد المجيد بن عمر بن حسن بن محمد بن أحمد القُرشي الميانشي، قال: نادى الله تعالى موسى بن عمران عليه السلام: يا ابن عمران؛ لا تخيّب من قصدك، وأَجِرْ من استجارك. قال: فبينما موسى عليه السلام في سياحته، إذا[1] بجارح يطلب[2] حماما، فلمّا رآه الحمام نزل على كتفه مستجيرا به، ونزل الجارح على الكتف الآخر، فلمّا همّ به الجارح نزل الحمام على كمّه، فناداه الجارح بلسان فصيح: يا ابن عمران؛ إنّي قاصدك، فلا تخيّبني، ولا تحل بيني وبين رزقي. وناداه الحمام يا ابن عمران؛ إنّي مستجير بك فأجِرني. فقال موسى: ما أسرع ما ابتليت به، ثمّ مدّ يده ليقطع قطعة من فخذه للجارح وفاء لهما، وحِفظا لما عهد إليه فيهما. فقالا له[3]: يا ابن عمران؛ لا تعجل[4]؛ إنّا رُسل ربّك أرسلنا إليك ليرى صحّة ما عهد إليك.

أيا سامعا ليس السماع بنافع إذا أنت لم تفعل فما أنت سامعُ
إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزا فما أنت في يوم القيامة صانعُ

وقال آخر:

لمّا غلبت وزاد الشوق في ألمي وقفت للذكر مغلوبا على قدمي
ولو قدرتُ جعلت العين لي قدما يا ذا التفضّل والآلاء والكرمِ
أشتاق ذكرك والتعظيم يمنعني والشوق يملأ ألفاظي به وفمي
فها أنا بين شوق لا أقوم به وبين حسرة مغلوب ومحتشمِ

وقال الآخر:

---

(١) أ، ر، ن: وإذا.
(٢) أ، ر، ن: يطرد.
(٣) ج، م، ي: - له.
(٤) ج، م، ي: - لا تعجل.

إن قلت عبدك لم أطق نطقا به خوفا من الزلّات والعصيانِ
فالعبد[1] يبذل في التقرّب جهده لا يستطيع تجاوز الإمكانِ
فارحم بفضلك قلّتي وتحيُّري وَصِلِ التجاوز منك بالإحسانِ

سمعت محمد بن قاسم، قال: سمعت عمر بن عبد المجيد يقول؛ قال بعض السادة: رأيت رجلا في تيه بني إسرائيل قد لوّحته العبادة، حتى صار كالشنّ البالي، فقلت له: ما الذي بلغ بك هذه الحالة؟ فنظر إليّ منكِرا لسؤالي، وقال: ما أظنّك من جملة الأحبّاء. هذا[2] ثقل الأوزار، وخوف النار، والحياء من الملك الستّار.

لمّا ذكرتُ عذاب النار أزعجني ذاك التذكّر عن أهلي وأوطاني
فصرتُ في القفر[3] أرعى الوحشَ منفردا كما تراني على وجدي وأحزاني
وذا قليل لمثلي بعد جرأته فما عصى اللهَ عبدٌ مثل عصياني
نادوا عليّ وقولوا في مجالسكم هذا المسيء وهذا المذنب الجاني
فما ارعويتُ ولا قصّرتُ من زللي ولا غسلت بماء الدمع أجفاني
لكن ذكرتُ جوادا ماجدا صمدا يعفو ويصفح ذا عفو وإحسانِ
سبحانه ماجدا جلّت عوارفه فهو الجواد بعفوٍ منه للجاني
هذا اعتقادي ولو صُيّرت في قرن مع الشياطين في أدراك نيرانِ
يا ربّ عفوا فظَنّي فيك متّسع فاغفر[4] بفضلك إسراري وإعلاني[5]

مثلٌ سائر

كلبٌ جوّالٌ خير من أسدٍ رابض.

يقول الحكيم: لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكلّ مكان؛ فإنّ الكريم محتال، والدني عيّال، وأنشد:

فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتُعذرا
ولا ترضَ من عيش بدونٍ ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معسِرا

(١) أ، ر، ن: والعبد.
(٢) أ، ر، ن: من جملة الأحياء. يا هذا.
(٣) ج، ر، ن: الفقر.
(٤) م، ي: واغفر.
(٥) انتهى السمر.

ولحبيب بن أوس الطائي:

وطول مقام المرء في الحيّ مخلِقٌ لديباجتيه فاغترب تتجدّدِ[1]
فإنّي رأيت الشمس زيدتْ محبّة إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمدِ

وكان ابن السمّاك يقول: لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض، وكن اليوم مشغولا بما أنت عنه مسئول غدا. وإيّاك والفضول فإنّ حسابها يطول.

إنّي علمتُ وخير العلم أنفعه إنّ الذي هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فَيُعَنّيني تَطَلُّبُهُ ولو قعدتُ أتاني لا يُعنّيني[2]

قال بعض الأعراب: كيف يفرح عاقل بعمر تنقصه[3] الساعات؟ وسلامة بدن معرَّض للآفات؟ فلقد عجبت من المرء يفرّ من الموت وهو سبيله، ولا أرى أحدا إلّا سيدركه الموت؟

روينا من حديث علي بن الجهم، قال: كنت في مجلس محمد بن عمرو بن مسعدة، فأقبلتْ جارية كأنّها البدر ليلة التمام، بلونٍ كأنّه الدرّ في البياض، مع احمرار خدّين كشقائق النعمان، فسلّمت، فقال لي محمد: يا أبا الحسن؛ هذه الجنّة التي كنتم توعدون! فقالت:

وما الوعد يا سؤلي ومنية مهجتي فإنّ فؤادي من مقالك طائرُ

فقال لها محمد[4]:

أما وإله العرش ما قلت سيّئا وما كان إلّا أنّني لكِ شاكِرُ

فقال ابن الجهم:

أمسِك فديتك عن عتاب محمد فهو المصون لودّه المتجاذر[5]

قال ابن الجهم: فأقبلتْ تحدّثنا؛ فإذا عقلٌ كامل، وجمال فاضل، وحسن قاتل[6]، ورِدف مائل. فقلت لها[7]: لقد أقرّ الله عينا تراك. فقالت: أقرّ الله أعينكم[8]، وزادكم سرورا وغبطة.

---

(١) ر، م، ن: يتجدد.
(٢) البيتان لثابت بن قطنة (ت: ١١٠هـ).
(٣) أ، ن: ينقصه.
(٤) ج، م، ي: أبو محمد.
(٥) ج، م، ي: - هذا البيت وتقديمه.
(٦) أ، ر، ن: قابل.
(٧) أ، ر، ن: - لها.
(٨) ج، م، ي: عينكم.

ثمّ اندفعت تغنّي بنغمة لم أسمع أحسن منها:

أروح بهم من هواك مبرّح أناجي به قلبا كثير التفكّرِ
عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل إلّا أن يشاء ابن معمرِ

فما زلنا في يومنا ذلك[1] معها في الفردوس الأعلى، وما ذكرتها بعد[2] إلّا أسِفْتُ عليها وعلى فراقها[3].

وروينا[4] من حديث ثور بن معن السلمي عن أبيه، قال؛ قال أبي:[5] دخلت على الخنساء في الجاهليّة، وعليها صدار من شَعر وهي تجهّز ابنتها، فكلّمتها في طرح الصدار، فقالت: يا أحمق؛ واللهِ لأنا أحسن منك عرسا، وأطيب منك درسا، وأرقّ منك نعلا، وأكرم منك بعلا.

وقال عبد الرحمن بن مرّة عن بعض أشياخه، أنّ عمر بن الخطاب ﵁ قال للخنساء: ما أقرح مآقي عينيك؟ قالت: بكائي على السادات من مضر. قال: يا خنساء؛ إنّهم في النار. قالت: ذاك أطول لعويلي عليهم.

وقيل: إنّها أقبلت حاجّة، فمرّت بالمدينة، ومعها ناس من قومها، فأتوا عمر بن الخطاب ﵁، فقالوا: هذه الخنساء[6]، فلو وعظتَها؛ فلقد[7] طال بكاؤها في الجاهلية والإسلام. فقام عمر ﵁، فأتاها، فقال: يا خنساء؟ فرفعتْ رأسها، فقالت: ما تشاء؟ قال: ما الذي أقرح مآقي[8] عينيك؟ قالت: البكاء على سادات مضر[9]. قال: إنّهم هلكوا في الجاهلية، وهم أعضاد اللهب وحشو جهنم. قالت: فذاك الذي زادني وجعا. قال: فأنشديني[10] ما قلتِ؟ قالت: أما إنّي لا أنشدك ما قلت قبل اليوم، ولكنّي أنشدك ما قلت الساعة، وقالت:

---

(١) ج، م، ي: - ذلك.
(٢) أ، ر، ن: بعد ذلك.
(٣) م، ي: فراقنا.
(٤) ج، م، ي: روينا.
(٥) ج، م، ي: إني.
(٦) أ، ر، ن: خنساء.
(٧) أ، ر، ن: فقد.
(٨) ج، م، ي: - مآقي.
(٩) ج، ن: السادات من مضر.
(١٠) أ، ر، ن: فأنشدني.

سقى جَدَثا أعراق غمرة دونه وبيشةَ ديمات الربيع ووابله
وكنت أعير الدمع قبلك مَن بكى فأنت على من فات قبلك شاغله
وأرعيهم سمعي إذا ذكروا الأسى وفي الصدر منّي زفرة لا تزايله

فقال عمر: دعوها، فإنّها لا تزال حزينة أبدا.

وممّا يستحسن الأدباء من شعرها قولها:

تفرّقني[1] الدهر قرعًا وغمزا وأوجعني الدهر نهشا ووخزا[2]
وأفنى رجالي فبادوا معا فأصبح قلبي لهم مستفزّا
كأن لم يكونوا حمى يُتّقى من الناس إذ ذاك من عزّ بزّا
وكانوا سراة بني مالك وزين العشيرة مجدا وعزّا
وهم في القديم صحاح الأديم والكائنون من البأس حِرزا
بسُمر الرماح وبيض الصفاح بالبيض ضربا وبالسمر وخزا
وخيل تكردس بالدارعِين وتحت العجاجة يجمزن جمزا[3]
جززنا نواصي فرسانها وكانوا يظنّون أن لا تُجزّا
ومَن ظنّ ممن يلاقي الحروب بأن[4] لا يصاب فقد ظنّ عجزا
نعفّ ونعرف حقّ القِرى ونتّخذ الحمد ذخرا وكنزا
ونلبس في الحرب نسج الحديد وفي السلم نلبس خزّا وقَزّا

حدّثنا أبو جعفر الوزغي، قال: روى الأصمعي، عن رجل من أهل الشام هو عبد الله بن الحارث، قال: قدمتُ المدينة، فقصدت منزل ابن هرمة، فإذا ابنة صغيره له تلعب، فقلت لها: أي بنيّة؛ ما فعل أبوك؟ قالت: يا عم؛ إنّه وفد إلى بعض الإخوان، قال؛ قلت: فانحري لنا ناقة؛ فإنّا أضيافك. قالت: يا عم؛ ما عندنا شيء، قلت: فباطلٌ ما قال أبوك! قالت: وما قال؟ قلت؛ قال:

كم ناقة قد وجأت منحرها بمستهل الشؤبوب أو جمل

(١) أ، م: يعرّفني. ج: تعرّقني. ر، ن، ي: تعرّفني.
(٢) النسخ عدا ج: وحزّا.
(٣) العجاجة: الإبل الكثيرة العظيمة. جمز: أسرع.
(٤) أ، ر، م، ي: أن. ن: وأن.

قالت: يا عم[١]؛ فذاك[٢] القول من أبي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء. قال: فعجبتُ من سرعة جوابها المسكِت.

ذكر أبو حيّان التوحيدي في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" أنّ الفرَس إذا وطيء أثر وطء الذئب ارتعد، وخرج الدخان من جسده كلّه. والذئب[٣] إن رأى الإنسان بطأ[٤] خطوه وهو ساكن[٥] سكت عنه، فإن رآه خاف وجَبُن اجترأ وحمل عليه. وإذا[٦] وطيء الذئب على ورق العُنْصُل[٧]، مات من ساعته. ولذلك يأتي الثعلب بها فيضعها في حجره، لئلّا يأتي الذئب فيأكل ولده.

حمار الوحش، إذا ولدت الأولاد الذكور، جاء الفحل فانتزع خصي تلك الذكور، وقطّعها بأسنانه لكيلا[٨] يصاد أو يشارك[٩] في طروقته. فربما تضع الأنثى أولادها في موضع لا يعرفه الفحل حتى تشتدّ، ولهذا[١٠] السبب تقلّ[١١] فيها الفحول.

الحريش: دابّة صغيرة، في جرم الجدي، ساكنة جدّا، غير أنّ لها[١٢] من قوّة الجسم وسرعة العَدْوِ ما يُعجز القانص. ولها في وسط رأسها قرن واحد، منتصب مستقيم به تناطح جميع الحيوان، فلا يغلبها شيء. وصورة الحيلة في صيدها، أن تتعرّض لها جارية حسناء[١٣] عذراء وضيئة، فإنّ هذه الدابة إذا رأت الفتاه، وثبتْ إلى حجرها كأنّها تريد الرضاع. وهذه محبّة فيها طبيعية ثابتة، فإذا صارت إلى حجر الجارية، أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها، حتى تصير كالنشوان من الخمر، والوسنان من النوم. فيأتيها القانص، وهي على تلك

(١) أ، ر، ن: يا عمّاه.
(٢) م، ي: فذلك.
(٣) النسخ عدا ج: الذئب.
(٤) ج، م، ن: يطأ.
(٥) ج، م، ي: ساكت.
(٦) أ، ر، ن: إذا.
(٧) العنصل: بقلة سهلية تنبت في مواضع الماء.
(٨) ج، م، ي: لئلا.
(٩) ج، م، ي: ويشاركه.
(١٠) ج، م، ي: وبهذا.
(١١) م، ي: يقل.
(١٢) ج، م، ي: غير أنها.
(١٣) أ، ر، ن: - حسناء.

الحالة، فيشدّها وثاقا على سكون منها بهذه الحيلة.

قال أبو حيان: يقال أنّ أسنان الرجل في فيه، اثنان وثلاثون سنّا[١]، وأسنان المرأة ثلاثون سنّا[٢]، وأسنان الخصي ثمان وعشرون سنّا. وأسنان الخصي من البقر أربع وعشرون سنّا. وأسنان الشاة إحدى وعشرون سنّا. وأسنان التيس ثلاث وعشرون سنّا[٣]. وأسنان العنز تسع عشرة سنّا. قال: ومن كان من الحيوان أسنانه قليلة فعمره قصير، ومن كان أسنانه كثيرة فعمره طويل.

قال: والفيل إذا ولد نبتت أسنانه في الحال. فأمّا أسنانه الكبار وأنيابه الطوال فتظهر إذا شبّ وكبر.

قال: والذي يكسب معاشه بالليل من الحيوان: البومة والوطواط.

قال: الرجال يشتاقون إلى الجماع في الشتاء، والنساء في الصيف[٤].

وقال: كلّ ما كان من البيض مستطيلا، محدّد[٥] الطرف يفرّخ الإناث. وما كان مستديرا عريض الأطراف يفرّخ الذكور. وقال: من الحيوان من إذا هاج ووقفت[٦] الأنثى قبالة الذكر، وهبّت الريح من ناحية الذكر مقبلة إلى ناحيتها حملت من ساعتها. قيل: اسم هذا الحيوان، القَبج.

وأخبرني جماعة، من جملتهم عمّي، وكان صاحب تاريخ وتجاريب. وقد وقع بيننا ذِكر الثعبان العظيم، فقال: تعرفون من أبوه ومن أمّه؟ قلنا: لا. قال: إنّ العُقاب ينكح الأنثى من الثعالب، فتحمل، فإذا حان وقت ولادتها، حفرت حفرة، ووضعت فيها قِطع لحم، لها ارتعاش وارتعاد، فيأكل[٧] بعضها بعضا تحت الأرض حتى تبقى واحدة، فينشأ من تلك الواحدة هذا التنّين العظيم.

---

(١) م، ي: ستّة.

(٢) ج، م، ي: - سنّا.

(٣) ج، م، ي: - وأسنان التيس ثلاث وعشرون سنّا.

(٤) ج، م، ي: - والنساء في الصيف.

(٥) م، ي: مجرّد.

(٦) أ، ر، ن: ووقعت.

(٧) ج، م، ي: فتأكل.

ولنا في أسماء الطبيعة

إنّ الضريبة والسليقة والخليقة والغريزه
هي الطبيعة والنجيبة والسجيّة والنحيزه
وكذاك شِنشنة يقال وشيمة لغة عزيزه

وكتب أبو هاشم الحرّاني إلى بعض الأمراء: غرضي من الأمير معوِز، والصبر على الحرمان معجِز.

وكتب بعضهم إلى صديق له: أمّا بعد؛ فقد أصبح لنا من فضل الله ما لا نحصيه، مع كثرة ما نعصيه. وما ندري ما نشكر؛ أجميل ما ينشر، أم كثير ما يستر، أم عظيم ما أبلى[1]، أم كثير ما عفا. غير أنّه يلزمنا في كلّ الأمور شكره، ويجب علينا حمده. فاستزِد الله في حسن بلائه، كشكرك على[2] حسن آلائه.

سئل بعض البلغاء عن النطق والصمت، فقال: أخزى الله المساكتة[3]؛ ما أفسدها للسان، وأجلبها للعيّ، ووالله لَمُمَاراة في استخراج حقٍّ أهدم[4] للعيّ من النار في يابس العرفج. فقيل له: قد عرفت ما في المماراة من الذم. فقال: ما فيها أقلُّ ضررا من السكتة التي تورث عللا، وتولد داء أيسره العيّ.

ولبعضهم في الكتمان:

صن السرّ بالكتمان يرضيك غِبُّهُ فقد يظهر السرّ المضيّع فتندم[5]

حدّثنا مصعب بن محمد شيخنا، قال: دخل أبو العتاهية على المهدي وقد ذاع شعره في عتبه، فقال له: ما أحسنت في حبّك، ولا أجملت في إذاعة سرّك، فقال:

من كان يزعم أن سيكتم حبّه حتى يشكّك فيه فهو كذوبُ
الحبّ أغلب للرجال بقهره من أن يرى للستر فيه نصيبُ
وإذا بدا سرّ اللبيب فإنّه لم يبد إلّا والفتى مغلوبُ

(١) أ، ر، ن: ما أبكي.
(٢) ج، م، ي: في.
(٣) ج، م، ي: الساكتة.
(٤) ج، م، ي: بأهدم.
(٥) ج، م، ي: فيندم.

إنّي لأحسد ذا هوى مستحفظا لم تتّهمه أعينٌ وقلوبُ

فاستحسن المهدي شعره، وقال: قد عذرناك على إذاعة سرّك. ووصلناك على حسن عذرك، إنّ كتمان السرّ أحسن من إذاعته.

لا يكتم السرّ إلّا كلّ ذي خطرٍ والسرّ عند كريم الناس مكتومُ
والسرّ عندي في بيت له غلقٌ قد ضاع مفتاحه والباب مردومُ

قال زياد: ليس للسرّ موضع إلّا أحد رجلين: إمّا صاحب آخرة يرجو ثواب الله، وإمّا صاحب دنيا له شرف في نفسه، وعقل يصون به حسبه، وهما معدومان في هذا الوقت.

مثلٌ سائر

"أبخل من صاحب نجيح".

حدّثنا أبو ذر بن محمد بن مسعود، قال: ذكر أنّ نجيحا بن سلكة اليربوعي خرج يوما إلى الصيد، فأثار حمار وحش، فمضى أمامه، واتّبعه نجيح، إلى أن دفعه إلى أكمة في فلاة عليها رجل قاعد. فدنا منه، فإذا هو أعمى أسود في أطمار، بين يديه ذهب وفضّة ودرّ وياقوت. فدنا نجيح من المال فتناول بعضه، فلم يستطع أن يحرّك به يده حتى ألقاه من يده، فقال: يا هذا؛ ما الذي بين يديك؟ وكيف يُستطاع أخذه؛ فإنّي لم أجد إليه سبيلا! فهو لك أم لغيرك؟ فإنّي أعجب مما أرى ومنه. فإن كنتَ أيّها الرجل جوادا، فإنّي[1] ذو حاجة إليه، فجد لي بما[2] شئت منه، وإن كنتَ بخيلا فأخبرني، أعذرك. فقال له الأعمى: اطلب رجلا قد غاب منذ سنين، وهو سعد بن خشرم بن شماس، فأتني به يعطِك ما تشاء مما ترى.

قال: فانطلق نجيح مسرعا، وقد استطار مما رأى فؤادُه، حتى وصل إلى قومه، ودخل خباءه، ووضع رأسه ونام لما به من الغمّ، لا يدري مَن سعد بن خشرم! فأتاه آتٍ في منامه، فقال له: يا نجيح؛ إنّ سعد بن خشرم، في حيّ بني محلّم، من ولد ذهل بن شيبان. فسأل[3] عن بني محلّم، ثمّ سأل[4] عن سعد بن خشرم بن شماس؛ فإذا هو شيخ قاعد على باب خبائه، يعني خشرم أبا سعد. فجاءه نجيح، وسلّم عليه، فردّ عليه خشرم السلام[5]، فقال له

(١) ر، ن: فأنا.
(٢) ج، م، ي: فجد بأي ما.
(٣) ج، م، ي: فاسأل.
(٤) ج: ثم سل. م: ثم سأل. ثم: اسأل.
(٥) ج، م، ي: - السلام.

نجيح: من أنت؟ قال: أنا خشرم. قال: فأين ابنك سعد؟ قال: خرج في طلب نجيح اليربوعي. قال: وما سبب طلبه إيّاه، ومن أين معرفته به؟ قال: إنّ آتِيًا أتاه في منامه، أنّ مالا له في نواحي بني يربوع، لا يعلم به إلّا نجيح اليربوعي[١]، فعرف نجيح القصة، وكتمه نفسَه[٢]. وضرب[٣] نجيح فرسه ومضى وهو يقول:

أيطلبني من قد عناني طلابه فيا ليتني ألقاك سعد بن خشرمِ
أتيت بني يربوع تبغي لقاءنا وجئت لكي ألقاك حيّ محلّمِ

فلمّا دنا نجيح من محلّته، استقبله سعد. فقال له نجيح: يا أيّها الراكب؛ لقيت سعدا في بني يربوع؟ قال: أنا سعد، فهل تدلّ على نجيح؟ قال: أنا نجيح. وحدّثه بالحديث، فقال سعد: "الدالّ على الخير كفاعله" وهو أوّل من قاله[٤].

فانطلقا[٥] حتى أتيا ذلك المكان فتوارى الرجل الأعمى وترك المال[٦]، فأخذه سعد كلّه. فقال نجيح: يا سعد؛ قاسِمني. فقال له: اطوِ عن مالي كشحا، وأبى أن يعطيه. فانتضى نجيح سيفه، فجعل يضربه حتى برد. فلمّا وقع قتيلا، تحوّل الرجل الأعمى[٧] الحافظ للمال سِعلاة[٨] فأسرع في أكل سعد، وعاد المال إلى مكانه، فلمّا رأى نجيح ذلك ولّى هاربا إلى قومه.

ويقال في المثل: "أبخل من أبي عبس" وكان من شأنه إذا وقع الدرهم في يده، نقره بإصبعه، ثمّ يقول: كم من مدينةٍ قد دخلتَها؟ ويد قد وقعت فيها؟ فالآن استقرّ بك القرار، واطمأنّت[٩] بك الدار، ثمّ يرمي به في صندوقه، فيكون آخر العهد به.

وشبه هذا شخصٌ جليل، من أعين أهل فاس وأجلّهم قدرا، دخل منزلي يوما، فرآني أَهِبُ شيئا من الدراهم كانت عندي، ورأى السرور في وجهي بذلك، فقال لي: يا سيّدنا؛

---

(١) ج، م، ي: - قال: وما سبب طلبه إيّاه، ومن أين معرفته به؟ قال: إنّ آتيا أتاه في منامه، أنّ مالا له في نواحي بني يربوع، لا يعلم به إلّا نجيح اليربوعي.
(٢) ج، م، ي: في نفسه.
(٣) ج، م، ي: وصرف.
(٤) ج، م: قالها.
(٥) م، ي: قال: فانطلقا.
(٦) ج، م، ي: - وترك المال.
(٧) ج، م، ي: - الأعمى.
(٨) السِّعلاة: الغول، ساحرة الجن.
(٩) م، ي: واطمأن.

ما تقول في أمري؟ قلت له: وما أمرك؟ قال: إنّي أعشق الناس في الدينار والدرهم. فقلت له: جماعة من كرام الناس يحبّون الجِدَة من أجل الجود، فيجدون ما يهبون. فقال لي[1]: ما أنا ممن يحبّ هذه الأحجار من أجل العطاء والإنفاق، لكنّي أحبّها لعينها، أموت جوعا ولا أقدر أن أنفقها أصلا، وما يخرج منها شيء من يدي إلّا وتخرج[2] روحي معه.

حدّث أميّة بن يزيد الأموي

قال: كنّا عند عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، فجاءه[3] رجل من أهل بيته، فسأله المعونة على تزويج. فقال له قولا ضعيفا، فيه وعدٌ وقلّة إطماع. فلمّا قام من عنده ومضى، دعا صاحب خزانته، فقال: اعطيه أربعمائة دينار، فاستكثرناها! فقلنا له: لمّا كلمك رددتَ عليه ردًّا ظننّا أنّك تعطيه قليلا، فإذا أنت أعطيته أكثر مما أمّل. قال: إنّي أحبّ أن يكون فعلي أحسن من قولي.

قلت: ونزل على جدّي حاتم الطائي ضيف، ولم يحضره القِرى. فنحر ناقة الضيف، وعشّاه وغدّاه، وقال له: يا ضيف؛ إنّك قد أقرضتني ناقتك فاحتكِم. قال: راحلتين. قال حاتم: لك عشرون، أرضيت؟ قال: نعم، وفوق الرضا. قال: فلك أربعون. ثمّ قال لمن بحضرته من قومه: من أتانا بناقة فله ناقتان بعد الغارة، فأتوه بأربعين فدفعها إلى الضيف.

وحكي لي عن حاتم أيضا: أنّه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجة، فلمّا كان بأرض عَنَزة، ناداه أسير فيهم[4]: يا أبا سفّانة؛ قد أكلني الإسار[5] والقمل. قال: واللهِ ما أنا في بلادي، ولا معي شيء، وقد أسأتَ إليّ أن نوّهتَ باسمي. فذهب إلى العنَزيّين، فساومهم به واشتراه منهم، وقال: خلّوا عنه، وأنا أقيم مكانه في قيده حتى أؤدّي فداءه، ففعلوا[6]، فأتاهم بفداه.

وحدّثنا أبو ذر، وقد وقع ذِكر حاتم طي، فقال لي: ذُكِر من أخبار جدّك، أنّه لمّا مات،

---

(١) ج، م، ي: - لي.
(٢) ر، م، ي: ويخرج.
(٣) ج، م، ي: فجاء.
(٤) ج، م، ي: - فيهم.
(٥) الإسار: القيد.
(٦) ج، م، ي: - ففعلوا.

يعني حاتما، خرج رجل من بني أسد، يُعرف بالخيبري، في نفرٍ من قومه، وذلك قبل أن يعلم كثير من العرب بموته، فأناخوا بقبره، فقال: واللهِ، لأحلفنّ للعرب أنّي نزلت بحاتم وسألته القِرى فلم يفعل، وجعل يضرب برجله قبره ويقول:

أعجل[1] أبا سفّانة قراكا فسوف آتي[2] سائلي ثناكا

فقال بعضهم: ما لك تنادي رمّة؟ وباتوا مكانهم. فقام صاحب القول من نومه مذعورا، وقال: يا قوم؛ عليكم مطاياكم لقِرى حاتم. فقالوا: كيف؟ قال: إنّه أتاني في منامي هذا فأنشدني:

أيا[3] الخيبري وأنت امرؤ ظلوم العشيرة شتّامها
ماذا أردتَ إلى رمّة بدويّة صَخِبٍ[4] هامها
تبغي أذاها وإعسارها وحولك غوث وإنعامها
وإنّا لننعم أضيافنا من الكوم بالسيف نعتامها[5]

مثلٌ سائر في الجود: أجود من كعب بن مامة

حكي أنّ جوده قتله. وذلك أنّه خرج في ركب فيهم رجل من النمر بن قاسط. فحصلوا في قفر بلا ماء. فأضرّ بهم العطش، فتصافنوا ماءهم، فجعل النميري يشرب نصيبه، فإذا أراد كعب أن يشرب نصيبه يقول: آثِر أخاك النميري، فيؤثره عل نفسه، حتى أضرّ به العطش. فلمّا رأى ذلك، استحثّ ناقته وبادر حتى رفعت له أعلام الماء. وقيل له: رد كعب فإنّك ورّاد[6]. فمات قبل أن يرد الماء. ونجا رفيقه، وكان هذا كعب من أياد.

وأنشدوا في هذا المعنى لأبي تمام:

هو البحر من أيّ النواحي أتيتَه فلجّته المعروف والجود ساحلهْ
كريم إذا ما جئت للعرف طالبا حباك بما تحوي[7] عليه أنامِلهْ
ولو لم يكن في كفّه غير نفسه لجاد بها فليتّق الله سائلهْ[8]

---

(١) ج، م، ي: اجعل.
(٢) في الموسوعة الشعرية: أنبي. ولعلها الأصوب.
(٣) أ، ر، ن: أبا.
(٤) ج: ضبحت. م، ي: صبحت.
(٥) نعتامها: نختارها.
(٦) ج، ي: وارد.
(٧) ر، ن: تهوي.
(٨) انتهى السمر.

حديث يحيى بن يحيى النيسابوري مع المأمون

ثنا أبو محمد بن عبد الرحمن، ثنا أبو عبد الله بن إسماعيل، ثنا أبو الفرج بن علي، أنبأ إسماعيل بن أحمد، أنا يوسف بن الحسن، قال: سمعت أبا علي الحسن[١] بن بندار، يقول: كان الرشيدُ بعث إلى مالك بن أنس يستحضره، ليسمع منه الأمين والمأمون، فأبى، وقال: إنّ العلم يؤتى ولا يأتي. فبعث إليه: أبعثهما إليك؟ فقال: بشرط أن لا يتخطّيا رقاب الناس، ويجلسا حيث انتهى بهما[٢] المجلس.

فحضرا وكان يحيى بن يحيى النيسابوري يحضر المجلس، فانكسر قلمه يوما، فناوله المأمون قلما، فلم يقبل. فقال: ما اسمك؟ قال: يحيى بن يحيى النيسابوري. فقال: تعرفني؟ قال: نعم؛ أنت المأمون بن أمير المؤمنين. فكتب المأمون على ظهر جزئه[٣]: ناولت يحيى بن يحيى النيسابوري قلما في مجلس مالك، فلم يقبله.

فلمّا أفضت الخلافة إليه، بعث إلى عامله بنيسابور، أن تولّي يحيى بن يحيى القضاء. فأرسل كتاب المأمون إليه. فقال: قل لأمير المؤمنين: ناولتني قلما وأنا شاب فلم أقبل، أفتجبرني على القضاء وأنا شيخ؟ فرفع الخبر إلى المأمون، فقال: ولِّ رجلا تختاره[٤]. فاختار[٥] رجلا فولّي. فجاء القاضي إلى يحيى يسلّم عليه، فضمّ يحيى فراشا كان[٦] تحته. فقال له القاضي: أيّها الشيخ؛ ألم تخترني؟ قال: إنما قلت: اختاروه، وما قلت لك: تقلّد القضاء.

حدّثنا غير واحد عن علي بن أبي عمر، عن محمد بن الحسن، عن عبد الملك بن بشران قال: أنا أبو بكر الآجري، قال: ثنا جعفر بن أحمد بن عاصم الدمشقي، قال: ثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: ثنا إبراهيم السقا، عن أضرم الخرساني، قال: كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى الحسن بن أبي[٧] الحسن البصري: عِظني. فكتب إليه الحسن:

أمّا بعد يا أمير المؤمنين؛ فكن للمِثل من المسلمين أخا، وللكبير ابنا وللصغير أبا، وعاقب كلّ واحد منهم بذنبه، على قدر جسمه، ولا تضربنّ لغضبك سوطا واحدا فتدخل النار.

---

(١) ج، م، ي: الحسين.
(٢) م، ي: - بهما.
(٣) ج، م، ي: جزء.
(٤) ج، م، ي: فقال: رجلا يختاره.
(٥) أ، ر، ن: واختار.
(٦) ج، م، ي: - كان.
(٧) ج، م، ي: - أبي.

قال إسماعيل بن عيّاش: ظهر بأفريقية جور، فخرج عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي إلى أبي جعفر المنصور ليُعلمه بذلك، فلمّا وصل إليه قال: ما أقدمك؟ قال: ظهر[1] الجور ببلدنا، فجئت لأعلمك، مستجيرا بعدلك، فإذ الجور يخرج من دارك! فغضب المنصور، وهمّ به، ثمّ إنّه تراجع مع نفسه فأمر بإخراجه إلى بلاده.

حدّثنا بذلك عبد الرحمن بن علي، إجازة عن أبي منصور القزاز، عن أحمد بن علي بن ثابت، عن البرقاني، عن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الملك بن الآدمي، عن محمد بن علي الأيادي، عن زكريا بن يحيى الساجي، عن أحمد بن محمد، عن الهيثم بن خارجة، عن إسماعيل بن عيّاش، وذكره، وقال:

وروينا من حديث ابن عرفة، عن أبي العبّاس المنصوري، عن محمد بن يوسف عن محمد بن يزيد، عن ابن إدريس، أنّ عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، قال: أرسل إليّ أبو جعفر المنصور فقدمت عليه، فدخلت[2] فاستدناني ثمّ قال لي: عبد الرحمن؛ كيف رأيت ما مررت به من أعمالنا إلى أن وصلت إلينا؟ قال قلتُ: أعمالا فاسدة سيّئة، وظلما فاشيا، وظننتُ أنّ ذلك لِبُعد البلاد منك، فجعلتُ كلّما دنوت منك، كان الأمر أعظم! قال: فنكّس المنصور رأسه، ثمّ رفع، فقال لي[3]: كيف لي بالرجال يا عبد الرحمن؟ قلت: أفليس عمر بن عبد العزيز يقول: الوالي بمنزلة السوق، يجلب فيها ما ينفق فيها؛ فإن كان برّا أتوه ببرّهم، وإن كان فاجرا أتوه بفجورهم! فأطرق طويلا، وأومأ إلى الربيع أن يخرج، فخرجت وما عدت إليه.

حدّثنا بذلك تاج النساء بنت رستم، عن الأرموي، عن أبي بكر الخطيب، عن الأزهري[4]، عن أحمد بن إبراهيم، عن إبراهيم بن محمد بن عرفة، عن أبي العباس المنصوري، عن محمد بن يوسف، عن محمد بن يزيد، وقال[5] علي بن محمد بن الحسن القزويني: سمعت بعض أصحابنا يقول: أقبل المنصور يوما راكبا، والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب. فقام الناس ولم يقم له[6] الفرج، فاستشاط غضبا ودعا به، فقال: ما منعك من القيام حين رأيتني؟ قال: خفت أن يسألني الله عنه، لمَ فعلتُ؟ ويسألك عنه: لم رضيتَ؟ وقد كرهه

---

(١) أ، ر، ن: ظهور.
(٢) ج، م، ي: - فدخلت.
(٣) ج، م، ي: - لي.
(٤) أ، ر، ن: الأزهر.
(٥) ج، م، ي: قال.
(٦) ج، م، ي: - له.

رسول الله ﷺ. قال: فبكى المنصور وقرّبه وقضى حوائجه.

حدّثنا بها محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن علي، عن أبي منصور القزّاز، عن أبي بكر الخطيب، عن محمد بن عيسى بن عبد العزيز، عن علي بن محمد بن الحسن القزويني وذكره.

حدّثنا يونس بن يحيى، ثنا محمد بن ناصر، ثنا المبارك بن عبد الجبار، أنا محمد بن علي، أنا محمد بن الحسن بن المأمون، ثنا أبو بكر بن القاسم، ثنا أحمد بن بشّار، ثنا إسحق بن بهلول، حدّثني أبي، ثنا إسحق بن زياد، عن شبيب بن شيبة، عن خالد بن صفوان بن الأهتم، قال: إنّ ملكا من الملوك، خرج في عام، قد بَكَّرَ وَسْمِيُّه، وتتابع وليّه، وأخضرّت الأرض فيه، ونجم نبتُها، وضحك زهرها، وكان قد أعطي حسن الصورة والمُلك.

فنظر بأبعد[1] النظر، فقال: إنّ هذا الذي[2] أنا فيه، هل رأيتم ما أنا فيه؛ هل أعطي أحد مثل ما أعطيته؟ وعنده رجل من بقايا حملة الحجّة والمضيّ على أدب الحقّ. فقال له: أيّها الملك؛ إنّك قد سألت عن أمرٍ أفتأذن في الجواب؟ قال: نعم. قال[3]: أرأيتك[4] هذا الذي قد أُعجبت به؛ أهو شيء لم تزل فيه؟ أم شيء صار إليك[5] ميراثا عن غيرك، وهو زائل عنك، وصائر إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: فكذلك[6] هو. قال: أفلا أراك إنما أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلا، وتغيب عنه طويلا، وتكون غدا بحسابه مرتهنا!

قال: ويحك، فأين المهرب؟ وأين المطلب؟ قال: إمّا أن تهتمّ في ملكك، فتعمل فيه بطاعة ربّك، على ما ساءَك وسرّك وأمّضك وأرمضك[7]. وإمّا أن تضع تاجك، وتلبس أمساحك وتعبد ربّك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك. قال: فإذا كان السحر، فاقرع عليّ بابي، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيرا لا تعصى، وإن اخترتُ فلوات الأرض وقفر البلاد كنتَ رفيقا لا تخالَف. فلمّا كان السحر، قرع عليه بابه، فإذا هو قد وضع تاجه، ولبس أمساحه، وتهيّأ للسياحة. فلزما واللهِ الجبل، حتى أتتهما آجالهما.

---

(١) أ، ر، ن: فأبعد.

(٢) م، ي: - الذي.

(٣) م، ي: - قال.

(٤) ر، ن: رأيتك.

(٥) ج، م، ي: - إليك.

(٦) أ، ر، ن: فكذاك.

(٧) أمض: عزم ولم يبال. أرمض: اشتدّ.

حدّثنا يونس[1] في آخرين. قالوا: ثنا محمد بن عبد الباقي، عن أحمد[2] بن أحمد، عن أبي نعيم، عن عبد الله بن محمد بن جعفر، عن أبي بكر بن معدان، عن محمد بن مسلم، عن أبي الحارث الكناني، عن محمد بن عبد الله الأموي، قال: ثنا ابن رواد، وكان قد بلغ ثمانين، عن الزهري، قال: نظر سليمان بن عبد الملك، إلى رجل يطوف بالكعبة، له تمام وكمال. فقال: يا ابن شهاب؛ من هذا؟ قلت: هذا[3] طاءوس اليماني، قد أدرك عدّة من الصحابة.

فأرسل إليه سليمان، فأتاه، فقال له: لو ما حدّثتنا. فقال: حدّثني أبو موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أهون الخلق على الله مَن ولي من[4] أمر المسلمين شيئا فلم يعدل فيهم». فتغيّر وجه سليمان، وأطرق طويلا، ثمّ رفع رأسه، فقال: لو ما حدّثتنا. قال: حدّثني رجل من أصحاب النبي ﷺ قال ابن شهاب: ظننت أنّه أراد عليّا. قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش، ثمّ قال: «إنّ لكم على قريش حقّا، ولهم على الناس حقّ؛ ما استرحموا فرحموا، واستحكموا فعدلوا، وائتمنوا فأدّوا، فمن لم يفعل ذلك، لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا». فتغيّر وجه سليمان طويلا. ثمّ رفع رأسه، فقال: لو ما حدّثتنا. فقال: حدّثني ابن عباس، أنّ آخر آية نزلت من كتاب الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[5].

حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا علي بن محمد بن أبي عمر، أنا محمد بن الحسن بن أحمد، عن عبد الملك بن بشران، عن محمد بن الحسين الآجري، حدّثني عمر بن محمد بن بكار القافلاني، عن إبراهيم بن هاني النيسابوري، عن أبي صالح كاتب الليث بن سعد، قال: أخذتها من الليث بن سعد، رسالة الحسن بن أبي الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز:

أمّا بعد؛ اعلم يا أمير المؤمنين[6]؛ أنّ الدنيا دار ظعن وليست بدار إقامة، وإنما أهبط إليها آدم من الجنّة عقوبة. وقد يحسب من لا يدري ثواب الله أنّها ثواب، ومن لا يدري

---

(١) ج، م، ي: - يونس.
(٢) أ، ر، ي: حمد.
(٣) ج، م، ي: - هذا.
(٤) م، ي: - من.
(٥) [البقرة: ٢٨١]
(٦) ج، م، ي: اعلم أيها الأمير.

عقاب الله أنّها عقاب. ولها في كلّ حين صرعة، وليست صرعة كصرعة، هي تهين من أكرمها وتذلّ من أعزّها وتصرع من آثرها، ولها في كلّ حين قتلى، فهي كالسمّ يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه، فالزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها. فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه؛ يصبر على شدّة الدواء مخافة طول البلاء، يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا؛ فإنّ أهل الفضائل كان منطقهم فيها بالصواب، ومشيهم بالتواضع، ومطعمهم الطيّب من الرزق، مغمّضي أبصارهم عن المحارم، فخوفهم من البَرِّ كخوفهم من البحر، ودعاؤهم في السرّاء كدعائهم في الضرّاء، لولا الآجال التي كتبت لهم، ما تقارّت أرواحهم في أجسامهم خوفا من العقاب وشوقا إلى الثواب، عظُم الخالق في أنفسهم فصغُر المخلوقون في أعينهم.

واعلم -يا أمير المؤمنين- أنّ التفكر يدعو إلى الخير والعمل به، وأنّ الندم على الشرّ يدعو إلى تركه. وليس ما يفنى وإن كان كثيرا بأهلٍ أن يؤثر على ما يبقى وإن كان طلبه عزيزا. واحتمال المؤنة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة تعقب مؤنة باقية وندامة طويلة. فاحذر هذه الدنيا الصارعة الخاذلة القاتلة التي قد تزيّنت بِخُدَعِها، وقتلت بغرورها، وخدعت بآمالها، فأصحبت كالعروس المجليّة؛ فالعيون[1] إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلّهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي يعتبر، ولا الآخر لمّا رأى من أثرها بالأوّل يزدجر، ولا العارف بالله المصدّق له حين أخبره عنها مدّكِر. قد أبت القلوب لها إلّا حبّا، وأبت النفوس لها إلّا عشقا. ومَن عشق شيئا لم يعرف[2] غيره، ولم يعقل سِواه، مات في طلبه، وكان آثرَ الأشياء عنده، فهما عاشقان طالبان مجتهدان؛ فعاشق قد ظفر منها بحاجته، فاغترّ وطغى ونسي ولهى، فغفل عن مبتدأ خلقه، وضيّع ما إليه معاده، وقلّ[3] في الدنيا لبثُه، حتى زلّت عنه قدمه، وجاءته منيّته عل شرّ ما كان حالا، وأطول ما كان فيها أملا؛ فعظم ندمه، وكثرت حسرته[4] مع ما عالج من سكرته، فاجتمعت عليه سكرة الموت بكربته، وحسرة الفوت بغصّته، فغير موصوفٍ ما نزل به. وآخرُ مات قبل أن يظفر منها بحاجته، فمات بغمّه وكمده، ولم يدرك فيها ما طلب، ولم يُرِح نفسه من التعب والنصب، فخرجا جميعا بلا[5] زاد، وقدِما على غير مهاد.

---

(١) أ، ر، ن: والعيون.

(٢) أ، ر، ن: يلهم.

(٣) أ، ر، ن: فقلّ.

(٤) أ، ر، ن: مسرّته.

(٥) أ، ر، ن: بغير.

فاحذرها يا أمير المؤمنين؛ الحذر كلّه منها، فإنما مثلها كمثل الحيّة، ليّنٌ مسّها تقتل بسمّها. فأعرض عمّا يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما قد أيقنتَ به من فراقها، واجعل شدّة ما اشتدّ منها رجاء ما ترجو[1] بعدها، وكن عند[2] أسرّ ما يكون فيها، أحذر ما يكون منها؛ فإنّ صاحب الدنيا كلّما اطمأن منها إلى سرور صبّحته من سرورها بما يسوءُه، وكلّما ظفر منها بما يحبّ انقلبت عليه بما يكره. فالسار منها لأهلها عار، والنافع منها غدا ضار، وقد وصل الرخاء فيها بالبلاء، وجعل البقاء فيها إلى فناء[3]، فسرورها بالحزن مشوب، والناعم فيها مسلوب. فانظر يا أمير المؤمنين إليها نظر الزاهد المفارق، ولا تنظر إليها نظر المبتلى العاشق.

واعلم يا أمير المؤمنين[4] أنّها تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف فيها الآمن، ولا يرجع فيها ما تولّى منها وأدبر[5]، ولا يتبع ما صفا منها إلّا كدر، فاحذرها؛ فإنّ أمانيّها كاذبة، وآمالها باطلة، وعيشها نكد، وصفوها كدر، وأنت منها على خطر؛ إمّا نعمة زائلة، وإمّا بليّة نازلة، وإمّا مصيبة قادحة، وإمّا منيّة قاضية[6]. فلقد[7] كدّرت المعيشة لمن عقل، فهو من نعيمها على خطر، ومن بليّتها على حذر، ومن المنيّة على يقين.

فلو كان الخالق تبارك اسمه، لم يخبر عنها بخبر، ولم يضرب لها مثلا، ولم يأمر فيها بزهد، لكانت الدنيا أيقظت النائم، ونبّهت الغافل، وكيف وقد جاء عن الله ﷻ منها زاجر وفيها واعظ! فما لها عنده قدر ولا وزن من الصِّغر، ولَهِيَ عند أصغر من حصاة في الحصى، ومن مقدار نواة في[8] النوى. ما خلق الله ﷻ فيما بلغنا أبغض إلى الله تعالى منها، ما نظر إليها منذ خلقها، ولقد عُرضت على نبيّنا محمد ﷺ بمفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه ذلك عند الله ﷻ جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وما منعه من القبول لها مع ما لا ينقصه الله ﷻ شيئا مما عنده كما وعده، إلّا أنّه علم أنّ الله ﷻ أبغضَ شيئا فأبغضه، وصغّر شيئا فصغّره، ولو كان قَبِلها

---

(١) النسخ عدا ج: يرجو.
(٢) أ، ر، ن: عبدا.
(٣) ج، م: الفناء.
(٤) أ، ر، ن: - يا أمير المؤمنين.
(٥) ج، م، ي: - وأدبر.
(٦) ج، م، ي: أو بليّة نازلة، أو مصيبة قادحة، أو منيّة قاضية.
(٧) أ، ر، ن: ولقد.
(٨) أ، ر، ن: من.

كانت الدليل على محبّته قبوله إيّاها، ولكنّه[1] كره أن يخالف أمره، أو يحبّ[2] ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي الرسالة طول، فاقتصرنا منها على هذا القدر من هذا الطريق.

ومن قصص عطاء بن أبي رباح مع هشام

ما أخبرنا[3] به غير واحد، عن أبي منصور محمد بن عبد الملك، عن أحمد بن علي بن ثابت، عن أبي الحسن علي أبي أيوب الكاتب القمّي، عن أبي عبيد الله[4] محمد بن عمران بن موسى المرزباني، عن محمد بن أحمد الكاتب، عن عبد الله بن أبي سعد الورّاق، عن عمر بن شبّة، عن سعيد بن منصور الرقي، عن عثمان بن عطاء الخرساني، قال:

انطلقت مع أبي وهو يريد هشام بن عبد الملك، فلمّا قربنا إذا شيخ أسود على حمار عليه قميص دنس وجبّة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة وركاباه من خشب، فضحكتُ وقلتُ لأبي: مَن هذا الأعرابي؟ قال: اسكت هذا سيّد فقهاء أهل الحجاز، هذا عطاء بن أبي رباح! فلمّا قرب نزل أبي عن بغلته[5]، ونزل هو عن حماره، فتعانقا وتسالما، ثمّ عادا فركبا وانطلقا، حتى وقفا بباب هشام.

فلمّا رجع أبي سألته فقلت: حدّثني ما كان منكما؟ قال: لمّا قيل لهشام: عطاء بن أبي رباح أَذِن له، فواللهِ ما دخلتُ إلّا بسببه، فلمّا رآه هشام قال: مرحبا مرحبا هاهنا هاهنا[6]، فرفعه حتى مسّت ركبته ركبته، وعنده أشراف الناس يتحدّثون، فسكتوا، فقال هشام: ما حاجتك يا أبا محمد؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ أهلُ الحرمين أهلُ الله وجيرانُ رسول الله ﷺ تقسّم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم. قال: نعم، يا غلام؛ اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطائين، وأرزاقهم لسنة. ثمّ قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد[7]؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ أهل الحجاز وأهل نجد أصلُ العرب وقادة الإسلام، تردّ فيهم فضول صدقاتهم. قال: نعم، اكتب

---

(١) ج، م، ي: ولكن.

(٢) ج، م، ي: ويحب.

(٣) أ، ر، ن: أنبأنا.

(٤) ج، م، ي: أبي عبد الله.

(٥) ج، م، ي: بغله.

(٦) ج، م، ي: - هاهنا.

(٧) ج، م، ي: - قال: يا أمير المؤمنين؛ أهل الحرمين أهل الله وجيران رسول الله ﷺ تقسّم فيهم أعطياتهم وأرزاقهم. قال: نعم، يا غلام؛ اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطائين، وأرزاقهم لسنة. ثمّ قال: هل من حاجة غيرها يا أبا محمد.

يا غلام بأن تردّ فيهم صدقاتهم. هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؛ أهل الثغور يرمون من وراء بيضتكم، ويقاتلون عدوّكم، هل[١] أجريتم لهم[٢] أرزاقا تدرّها عليهم؟ فإنّهم إن هلكوا غُزيتم، قال: نعم اكتب: تحمل[٣] أرزاقهم إليهم يا غلام، هل من حاجة غيرها يا أبا محمد؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين؛ أهل ذمّتكم لا تجبى صغارهم، ولا تتعتع كبارهم[٤]، ولا يكلَّفون إلّا ما يطيقون؛ فإنّ ما تجبونه معونة لكم على عدوّكم. قال: نعم، اكتب يا غلام: بأن لا يحمّلوا إلّا ما يطيقون[٥]. هل من حاجة غيرها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين: اتّق الله في نفسك؛ فإنّك خلقت وحدك، وتموت وحدك، وتحشر وحدك، وتحاسب وحدك، لا والله ما معك ممن ترى أحد. قال: فأكبّ هشام وقام عطاء، فلمّا كنّا عند الباب وإذا[٦] رجل قد تبعه بكيسٍ ما أدري ما فيه[٧] دراهم أو دنانير، وقال: إنّ أمير المؤمنين أمر لك بهذا. قال: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٨]. قال: ثمّ خرج عطاء، ولا والله ما شرب عنده حسوة من ماء فما فوقها.

وحدّثنا يونس وغيره، ثنا عبد الوهاب بن المبارك، أنا أبو الحسين بن[٩] عبد الجبار، أنا أحمد بن علي التوزي[١٠]، أنا عمر بن ثابت، ثنا علي بن أبي قيس، ثنا أبو بكر القرشي، حدّثني أبي، أنا علي بن الحسن[١١] بن شقيق، عن ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك: إيّاك أن تدركك الصرعة عند العزّة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن[١٢] الرجعة، ولا يحمدك من خلّفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما به اشتغلت.

---

(١) أ، ر، ن: قد.
(٢) م، ي: لها.
(٣) ر، ن: بحمل. م: يحمل.
(٤) م، ي: - كبارهم.
(٥) أ، ر، ن: بأن لا يحمّلوا ما لا يطيقون.
(٦) أ، ر، ن: إذا.
(٧) ج، م، ي: ما أدري فيه.
(٨) [الشعراء: ١٠٩]
(٩) ج، م، ي: - بن.
(١٠) أ، ر، ن: الثوري.
(١١) ج، م، ي: الحسين.
(١٢) ج، م، ي: يمكن.

وحدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي بن محمد، ثنا عبد الرحمن بن محمد، أنا أحمد بن علي، أنا محمد بن عبد الواحد، أنا محمد بن العباس، ثنا محمد بن خلف، أخبرني محمد بن الفضل، أخبرني بعض أهل الأدب عن حسَن الوصيف[1]، قال: قعد المهدي قعودا عامّا للناس، فدخل رجل وفي يده نعل في منديل، فقال: يا أمير المؤمنين: هذه نعل رسول الله ﷺ قد أهديتها لك. قال: هاتها، فدفعها إليه، فقبّل باطنها ووضعها على عينيه، وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم. فلمّا أخذها وانصرف قال لجلسائه: أترون أنّي لم أعلم أنّ رسول الله ﷺ لم يرها فضلا عن أن يكون لبسها؟ ولو كذّبناه لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله ﷺ فردّها عليّ، وكان من يصدّقه أكثر من أن يدفع خبره، إذ كان من شأن العامّة الميل إلى أشكالها، والنصرة للضعيف على القوي، فاشترينا لسانه، ورأينا الذي فعل أنجح وأرجح.

ومن أخبار يحيى بن أكثم مع المأمون

ما ذكره محمد بن منصور قال: كنّا مع المأمون[2] في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال لنا يحيى بن أكثم بَكِّرا غدا عليه، فإن رأيتما للقول وجها فقولا، وإلّا فاسكتا إلى أن أدخل. قال: فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر رضي الله عنه، وأنا أنهي عنهما! ومن أنت يا أحول[3] حتى تنهي عمّا فعله النبي ﷺ؟ فأمسكنا[4]، وجاء يحيى فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: ما لي أراك متغيّرا؟ قال: هو غمٌّ يا أمير المؤمنين؛ لما حدث في الإسلام، قال: وما[5] حدث؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم[6]: المتعة زنا؟ قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله وعزّ وجلّ ومن حديث رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

(١) حسن الوصيف: حاجب الخليفة المهدي.
(٢) ج، م، ي: - ما ذكره محمد بن منصور قال: كنّا مع المأمون.
(٣) أحول: أكثر حيلة. ورجل حُوّل: بصير بتحويل الأمور.
(٤) ج، م، ي: قال فأمسكنا.
(٥) أ، ر، م، ي: أوما.
(٦) ج، م، ي: - قال: نعم.

خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْعَادُونَ﴾[1]، يا أمير المؤمنين؛ زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا، قال: فهي الزوجة التي عنى الله: ترث وتورّث وتلحق الولد ولها شرائطها؟ قال: لا، قال[2]: فقد صار متجاوز هذين من العادين.

وهذا الزهري يا أمير المؤمنين؛ روى عن عبد الله، والحسن ابني محمد بن الحنفيّة، عن أبيهما محمد بن علي، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها. فالتفت إلينا المأمون فقال: أمحفوظ[3] هذا من حديث الزهري؟ فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين؛ رواه جماعة، منهم مالك، فقال: أستغفر الله. نادوا بتحريم المتعة، فنادوا بها. قال الصولي: فسمعت إسماعيل بن إسحق يقول: وقد ذكر يحيى بن أكثم فعظّم أمره وكان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثله، وذَكر هذا اليوم.

حدّثنا بذلك جماعة عن أبي منصور عبد الرحمن بن محمد، عن أحمد بن علي بن ثابت عن أبي عبد الله القاضي الحسين بن علي الصيمري، عن محمد بن عمران المرزباني، عن الصولي، عن أبي العيناء، عن أحمد بن أبي دُؤاد، قالوا وقال الصولي: وحدّثنا محمد بن موسى بن داءود، عن المشرّف بن سعيد، عن محمد بن منصور، والسياق لأبي العيناء.

حدّثنا يونس بن يحيى عن ابن ناصر عن عبد القادر بن محمد عن أبي إسحق البرمكي، عن إسحق بن[4] سعد بن الحسن النسائي، عن جدّه الحسن بن سفيان، عن حرملة بن يحيى، عن عبد الله بن وهب، عن سفيان بن عيينة، قال: كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: واعلم أنّ الهول[5] الأعظم، ومقطعات[6] الأمور أمامك، لم يقع منها شيء بعد[7]، وإنّه لا بدّ واللهِ لك من مشاهدة ذلك ومعاينته؛ إمّا بالسلامة والنجاة منه، وإمّا بالعطب.[8]

---

(١) الآيات: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٧]

(٢) ج، م، ي: - قال.

(٣) ج، م، ي: يا محفوظ.

(٤) ج، م، ي: - يونس بن يحيى عن ابن ناصر عن عبد القادر بن محمد عن أبي إسحق البرمكي، عن إسحق بن.

(٥) أ، ر، ن: الهرب.

(٦) م، ي: وتقطعات.

(٧) أ، ر، ن: لم تقطع منها شيئا بعد.

(٨) انتهى السمر.

حديث سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
مع الوليد بن عبد الملك في حرق القبّة

حدّثنا يونس بن يحيى؛ أنا أبو بكر بن أبي منصور، عن أبي القاسم، عن أبي عبد الله بن بطة، عن أبي صالح محمد بن أحمد، عن الحارث بن أبي أسامة، عن الواقدي، عن موسى بن أبي بكر، عن صالح بن كيسان، أنّ الوليد بن عبد الملك ولّى سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف على قضاء المدينة، وكان ذا دين وورع وصلابة في الدين لا تأخذه في الله لومة لائم، وأراد الوليد الحجّ، فاتّخذ قبّة من ساج ليجعلها حول الكعبة ليطوف هو ومن أحبّ من أهله ونسائه فيها، وكان فظّا متجبّرا. فأراد بزعمه[1] أن يطوف فيها حول الكعبة[2]، ويطوف الناس من وراء المقصورة، فحملها على الإبل من الشام، ووجّه معها قائدا من قوّاده في ألف فارس من الشام، وأرسل معه مالا يقسّمه في أهل المدينة. فقدم بها، فنصبت في مصلّى رسول الله ﷺ.

ففزع لذلك أهل المدينة، فاجتمعوا، فقالوا: إلى من نفزع في هذا الأمر؟ فقالوا: إلى سعد بن إبراهيم، فأتاه الناس فأخبروه[3] الخبر، فأمرهم أن يضرموها بالنار، فقالوا: لا نطيق ذلك، معها أمير في ألف فارس من أهل[4] الشام. فدعا مولى له فقال: عليّ بدرعي، فجاءه بدرع جدّه عبد الرحمن بن عوف التي شهد فيها بدرا، فصبّها عليه، ثمّ دعا ببغلته فركبها، فما تخلّف عنه يومئذ قرشي ولا أنصاري حتى إذا أتاها قال: عليّ بالنار، فأُتي بنار فأضرمها فيها، فغضب القائد، فقيل له: هذا قاضي أمير المؤمنين ومعه الناس، ولا طاقة لك به، فانصرف راجعا إلى الشام. قال ابن كيسان: وشبع عبيد أهل المدينة من الناطف مما استلبوا من حديرها[5].

فلمّا بلغ ذلك الوليد كتب إليه: وَلِّ القضاء رجلا وأقدم علينا. فولّى القضاء رجلا[6]، وركب حتى أتى الشام، فقام ببابه شهرا لا يؤذَن له حتى نفذت نفقته، وأضرّ به طول المقام. فبينا هو ذات عشيّة في المسجد إذ هو بفتى سكران، فقال: من هذا؟ قالوا: هذا خال أمير

---

(١) النسخ عدا ي: ابن عمّه.
(٢) أ، ر، ن: البيت.
(٣) م، ي: وأخبروه.
(٤) ج، م، ي: - أهل.
(٥) ج، م، ي: حديدها.
(٦) أ، ر، ن: - وأقدم علينا. فولّى القضاء رجلا.

المؤمنين سكران يطوف في المسجد. فقال لمولى له: هلمّ السوط، فأتاه بسوطه[1]، فقال: عليّ به، فضربه في المسجد ثمانين سوطا، وركب بغلته ومضى راجعا إلى المدينة.

فأدخل الفتى على الوليد مجلودا، فقال: من فعل به هذا؟ قال: قاضيك على المدينة سعد بن إبراهيم. فقال: عليّ به، فلُحق على مرحلة، فدخل عليه، فقال: يا[2] أبا إسحق؛ ماذا فعلت بابن أخيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنّك ولّيتنا أمرا من أمورك، وإنّي رأيت حقّا لله ضائعا؛ سكران يطوف في المسجد وفيه الوفود ووجوه الناس، فكرهت أن يرجع الناس عنك بتعطيل الحدود[3]، فأقمت عليه حدّه. فقال: جزاك الله خيرا وأمر له بمال، ولم يذاكره شيئا من أمر حرقه القبّة.

حدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، ثنا علي بن محمد[4]، ثنا محمد بن الحسين[5]، ثنا عبد الملك بن بشران، قال: أنا أبو بكر الآجري، ثنا ابن صاعد، ثنا الحسين بن الحسن، أنا ابن المبارك، أنا هشام، قال: حدّثني مولى لمسلمة بن عبد الملك، قال: حدّثني مسلمة، قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد، فجاءته جارية بطبق فيه تمر صيحاني[6]، وكان يعجبه التمر، فوضع في كفّه[7] منه فقال: يا مسلمة؛ أترى لو أنّ رجلا أكل هذا، ثمّ شرب عليه من الماء، فإنّ الماء على التمر طيّب، أكان مجزيه إلى الليل؟ قال: فقلت: لا أدري. فرفع أكثر منه، وقال: فهذا؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ كان كافيه دون هذا حتى لا يبالي أن يذوق طعاما غيره، قال: فعلامَ يدخل النار؟ قال مسلمة: فما وقعتْ منّي موعظة ما وقعت منّي هذه.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، ثنا عبد الرحمن بن صالح، ثنا أبو نعيم، عن سفيان، قال: قال معاوية لابن الكوّاء: كيف ترى الزمان؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ أنت الزمان[8]؛ إن تصلح يصلح.

---

(١) أ، ر، ن: بسوط.
(٢) أ، ر، ن: - يا.
(٣) ج، م، ي: - الحدود.
(٤) ج، م، ي: - ثنا علي بن محمد.
(٥) أ، ر، ن: الحسن.
(٦) التمر الصيحاني: ضرب من تمور المدينة المنورة.
(٧) أ، ر، ن: كفيه.
(٨) ج، م، ي: - أنت الزمان.

وقيل لبعض خلفاء عصرنا، وقد ذكرنا إنسانا لم يكن له قديم مجد، فقال له بعض الحاضرين: يا أمير المؤمنين؛ ما[1] هو ممن يؤبه له، فإنّ الدهر ما ساعده بشيء؟ فقال: نحن الزمان؛ مَن رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتّضع، وولّاه.

وتقول الصوفيّة: شروط السماع أربعة، إذا كملت فلا[2] مانع: الزمان والمكان والإمكان والإخوان. ويعنون بالزمان: السلطان إذا قال به ودعا إليه، طاب الوقت لأصحاب القلوب وانبسطت النفوس.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، قال: قال أبو كُريب: ثنا أبو بكر بن عيّاش، عن أبي سعيد، قال: سمعت الحجاج يوما وهو على المنبر يقول: يا ابن آدم؛ بينما أنت في دارك وقرارك إذ تسوَّر عليك ملك الموت، واختلس روحك، ثمّ دفنك أهلك، ورجعوا، فاختصموا[3] فيك حبيباك: حبيبك من أهلك وحبيبك من مالك، فاتّق الله، فإنّك اليوم تأكل، وغدا تؤكل. ثمّ بكى حتى تلقّى دموعه بعمامته.

وروينا من حديث أبي نعيم، أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مخلد، ثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: أنا يزيد بن هارون، عن أزهر بن سنان القُرشي، ثنا محمد بن واسع، قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت: يا بلال؛ إنّ أباك حدّثني عن جدّك، عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ في جهنّم لواديا ولذاك الوادي بئر يقال لها[4] هبهب، حقّ على الله ﷻ أن يسكنها كلّ جبار»، فإيّاك أن تكون منهم.

وقيل: لمّا دُفن سليمان بن عبد الملك قرّبت مراكب الخلافة لعمر بن عبد العزيز، فبكى عمر وقال: دابّتي أوفق[5] لي، وأنشد:

ولولا التّقى ثمّ النُّهى خشية الردى ... لعاصيت في حبّ الصبا كلّ زاجرِ
قضى ما قضى فيما مضى ثمّ لا ترى ... له صبوة أخرى الليالي الغوابرِ[6]

---

(١) ج، م، ي: ممن.
(٢) م، ي: ولا.
(٣) أ، ر، ن: فاختصم. م، ي: واختصموا.
(٤) أ، ر، ن: له.
(٥) م، ي: أقوى.
(٦) ج، م، ي: العوابر.

ثمّ قال: إن شاء الله. فجاءه صاحب الشُّرطة يمشي بين يديه فقال: تنحّ عنّي، ما لي ولك؟ أنا رجل من المسلمين. فسار حتى دخل المسجد، فصعد المنبر فقال: إنّي قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان منّي فيه، وإنّي قد خلعتُ ما في أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم. فصاح الناس: قد اخترناك. فقال: أوصيكم بتقوى الله؛ فإنّ تقوى الله خلف من كلّ شيء، وليس من تقوى الله خلف، واعملوا لآخرتكم؛ فإنّه من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، وأصلِحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم، وأكثِروا ذكر الموت، وأحسنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم. وإنّ من يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم أبا حيّا لمفرّق له في الموت.

ثمّ نزل، فدخل وأمر بالستور فهُتِكت[1]، ثمّ ذهب يتبوّء مقيلا، فقال له ابنه: تقيل ولا تردّ المظالم؟ قال: يا بنيّ؛ إنّي سهرت البارحة، فإذا صلّيت الظهر رددتها. قال: من لك أن تعيش إلى الظهر؟ فقبّل بين عينيه، وقال: الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على ديني.

فخرج وأمر مناديه أن ينادي: من كانت له مظلمة فليرفعها، فردَّ الكلّ، وقال: أيّها[2] الناس؛ إنّي أنساكم ههنا، وأذكركم في بلادكم؛ فمن ظلمه عامله فلا إذن له عليّ، وإنّي والله ما أنا بخيركم، ولكنّي أثقلكم حِملا. ثمّ خيّر جواريه فقال: إنّه قد نزل بي أمر شغلني عنكنّ، فمن أحبّ أن أعتقه أعتقته، ومن أراد أن أُمسكه أمسكته، ولم يكن منّي إليها شيء. قالت زوجته فاطمة: ما أعلم أنّه اغتسل من جنابة ولا من احتلام مذ وَلِيَ إلى أن مات. وقوّموا ثيابه جميعا[3] حين استخلف فكانت اثني عشر درهما. وقيل لزوجته: اغسلي قميصه، قالت: واللهِ ما يملك غيره. وكتب إلى عمّاله: لا يقيَّد أحد[4] بقيد يمنع من تمام الصلاة.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك: إيّاك أن تدركك الصرعة عند الغرّة، فلا تقال العثرة، ولا تمكن الرجعة، ولا يحمدك من خلّفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدُم عليه بما به اشتغلت، والسلام.

أخبرنا به محمد بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن علي، عن علي بن محمد بن أبي عمر،

---

(١) كأنّه منع الحواجز.

(٢) أ، ر، ن: يا أيها.

(٣) أ، ر، ن: جميعها.

(٤) ج، م، ي: وكتب إلى عامله: لا تقيّد أحدا.

عن محمد بن الحسن، عن عبد الملك بن بشران، عن أبي بكر الآجري، عن ابن صاعد، عن الحسين بن الحسن، عن ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، أنّ عمر بن عبد العزيز، وذكره.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن محمد بن الحسين، عن شهاب بن عباد، عن سويد الكلبي، أنّ زِرّ بن حبيش، كتب إلى عبد الملك بن مروان كتابا يعظه فيه، وكان في آخر كتابه: ولا يطمعنّك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحّة بدنك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلّم به الأوّلون:

إذا الرجال ولدتْ أولادها وبليتْ من كِبَرٍ أجسادُها
وجعلتْ أسقامها تعتادها تلك زروع قد دنا حصادها

فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب بكى حتى بلّ طرف ثوبه، ثمّ قال: صدق زِرّ، ولو كتب إلينا بغير هذا لكان أوفق.

وحدّثنا محمد بن إسماعيل، ثنا عبد الرحمن بن علي، أنا عبد الله بن علي، أنا أبو منصور بن عبد العزيز العكبري، أنا أبو أحمد عبد الله[1] بن أبي مسلم، أنا علي بن عبد الله بن المغيرة، أخبرني أحمد بن سعيد الدمشقي، أنا الزبير بن بكّار، حدّثني المدائني، عن عوانة بن الحكم، قال؛ قال الشعبي: سمعت الحجاج تكلّم بكلام ما سبقه إليه في علمي أحد، قال: أمّا بعد: فإنّ الله تعالى كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، ولا يغرّنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، وأقهر وأطول الأمل بقصر الأجل.

وقال مبارك بن فضالة: خطب الحجاج يوما فقال: أمّا بعد؛ فإنّ الله كفانا مؤنة الدنيا، وأمرنا بطلب الآخرة، فليت الذي كان أمرنا به طلب[2] الدنيا وكفانا مؤنة الآخرة. فلمّا سمعه الحسن قال: ضالّة مؤمن عند فاسقٍ خذوها.

حدّثنا بهذا كتابة أبو سعد[3] عبد الله بن عمر بن أحمد بن منصور، عن زاهر بن طاهر، عن أبي عثمان سعيد بن محمد بن أحمد، عن أبيه، عن علي بن المؤمّل، عن محمد بن يونس،

(١) أ، ر، ن: عبيد الله.
(٢) أ، ر، ن: بطلب.
(٣) ج، م: أبو سعيد.

عن ابن عوف، عن مبارك بن فضالة، وذكره.

بلغنا عن هَرِم بن حيّان، أنّه بات عند حممة، فبكى حممة إلى الصباح، فقال له[1] هَرِم: ما أبكاك يا حممة؟ قال: ذكرت ليلةً صبيحتها تناثر النجوم.

حكاية

حدّثنا يونس بن يحيى، أنا محمد بن ناصر، أنا محفوظ بن أحمد، أنا محمد بن الحسن[2]، ثنا المعافى، ثنا عبيد الله بن محمد الأزدي، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدّثني الحارث بن محمد التميمي، عن شيخ من قريش، قال: مرّ الاسكندر بمدينة قد ملكها أملاك سبعة وبادوا، فقال: هل بقي من نسل الأملاك الذين ملكوا هذه المدينة أحد؟ قالوا: نعم؛ رجل يكون في المقابر. فدعا به فقال: ما دعاك إلى لزوم المقابر؟ فقال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت عظامهم وعظام عبيدهم سواء! فقال له[3]: فهل لك أن تتبعني فأحيي بك شرف آبائك إن كانت لك همّة؟ قال: إنّ همّتي لعظيمة إن كانت بغيتي عندك. قال: وما بغيتك؟ قال: حياة لا موت فيها، وشباب ليس معه هِرم، وغنى لا فقر معه، وسرور بغير مكروه. قال: لا. قال: فامض لشأنك، ودعني أطلب ذلك ممن هو عنده وملكه. فقال الاسكندر: هذا أحكم من[4] رأيت.

وحدّثنا يونس قال: ثنا عبد الوهاب الحافظ، عن المبارك بن عبد الجبار، عن محمد بن علي بن الفتح، عن محمد بن عبد الله الرقّاق[5]، أنا ابن صفوان، عن أبي بكر بن سفيان، عن محمد بن الحسين، عن الوليد بن صالح، عن عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم، قال: كان لعمر بن عبد العزيز سَفَط[6] فيه دُرّاعة[7] من شعر وغِلٌّ، وكان له بيت في جوف بيت يصلّي فيه لا يدخل فيه أحد، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط، ولبس تلك الدرّاعة، ووضع الغلَّ في عنقه، فلا يزال يناجي ربّه حتى يطلع الفجر، ثمّ يعيده في السفط.

---

(١) ج، م، ي: - له.

(٢) ج، م، ي: الحسين.

(٣) ج، م، ي: - له.

(٤) م، ي: ممن.

(٥) م، ي: الدقاق.

(٦) السَّفَط: الّذي يعبَّأ فِيهِ الطِّيب وَمَا أشبَهه من أدوات النِّسَاء.

(٧) الدراعة: ثوب من صوف.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، عن محمد بن الحسين[1]، عن محمد بن أيوب، عن يزيد بن محمد بن مسلمة، قال: حدّثني مولًى لنا، قال: بكت فاطمة بنت عبد الملك حتى عَشي بصرها، فدخل عليها أخواها[2] مسلمة وهشام، فقالا لها: ما هذا الأمر الذي[3] قد دُمْتِ عليه؟ أجزعُكِ على بعلك فأحقُّ من جُزِع على مِثله؟ أم على شيء فاتكِ من الدنيا؛ فها نحن بين يديك وأموالنا وأهلونا؟ فقالت: ما من كلٍّ جزعتُ، ولا على واحدة منهما أسفتُ، ولكنّي واللهِ رأيت[4] ليلة منظرا، فعلمت أنّ الذي أخرجه إلى الذي رأيت منه هولٌ عظيم قد استكن في قلبه[5] معرفته. قالا لها: وما رأيت منه؟ قالت: رأيته ذات ليلة قائمًا يصلّي، وأتى على هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[6] فصاح: واسوء صباحاه، ثمّ وثب فسقط، فجعل يخور حتى ظننت أنّ روحه ستخرج، ثمّ هدأ فظننتُ أنه قد قضى، ثمّ أفاق إفاقة فنادى: واسوء صباحاه، ثمّ وثب فجعل يجول في الدار ويقول: ويلي من يوم فيه يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش.

وروينا من حديث ابن أبي الدنيا، حدّثنا يعقوب بن إسماعيل، عن يعقوب بن إبراهيم، عن محمد بن مكي، قال: خطب عمر بن عبد العزيز فقال: الدنيا[7] ليست بدار قراركم؛ دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها منها الظعن، فكم من[8] عامر موثق عمّا قليل يخرب، وكم من[9] مقيم مغتبط عمّا قليل يظعن، فأحسِنوا -رحمكم الله- منها الرحلة بأحسن ما يستعدّ للنقلة، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾[10]، إنما الدنيا كفيء قُلُص فذهب، بينا ابن آدم[11] ينافس فيها قرير العين بها، إذ دعاه الله بقدره، ورماه بيوم حتفه، فسلبه دنياه، وصيّر لقوم

---

(١) ج: الحبيص. وحروفها المعجمة مهملة في م، ي.
(٢) النسخ عدا ج: أخوها.
(٣) ج، م، ي: - الذي.
(٤) ج، م، ي: ما رأيت.
(٥) ج، م، ي: استكن به في قلبي.
(٦) [القارعة: ٤، ٥]
(٧) أ، ر، ن: إن الدنيا.
(٨) أ، ر، ن: - من.
(٩) أ، ر، ن: - من.
(١٠) [البقرة: ١٩٧]
(١١) أ، ر، ن: + في الدنيا.

آخرين مغناه[1]، إنّ الدنيا لا تسرّ بقدر ما تضرّ، إنّها[2] تسرّ قليلا وتجرّ حزنا طويلا.

وحدّثنا يونس بن يحيى، عن أبي بكر بن أبي منصور، عن علي بن أحمد، عن أبي عبد الله بن بطة، عن ابن دريد، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: أذِن عبد الملك بن مروان[3] للناس إذنا عامّا، فدخل عليه[4] رجل في هيئة أعرابي، فقال: يا أبا الوليد؛ بلغني أنّ عندك مالا؛ فإنّ كان لله فاقسمه في عباده، وإن كان لك فتفضّل عليهم، وإن كان لهم فادفعه إليهم، وإن كان بينك وبينهم فقد أسأتَ شِركَتَهم، ثمّ ولّى. فقال عبد الملك: اطلبوا الرجل فلم يُقدر عليه، وأمر للناس بأعطياتهم، فكانوا يرون أنّه منبِّه من عند الله أو الخضر، والله أعلم.

روينا من حديث أحمد بن عبد الله، عن عبد الرحمن بن العباس، عن محمد بن يونس الكريمي، عن ابن عثمان، عن سلام بن مسكين، عن مالك بن دينار، أنّه لقي بلال بن أبي بردة في الطريق والناس يطوفون حوله، فقال له: ما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك؛ أوّلك نطفة، وأوسطك جيفة، وأسفلك دودة. قال: فهمّوا به أن يضربوه، فقال لهم: هذا مالك بن دينار، فتركه ومضى.

وحدّثنا أبو الفتوح في آخرين، قالوا: حدّثنا محمد بن عبد الباقي، عن حمد بن أحمد، عن أحمد بن عبد الله، عن الحسن بن علي بن الخطاب الورّاق، عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن إبراهيم بن العباس الكاتب، عن الأصمعي، عن أبيه، قال: مرّ المهلّب بن أبي صفرة على مالك بن دينار، وهو يتبختر في مشيته، فقال له مالِك: أما علمت أنّ هذه المشية تكره إلّا بين الصفّين؟ فقال له المهلّب: أما تعرفني؟ فقال مالك بن دينار: أعرفك أحسن المعرفة. قال: وما تعرف منّي؟ قال: أمّا أوّلك فنطفة مذرة، وأمّا آخرك فجيفة قذرة، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة. قال، فقال المهلّب: الآن عرفتني حقّ المعرفة.

حدّثنا يوسف بن عبد الكريم بن الحسين بالموصل، قال: قدمت بغداد واجتمعت ببعض خواص أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله، فقال: كان أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله[5] قد مرض

---

(١) ج، ر، م، ن: معناه.

(٢) ج، م، ي: - إنها.

(٣) النسخ عدا ج: - بن مروان.

(٤) أ، ر، ن: إليه.

(٥) ج، م، ي: - فقال: كان أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله.

مرضا شديدا، فنوى إن أقاله الله أن يفعل خيرا، ثمّ استبلّ من ألمه وشفاه الله، فشغله تدبير الأمور عن الوفاء بما نواه، ثمّ مرض المرض الذي مات فيه، فتذكّر ما نذر من الخير في مرضه الأوّل، وما فرّط في ذلك، فبكى وأنشد:

إذا مرضنا نوينا كلّ صالحة ... وإن شفينا فمنّا الزيغ والزللُ
نرضي الإله إذا خفنا ونسخطه ... إذا أمِنّا فما يزكو لنا عملُ

ولمّا احتضر الرشيد قال عند موته:

إنّ الطبيب بطبّه ودوائه ... لا يستطيع دفاع أمر قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبري مثله فيما مضى

ثمّ قال: احملوني إلى قبري، فحمل فاطّلع فيه وقد حفر، فقال: أوسعوا عند الصدر، ثمّ قال: يا من لا يزول ملكه؛ ارحم من قد زال ملكه، واسوأتاه من رسول الله ﷺ، ثمّ مات.

حديث ابن أبي ذِئب مع المنصور

روينا من حديث الحميدي، عن أبي محمد علي[1] بن أحمد، عن الكناني، عن أحمد بن خليل، عن خالد بن سعد، عن عمر بن حفص بن غالب، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن الشافعي، عن محمد بن علي، قال: إنّي لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر[2] المنصور، وفيه ابن أبي ذئب، وكان والي المدينة الحسن بن زيد، فأتاه الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئا من أمر الحسن بن زيد، فقال الحسن: سل عنهم ابن أبي ذئب؟ فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذئب؟[3] فقال: يا أمير المؤمنين؛ أشهد أنّهم أهل تخاصم في أعراض المسلمين، كثيرو الأذى. فقال أبو جعفر: قد سمعتم، فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين؛ فسله عن الحسن بن زيد؟ فقال: يا ابن أبي ذئب؛ ما تقول في الحسن بن زيد؟ قال: أشهد أنّه يحكم بغير الحقّ. فقال: قد سمعت يا حسن ما قال؟ فقال: يا أمير المؤمنين؛ سله عن نفسك؟ فقال: ما تقول فيّ؟ قال: أوَيعفيني أمير المؤمنين؟ فقال: واللهِ لتخبرنّي، فقال كلمة، فوضع المنصور يده في قفا ابن أبي ذئب، وجعل يقول له: أما واللهِ لولا أنا لآخذت أبناء فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك. فقال ابن أبي ذئب: قد ولي أبو بكر وعمر، فأخذا

(١) ج، م، ي: - علي.
(٢) ج، م، ي: - أبي جعفر.
(٣) ج، م، ي: - فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذئب؟

بالحقّ وقسّما بالسوية، وأخذا بأقفاء فارس والروم. فخلّاه أبو جعفر، وقال: واللهِ[1] لولا أنّي أعلم أنّك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذئب: واللهِ[2] يا أمير المؤمنين؛ إنّي أنصح لك من ابنك المهدي.

وقال[3] محمد بن القاسم بن خلّاد، قال ابن أبي ذئب للمنصور: يا أمير المؤمنين؛ قد هلك الناس، فلو أعنتهم مما في يدك من الفيء؟ قال: ويلك لولا[4] ما سددت من الثغور، وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك فتذبح. فقال ابن أبي ذئب: فقد سَدّ الثغور، وجيّش الجيوش، وفتح الفتوح، وأعطى الناس أُعطيتهم من هو خير منك. قال: ومن هو ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب. فنكّس المنصور رأسه، ولم يعرض له، والتفت إلى محمد بن إبراهيم الإمام، وقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز.

حدّثنا به يونس، عن أبي منصور، عن أحمد بن علي الجوهري، عن محمد بن عمران، عن أحمد بن محمد بن عيسى المكي، عن ابن خلّاد، وذكره.[5]

خبر سيف بن ذي يزن

روينا من حديث ابن هشام، أنّه لمّا طال البلاء على أهل اليمن من الحبش، وهلك أرياط وأبرهة ويكسوم بن أبرهة، ووليها مسروق بن أبرهة أخو يكسوم، خرج سيف بن ذي يزن الحميري وكان يكنى أبا مرّة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من[6] الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُشْكِه[7].

فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر، وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق، فشكى إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان: إنّ لي على كسرى وفادة[8] في كلّ عام،

---

(١) ج، م، ي: - والله.
(٢) ج، م، ي: - والله.
(٣) ج، م، ي: - وقال.
(٤) م، ي: - لولا.
(٥) انتهى السمر.
(٦) ج، م، ي: إلى.
(٧) لم يُشكه: لم يجد عنده شيئا مما يريد.
(٨) النسخ عدا ج، م: وفلاة. م: دخلاة.

فأقم حتى يكون ذلك، ففعل، ثمّ خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه[١] مثل القَنْقَل العظيم فيما يزعمون. والقنقل: المكيال يضرب فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ بالذهب والفضة، معلّقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك، فكانت عنقه لا تحمل تاجه، إنما يستر بالثياب حين يجلس في مجلسه ذلك، ثمّ يدخل رأسه في تاجه، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب، فلا[٢] يراه رجل لم يره قبل ذلك إلّا برك هيبة له. فلمّا دخل عليه سيف بن ذي يزن برك.

وفي حديث أبي عبيدة أنّ سيفا لمّا دخل عليه طأطأ رأسه، فقال له الملك: إنّ هذا الأحمق يدخل عليّ من هذا الباب[٣] الطويل يطأطئ رأسه! فقيل: هذا لِسيف، فقال: إنما فعلتُ هذا[٤] لِهَمّي لأنّه يضيق عنه كلّ شيء؟ قال ابن هشام؛ قال ابن إسحق؛ ثمّ قال: أيّها الملك؛ غَلَبَنا على بلادنا الأغربة. فقال كسرى: أيّ الأغربة؛ الحبشة أم السند؟ قال: بل الحبشة، فجئتك لتنصرني، ويكون مُلك بلادي لك. قال: بَعُدَتْ بلادك مع قلّة خيرها، فلم أكن لأورِّط جيشا من فارس بأرض العرب، لا حاجة لي بذلك. ثمّ أجازه بعشرة آلاف درهم، وكساه كسوة حسنة.

فلمّا قبض ذلك سيف، خرج فجعل ينثر تلك الورِق للناس، فبلغ ذلك الملك، فقال: إنّ لهذا[٥] لشأنا. ثمّ بعث إليه، فقال عمدتَ إلى حِبا الملك تنثره للناس! فقال: وما أصنع بهذا؟ ما جبال أرضي التي جئت منها[٦] إلّا ذهب وفضّة، يرغِّبه فيها. فجمع كسرى مَرازبته، فقال: ماذا ترون في أمر هذا الرجل؟ وما جاء له؟ فقال قائل: أيّها الملك؛ إنّ في سجونك[٧] رجالا قد حبستهم للقتل، فلو أنّك بعثتهم معه؛ فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظفروا كان مُلكا ازددته. فبعث معه كسرى مَن كان في سجونه، وكانوا[٨] ثمانمائة رجل، استعمل[٩] عليهم وهْرِز، وكان ذا سنّ فيهم، وأفضلهم حسبا وبيتا.

---

(١) ج، م، ي: - وكان تاجه.
(٢) ج، م، ي: فلم.
(٣) ج، م، ي: البيت.
(٤) ج، م، ي: - هذا.
(٥) أ، ي: هذا.
(٦) النسخ عدا ج: بها.
(٧) ج، م، ي: سجنك.
(٨) النسخ عدا ج: وكان.
(٩) ج، م، ي: استعمل.

فخرج في ثمان سفائن، فغرقت سفينتان، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن، فجمع سيف إلى وهرِز من استطاع من قومه، وقال له: رِجلي مع رِجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا. قال وهرز: أنصفت. وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن، وجمع إليه جنده، فأرسل إليهم[1] وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر مقاتلتهم[2]، فقتل ابن وهرز، فزاده ذلك حنقا عليه.

فلمّا تواقف الناس على مصافّهم، قال وهرز: أروني مَلِكهم، قالوا له: أترى رَجلا على الفيل، عاقدا تاجه على رأسه، بين عينيه ياقوتة حمراء! قال: نعم، قالوا: ذلك مَلِكهم. فقال: اتركوه. فمكث طويلا، ثمّ قال: علام هو؟ قالوا: قد تحوّل على الفرس، قال: اتركوه. فوقفوا طويلا، ثمّ قال: علام هو؟ قالوا: على البغلة، قال وهرِز: بنت الحمار! ذلّ وذلّ ملكه، إنّي سأرميه، فإن رأيتم أصحابه لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أوذنكم فإنّي قد أخطأته، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به، فقد أصبتُ الرجل فاحملوا عليهم. ثمّ وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره لشدّتها، وأمر بحاجبيه فعصبا له، ثمّ رماه فصكّ الياقوتة التي بين عينيه، فتغلغلت النشّابة في رأسه حتى خرجت من قفاه، ونكس[3] عن دابته، فاستدارت[4] الحبشة ولاثت به، وحملت عليهم الفرس، وانهزموا وقُتلوا وهربوا في كلّ وجه، فأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى إذا أتى بابها، قال: لا تدخل رايتي منكّسة أبدا؛ اهدموا الباب، فهُدِم ثمّ دخلها ناصبا رايته. فقال سيف بن ذي يزن:

يظنّ النـاس بالملكـ ـــــين أنّهما قد التأما
ومن يســمع بِلَأْمِهما فإنّ الخطب قد فَقِما[5]
قتلنا القيل مســـروقا وروّينـا الكثيـب دمـا
وأنّ القيـل قيـل النـا س وهرِز مقسِم قسما
يرق[6] مشعشعا حتى نفيء الســـبي والنعما

فقد ذكرنا قصيدة أُميّة بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن في وفد عبد المطلب

(١) ج، م، ي: إليه.
(٢) أ، ر، ن: قتالهم.
(٣) ج، م، ي: ونكص.
(٤) أ، ر، ن: واستدارت.
(٥) النسخ عدا ج: نقما.
(٦) أ، ر، ن: يروق.

وقريش عليه من حديث أحمد بن عبد الله، وهي القصيدة التي يقول فيها:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شـــيبا بماء فعادا بَعْدُ أبوالا

وهذا البيت في قصيدته ليس له[1]، وإنما هو للنابغة الجعدي، كذا قال ابن إسحق. وقال عدي بن زيد الحيري؛ عابد من عبّاد أهل الحيرة:

مـا بعـد صـــنعـاء كان يعمرهـا ولاة ملك جزل مواهبهـا[2]
رفـعـهـا مَـن بـنى لدي قـزع المزن وتندَى[3] مسكا محارِبُها
محـفـوفـة بالجـبـال دون عـرى الكائـد مـا ترتقى غواربهـا
يـأنس فيهـا صـــوت اللهـام إذا جاوبها بالعشـــــيّ قاصبها
ساقت[4] إليها الأسباب جند بني الـ أحرار فرســـانهـا مراكبهـا
وفوّزت بالبغـال توسَـــق بالحـ ـــتف وتسعى بها[5] توالبها
حتى رآهـا الأقوال من طرف الـ منقل مخضـــــــرّة كتائبها
يـوم ينـادون آل بـربـر والـيـ ـــكسـوم لا يفلحنّ هاربها
فـكان يـوم باقي الحـديـث وزا لـت إمَّـة ثابـتٌ مراتبهـا
وبُـدِّل الـفـيـجُ[6] بالـزرافـة والأ يّام خُـونٌ جمٌّ عجـائـبهـا
بـعـد بـني تـبّـع نخـاورة قد اطمأنّت بها[7] مرازبها

الغارب: السنام فاستعاره، فأراد بقوله غواربها: أعاليها. واللهام: طائر، والقاصب: الزامر، والتوالب: واحدها تولب وهو ولد الثعلب. وإمّة هنا؛ يريد بها: لغة. والفيج: الواحد. والزرافة: الجماعة. نخاورة: يعني سادات. والمرازب: العظما.

قال ابن هشام: فأقام وهرز والفرس في اليمن ومن بقيّة ذلك الجيش من الفرس هم الأبناء الذين باليمن اليوم، ثمّ مات وهرِز فولّى كسرى المرزبان ابن وهرز، ثمّ مات المرزبان، فأمّر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان بن وهرز، ثمّ مات التينجان فولّى كسرى ابن التينجان ثمّ

(١) ج، م، ي: - ليس له.
(٢) ج، م، ي: مناصبها.
(٣) ج، م، ي: وتبدي.
(٤) أ، ر، ن: ساق.
(٥) النسخ عدا ج: به.
(٦) م، ي: الفتح.
(٧) ج، م، ي: به.

عزله وأمّر باذان. وقد ذكرنا خبر باذان في هذا الكتاب وإسلامه.

روينا من حديث ابن مروان، عن إبراهيم بن إسحق الحربي، عن هارون بن عبد الله، عن سيّار[١] عن جعفر، عن عنبسة الخواص، عن قتادة، قال؛ قال موسى عليه السلام: يا ربّ؛ أنت في السماء ونحن في الأرض، فما علامة غضبك من رضاك؟ قال: إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي، وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي[٢].

وأنشدنا من حديث ابن أبي الدنيا، قال: أنشدني أبو عبد الله البصري، لمعبد بن طوق العنبري:

تلقى الفتى حذر المنيّةِ هاربا ... منها وقد حُدِقَتْ به لو يَشعرُ
نصَبت حبائلَها له من حوله ... فإذا أتاه يومُه لا يَنظُرُ
إنّ امرءًا[٣] أمسى أبوه وأمّه ... تحت التراب لو أنّه[٤] يتفكّرُ
تُعطى صحيفتَك التي أمليتها ... فترى الذي[٥] فيها إذا ما تُنشرُ
حسناتها محسوبة قد أُحصيتْ ... والسيّئات فأيّ ذلك أكثرُ

وروينا من حديث الدينوري، عن الحارث بن أبي أسامة، عن إسحق بن إسماعيل، عن أبي معاوية، عن سليمان بن إبراهيم، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: لمّا قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام لقيه[٦] الجنود، وعليه إزار وخفّان وعمامة، وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء، وقد خلع خفّيه وجعلها تحت إبطيه. قالوا له: يا أمير المؤمنين؛ الآن يلقاك[٧] الجنود وبطارقة الشام، وأنت على هذه الحالة! قال عمر: إنّا قوم أعزّنا الله بالإسلام، فلن نلتمس العزّ بغيره.

وحدّث عبيد الله بن عمر، أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمل قربة على عنقه، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين؛ ما حملك على هذا؟ قال: إنّ نفسي أعجبتني فأردت أن أُذلّها. رويناه

---

(١) ج، ي: يسار.
(٢) أ، ر، م، ي: سخطي عليكم.
(٣) م، ي: إني امرؤ.
(٤) ج: ليومه. أ، ر، ن، ي: لنوله.
(٥) ج، م، ي: فترى النهى.
(٦) أ، ر، ن: لقيته.
(٧) م، ي: تلقاك.

من حديث المالكي، عن أحمد بن يوسف، عن عبيد الله بن محمد بن حفص، عن حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر.

حدّثنا محمد اللبان[1]، ثنا ابن خميس، ثنا الحميدي، ثنا أبو بكر الأَرْدَستاني، أنا السلمي، سمعتُ عبد الله بن علي الطوسي، سمعت أحمد بن محمد البرذعي، سمعت الشبلي، وسئل عن قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾[2] فوصف صفة لم يضبطها أهل المجلس. ثمّ أنشأ يقول:

لست من جملة المحبّين إن لم أَدَع القلبَ بيتَه والمَقاما
وطوافي إجالةَ السرِّ فيه وهو ركني إذا أردت استلاما

قلت: فهذان البيتان من جنس ما لم[3] يضبطه أهل المجلس، لأنّ وارد الوقت واحد العين. فاعلم ذلك.

وقال محمد بن الفضل: العجب ممن يقطع الأودية والقفار والمفاوزَ حتى يصل إلى بيته وحرمه، فيرى فيه آثار[4] أنبيائه، كيف لا يقطع نفسه وهواه حتى يصل إلى قلبه؛ فإنّ فيه آثار ربّه.

(خلق الخلق)

روينا من حديث السلمي عن محمد بن عبد الله عن محمد بن الفضل، روينا من حديث[5] إسحق بن بشر، مرفوعا إلى النبيّ ﷺ «أنّ حملة العرش أربعة أملاك: ملَك على صورة إنسان يسأل الرزقَ لولد آدم، وملَك على صورة سبع يسأل الرزق للسباع، وملَك على صورة النسر يسأل الرزق للطير، وملَك على صورة الثور يسأل الرزق للأنعام». قال ابن عباس: فالملَك الذي على صورة الثور، لم يزل غاضّا بصره منذ عبَدت بنو إسرائيل العجل، لأنّهم عبدوا شيئا يشبهه، وإنّ الله تعالى لمّا خلق هؤلاء الملائكة قال لهم: احملوا العرش فلم يطيقوا، فقال لهم: قولوا لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فلمّا قالوها استقلّوا بالعرش على كواهلهم، ونزلت

(١) أ، ر، ن: محمود اللبان. ج: محمد بن اللباب. ي: - الاسم.
(٢) [آل عمران: ٩٧]
(٣) م، ي: - لم.
(٤) ج، م، ي: أثر.
(٥) ج، م، ي: - عن محمد بن عبد الله عن محمد بن الفضل، روينا من حديث.

أقدامهم حتى بلغت الثرى، فكتب الله تعالى في قدم كلّ ملك اسما من أسمائه فاستقرّت به أقدامهم[1] على متن الثرى، وقدّر البروج في العرش اثنا عشر مقدارا، وقدّر المنازل في الكرسي، وخلق الأيام بخلق الكرسي فأداره، فكانت الأيّام بدورانه لكنّه يوم واحد لا يتميّز فيه من الأيّام السبعة. ثمّ خلق السبع سماوات وأدارها، وخلق في كلّ فلَك كوكبا، فجعل في الأعلى: كيوان، وفي الثاني: بهرام، وفي الثالث: الأحمر، وفي الرابع: الشمس، وفي الخامس: الزهرة، وفي السادس: الكاتب، وفي السابع: القمر. ثمّ خلق النار مما يلي السماء الدنيا، وجعل فيها[2] شهب الرصد على مسالك الشياطين ذوات الأذناب، ثمّ خلق الهواء ثمّ الماء ثمّ الأرض، وخلق الليل والنهار عند حركة الفلك الذي فيه الشمس. ثمّ خلق المعادن والنبات والحيوان، وآخر خلقٍ خلقَه الإنسان. هكذا رتّب الله[3] العالم، فذلك تقدير العزيز العليم.

ثمّ في هذه الأفلاك، وبينها من العوالم والأملاك والأرواح والمنازل والمقامات، ما لا يعلمه إلّا الله. وخلق سدرة المنتهى، أصلها في السماء السادسة عند الأنهار الأربعة التي النيل والفرات منها، وفروعها بين السماء السابعة والكرسي، وجعلها موضع الانتهاء لما ينزل من العرش من الأمر، ولما يصعد من الأرض[4] من الأعمال والمعارج، وجعل هناك مرموما[5]، وهو مسكن الملائكة دون الروح الأعظم.

وإنّ الله خلق سبعين حجابا، ومن وراء الحجب إسرافيل، ومن وراء إسرافيل سبعة حجب بينه وبين العرش. وخلق الله ميكائيل[6] وجعل بيده الدعاء والرحمة والاستغفار والأرزاق والغياث. وخلق جبريل وجعل له الوحي إلى الأنبياء والمرسلين والخسف والإرجاف وهلاك الأمم الطاغية على ربّ العالمين. وخلق عزرائيل ملك الموت وجعل له[7] الموت وقبض الأرواح. وجعل إسرافيل سفيرا بينه سبحانه وبين هؤلاء الملائكة، بما يوحي إليهم من القضاء الذي قدّره وسبق في علمه كونه. وجعل اللوح المحفوظ معلّقا بالعرش، فإذا قضى الله قضاء دنا اللوح المحفوظ فيقرع جبهة إسرافيل، فيسمع للوحي[8] صلصلة كالسلسلة على الصفوان،

---

(١) ج، م، ي: - حتى بلغت الثرى، فكتب الله تعالى في قدم كلّ ملك اسما من أسمائه فاستقرّت به أقدامهم.

(٢) ج، م، ي: منها.

(٣) ج، ي: - الله.

(٤) م، ي: الأمر.

(٥) أ، ر، ن: مرمويا.

(٦) أ، ر، ن: ميكال.

(٧) ج، م، ي: - له.

(٨) ي: للوح.

فيكشف إسرافيل الغطاء الذي على وجهه، ويرفع بصره، فإذا فيه قضاء الله ﷻ الذي قضاه، فينادي بذلك القضاء إسرافيل الملَك الذي يجريه الحقّ على يديه. وبين إسرافيل عليه السلام وبين أقرب الملائكة إليه سبعون حجابا.

وخلق سبحانه الناقور، وهو الصور، وهو قرن من نور، واسع الأعلى ضيّق الأسفل، وجعل فيه مسكن أرواح الخلائق بعد الموت، ووكّل به ملكا عظيما ألقمه إيّاه، ينتظر متى يؤمر بالنفخ؟ وجعل لإسرافيل فيه نفخة البعث، فإنّ النفخات في الصور، وهو جمع صورة، أربع: نفخة الأرواح في أجسادها إنشاء، وهو قوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[1]، ونفخة الفزع، وهو المذكور[2] في سورة النمل، ونفخة الصعق ونفخة القيامة، وهما المذكورتان في الزمر، فنفخة القيامة لإسرافيل.

عن ابن عباس: وبين إسرافيل وجبريل سبعون حجابا[3]، إسرافيل في أعلاها وجبريل في أدناها إلينا، والصور قائم بينهما قد ثنى ركبته اليمنى وشخص بها إلى السماء، والأخرى إلى الأرض، والصور أجوف كأنّه فضّة بيضاء، وقد وضعه الملك على فخذه، وقرّب أعلاه إلى فيه، وهو ينظر بإحدى عينيه إلى الصور وبالأخرى إلى جناح إسرافيل، وقد جعل الله له علما، فإذا أراد الله أمرا بقضاء الأجل الذي للعالم أمر إسرافيل أن يضمّ إليه جناحه، وذلك بأن يدنو اللوح من جهة إسرافيل فيقرعها، فإذا فيه: أن ضمّ إليك جناحك، فيضمّ إسرافيل إليه جناحه بإذن ربّه، فإذا رأى ذلك الملَك نفخ في الصور، فتمرّ النفخة في جميع صور العالم الحيّ في العرش والكرسي والسماوات والأرض، من ملك وإنس وجنّ وحيوان برّي وبحري، فيصعقون عن آخرهم إلّا من شاء الله مثل[4] إسرافيل وجبريل وميكائيل وملك الموت.

واختلف في سكان الجنّة والنار، وروح موسى عليه السلام، فقد قيل: لا تلحقهم الصعقة، ثمّ يُقبض روح ميكائيل أوّلا، ثمّ روح إسرافيل، ثمّ جبريل بعدهما. وقد روي أنّه أحبّ خلق الله إلى الله من الملائكة.

وروينا أيضا انّه لا يقبضه حتى يعتذر له سبحانه، بأنّ ذلك مما سبق في علمه، ثمّ يدنو ملك الموت من ربّه عن أمره، فيقول له: مُت فيموت.

---

(١) [الحجر: ٢٩]

(٢) أ، ر، ن: المذكورة.

(٣) ج، م، ي: - حجابا.

(٤) ج، م، ي: ومثل.

قال ابن عباس: فلا يبقى إلّا الله سبحانه، فيقول: أنا مالك الملك، أنا الذي قضيت على خلقي بالفناء، وأنا الباقي؛ أين الجبّارون؟ وأين المتكبّرون؟ ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ﴾؟ فلا يجيبه أحد، فيقول: لِلَّهِ ربّ العالمين. فيدعهم أربعين، لا يُدرى يوما أو شهرا أو سنة. ما بلغنا فيه عن أحد ممن روينا[1] عنه شيء يُعتمد عليه، غير أنّ الحسن قال: اتّفق رأي أصحاب النبيّ ﷺ على أربعين عاما، فإذا انقضتِ المدّة، وشاء سبحانه أن يبعث الخلق، أرسل عليهم الريح العقيم لتجمعهم، ثمّ يرسل عليهم مطرا بلا سحاب مثل مني الرجال.

وقد روي أنّه البحر المسجور، وقد[2] قيل: نهر الحياة الذي بين العرش والكرسي، فيمطرون أربعين صباحا، فينبتون نبات الطراثيث[3]، وقد قيل على صورة النشأة الأولى من التناسل أوّلا فأوّلا على التوالد، ولكن في أقرب من لمح البصر. ثمّ يبعث الله إسرافيل عليه السلام، فيهبط إلى صخرة بيت المقدس، والصور معه، وفي الصور خمس دارات عظام؛ في دارة منها أرواح الملائكة والأنبياء والمرسلين، وفي دارة منها أرواح المؤمنين، وفي دارة منها أرواح الكفّار والمنافقين، وفي دارة منها أرواح الجنّ والشياطين، وفي دارة منها أرواح البهائم وسائر الحيوان. فينفخ فيه فتجري الأرواح إلى[4] أجسادها، فيقوم الخلق لربّ العالمين.

ثمّ يبدّل اللهُ الأرض والسماوات، ويكون الخلق عند ذلك في الظلمة دون الجسر، ثمّ تمتدّ[5] الأرض الساهرة مدّ الأديم، وهي أرض ما نِيم[6] عليها قط، في لون الفضة البيضاء. ثمّ يأمر لكلّ سماء أن تنزل بمن فيها من عمّارها إلى هذه الأرض.

فإذا نزلوا وجمعت هذه الأرض هذا الحشر كلّه، ينزل الله لفصل القضاء فيؤتى بالجنّة، فتقاد قودا، معها الأمن والإيمان والرضى والرضوان، حتى توقف عن يمين العرش. ثمّ يؤتى بالنار، تقاد قودا معها السلاسل والأغلال، وزبانيتها بأنيابٍ كالصياصي وأصابعَ كالقرون، معهم المقامع الثقال، فتوقف عن يسار العرش. ثمّ يؤتى بالقلم يليه اللوح يتلوه إسرافيل يتلوه جبريل يتلوه النبيّون والمرسلون، فيسألهم عن التبليغ، هل بلغك؟ هل بلغك؟ فيقرّ الكلّ واحد بالتبليغ.

---

(١) ج، م، ي: مما رويناه.

(٢) ج، م، ي: - قد.

(٣) الطراثيث: من النباتات البرية العشبية الرملية المعمرة، تتخذ للأدوية.

(٤) ج، م، ي: في.

(٥) أ، ر، ن: فتمد.

(٦) ج، م، ي: ما ينام.

والحقّ سبحانه يتولّى كلام الخلق في الموقف كلّه إلّا في ثلاثة مواطن: عند نشر الكتب، وعند الميزان، وعند الصراط؛ فإنّ الله وكّل بهذه المواطن ملائكةً، هم الذين يباشرون الخلق، وليس ينادى الناس يومئذ إلّا بأمهاتهم، رعاية لعيسى عليه السلام، وسترا على زناة الخلق.

ثمّ يقسّم الأنوار ﷻ على المؤمنين والمنافقين ثمّ يتجلّى لهم فيقول: "أنا ربّكم" فيقولون: نعوذ بالله منك، لست ربّنا[1]، فيقول لهم[2]: هل بينكم وبين ربّكم علامة؟ فيقولون: نعم. فيتحوّل لهم ﷻ في العلامة التي يعرفونها، فإذا أبصروها عرفوها، فقالوا: أنت ربّنا، فيتبعونه، ويُضرب الصراط، ويُدعون إلى السجود، فلا يستطيع المنافقون السجود ويسجد المؤمنون. فهنالك يسلب الله عنهم الأنوار التي كساهم إيّاها مع المؤمنين، فإذا رأى[3] ذلك المؤمنون، يقولون عندها من الحذر[4]: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[5].

ومواطن القيامة أعظم من أن توصف. وقد أوردنا في هذا الكتاب ما رويناه من حديث مواقف القيامة الخمسين من رواية الثقات[6] مستوفى.

الأنهار التي تجري من السماء

عددها ثمانية، وأسماؤها النيل والفرات ودجلة ومهران وسيحون وجيحون والسلسبيل والكوثر. فستّة منها في الدنيا، واثنان في الجنّة، وهما: السلسبيل والكوثر.

روينا من حديث مسلم أربعة أنهار: اثنان للجنة وما سمّاهما[7]، واثنان في الدنيا، وذكر النيل والفرات.

ومرّة قال: في السماء السادسة. ومرّة قال: رآها في السدرة.

وروينا من حديث غيره عنه: سيحان وجيحان.

وروينا موقوفا على ابن عباس، من حديث إسحق بن بشر، حديث دجلة ومهران، واسم[8] السلسبيل والكوثر. غير أنّ دجلة يغلب على ظنّي أنّي رويت فيه خبرا، عن النبيّ

---

(١) ج، م، ي: بربّنا.
(٢) ج، م، ي: - لهم.
(٣) في النسخ: رأوا.
(٤) ج، م، ي: - من الحذر.
(٥) [التحريم: ٨]
(٦) أ، ر، ن: النقاش.
(٧) ج: - وما سمّاهما. م، ي: سمّاها.
(٨) ج، م، ي: فاسم.

ﷺ لا أذكره الآن. أمّا نهر مهران فيظهر ما بين أرض الروم من وراء أرض البصرة حتى يقع بأرض السند. وأمّا جيحون فيظهر بأرض الروم على جبل من وراء أرض أرمينية، وهو نهر بلخ. وأصل النيل من تحت الصخرة، وظهوره من جبل القمر، وهو نهر مصر. وأمّا دجلة والفرات، فأصل دجلة بين طبوس وحسي؟ وقفنا[١] عليه. وأمّا الفرات فقربت[٢] من رأسه، وهو بأرض الروم. وسيحون فظاهر بالأرض. ومرجع هذه الأنهار كلّها[٣] إلى الجنّة إلى عين التسنيم، يرفعها جبريل إليه في طست من الذهب يوم القيامة.

وأمّا الرياح الأربعة: فهي الجنوب، وتسمّى عند الله: الأزيب، والشمال والجنوب تخرج من الجنّة فتمرّ على النار، فحرّها منها. والشمال تخرج من النار فتمرّ بالجنّة، فبردُها منها.

وأمّا الزمهرير والحرور، فمِن تنفُّس جهنم والصَّبا والدبور، ومبعث هذه الرياح كلّها من تحت العرش، ومستقرّها تحت الأرض، وهو الذي يسمى[٤]: القرقر.[٥]

روينا من حديث الهاشمي، يبلغ به النبيّ ﷺ أنّه قال: «أيّها الناس؛ لا تشغلنّكم دنياكم عن آخرتكم[٦]، ولا تؤثِروا أهواءكم على طاعة ربّكم، ولا تجعلوا إيمانكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسِبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا، ومهّدوا لها قبل أن تُعذَّبوا، وتزوّدوا للرحيل قبل أن تزعجوا، فإنما هو موقف عدل، واقتضاء حقٍّ، وسؤال عن واجب، ولقد أبلغ في الإعذار، من تقدّم في الإنذار».

ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى، ما حدّثناه عبد الله بن الأستاذ المورووري، قال: قال لي بعض الصالحين: رأيت في الواقعة أبا مدين وأبا حامد وأبا طالب[٧] وأبا يزيد وجماعة من الرجال، فقالوا لأبي مدين: أعِد[٨] علينا من كلامك في التوحيد؟ فقال: التوحيد وطن العارفين وبه تاهوا، وليس لهم مستقرّ إلّا هو. هو[٩] حياة أسرارهم ومادة القلوب، وكلّ

(١) أ، ر، ن: وقعت.
(٢) ج، ي: فقريب.
(٣) أ، ر، ن، ي: كله.
(٤) ج، م، ي: وهي التي تسمى.
(٥) انتهى السمر.
(٦) ج، م، ي: أخراكم.
(٧) ج، م، ي: - وأبا طالب.
(٨) ج، م، ي: عد.
(٩) ج، م، ن، ي: - هو.

كلّيّتهم وغيب الغيوب، هو السيّد المتبوع وما عداه تبع، والقائم بنفسه، وقوام من صنع به. هو بحر الأسرار[١] والأسرار جداوله، وموضع نظر العارف فيما يأتيه ويحاوله، به[٢] علت همّته فسما، فمن سقط عن هذه الرتبة فهو مغمى عليه أو أعمى[٣].

وللعارف من معروفه دلائل وروائح، يظهر طيب نسيمها للغادي والرائح، يشتمّ منها[٤] أنوار التنزيه، ويكشف له عن غيبه فيجده فيه، فتلاشت أحواله وسماته، وبقيت رسومه وصفاته، فلا قول ولا قائل، إذ كلّ ما سواه عدم وزائل، هو أصل كلّ شيء ومادته، وبه حياة كلّ حيّ وحركته، هو الدقيق والجليل، وقدرته عمّت الكثير والقليل. فلذّة العارف من معروفه في التجلّي، وصفاته ظاهرة بالتبرّي والتحلّي. تعرّى عن الكونين أدناها وأعلاها، ولم يرض بشيء منها دون من سواها. فسرّه من الغير مُطَهّر، وللعلوم كاشف[٥] ومُظهِر. قلبه في حضرة مالكه يسري، وفكرته في ميدان المعارف تجري. فتوحاته منه إليه دائمة، ونفسه وحقيقته عمّا سواه صائمة، غذاؤه من التوحيد الدقيق، وشرابه من[٦] الصافي الرقيق، قد خامره[٧] سرّه فأمعن فيه، فظلّ عند ربّه يطعمه ويسقيه.

سمعت بعض أصحابنا يقول: قال بعض الصالحين: كتبت إلى رجل من إخواني وأنا أقول له: يا أخي؛ ربما دعوت لك في أوقات الإجابة، فعرّفني بمرادك. قال: فكتب إليّ: يا أخي؛ شهوتي ومرادي في قلب منوّر، ووجه مصفر، وثوب مشمّر، ورزق مقتّر.

ومن باب السماع، ما ذكره ابن الرميلة[٨] في "إيضاح مصون التصوّف"، قال: كان بعض الفقراء يمشي في السوق، فسمع بعض الباعة يصيح: جلبان[٩]، فغشي عليه، فاجتمع عليه الناس، فلمّا أفاق قال: حبيبي؛ كيف قلت: "جلّ" بذاته فما يحسّ ولا يرى، و"بان" عن مخلوقاته فلا شيء يشبهه في الورى!

---

(١) ج، م، ي: هو مجرى لأسرارهم.
(٢) ج، م، ي: - به.
(٣) ج، م، ي: وأعمى.
(٤) ج، م، ي: يشمّ فيها.
(٥) ج، م، ي: مكاشف.
(٦) أ، ر، ن: من الماء.
(٧) أ، ر، ن: خامر.
(٨) ابن الرميلة: أحمد بن محمد بن مفرج، أبو العباس الأنصاري القرطبي، استشهد بوقعة الزلاقة بالقرب من بطليوس ٤٧٩هـ.
(٩) ج، م، ي: الجلبان.

وسُمع رجل آخر بائع[1] موز، وهو ينادي عليه[2]: انفتل واستوى، فغشي عليه، فلمّا أفاق، قال: حبيبي؛ كيف قلت: انفتل وليّ الله عن معصية الله، واستوى على طاعة الله؟

قلت: وماشَيْتُ عبد الله بن الأستاذ، وكان من السادة عند باب الفتح من[3] أشبيلية، فسمع بائعَ خسٍّ من العامة، وهو ينادي عليه: "الخاص رطب أبيض" فتأوّه، وأخذته حالة من ذلك، وكان قويّا، فقال لي: يا أخي؛ أما تسمع ما يقول هذا البائع في نعت الخاص من عباد الله؛ لسانه رطب من ذكر الله، وقلبه أبيض بنور الله.

وماشيت بعضهم أيضا بقرطبة عند باب بياضة حيث دار السلطان، فإذا جماعة من الأجناد خرجوا من دار السلطان، يقول بعضهم لبعض: جاءت الرسل من قلعة رباح، فاهتزّ الفقير، وقال: يا أخي؛ أما تسمع لهؤلاء[4] الأجناد، ما يقولون؟ قلت: وما قالوا؟ قال؛ قالوا: جاءت الرسل عليهم السلام، يقولون: من قلع عن معصيةٍ ربح ما عند الله.

وحدّثنا[5] محمد بن قاسم، قال: كان إلى جانبي شاب مسرف على نفسه، فلزم بيته وأظهر توبته، وكان ممن لا يطمع في خلاصه، فقمت إليه[6] مهنّئا له بسلامته، فرأيته في حالة حسدته عليها: دمعٌ يستبق، وفؤادٌ يحترق، وقد تجرّد من قدرته، وتعرّى من زلّته، والتحف برداء فقره وذلّته. فسلّمت عليه، وقلت له: كيف قدِمت من سفر زلّتك؟ وكيف تخلّصت من سجن غفلتك؟ وصرتَ إلى حرم قربتك[7]؟ فقال لي: يا شيخ؛ قمتُ يوما على عادتي، عن بعض ما كنت عليه من المخالفة، فدخلت الحمّام، فاغتسلتُ ثمّ خرجت فمررت بمسجد، فقلت: أنا على طهارة فلو[8] دخلتُ وصلّيتُ، فدخلت[9] وجعلت أمشي مشية المحسن المدل[10]. فقام إليّ شيخ عليه سيماء الصلاح بادية، فقال لي: من كان على ما كنتَ عليه من سوء المعاملة مع الله، لم تكن هذه مشيته في بيته، أما علمت يا بنيّ؛ إنّ الأرض تلعنك من تحت

(١) ج، م، ي: وهو بائع.
(٢) ج، م، ي: - عليه.
(٣) ج، م، ي: من باب.
(٤) ج، م: هؤلاء.
(٥) ج، م، ي: حدّثنا.
(٦) ج، م، ي: له.
(٧) أ، ر، ن: توبتك.
(٨) ج، م، ي: لو.
(٩) ج، م، ي: - فدخلت.
(١٠) ج، م، ي: المذكر.

قدمك! قال الشاب: فسقطتُ من كلامه وهيبته على وجهي، وغلب عليّ الحياء من ذكره، فعقدت[1] التوبة فيما بيني وبين الله سبحانه. فهذا يا سيّدي كان سبب توبتي.

وأنشدني[2] أبو عبد الله الكتّاني[3] لبعضهم:

ذكرت إســـاءتي فازددت حزنا ومثلي من تـذكر ثمّ ناحـا
قطعـتُ العمر عصـــيـانا وجهلا وجانبت المروءة والصلاحا
سيبدي العرض منّي يوم حشري لأهل الجمع أحوالا قباحا

(١) أ، ر، ن، ي: فاعتقدت. م: وأعقدت. ي: فأعقدت.
(٢) أ، ر، ن: وأنشدنا.
(٣) أ، ر، ي: الكناني.

جدول المحتويات

رموز مستخدمة في التحقيق..... ٦
المقدمة..... ٧
التدوين وتطوّره عند العرب:..... ٧
ترجمة الشيخ محيي الدين بن العربي ١١
اسمه ومولده:..... ١١
أسرته:..... ١١
والده:..... ١١
والدته:..... ١٢
عمّ الشيخ:..... ١٢
شقيقتا الشيخ:..... ١٢
أزواجه:..... ١٢
أولاده:..... ١٣
دراسته:..... ١٣
تصوفه:..... ١٤
الفتح الأكبر:..... ١٥
تنقلاته:..... ١٧
رحلته إلى الشرق:..... ١٧
تنقلاته في المشرق:..... ١٨
شيوخه:..... ١٩
لبس الخرقة:..... ١٩
أصحابه:..... ٢٠
علاقته بعلماء عصره:..... ٢١
كراماته:..... ٢٥
مؤلفاته:..... ٢٨
علاقته بالحكام:..... ٢٩
وفاته:..... ٣٠
المعترضون:..... ٣٠
نسب رسول الله ﷺ:..... ٥٧
أنساب العشرة المشهود لهم بالجنّة متّصلة بنسبه ﷺ:..... ٥٨

نسب أمّه ﷺ: ٥٩
نسب والده من الرضاعة عليه السلام: ٥٩
أخوته من الرضاعة: ٦٠
أولاده ﷺ: ٦٠
أعمام رسول الله ﷺ وعمّاته: ٦٠
أزواج رسول الله ﷺ: ٦١
سراريه ﷺ: ٦٣
حجاته ﷺ وعُمَرُه: ٦٣
غزوات رسول الله ﷺ التي خرج إليها بنفسه: ٦٣
سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه فيما بين أن قدم المدينة إلى أن قبضه الله عزّ وجلّ: ٦٥
عدد نقبائه ﷺ وهم اثنا عشر نقيبا: ٦٨
خَلْقُه ﷺ وخُلُقُه وشمائله وحالاته وحركاته وسكناته ومجالسه: ٦٩
أسماؤه ﷺ: ٧٣
خصائصه على الأنبياء عليهم السلام: ٧٤
بعوثه ﷺ إلى كسر الأصنام وإلى ذي الخلصة باليمن: ٧٤
ركابه ﷺ ثلاثة: ٧٤
أفراسه ﷺ ستة: ٧٤
سيوفه ﷺ ستة: ٧٤
أدراعه ﷺ ثلاثة: ٧٥
قسيّه ﷺ ثلاثة: ٧٥
أرماحه ﷺ ثلاثة: ٧٥
أسماء الغزوات التي قاتل فيها عليه السلام: ٧٥
قدر ما بلغ صِداق رسولِ الله ﷺ من الدراهم، والدنانير، وغير ذلك: ٧٥
من تولّى غسل رسول الله ﷺ لمّا مات: ٧٦
أكفانه عليه السلام: ٧٦
نوّابه ﷺ الذين استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزو، أو عمرة، أو حج: ٧٦

كتّابه عليه السلام: ٧٨
أولاد هاشم بن عبد مناف بن قصي: ٧٨
أولاد عبد مناف بن قصي: ٧٨
ذكر حجة رسول الله ﷺ التي تسمّى حجة الوداع: ٧٩
ذكر الخلفاء وتاريخ مدّتهم خاصة ٩١
(خلافة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه): ٩١
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ٩٢
خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه: ٩٢
خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ٩٣
خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب، صلوات الله عليهما: ٩٣
خلافة معاوية بن أبي سفيان: ٩٣
خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: ٩٤
خلافة أبي ليلى، معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان: ٩٤
خلافة مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف: ٩٥
خلافة أبي الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم: ٩٥
(خلافة عبد الله بن الزبير رحمه الله): ٩٦
خلافة أبي العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان: ٩٦
خلافة أبي أيوب، سليمان بن عبد الملك بن مروان: ٩٦
خلافة أبي حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم: ٩٦
خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان: ٩٧
خلافة أبي الوليد، هشام بن عبد الملك بن مروان: ٩٧
خلافة أبي العباس، الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان: ٩٧
خلافة أبي خالد، يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان: ٩٨
خلافة أبي إسحق، إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان: ٩٨
خلافة أبي عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: ٩٨
خلافة أبي العباس السفّاح: ٩٩
خلافة أبي جعفر المنصور: ٩٩

خلافة المهدي، محمد بن أبي جعفر المنصور:.....١٠٠
خلافة أبي محمد، موسى الهادي بن محمد المهدي:.....١٠٠
خلافة أبي جعفر، هارون الرشيد بن محمد المهدي:.....١٠٠
خلافة أبي عبد الله، محمد الأمين بن هارون الرشيد:.....١٠١
خلافة أبي العباس، عبد الله المأمون بن هارون الرشيد:.....١٠١
خلافة أبي إسحق، محمد المعتصم بن هارون الرشيد:.....١٠١
خلافة أبي جعفر، هارون الواثق بن محمد المعتصم:.....١٠٢
خلافة أبي الفضل، جعفر المتوكل بن محمد المعتصم:.....١٠٢
خلافة أبي جعفر، محمد المنتصر بن جعفر المتوكل:.....١٠٢
خلافة أبي العباس المستعين، أحمد بن محمد المعتصم:.....١٠٣
خلافة أبي عبد الله المعتز، الزبير بن جعفر المتوكل:.....١٠٣
خلافة أبي جعفر المهتدي بن هارون الواثق:.....١٠٣
خلافة المعتمد أبي العباس، أحمد بن جعفر المتوكل:.....١٠٣
خلافة أبي العباس أحمد المعتضد بن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل:.....١٠٤
خلافة أبي محمد، علي المكتفي بن أحمد المعتضد:.....١٠٤
خلافة أبي الفضل، جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد:.....١٠٤
خلافة أبي منصور، محمد القاهر بن أحمد المعتضد:.....١٠٥
خلافة أبي العباس، محمد الراضي بن جعفر المقتدر:.....١٠٥
خلافة أبي إسحق، إبراهيم المتقي بن جعفر المقتدر:.....١٠٥
خلافة أبي القاسم، عبد الله المستكفي بن علي المكتفي:.....١٠٦
خلافة أبي القاسم الفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر:.....١٠٦
خلافة الطائع لله واسمه عبد الكريم ويكنّى أبا بكر:.....١٠٦
خلافة القادر بالله، واسمه أحمد بن إسحق بن جعفر المقتدر، ويكنّى أبا العباس:.....١٠٦
خلافة القائم بأمر الله:.....١٠٦
خلافة المقتدي بن القائم:.....١٠٧
خلافة المستظهر بن المقتدي، واسم المستظهر أحمد بن عبد الله:.....١٠٧
خلافة المسترشد بالله واسمه الفضل بن أحمد، ويكنّى أبا منصور:.....١٠٧

خلافة الراشد بالله ابن المسترشد:.....١٠٧
خلافة المقتفي لأمر الله:.....١٠٨
خلافة المستنجد بالله ابن المقتفي:.....١٠٨
خلافة المستضي بالله ابن المستنجد:.....١٠٨
خلافة سيّدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله:.....١٠٨
(خلافة محمد الظاهر بأمر الله):.....١٠٩
(خلافة المستنصر):.....١٠٩
موعظة الصدّيق:.....١١٢
ومن مواعظ عثمان بن عفان رضي الله عنه:.....١١٤
موعظة سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وزياد بن حنظلة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:.....١١٥
اتّصاف ومعرفة ووصيّة وتنبيه وتصرّف وتنزيه وموعظة وعبرة:.....١٢٣
حكمة:.....١٢٤
موعظة:.....١٢٤
نصيحة:.....١٢٤
خبر نبوي بعمل غبطة:.....١٢٤
ومن كلام الحسن البصري:.....١٢٨
قصّة الشعبي والحسن البصري مع عمر بن هبيرة والي العراق:.....١٣٢
ذِكر ما أرّخ به الناس من آدم إلى الهجرة النبويّة.....١٣٥
ذكر اختلاف الأمم فيما مضى من الزمان من آدم إلى هجرة نبيّنا عليهما السلام.....١٣٦
نسب هود عليه السلام.....١٣٨
نسب صالح عليه السلام.....١٣٩
نسب إبراهيم الخليل عليه السلام.....١٣٩
نسب لوط عليه السلام.....١٤٠
نسب إسماعيل عليه السلام.....١٤١
وأمّا إسحق عليه السلام.....١٤١
وأمّا يعقوب عليه السلام.....١٤١
وأمّا يوسف عليه السلام.....١٤٢

وأمّا أيوب عليه السلام..... ١٤٢
نسب شعيب عليه السلام..... ١٤٣
وأمّا الخضر عليه السلام..... ١٤٣
نسب موسى وهارون عليهما الصلاة السلام..... ١٤٣
نسب يوشع عليه السلام..... ١٤٤
نسب حزقيل عليه السلام..... ١٤٥
نسب إلياس عليه السلام..... ١٤٥
وأمّا اليسع عليه السلام..... ١٤٥
وأمّا شمويل عليه السلام..... ١٤٦
وأمّا داءود عليه السلام..... ١٤٧
(وأمّا سليمان بن داءود عليهما السلام)..... ١٤٧
ثمّ بعث الله شعيا عليه السلام..... ١٤٧
وبعث الله أرميا عليه السلام..... ١٤٨
وأمّا دانيال والعُزير..... ١٤٨
وأمّا العُزير..... ١٤٨
وأمّا يونس عليه السلام..... ١٤٩
وأمّا زكريا عليه السلام..... ١٤٩
وأمّا يحيى بن زكريا عليهما السلام..... ١٤٩
وأمّا عيسى بن مريم عليه السلام..... ١٤٩
وأمّا الثلاثة أصحاب القرية..... ١٥٠
وأمّا ذو الكفل..... ١٥٠
وأمّا لقمان الحكيم..... ١٥١
وأمّا خالد بن سنان العبسي عليه السلام..... ١٥١
تاريخ نزول الكتب من عند الله تعالى..... ١٥١
تاريخ قتل المختار..... ١٥٢
وأمّا الوليد بن عبد الملك..... ١٥٢

وأمّا سليمان بن عبد الملك..... ١٥٣
وأمّا عمر بن عبد العزيز..... ١٥٣
وأمّا يزيد بن عبد الملك..... ١٥٣
وأمّا هشام بن عبد الملك..... ١٥٣
وأمّا الوليد بن يزيد..... ١٥٣
وأمّا يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي قتل الوليد بن يزيد..... ١٥٤
وأمّا مروان بن محمد الذي يلقّب الحمار..... ١٥٤
موعظة عبد الله العمري للرشيد بمكة..... ١٥٤
ومن وقائع بعض الفقراء..... ١٥٧
ومن باب من يتوكّل على الله فهو حسبه..... ١٥٨
قصّة ما جرى لأمير المؤمنين المنصور بمكة مع بعض الفقراء..... ١٥٨
(في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)..... ١٦٠
ومن محاسن الكلام..... ١٦٣
خبر الحطيئة الشاعر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ١٦٤
ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى..... ١٦٥
ولنا من هذا الباب..... ١٦٨
موعظة..... ١٦٩
مثلٌ في الوفاء..... ١٧٠
مثل سائر..... ١٧١
حكاية..... ١٧١
ومن باب الحماسة..... ١٧٢
مثَل..... ١٧٥
موعظة عطاء بن أبي رباح لعبد الملك بمكة..... ١٧٦
عمرة أبي بكر الصدّيق في خلافته رضي الله عنه..... ١٧٨
ذكر حِجج الخلفاء الأربعة في زمان خلافتهم..... ١٧٩
وأمّا عثمان بن عفان رضي الله عنه..... ١٨٠
وأمّا عليّ رضي الله عنه..... ١٨٠
ولنا في المحلّات، وهي ستّ آلات، وإنما سمّيتْ محلّات لأنّ من كانت معه حلّ حيث شاء... ١٨١
ولنا في أصناف المياه ونعوتها، وأصناف الشرب..... ١٨١

ولنا في أسماء العطش..... ١٨١
ولنا في أسماء الخيل في السباق..... ١٨٢
خبر الضبّ الذي آمن برسول الله ﷺ..... ١٨٥
دلالات التائبين..... ١٨٧
ولبعضهم في الحنين إلى الأوطان للشريف الرضي..... ١٨٨
ومن قول الشريف الرضي في الاشتياق..... ١٨٨
ومن الأمثال في السعي على العيال..... ١٨٩
حكمة علويّة..... ١٨٩
ومن باب حنين الإبل وسيرها، قول أبي منصور بن الفضل المؤدّب..... ١٨٩
خبر فيميون وعبادته وما جرى له..... ١٩١
ومن ثمرات المحبّة عند أهلها..... ١٩٤
موعظة الفضيل بن عياض لأمير المؤمنين هارون الرشيد بمكة زادها الله تشريفا..... ١٩٥
ومن باب البلاغة..... ١٩٩
موعظة..... ٢٠١
موعظة بعض الصالحين لعبد الملك..... ٢٠٥
قلت: ولنا في هذا الباب..... ٢٠٩
مثَل..... ٢١٠
ذكر نبذ من الأنساب..... ٢١٣
موعظة شيبان الراعي لهارون الرشيد بمكة..... ٢١٦
ذِكر سبب تنصُّر النعمان بن المنذر، ورفعه يوم بؤسه، ووفاء الطائي، وفضل شريك بن عمير. ٢١٨
حكومة جرت للمنصور عند محمد بن عمران..... ٢٢٧
ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى..... ٢٢٨
وسماعنا على قول الشريف..... ٢٢٩
وصيّة خطاب بن المعلى المخزومي لابنه..... ٢٣٠
ومن الشمائل الأريحية ما ذكره الأصمعي..... ٢٣٥
ومن هذا الباب ما حكاه الأصمعي..... ٢٣٥
ومن صفات العارفين..... ٢٣٥
موعظة سفيان الثوري للمنصور بمكة..... ٢٣٧
ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى..... ٢٣٧
وروينا من حديث الخطّابي..... ٢٣٨

خبر الكنيسة التي بناها أبرهة بصنعاء إلى جنب غمدان ٢٤٦
ومن الإلحاد في الحرم المكي ٢٤٩
ومن باب تعجيل العقوبة ٢٤٩
واقعة لبعض الفقراء ٢٥٢
خبر ذي الأكتاف كسرى مع ساطرون ٢٥٣
ومن قِيله في الحَضْر موعظة ٢٥٤
تذكّرتُ أحبابي، ورَسْمَ ديارهم فقلت ٢٥٥
ولنا من اللطائف العرفانية والإشارات ٢٥٦
بناءُ ابن الزبير الكعبة وسببه ٢٥٦
سماع العارف على قول القائل ٢٦٣
وسماعنا على قول قيس المجنون أيضا ٢٦٤
وسماعنا على قول الشريف الرضي ٢٦٤
ومن باب الفخر ٢٦٥
بشرى سيف بن ذي يزن لعبد المطلب برسالة محمد ﷺ، وخلافة بني العباس حين وفد عليه في وفد قريش ٢٦٧
من استنصر ببسم الله الرحمن الرحيم ٢٧٢
دعاء مأثور لذنب مغفور ٢٧٦
ولنا في المعارف من باب النسيب ٢٧٦
وسماعنا على قول كثيِّر ٢٧٩
وسماعنا على قول ابن الدمينة ٢٨٠
وكتبت إلى صاحب لي ببلاد الروم اسمه إسحق بن محمد من أصحاب السلطان ممن تخدمه الدولة وتظهر به السنّة ٢٨٢
ولنا من الرموز العُلويّة من الإشارات الغزليّة ٢٨٢
ومن شعر المتنبّي في حنين الإبل ٢٨٧
ولمهيار الديلمي في هذا الباب ٢٨٨
استجلاب وصيّة حكيم ٢٨٨
ومن كلام إبراهيم بن أدهم في الكمد ٢٨٨
تقلّب الأحول، وتنوّع الأشكال ٢٨٩
ومن خبر أسعد تُبّع الذي كسا الكعبة، وتوجّهه إلى مكة، وما اتّفق له في نار اليمن ٢٨٩
فتنة إلهيّة أضلّ بها من شاء ٢٩٢

واقعة ٢٩٣
تذكرة..... ٢٩٤
اجتماع سليمان بن عبد الملك مع أبي حازم..... ٢٩٤
مَن حج من خلفاء بني أميّة ٢٩٩
ومن وقائع بعض الفقراء..... ٢٩٩
مثَل..... ٣٠١
ومن حسن كلام الحجاج، إن كان ينفعه ذلك..... ٣٠٥
ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه..... ٣٠٨
ولنا من اللطائف والإشارات العلوية..... ٣١٠
ولنا من باب الإشارات العلويّة..... ٣١١
ومن باب الترغيب في اتّباع السنّة..... ٣١٣
حديث بناء قريش الكعبةَ ٣١٣
واقعة لبعض الفقراء..... ٣١٧
خبر سلمان الفارسي وإسلامه..... ٣٢٠
وصيّة إلهيّة ٣٢٤
كتاب طاووس إلى عمر بن عبد العزيز ٣٢٥
خبر أساف ونائلة..... ٣٢٦
ومن محاسن المكاتبة..... ٣٢٧
الولاية حلوة الرضاع مرّة الفطام..... ٣٢٨
ولنا من باب المعاني الغزليّة..... ٣٢٩
ذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التي واخى بينهم ﷺ..... ٣٣٠
ذكر خراب البلاد في آخر الزمان ٣٣١
ومن وقائع بعض الفقراء إلى الله تعالى..... ٣٣٤
ولنا من باب الرموز والإشارات العلويّة..... ٣٣٥
عناية أزليّة..... ٣٣٨
ومن باب سماع العارفين قوله:..... ٣٣٩
خبر الفيل وأصحابه وما أظهر الله في ذلك من البيّنات على تعظيم الحرم..... ٣٤٠
قول ابن عمر رضي الله عنه لحنين في استلام الركن..... ٣٤٨
ولنا من باب اللطائف والإشارات:..... ٣٤٩

ولنا من باب الإشارات العلويّة ٣٥٠
قول النبيّ ﷺ: «أنا ابن الذبيحين» ٣٥٠
وممّن دعا فهتف بإجابته ٣٥٤
موعظة نبويّة ٣٥٤
ذِكر ما قيل على لسان الحرمين وحكم الجُدَي بينهما ٣٦٠
نصيحة عليم ومقالة حكيم ٣٦٩
ومن باب حنين الإبل وسيرها قول الأديب مهيار الديلمي ٣٦٩
ومن باب الشكوى: ٣٧٢
ومن نظمنا فيما يستحسن من صفات النساء، قولنا: ٣٧٢
ومن نظمنا فيما يستحسن من صفات الرجال قولنا: ٣٧٤
ولنا في اللطائف الروحانيّة والإشارات العلويّة الربّانيّة ٣٧٥
وصيّة نبويّة نافعة ٣٧٦
وممّا يُكتب على القبر ٣٧٦
وأنشدنا أبو الربيع بن خليل لأبي الفرج بن الجوزي الإمام: ٣٧٨
دعاء من بعض من يحتجب عن الأبصار ٣٨٢
خبر الذئب الذي شهد برسالة محمد ﷺ ٣٨٢
دحيُ اللهِ الأرضَ من تحت الكعبة ٣٨٣
حسن عفو واعتراف ٣٨٣
في تقلّب الأحوال وما تأتي به الأيام والليال ٣٨٣
حكمة لقمانيّة فيها النجاة ٣٨٤
همّةٌ عليّة ويدٌ علويّة ٣٨٤
أمثال منظومة ومنثورة كاللآلئ ٣٨٤
مثَل ٣٨٥
مثَل ٣٨٥
مثَل ٣٨٥
حكمة أديب ونصيحة لبيب ٣٨٧
خبر البيت المعمور ٣٨٨
إفصاحٌ معجز بوعظٍ موجز ٣٩٠
دعاء عبدٍ مدلٍّ لربّ ﷻ ٣٩٠

نُطق بكلمة صدق..... ٣٩٠
بكاءٌ مفرّط غير مفرط..... ٣٩٠
موعظة اضطرار عند شدّ الإسار..... ٣٩٠
لكلّ مقام مقال..... ٣٩١
حالة تلحق الرجال بالنساء، حالة سواء..... ٣٩١
خليفة عدل قضى واجب حقّ وفضل..... ٣٩١
ما ذكر من بعض صفات عمر بن الخطاب رضي الله عنه..... ٣٩٢
تأسيس في حقّ الجليس..... ٣٩٣
خبر الطائر الطائف..... ٣٩٣
خبر الطائر المغيث..... ٣٩٥
حكمة..... ٣٩٦
موعظة بهلول المجنون..... ٣٩٦
ومن شعر الشريف الرضي في وداع الحاج..... ٣٩٦
خبر اللّات والعزّى..... ٣٩٨
موعظة..... ٤٠٠
خبر الأربعين الرجبيّين والأبدال..... ٤٠٢
ولهيار الديلمي في حنين الإبل وسيرها..... ٤٠٤
خبر حسان وعمرو ابني أبي كرب تبّان أسعد تبّع الذي كسا الكعبة..... ٤٠٥
وصيّة..... ٤٠٧
موعظة..... ٤٠٨
دعاء حسن..... ٤٠٨
أعرابيّة المحتد عربيّة المشهد..... ٤٠٨
خبر ابن قارب مع هاتفه..... ٤٠٩
نصيحة الجرهمي لعمرو بن لحي..... ٤١١
موعظة نبويّة..... ٤١٢
وممن ابتلي بعهدٍ فوفى موسى المصطفى..... ٤١٣
مثلٌ سائر..... ٤١٤
ولنا في أسماء الطبيعة..... ٤٢٠
مثلٌ سائر..... ٤٢١
حدّث أميّة بن يزيد الأموي..... ٤٢٣

مثلٌ سائر في الجود: أجود من كعب بن مامة.....٤٢٤
حديث يحيى بن يحيى النيسابوري مع المأمون.....٤٢٥
ومن قصص عطاء بن أبي رباح مع هشام.....٤٣١
ومن أخبار يحيى بن أكثم مع المأمون.....٤٣٣
حديث سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري مع الوليد بن عبد الملك في حرق القبّة ٤٣٥
حكاية.....٤٤٠
حديث ابن أبي ذِئب مع المنصور.....٤٤٣
خبر سيف بن ذي يزن.....٤٤٤
(خلق الخلق).....٤٤٩
الأنهار التي تجري من السماء.....٤٥٣

ABOUT THE BOOK

مركز الصفاء للدراسات

محاضرة الأبرار
ومسامرة الأخيار

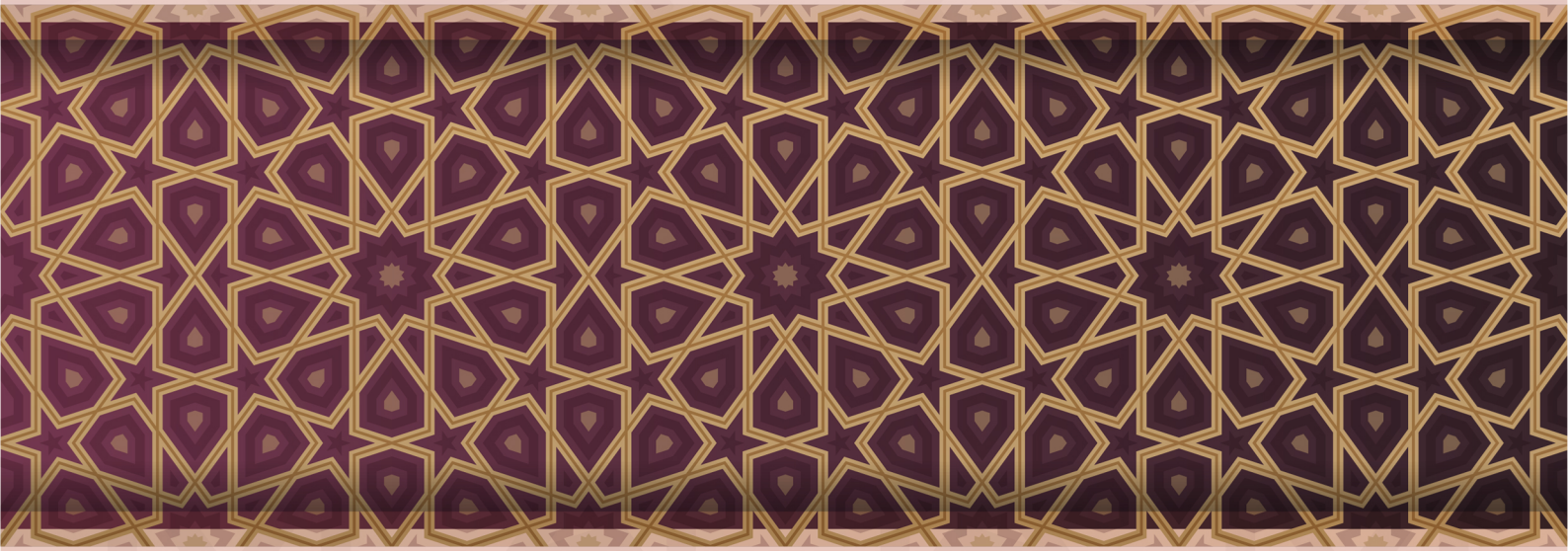

طبعة إلكترونية أولى

©2026